



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بحوث

في الممل والنحل

الحنابلة

الجزء السادس

جعفر السبحاني التبريزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحوث فى الممل و النحل

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسة النشر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|-----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ٦ | بحوث فى الملل و النحل - الجزء السادس (يتناول تاريخ الشيعة) |
| ٦ | اشارة |
| ٦ | مقدمة المؤلف |
| ٧ | الشيعة لغةً و اصطلاحاً |
| ٨ | الفصل الأول بيان متطلبات الظروف فى عصر |
| ١٦ | الفصل الثانى ماهو المرتكز فى أمر القيادة فى |
| ١٧ | الفصل الثالث ماهو مقتضى الكتاب والسنه |
| ٢٩ | الفصل الرابع ما هو السر |
| ٣٧ | الفصل الخامس مبدأ التشيع و تاريخ تكونه |
| ٤٢ | الفصل السادس افتراضات وهمية حول تاريخ |
| ٥٩ | الفصل السابع صيغه الحكومه عند أهل السنه |
| ٦٨ | الفصل الثامن نصوص الخلافه والركون إلى الأمر |
| ٧٥ | الفصل التاسع الشيعة فى العصرين الأموى |
| ٨٤ | الفصل العاشر فى عقائد الشيعة الإمامية |
| ١٥١ | الفصل الحادى عشر فى الأئمة الإثنى عشر |
| ١٨٠ | الفصل الثانى عشر دور الشيعة فى بناء الحضارة |
| ٢١٠ | الفصل الثالث عشر فى بلدان الشيعة وجامعاتهم |
| ٢٢٢ | الفصل الرابع عشر مصادر الأصول والفروع عند |
| ٢٢٧ | فهرس مصادر الكتاب |
| ٢٣٣ | تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية |

بحوث في الملل والنحل - الجزء السادس (يتناول تاريخ الشيعة)

إشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ١٣٠٨
 عنوان و نام پدید آور : بحوث في الملل و النحل : دراسه موضوعيه مقارنه للمذاهب الاسلاميه تاليف جعفر السبحانی مشخصات نشر :
 قم اداره الحوزه العلميه بقم الجماعه المدرسين في الحوزه العلميه بقم موسسه النشر الاسلامي ١٤١٤ق = - ١٣٧٢.
 فروست : (موسسه النشر الاسلامي جامعه المدرسين بقم ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٢٥: مركز مديريت حوزه علميه قم ١، ٢٦)
 شابك : بها: ٣٤٠٠ ريال ج ١) بهای هر جلد متفاوت ؛ بها: ٣٤٠٠ ريال ج ١) بهای هر جلد متفاوت ؛
 بها: ٣٤٠٠ ريال ج ١) بهای هر جلد متفاوت وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی یادداشت : ج ١ (چاپ دوم ١٣٧١)؛ بها: ١٨٠٠
 ريال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ١٤١٥ق = ١٣٧٣؛ بها: ٤٠٠٠ ريال جلد پنجم (چاپ دوم ١٤١٥ق = ١٣٧٣)؛ بها: ٥٥٠٠ ريال
 (موسسه النشر الاسلامي جامعه مدرسين بقم) ٧٢٤
 یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ١٤١٦ق = ١٣٧٤؛ بها: ٦٥٠٠ ريال یادداشت : ج ٤ (چاپ پنجم ١٤١٧ق = ١٣٧٥)؛ ٧٦٠٠ ريال
 یادداشت : ج ٧ (چاپ اول ١٤١٦ق = ١٣٧٤)؛ ١٠٠٠٠ ريال یادداشت : ج ٨ (چاپ اول موسسه الامام الصادق ١٤١٨ق = ١٣٧٦)؛
 ١٠٠٠٠ ريال یادداشت : ج ١٤١٢ق = ٢٥٠٠: ١٣٧١ ريال یادداشت : ج ٦ (چاپ چهارم ١٤٢٤ق = ١٣٨٢): ٣٤٠٠٠ ريال یادداشت :
 کتابنامه مندرجات : ج ١. تاريخ عقائد اهل الحديث و الحنبله و السلفيه .-- ج ٢. تاريخ الامام الاشعري و انصاره و عقائدهم .-- ج
 ٣. و يتناول تاريخ و عقائد الماتريديه و المرجئه .-- ج ٤. حياه ابن تيميه و ابن عبد الوهاب و عقائدهما .-- ج ٦. تاريخ الشيعة نشاتهم
 عقائدهم و شخصياتهم .-- ج ٧. يتناول شخصيه و حياه الامام الثائر زيد بن علي و تاريخ الزيديه و عقائده .-- ج ٨. الاسماعيليه و
 فرق الفطحيه ...--

موضوع : اسلام -- فرقهها

شناسه افزوده : جامعه مدرسين حوزه علميه قم دفتر انتشارات اسلامي شناسه افزوده : حوزه علميه قم مركز مديريت رده بندي كنگره

BP236/سب ٣ ١٣٧٢

رده بندي ديويي : ٢٩٧/٥

شماره كتابشناسي ملي : م ٧٣-٢١٥٥

مقدمه المؤلف

مقدمه المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه وآله وعلى رواة سنته وحمله أحاديثه وحفظه كلمه (٥)
 الحمد لله الذي علا بحوله، ودنى بطوله، والصلاة والسلام على سيد رُسله وخاتم أنبيائه، الذي بعثه لإنجاز عهده، وإتمام نبوته، وعلى
 آله الذين هم موضع سرّه، وملجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، صلاة دائمة مادام الفرقدان، وكثر الجديدان . أما بعد: فهذا هو
 الجزء السادس من موسعتنا في دراسة تاريخ المذاهب الإسلامية وقد درسنا الفرق المشهورة، ولم تبق إلا الشيعة بفرقها الثلاث
 المنتشرة في العالم: الإمامية، والزيدية، والإسماعيلية. نسأل الله سبحانه أن يوقفنا في دراسة مذهب الشيعة، الذين جنى عليهم كثير من
 المؤرخين وكتّاب المقالات والفرق، وكتبوا عنهم أشياء كثيرة هم برآء منها. ولم يرجعوا عند البحث عن عقائد هذه الفرق إلى
 مؤلفاتهم وكتبتهم وآثارهم، وإنما اعتمدوا على أفواه الرجال ونقله الأخبار، فصاروا كحاطب ليل يجمع في حزمته كل رطب ويابس،

والحق كما يقول بعض الأساتذة: «إنه تطوّر كل شيء إلا الكتابة عن الشيعة، ولكل بداية نهاية إلا الافتراء على الشيعة، ولكل حكم مصدره ودليله إلا الأحكام على الشيعة» (١). _____

١. عبدالله بن سبأ ١ / ٩ (مقدمة الطبعة الثالثة بقلم الأستاذ المغفور له محمد جواد مغنية).

(٦)

ونشكر القراء الكرام الذين شجعونا برسائلهم على مواصلة بحث ودراسة هذه المواضيع الهامة في تاريخ أمتنا المجيدة، ونتقدم بالشكر إلى العلماء الذين يقدمون لنا النقد البناء، فإن العصمة لله ولمن عصمه. قم - جعفر سبحاني ٢٨ شعبان المعظم ١٤١٢ هـ

الشيعة لغةً واصطلاحاً

الشيعة لغةً واصطلاحاً

الشيعة لغةً هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد في قضاياهم، يقال تشايح القوم إذا تعاونوا، وربما يطلق على مطلق التابع، قال سبحانه: (فَأَسِيحَاتُ اللَّذِي مِنْ شِيَعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) (١) وقال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيَعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (٢) فالشيعة هم الجماعة التابعة لرئيس لهم. وأما اصطلاحاً فلها إطلاقات عديدة بملاكات مختلفة: ١- الشيعة: من أحب علياً وأولاده باعتبارهم أهل بيت النبي الذين فرض الله سبحانه مودتهم قال عز وجل: (قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٣) والشيعة بهذا المعنى تعم كل المسلمين إلا النواصب، بشهادة أنهم يصلون على نبيهم وآله في صلواتهم وأدعيتهم ويتلون الآيات النازلة في حقهم صباحاً ومساءً، وهذا هو الإمام الشافعي يصفهم بقوله: _____

١. القصص / ١٥ .

٢. الصافات / ٨٣ - ٨٤ .

٣. الشورى / ٢٣ . (٨)

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمْ * فرض من الله في القرآن أنزلهُ كفاكُم من عظيم الشأن أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له (١) وأما النواصب فهم الذين نصبوا لعلى وأهل بيته العدا وتلقوه فريضة دينية وأعانهم على ذلك مرتزقة أصحاب البلاط، وترجع جذور هذه الفكرة إلى معاوية حيث سنَّ سبَّ على على المنابر وتبعه أولاده وعشيرته إلى أواخر الدولة الأموية، وكتب ابن أبي سفيان إلى عماله في جميع الآفاق: «أنظروا إلى من أقيمت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه» ثم كتب نسخة أخرى إلى عماله وشدد الأمر فيها وقال: «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وهدموا داره». وعلى هذا المنشور قام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته... (٢). ٢- من يفضّل علياً على عثمان أو على الخلفاء عامية مع اعتقاده بأنه رابع الخلفاء وإنما يقدم لاستفاضته مناقبه وفضائله عن الرسول الأعظم، والتي دونها أصحاب الحديث في صحاحهم ومسانيدهم وهي تلزم الإنسان الاعتقاد بأنه أفضل الصحابة، وعلى ذلك معتزلة بغداد وقليل من أهل الحديث، وعلى ذلك الاصطلاح جرى أكثر من كتب في الرجال والتراجم والمقالات حيث يصفون قليلاً من الصحابة وكثير من التابعين بأنه يتشيع أو أنه شيعي، وربما يعدونه من أسباب الجرح وكأن حب أهل البيت عمل اجرامي أو أن تقدم الخلفاء على علي أصل من أصول الدين لا يجوز تجاوزه، مع أن الإمامة من الفروع عند أهل السنة فكيف درجات الخلفاء ورتبهم. وربما يختلط الأمر على من ليس له إمام بالاصطلاح، فلا يفرق بينهما، _____

١. الصواعق ١٤٨ ط ١٣٨٥ الطبعة الثانية .

٢. وسيوافيك مصدره وبيان عدا ابن أبي سفيان للإمام وعترته وشيعته . (٩)

وأكثر من يستعمل هذا الاصطلاح هو الذهبي في «ميزان الاعتدال» و«سير أعلام النبلاء» فيصف بعض التابعين والمحدثين بالتشيع

ملمحاً بذلك إلى ضعفهم، وقد رُمى أبو عبدالله الحاكم النيسابوري بالتشيع كمعتزلة بغداد، والمقصود تفضيلهم علياً على سائر الخلفاء لا أنه الإمام المنصوص بالخلافة. ٣- الشيعة: من يشايح علياً وأولاده باعتبار أنهم خلفاء الرسول و أئمة الناس بعده، نصبهم لهذا المقام بأمر من الله سبحانه، وذكر أسماءهم وخصوصياتهم، والشيعة بهذا المعنى هو المبحوث عنها في المقام، وقد اشتهر بأن علياً هو الوصي حتى صار من ألقابه، وذكره الشعراء بهذا العنوان في قصائدهم (١) وهو يقول في بعض خطبه: «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفى الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...» (٢). ومجمل القول: إن هذا اللفظ يشمل كل من قال: إن قيادة الأمة لعلى بعد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنه يقوم مقامه في كل ما يمت إليه سوى النبوة ونزول الوحي عليه. كل ذلك بتنصيب من الرسول، وعلى ذلك فالمقوم للتشيع وركنه الركين هو القول بالوصاية والقيادة بجميع شؤونها للإمام - عليه السلام - فالتشيع هو الاعتقاد بذلك، وأما ما سوى ذلك فليس مقوماً لمفهوم التشيع ولا يدور عليه اطلاق الشيعة .

١ . خطب الإمام أبو محمد: الحسن السبط حين قتل أمير المؤمنين خطبته الغزاة فقال: أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي أخرجه الحاكم في مستدرکه ١ / ١٧٢، وقد ذكر ابن أبي الحديد أشعاراً وأراجيز تضمن توصيف الإمام بالوصاية عن الصحابة والتابعين، لاحظ شرح النهج ١ / ١٤٣ - ١٥٠ باب ما ورد في وصاية علي من الشعر .

٢ . نهج البلاغة، الخطبة الثانية . (١٠)

لا شك أن للشيعة عقائد وآراء في مجارى الأصول والفروع وربما يشاركون غيرهم فيها وربما يخالفونهم، ولكنها ليست من سماتهم وأعرافهم وإنما هي أصول وأحكام دعاهم الدليل إلى تبنيها من الكتاب والسنة والعقل . مثلاً إن الشيعة تقول باتحاد الصفات الذاتية لله سبحانه معها، وكونه سبحانه غير مرئى فى الدارين، وأن كلامه مخلوق له، وأنه لا يكلف ما لا يطاق، وأن حقيقة الأمر فى أفعال العباد لا- جبر ولا- تفويض بل أمر بين الأمرين، وأن الأنبياء معصومون إلى غير ذلك من الآراء، ولكنها آراء كلامية للشيعة لا أنها المقوم للتشيع بحيث لو خالف فيها رجل منهم، ولكنه قال بالوصاية لعلى وبالقدرة لعترته، لخرج عن اطار التشيع وأصوله. إن التشيع بهذا المعنى عبارة عن الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية فى قالب الوصاية لعلى وعترته، والشيعة تدعى أن هذه الفكرة غرست بيد النبى فى أيام حياته، وتبناها لفيف من المهاجرين فى عصره، وبقوا عليها بعد حياته واقتدى بهم لفيف من التابعين لهم بإحسان وتواصل الاعتقاد به من تلك العصور إلى زماننا الحاضر، وهذا هو الذى تدعيه الشيعة وعليه بنى صرح التشيع ونحن فى غنى عن الاتيان بنصوص أعلامهم وأكابرهم فى المقام التى تدل على أن الوصاية للإمام بعد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فالأولى طرح الموضوع على بساط البحث وعرضه على المرتكزات العقلية، ولأجل تسليط الضوء على المسائل المهمة نبحت عن الجهات التالية وكل واحدة منها فى فصل خاص بها: ١- فى تبيين متطلبات الظروف فى عصر النبى، فهل كانت تقتضى أن تكون صيغة الحكم هى التنصيب أو كانت تقتضى تفويض الأمر إلى اختيار الأئمة لتتخى الحاكم والقائد عليها؟ ٢- ما هو المرتكز فى الأذهان فى عصر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعده فى أمر القيادة؟ (١١)

٣- ما هو مقتضى الكتاب والسنة فى القيادة بعد الرسول؟ ٤- ما هو السر فى مخالفة الجمهور لنص الرسول وتصريحه؟ ٥- مبدأ التشيع وتاريخه ورواد التشيع فى عصر الرسول والصحابة والتابعين. ٦- افتراضات وهمية حول تاريخ الشيعة . ٧- صيغة الحكومة الإسلامية عند أهل السنة . ٨- نصوص الخلافة والركون إلى الأمر الواقع . ٩- الشيعة فى عصر الدولتين الأموية والعباسية. ١٠- عقائد الشيعة الامامية الاثنا عشرية . ١١- أئمة الشيعة الاثنا عشر ونبذة عن حياتهم . ١٢- دور الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية وتطوير العلوم . ١٣- دول الشيعة وبلدانهم عبر التاريخ . ١٤- مصادر علوم الشيعة . فالذى نعتقد أن تحليل هذه الجهات يكشف الواقع للمحقق ولا يبقى له شكاً فى أصالة التشيع وأنه استمرار للإسلام عبر الحقب والأعوام . (١٢) (١٣)

الفصل الأول بيان متطلبات الظروف في عصر الرسول في مجال القيادة الإسلامية (١٤) (١٥)

لاشك أن الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعته خاتمة، وقد كانت قيادة الأمة من شؤون النبي الأكرم مادام على قيد الحياة، ثم إنه وقع الاختلاف بين أصحاب المقالات والفرق في صيغتها بعد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فهل كانت متبلورة في صيغة النص أو في انتخاب الأمة . الشيعة ترى أن القيادة منصب تنصيبى والذى ينص على خليفته الرسول هو الله سبحانه عن طريقه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، بينما يرى أهل السنة غير ذلك ولكل من الاتجاهين دلائل وبراهين، و المقصود هنا دراسة متطلبات الظروف وتقييمها في عصر الرسالة، فهل كانت المصالح تكمن في تعيين القائد أو كانت تكمن في خلافه؟ فدراستها تسلط الضوء على البحث الثالث و هو وجود النص من الرسول وعدمه، وإليك بيان ذلك: إن الظروف السياسية التي كانت سائدة في المنطقة كانت توجب على الرسول أن يعين القائد، وكانت المصلحة الإسلامية تقتضى ذلك، لأن المجتمع الإسلامي كان مهدداً على الدوام بالخطر الثلاثي، الروم، الفرس، المنافقين، وخطرهم يتمثل بشن هجوم مفاجيء كاسح أو إلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين . فمصالح الأمة كانت توجب توحيد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر (١٦)

الخارجى والداخلى، وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو في جسم الأمة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها، وبذلك يخسر الذين كانوا يتآمرون على ضرب الإسلام بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . أما العدو الأول فقد كان الامبراطورية الرومانية التي كانت تشكل إحدى أضلاع الخطر المثلث الذى كان يحيط بالكيان الإسلامى ويهدده من الخارج . وكانت هذه القوة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على الدوام، حتى ان التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى . وكانت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحى الرومى في السنة الثامنة من الهجرة في أرض فلسطين، وقد أدت هذه المواجهة إلى مقتل القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم «جعفر الطيار» و «زيد بن حارثة» و «عبدالله بن رواحة» . ولقد أدى انسحاب الجيش الإسلامى بعد مقتل القادة المذكورين إلى تزايد جراءة الجيش القيصرى المسيحى، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش . من هنا خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في السنة التاسعة للهجرة (غزوة تبوك) على رأس جيش كبير جداً إلى حدود الشام ليقود بنفسه المواجهة العسكرية، وقد استطاع الجيش في هذه الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد للأمة الإسلامية هيبتها من جديد . غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فأعد قبيل ارتحاله جيشاً كبيراً من المسلمين. وأمر عليهم «أسامة بن زيد» وكلفهم بالتوجه إلى حدود الشام والحضور في تلك الجبهة. (١٧)

أما الضلع الثانى من المثلث الخطير الذى كان يهدد الكيان الإسلامى، فكان الامبراطورية الايرانية (الفارسية) وقد بلغ غضب هذه الامبراطورية على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعاداتها لدعوته، أن أقدم امبراطور إيران، «خسرو پرويز» على تمزيق رسالة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وتوجيه الاهانة إلى سفيره باخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعميله في اليمن بأن يوجه إلى المدينة من يقبض على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أو يقتله إن امتنع. و«خسرو» هذا و إن قتل زمن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يغب عن نظر عليه وآله وسلم - إلا - أن استقلال اليمن - التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الايرانية ردحاً طويلاً من الزمن - لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أولئك الملوك وتجبرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم . والخطر الثالث وهو الأعظم (لأن القلعة الحصينة لا تهزم إلا - من داخلها) كان هو خطر حزب النفاق الذى كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس، على تفويض دعائم الكيان الاسلامى من الداخل، إلى درجة أنهم قصدوا اغتيال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في طريق العودة من تبوك إلى المدينة. فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: إن الحركة الاسلامية سينتهى أمرها بموت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ورحيله، وبذلك يستريح الجميع (١) . ولقد قام أبو سفيان بن

حرب بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بمكيده مشؤومه لتوجيه ضربه إلى الأمة الإسلامية من الداخل، وذلك عندما أتى علياً - عليه السلام - وعرض عليه أن يبايعه ضدَّ عُيْنٍ في السقيفة، ليستطيع بذلك _____

١. الطور / ٣٠ .

(١٨)

شطر الأمة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن حينها من الصيد في الماء العكر . ولكن الإمام علياً - عليه السلام - أدرك بذكائه المفرط نوايا أبي سفيان الخبيث فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريرة: «والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً. لاحاجة لنا في نصيحتك» ومع أن الإمام رده خائباً لكنّه استمرّ في فتنته لشقّ عصا الأُمّة فأخذ يتردّد في أزقة المدينة منادياً: بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرّة أو عدى فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي (١) ولقد بلغ دور المنافقين الهدام في الشدة بحيث تعرّض القرآن الكريم لذكرهم في سور عديدة هي: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقون، والحشر . فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحينون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أُمَّته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعين لهم قائداً دينياً سياسياً؟ إن المعطيات الاجتماعية توحى بأنه كان من الواجب أن يدفع رسول الإسلام - بتعيين قائد للأمة - ظهور أي اختلاف وانشقاق فيها من بعده، ويضمّن بذلك استمرار وبقاء الأمة الإسلامية وإيجاد حصن قوى وسياس دفاعي متين حولها. _____

١. الكامل ٢ / ٣٢٥، العقد الفريد ٢ / ٢٤٩ .

(١٩)

إنّ تحصين الأمة وصيانتها من الحوادث المشؤومة والحيلولة دون مطالبه كل فريق الزعامة لنفسه دون غيره وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن متحققاً إلا بتعيين قائد للأمة وعدم ترك الأمور للأقدار . إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «التنصيب على القائد بعد الرسول» ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أخرى طرح الرسول مسألة الخلافة في بدء الدعوة واستمر بذلك إلى آخر ساعة من عمره الشريف كما ستوافيك نصوصها. ***

ثمّ إنّي بعد ما حرّرت ذلك في سالف الأيام وأوردته في بعض محاضراتي الكلامية (١) وقفت على تقرير للمحقّق الشهيد السيد الصدر المغفور له فقد بيّن متطلبات الظروف في تقديمه على كتاب تاريخ الشيعة للدكتور عبدالله فياض بنحو آخر وهو تقرير رصين نكتطف منه ما يلي: كان النبي الأكرم يدرك منذ فترة أن أجله قد دنى وأعلن ذلك بوضوح في حجّة الوداع ولم يفاجئه الموت مفاجئاً، وهذا يعني أنه كان يملك فرصة كافية للتفكير في مستقبل الدعوة، وفي هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أنه كانت أمام النبي ثلاثة طرق بالإمكان انتهاجها تجاه مستقبل الدعوة. الطريق الأول: أن يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً ويكتفى بممارسة دوره في قيادة الأمة وتوجيهها فترة حياته ويترك مستقبلها للظروف والصدف، وهذه السلبية لا يمكن افتراضها في النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لأنها إنّما تنشأ من أحد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه . _____

١. الإلهيات ٢ / ٥٥٤ - ٥٨٤، لولدنا الفاضل الروحاني الشيخ حسن مكّي العاملي - حفظه الله - .

(٢٠)

١- «الاعتقاد بأنّ هذه السلبية والاهمال لا تؤثر على مستقبل الدعوة، وأنّ الأمة قادرة على التصرف بالشكل الذي يحمي الدعوة، ويضمن عدم الانحراف». وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقاً، لأنّ الدعوة الإسلامية بما أنها كانت تغييراً انقلابياً في بدايته، تستهدف بناء أمة، واستئصال كل جذور الجاهلية منها، تتعرّض لأكبر الأخطار إذا خلت الساحة من قائدها، وتركها دون أي تخطيط. فهناك الأخطار تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط سابق، فإنّ الرسول إذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة،

فسوف تواجه الأمة لأول مرة، مسؤولية التصرف بدون قائدها، تجاه مشاكل الدعوة وهي لا تملك أي مفهوم مسبق بهذا الصدد. وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً آتياً بالرغم من خطورة المشكلة، لأن الفراغ لا يمكن أن يستمر. فلم تكن إذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي شيئاً يمكن أن يخفى على أي قائد مُمارس للعمل العقائدي فضلاً عن خاتم الأنبياء. ٢- الذي يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومسيرها بعد وفاته، أنه بالرغم من شعوره بخطر هذه السلبية لا يحاول تحصين الدعوة ضد ذلك الخطر، لأنه ينظر إلى الدعوة نظرة مصلحية فلا يهيمه إلا أن يحافظ عليها مادام حياً ليستفيد منها ويستمتع بمكاسبها ولا يعنى بحماية مستقبلها بعد وفاته. وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق على النبي حتى لو لم نلاحظه بوصفه نبياً ومرتباً بالله سبحانه وتعالى في كل ما يرتبط بالرسالة، وافترضناه قائداً للقائد الرسول، في اخلاصه لدعوته، وتفانيه فيها، وتضحيته من أجلها إلى آخر لحظة من حياته، وكل تاريخه يبرهن على ذلك. الطريق الثاني: أن يخطئ الرسول القائد لمستقبل الدعوة بعد وفاته ويتخذ (٢١)

موقفاً إيجابياً فيجعل القيمومة على الدعوة ممثلة على أساس نظام الشورى الذي يضم مجموع المهاجرين والأنصار، فهذا الجيل الممثل للأمة هو الذي سيكون قاعدة للحكم ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها. وفيما يلي ما يرد تلك الفكرة: ١- لو كان النبي قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً إيجابياً يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، واسناد زعامة الدعوة إلى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام، لكان من أبده الأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للأمة والدعاء، على نظام الشورى وحدوده وتفصيله واعطائه طابعاً دينياً مقدساً، واعداد المجتمع الإسلامي اعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الإسلام وضعاً سياسياً على أساس الشورى وإنما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة إلى حد كبير. ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبي لم يمارس عمله التوعوي على نظام الشورى وتفصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية لأن هذه العملية لو كانت قد أنجزت لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الأحاديث الماثورة عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، وفي ذهنية الأمة وعلى أقل تقدير في ذهنية الجيل الطبيعي منها، الذي يضم المهاجرين والأنصار بوصفه، وهو المكلف بتطبيق نظام الشورى، مع أننا لانجد في الأحاديث الماثورة عن النبي أي صورة تشريعية محددة عن نظام الشورى، وأما ذهنية الأمة أو ذهنية الجيل الطبيعي منها فلا نجد فيها أي ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل. ثم إنه (- رحمه الله -) استشهد بفعل الخليفة الأول حيث لم يمارس نظام الشورى في حال حياته وقام بتنصيب عمر مكانه، كما فعل ذلك أيضاً الخليفة الثاني في نطاق (٢٢)

خاص فجعله محصوراً في سته أشخاص، وسيوافيك تفصيل ذلك في الفصل الثاني. الطريق الثالث: وهو الطريق الوحيد الذي بقي منسجماً مع طبيعة الأشياء ومعقولا على ضوء ظروف الدعوة والدعاء وسلوك النبي. وهو أن يقف النبي من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً إيجابياً فيختار بأمر من الله سبحانه وتعالى شخصاً يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة، فيعده اعداداً رسالياً وقيادياً خاصاً تتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية، وليواصل بعده (بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والأنصار)، قيادة الأمة وبناءها عقائدياً وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية.

وهكذا نجد أن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالامكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة وصيانة الحكم من الانحراف في خط نموها وهكذا كان (١). وعلى ذلك فالقول بالتشيع عبارة عن القول بوجود ضمان لاستمرار الدعوة بتعيين الوصي من جانب الرسول بأمر من الله، وقد عرفت أن طبيعة الظروف في عصر الرسول كانت تقتضي ذلك على الوجه الكلي، أي كان يتطلب تعيين القائد وأن لا يترك الأمر إلى الأمة، وعدم اهماله وتركه للصدف، واستعرف في الفصل الثالث أنه قد صدق الخبرُ الخبر، وأن الرسول قد قام بتلك الوظيفة التي تضمن استمرار الدعوة وسلك هذا الطريق سلوكاً واضحاً. * * *

وهناك بيان ثالث يعطى نفس ما أعطاه الوجهان وهو دراسة طبيعة الحكم من زاوية طروء الفراغ الهائل بعد رحلة الرسول فيما يمت إلى صلب الدين وهداية الأمة إلى الحق والحقيقة: _____

١. مقدّمة تاريخ الامامية ٥ / ١٦ بتلخيص .

(٢٣)

لقد درسنا متطلبات الظروف ومقتضيات عصر النبي في مجال القيادة وإدارة دفة الحكم ووصلنا إلى أن مصالح المسلمين كانت تكمن في تعيين القائد دفعا للأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين بوفاء النبي، ومفاجأة الأمة بفراغ مكانه القيادي. ويمكن لنا دراسة طبيعة الحكم من زاوية أخرى وهي ملاحظة الفراغات الهائلة الحاصلة بعد رحلة القائد، لا من جهة القيادة السياسية والاجتماعية، بل في جانب حاجة الأمة إلى قائد رسالي يسد تلك الفراغات المعنوية فيما يمت إلى صلب الدين وأمر هداية الأمة في مجال تفسير الكتاب وشرح مقاصده أولاً، وتبيين ما لم يبيّنه الرسول في مجال الأحكام ثانياً، وصيانة الدين الحنيف من محاولات التحريف ثالثاً فالأمة تواجه وتفاجيء هذه الفراغات الثلاثة، فمن الّذى يسدّها، فهل الأمة جميعاً أو المهاجرون والأنصار أو أهل الحل والعقد؟ والجواب: لا، لأن المفروض - كما سيأتي - قصورهم عن ملء الفراغ، فما هو الحل لهذا المشكل؟ وهذا هو الذي يستهدفه هذا البحث. فنقول: إن الرسول الأكرم لم تقتصر مسؤولياته على تلقى الوحي الإلهي وإبلاغ الآيات النازلة عليه بل كانت تتجاوز عن ذلك كثيراً فقد كانت وظائف ثلاث تقع على عاتقه بالإضافة إلى ما يقوم به من سائر الوظائف: ١- كان النبي الأكرم يفسّر الكتاب العزيز ويشرح مقاصده ويبيّن أهدافه ويكشف رموزه وأسراره. ٢- وكان يبيّن أحكام الحوادث الجديدة الطارئة على المجتمع الإسلامي عن طريق القرآن الكريم وسنّته. ٣- وكان يصون الدين من التحريف والفساد، فكان وجوده مدار الحق وتميزه عن الباطل، وكانت حياته ضماناً لعدم تطرّق الدس والتحريف إلى دينه. (٢٤)

ولا شك أن موت النبي وفقدانه سيوجدان فراغات هائلة في المجالات الثلاثة فيجب اعداد قائد له القابلية والصلاحية في سد تلك الفراغات، ولا يقوم به إلا- من كان يتمتع بما كان يتمتع به الرسول عدا خصيصة النبوة وتلقى الوحي، فيكون وعاء علم النبي ومخزن أسراره، ومودع حكمته، حتّى يقوم بتلك الوظيفة العظيمة. ومن الواضح أن هذه الكفاءات والمؤهلات المعنوية لا تحصل لشخص بطريق عادي ولا بالتربية البشرية المتعارفة، بل لا بدّ من اعداد إلهي خاص وتربية إلهية خاصّة هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يمكن للأمة أن تتعرّف بنفسها على هذا الشخص وتكتشف من تتوفّر فيه تلك المؤهلات والكفاءات بالطرق العادية. كل ذلك يثبت نظرية التنصيب وأنه لا محيص عن تعيين القائد بتنصيب الرسول بأمر من الله سبحانه، أي تنصيب من يتّصف بتلك الكفاءات التي لا يكتسبها إلا- من تربى في حضن الرسالة والرسول. وإليك تفاصيل هذه المفراغات، ونكتفي في كل مورد بموجز القول: ١- القرآن الكريم والابهامات الطارئة:

إنّ الله سبحانه يصف القرآن بأنّه نزل إلى النبيّ لبيّن للناس ما نزل إليهم فيقول: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١) وقال: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) (٢) فقد وصف النبي في هاتين الآيتين بأنه مبين بما في الكتاب لا قارئ فقط، فكم فرق بين أن يقول: «لتقرأ»

١. النحل / ٤٤ .

٢. النحل / ٦٤ . (٢٥)

للناس» وبين: (لتبين لهم). إن هذه الآيات تكشف لنا عن أن القرآن رغم وضوحه من حيث اللفظ والمعنى ورغم أنه منزّه عن مشابهة كتب الألغاز والطلاسم، يحتاج إلى مبين ومفسّر بسببين: ١- وجود المجملات في أحكام العبادات والمعاملات الواردة في آياته. ٢- غياب القرائن الحالية التي كانت الآيات محفوفة بها حين النزول، وكانت معلومة للمخاطبين في ذلك الوقت. وقد كان النبي بنفسه يقوم بتفسير القرآن الكريم وتبيين مجمله وتقييد مطلقه وما أشبه ذلك. وكانت القرائن الحالية معلومة وواضحة لدى الأصحاب. ولما ارتحل النبي الأكرم إلى الرفيق الأعلى وحصل الفصل الطويل بينه وبين أمته، حدث هناك فراغ هائل في تفسير القرآن فلا ترى آية من الآيات إلا وفي تفسيرها آراء متضاربة إلى حدّ اختلفوا في تفسير الآيات التي تتعلّق بأعمالهم اليومية: ١- قال سبحانه في آية الوضوء:

(فَاعْبُدُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسِكُوا بُرُوسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (١) وقد تضاربت الآراء في فهم هذه الآية وصارت الآية إلى قولين: فمن عاطف لفظ «أرجلكم» على الرؤوس فيحكم على الأرجل بالمسح، ومن عاطف له على الأيدي فيحكم على الأرجل بالغسل. ومن المعلوم أن إعراب القرآن الكريم إنما حدث بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأتى الرأيين هو الصحيح؟ ٢- لقد حكم الله تعالى على السارق والسارقة بقطع الأيدي حيث قال: _____

١. المائة / ٦ .

(٢٦) (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (١) وقد اختلفت الأمة في مقدار القطع وموضعه: فمن قائل إن القطع من أصول الأصابع دون الكف وترك الابهام كما عليه الإمامية، وجماعة من السلف. ومن قائل إن القطع من الكوع، وهو المفصل بين الكف والذراع كما عليه أبو حنيفة ومالك والشافعي. ومن قائل إن القطع من المنكب كما عليه الخوارج (٢).

٣- سئل أبوبكر عن الكلاله في قوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) (٣) فقال: إني سأقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريتان، أراه ما خلا الولد والوالد. فلما استخلف عمر قال: إني لأستحيي الله أن أرد شيئاً قاله أبوبكر. ٤- أمر الله سبحانه الورثة باعطاء السدس للكلالة في قوله سبحانه: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ) (٤) وفي الوقت نفسه يحكم سبحانه باعطاء الكلاله النصف أو الثلثين كما قال: (إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ

١. المائة / ٣٨ .

٢. راجع الخلاف للطوسي (كتاب السرقة) ١٨٤. أحكام القرآن للجصاص ٤٢١: روى عن أبي هريرة أن رسول الله قطع يد سارق من الكوع. ونقل ابن قدامة الخلاف إذا سرق ثانياً: فعن عطاء وربيعه وداود أنه تقطع يده اليسرى، وعن الآخرين: تقطع رجله اليسرى. المغنى ١٠ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

٣. النساء / ١٧٦ .

٤. النساء / ١٢ . (٢٧) يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) (١) .

فما هو الحل وكيف الجمع بين هاتين الآيتين؟ لا شك أنه لم يكن ثمة ابهام في مورد هاتين الآيتين، بل حدث الابهام في ذلك فيما بعد. ألا يدل هذا على ضرورة من يخلف النبي حتى يرفع الستار عن وجه الحق بما عنده من علوم مستودعة. ٢- الرسالة الإسلامية والحوادث المستجدة:

إن اتساع رقعة الدولة الإسلامية ومخالطة المسلمين للشعوب والأقوام المختلفة جعلهم أمام موضوعات مستجدة ومسائل مستحدثة، لم تكن معهودة ولا معروفة في عهد النبي الأكرم الذي لم تكن فيه الدولة الإسلامية قد توسعت كما توسعت بعد وفاته، والتحاقه بالرفيق الأعلى. وكان من الأمر المشكل أن يتحدث النبي عن أحكام موضوعات لم يعرف المسلمون شيئاً من ماهياتها وتفصيلاتها، ولم يشاهدوا لها نظيراً في حياتهم، ولأجل ذلك كانوا يجهلون أحكام الموضوعات المستجدة من دون أن يجدوا لها حلاً وأجوبة، هذا من جانب. ومن جانب آخر أن الأحاديث التي رواها الصحابة والتابعون عن النبي الأكرم في مجال الأحكام لا تتجاوز عن خمسمائة حديث (٢) حتى قال الإمام الرازي: إن المنصوص حكمه من الموضوعات قليل جداً (٣) ولندكر للموضوع نماذج: _____

١. النساء / ١٧٦ .

٢. الوحي المحمدي ٢١٢ الطبعة السادسة .

٣. المنار ٥ / ١٨٩ . (٢٨)

١- شغلت مسألة العول بالصحابة فترة من الزمن وكانت من المسائل المستجدة بعد الرسول التي واجهها جهاز الحكم، ويعنى منه

قصور التركة عن سهام ذوى الفروض. مثال ذلك: إذا ترك الميت زوجةً وأبوين وبتنين، ولما كان سهم الزوجة - حسب نص القرآن - الثمن وفرض الأبوين الثلث، وفرض البنتين الثلثين، والتركة لا تسع للثمن والثلث والثلثين، فلما عرضت المسألة على عمر ابن الخطاب قال: والله ما أدرى أيكم قدم الله وأيكم آخر ما أجد شيئاً هو أوسع لى من أن أقسم المال عليكم بالحصص، وأدخل على كل ذى حق ما أدخل عليه من عول الفريضة (١). رجل طلق امرأته قبل الإسلام مرتين وفي الإسلام مرة فهل تحرم عليه أو لا-؟ فقال عمر بن الخطاب للسائل: لا أمرك ولا أنهاك، وقال عبدالرحمان بن عمر: ولكنى أمرت ليس طلاقك قبل الإسلام بشيء (٢). ٢- إن الجيل المعاصر للرسول لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان يمارسها النبي مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة ونذكر على سبيل المثال لذلك، الصلاة على الميت، فإنها عبادة، كان النبي قد مارسها عادة مئات المرات وأداها في مشهد عام من المشيعين والمصلين وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة مادام النبي يؤديها وماداموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي في عدد التكبيرات في صلاة الميت، فقد أخرج الطحاوي عن إبراهيم قال: قبض رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنازة لا تشاء أن تسمع رجلاً يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

١. أحكام القرآن للخصاص ١٠٩ / ٢، مستدرک الحاكم ٣٤٠ / ٤.

٢. كنز العمال ١٦١ / ٥. (٢٩)

يكبر سبعا، وآخر يقول: سمعت رسول الله يكبر خمسا، وآخر يقول: سمعت رسول الله يكبر أربعاً، فاختلّفوا في ذلك حتى قبض أبوبكر، فلمّا ولي عمر ورأى اختلاف الناس في ذلك شقّ عليه جداً فأرسل إلى رجال من أصحاب رسول الله، فقال: إنكم معاصر أصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه فانظروا أمراً تجتمعون عليه، فكأنما أيقظهم، فقالوا: نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين الخ (١). فقد لمس الخليفة أن الكتاب والسنة النبوية غير وافين بالحاجات الفقهية ولهذا كان يعمد إلى الأخذ بالرأى والمقاييس المصطنعة لاستنباط حكم الموضوع. فهذه تكشف بوضوح عن أن الصحابة يواجهون وقائع وحوادث جديدة لا يجدون لها حلولاً في الكتاب والسنة أو فيما تلقوه من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولذلك كانوا يحاولون استنباط قواعد ومقاييس لا تستند على أى دليل، فهل يصح هذا؟ مع أنه سبحانه يصرّح بأنه أكمل دينه، وأتم نعمته فكيف يجتمع هذا الفراغ الفقهي في المسائل المستجدة مع الإكمال؟

١. عمدة القارىء ١٢٩ / ٤، ولاحظ مقدمة السيد الصدر على كتاب تاريخ الإمامية، للدكتور عبدالله فياض .

(٣٠) ٣- المسلمون وصيانة الدين من التحريف:

إن أبرز ما كان يتمتع به المسلمون في عصر الرسول هو صيانة الدين من الدس والتحريف وهو الخطر الذى تعرّضت له جميع المذاهب السالفة، قال سبحانه: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا) (١). إن الأمة الإسلامية قد وصلت عند رحلة الرسول بفضل جهود صاحب الدعوة إلى درجة مرموقة من الوعي حفظت كتابها عن محاولات الزيادة والنقصان، نرى أن الصحابي الجليل أبى بن كعب له موقف عظيم من عثمان في كيفية كتابه آية الكثر أعنى قوله: (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٢) فإن عثمان أراد اثبات الآية في المصحف بلا واو فقال أبى: «لتلحقها أو لأضعن سيفى على عاتقى»، فألحقها (٣). ومع هذه المقدره لم تستطع حفظ مفاهيمه وصيانة دينها عن الدس والتحريف ففرقت إلى مشبهه، تتخيل أن لربها أعضاء كأعضاء الإنسان، إلى جبرى يرى الإنسان مسيراً لامخيراً، ويصور بعث الأنبياء أمراً لاجدوى فيه، إلى مرجئه لا ترى للعمل قيمة وتعطى للإيمان تمام القيمة، إلى ناصبى ينصب العدا للعترة الطاهرة، إلى إلى... حتى تفرقت أمة النبي الأكرم كتفرق الأمم السالفة، وهذا دليل واضح على أن الأمة الإسلامية ما بلغت يومذاك في الكفاءة والمقدرة العلمية إلى المستوى الذى يؤهلها لحفظ الإسلام أصله ولئيه، وقد مرّ في الجزء الأول من هذه الموسوعة أن الوضاعين والدجالين من الأبحار والرهبان، والمغتربين بهم

١ . النساء / ٤٦ .

٢ . التوبة / ٣٤ .

٣ . الدر المنثور / ٣ / ٢٣٢ . (٣١)

دسوا بين المسلمين أحاديث موضوعه واسرائيليات ومسيحيات ومجوسيات كثيرة، ولقد عرفت الموضوعات الهائلة في عصر البخارى وشيوخه وتلاميذه، حتى أنه أخرج صحيحه من ستمائة ألف حديث (١). جاء في مسند أحمد ثلاثون ألف حديث وقد انتخبها من سبعمائة وخمسين ألف حديث وكان يحفظ ألف ألف حديث. (٢). نحن نفترض أن متوسط عدد الكلمات في الحديث عشرون كلمة فيكون مجموع ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عشرين مليون كلمة في هذه الفترة القصيرة أى العشرة أعوام بالإضافة إلى ما كان لديه من أعمال ووظائف، وحروب وغزوات، واتفاقيات مع شيوخ القبائل، وارتداد إلى الأرياف، وتسيير دفة الحكم، فهل كان بإمكانه أن يتكلم بهذا العدد من الكلمات، سبحانه الله، ما أجراًهم على البهتان! ولو رجعت أنت إلى قائمة الموضوعات والمقولات التي عرضناها لك في الجزء الأول (٣) لجزمت بعدم كفاءة الأئمة لصيانة الدين من الدس والتحريف. هذه هي الفراغات الحاصلة بعد وفاة النبي الأكرم، فمقتضى الحكمة وتجسيد اكمال الدين الذي جاء به الكتاب الكريم في قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وَاَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٤) أن تعالج هذه المشاكل أى تفسير الكتاب العزيز برفع الستار والابهامات الطارئة على مفاهيمه، والإجابة على المسائل المستجدة، والدفاع عن حمى الشريعة ولا تحل عقدة المشكلة ولا

١ . الهدى السارى، مقدمة فتح البارى ٥٤ .

٢ . طبقات الذهبى ١٧ / ٩ .

٣ . الجزء الأول من هذه الموسوعة / ٧٤ .

٤ . المائدة / ٣ . (٣٢)

تسد تلك الفراغات إلا بإمام تمتع بتربية إلهية، وإعداد غيبى، ولا تصل إليه الأمة إلا بتعيين الرسول أو بتعيين من عينه كما فى الأئمة الباقين، فعندئذ يتجسد قوله سبحانه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) وإلا لبقيت تلك الفراغات الهائلة وجرت على الأمة الويل والويلات كما جرت لها - وللأسف - لأجل اعراض الأئمة عن الإمام المنصوب . هذا هو الذى نفهمه من معنى الإمام وهو ميزان الحق والباطل وأنه يرجع إليه فى التعرف على الصحيح والزائف. وأما إذا كان الرجل على حد يقول: وليتكم ولست بخيركم فإن استقمت فأعينونى وإن زغت فقومونى فلا- يصلح أن يكون إماماً بل يكون مأموماً فتصبح الرعية إماماً، والامام ماموماً، ونعم ما يقول الشاعر الشيعى ابن حماد العبدى: وقالوا رسول الله ما اختار بعده إماماً ولكننا لأنفسنا اخترنا أقمنا إماماً إن أقام على الهدى أطعنا وإن ضل الهداية قومنا فقلنا إذا أنتم إمام إمامكم بحمد من الرحمن تُهتَم وما تُهْنَا ولكننا اخترنا الذى اختار ربنا لنا يوم خم ما اعتدنا ولا جُرنا وهناك كلمة قيمة للفيلسوف ابن سينا تشير إلى فائدة تنصيب الإمام فيقول: «ثم إن هذا الشخص الذى هو النبى ليس ممّا يتكرّر وجود مثله فى كل وقت، فإنّ المادّة التى تقبل كمال مثله يقع فى قليل من الأمزجة، فيجب لا محالة أن يكون النبى قد دبر لبقاء ما يسته ويشرعه فى أمور المصالح الإنسانية تديراً عظيماً (١) - إلى أن قال - والاستخلاف بالنص أصوب، فإن ذلك لا يؤدى إلى التشعب (٢) والتشاغب

١ . اشارة إلى سدّ الفراغات الحاصلة بعد وفاته .

٢ . اشارة إلى أن مصالِح الإسلام تكمن فى النص . (٣٣)

والاختلاف (١). إلى هنا خرجنا بهذه النتيجة: أن مصالِح الإسلام والمسلمين كانت تكمن فى تعيين الإمام، لا تفويض الأمر إلى الأمة، وترك الأمر للظروف والصدف لترسيه على أى شاطيء تختاره .

١. الشفاء ٢ (الفن الثالث عشر من الالهيات الفصل الثالث والخامس) ٥٥٨ - ٥٦٤ طبع ايران .

الفصل الثاني ماهو المرتكز في أمر القيادة في

الفصل الثاني ماهو المرتكز في أمر القيادة في ذهن الرسول والأمة (٣٦) (٣٧)

قد عرفت أن مقتضيات الظروف ومتطلباتها كانت تستدعي تعيين الإمام من جانب الرسول، كما أن كمال الدين في أبعاده الثلاثة المختلفة المذكورة آنفاً تستدعي ذلك أيضاً، فهلمّ معي ندخل في الموضوع الثاني الذي ألمحنا إليه في بداية البحث ضمن الأمور التي لا- مناص للمحقق إلا- دراستها، وهو تبين المرتكز في الأذهان في أمر الزعامة يوم بعث الرسول وبعده. إن النصوص التاريخية تشهد بأن الرسول الأكرم خيب آمال الطامحين في تولي الخلافة من بعده وقال بأنه بيد الله، يعني لا يبدى ولا بيد الناس، ويكفي في ذلك ما نتلوه: ١- لَمَّا عَرَضَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - نَفْسَهُ عَلَى بَنِي عَامِرٍ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ: «أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ: «الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» (١) .

١. السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٤ فلو كان الأمر ملقياً على عاتق الأمة فما معنى كون الأمر إلى الله؟

(٣٨)

ولم يكن ذلك الأمر مختصاً بالنبي الأكرم، بل الامعان في تاريخ أصحابه والخلفاء الذين تعاقبوا على مسند الحكومة بعد النبي يدل على أنهم انتهجوا أيضاً نهج تنصيب الخليفة، لا تفويض أمره إلى الأمة. فلو أغمضنا النظر عن خلافه أبي بكر وما جرى حولها من لغط وشغب، وضرب وشتم وارعاب وارهاب وغير ذلك من الأمور التي تجعلها بعيدة كل البعد عن الشورى والانتخاب التزيم، فلنا في انتخاب الخلفيتين الآخرين دليل واضح على أن المتصور من الخلافة عندهم هو تعيين الخليفة شخصاً لا تفويض أمر انتخابه للظروف والأمة . ٢- قال ابن قتيبة: دعا أبو بكر عثمان بن عفان فقال: اكتب عهدى، فكتب عثمان وأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده بالدنيا نازحاً عنها و أول عهده بالآخر داخلها فيها، أتى أستخلف عليك عمر بن الخطاب... (١) . ويظهر من ابن الأثير في كامله أنه غشى على الخليفة أثناء الاملاء وإنما أكمله عثمان وكتب فيه استخلاف عمر من عند نفسه، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي (٢). فهل يمكن للخليفة أن يلتفت إلى الخطر الكامن في ترك الأمة دون خليفة، ولا يلتفت إليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . ٣- وأما استخلاف عثمان، فقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن عمر طلب سته أشخاص من أصحاب النبي وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص،

١. الامامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ١٨ طبع مصر .

٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٢٩٢، الطبقات الكبرى ٣ / ٢٠٠ طبع بيروت . (٣٩)

وعبدالرحمان بن عوف، وكان طلحة غائباً. فقال: يا معشر المهاجرين الأولين، أتى نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شفاقاً ولا نفاقاً، فإن يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم، فتشاوروا ثلاثة أيام فإن جاءكم طلحة إلى ذلك، وإلا فأعزم عليكم بالله أن لا تتفرقوا في اليوم الثالث حتى تستخلفوا (١). حتى قال لصهيب: «صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما... وإن رضى ثلاثة رجالاً وثلاثة رجالاً، فحكّموا عبدالله بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس» (٢). وهناك كلمات صدرت من الصحابة في ثنايا خلافة الخلفاء وبعدهم تعرب عن أن الرأي السائد والمرتكز في أذهانهم هو تعيين الخليفة وإن مسألة نظام الشورى شعار رفعه معاوية مقابل علي - عليه السلام - على الرغم من أنه استخلف عندما مات، ولم

يعتد بمنطقه وإنما جرّده سلاحاً على عليّ، وإن كنت في ريب من هذا الأمر نتلو عليك كلماتهم التي صدرت عفواً وارتجالاً عند موت الخليفة وارتحاله: ٤- نقل أن عمر بن الخطاب لما أحسّ بالموت قال لابنه عبدالله: اذهب إلى عائشة وأقرأها مني السلام، واستأذن منها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبدالله بن عمر فأعلمها... فقالت: نعم وكرامة. ثم قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي فقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم

١. الامامة والسياسة ١ / ٢٣ .

٢. الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٥ . (٤٠)

بعدك هملاً، فإنني أخشى عليهم الفتنة (١) فأتى عبدالله (إلى أبيه) فأعلمه (٢) . ٥- نقل الحافظ أبو نعيم الاصفهاني المتوفى عام ٤٣٠ ان عبدالله بن عمر دخل على أبيه قبيل وفاته فقال: إنني سمعت الناس يقولون مقالة، فأليت أن أقولها لك، وزعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل - أو راعي غنم - ثم جاءك وتركها لرأيت أن قد ضيع، فرعاية الناس أشد (٣) . ٦- قدم معاوية المدينة ليأخذ من أهل المدينة البيعة ليزيد، فاجتمع مع عدّة من الصحابة إلى أن أرسل إلى ابن عمر فأتاه و خلا به فكلمه بكلام وقال: إنني كرهت أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لاراعي لها (٤) . هذه النصوص تدل بجلاء على أن ادعاء انتخاب الخليفة عن طريق الاستفتاء الشعبي أو بمراجعة أهل الحل والعقد، أو اتفاق الأنصار والمهاجرين لم يكن له أصل ولا ذكر في دراسات المتقدمين من أعلام التاريخ و كتاب السيرة وعلماء المسلمين، وسيوافيك الكلام في استخلاف الصحابة بعضهم لبعض. ولو دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن الأصل الذي كان يعتقد به جميع الصحابة والخلفاء في مسألة الخلافة والقيادة كان هو التنصيب والتعيين وعدم ترك الأمر إلى نظر الأمة وانتخابها.

١. وهل يمكن أن تلتفت أم المؤمنين إلى هذه النكتة ولا يلتفت إليها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -!

٢. الامامة والسياسة للدينوري ١ / ٣٢ .

٣. حلية الأولياء ١ / ٤٤ .

٤. الامامة والسياسة ١ / ١٦٨ طبع مصر. (٤١)

الفصل الثالث ماهو مقتضى الكتاب والسنة

الفصل الثالث ماهو مقتضى الكتاب والسنة في صيغة الخلافة بعد الرسول (٤٢) (٤٣)

إن مقتضى الكتاب والسنة في صيغة القيادة بعد الرسول هو التنصيب لا التفويض إلى الأمة ولا ترك الأمر إلى الظروف والصدف، فنقدّم الكلام في السنة فإنها صريحة في التعيين وأما الكتاب فسيأتي البحث عنه. فنقول: إن سيرة النبي الأكرم ونصوصه في مواقف مختلفة تثبت بوضوح أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - غرس النواة الأولى في أمر القيادة منذ أن أصرح بالدعوة وتعاهدا إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة. وهذه النصوص من الكثرة والوفرة بحيث إنه لا يمكن استيعابها ولا ذكر كثير منها، ويكفيها مؤونة ذلك، الموسوعات الحديثية في المناقب والفضائل والمؤلفات الكلامية في أمر الولاية، ونحن نكتفي بالقليل من الكثير . ١- التنصيب على الخليفة في حديث بدء الدعوة:

بعث الرسول الأكرم لهداية الناس وإخراجهم من الوثنية إلى التوحيد، ومن الشر إلى الخير، ومن الشقاء إلى السعادة، و كانت الظروف المحدقة به قاسية جداً، لأنه بعث في أمة عريقة في الوثنية، ويخاطبهم سبحانه: (لِتُنذِرَ قَوْمًا (٤٤) ما أُنذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) (١)، فأخذ بالدعوة سرّاً ونشر دينه خفاءً سنوات عديدة إلى أن نزل قوله سبحانه: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢) فعند ذلك أمر الرسول علي بن أبي طالب وهو شاب يافع يتراوح عمره بين (١٣ سنة إلى ١٥) أمره رسول الله أن يعد طعاماً ولبناً ثم دعا (٤٥) رجلاً من سُرّة بني هاشم ووجوههم، وبعد أن فرغوا من الطعام قال رسول الله: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إنني رسول الله

إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، و لتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وأنها الجنة أبداً والنار أبداً - ثم قال: - يا بني عبدالمطلب إنني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزوجل أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤمن بي ويؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم» .

ولما بلغ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى هذا الموضوع وقد أمسك القوم وسكتوا عن آخرهم، قام على - عليه السلام - فجأه وقال: أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله، فقال له رسول الله: اجلس، ثم كرر دعوته ثانية وثالثة، ففي كل مرة يحجم القوم عن تلبية دعوته ويقوم على ويعلن استعداداه لمؤازرة النبي ويأمره رسول الله بالجلوس حتى إذا كان في المرة الثالثة، أخذ رسول الله بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: «إن هذا أخى ووصيى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» (٣) .

١ . يس / ٦ .

٢ . الشعراء / ٢١٤ .

٣ . مسند أحمد ١ / ١١١، تاريخ الطبرى ٢ / ٦٢ - ٦٣، تاريخ الكامل ٢ / ٤٠ - ٤١، إلى غير ذلك من المصادر المتوفرة يقف عليها من سير كتب السيرة - عند سرد حوادث بدء الدعوة - وكتب التفسير فى تفسير الآية الأنفة فى سورة الشعراء . (٤٥)

نحن لا نريد أن نحوم حول الرواية ونعرض عن الإشارة إلى ماجنى عليها بعض المؤرخين والكتاب الجدد (١) ولكن نذكر نكتة أن النبي أعلن وزيره وخليفته ووصييه يوم أعلن رسالته وكأنهما فرقدان فى سماء الوحي لا - يفترقان، وما القيادة بعد النبي إلا استمرار لوظائف النبوة، وإن كانت النبوة مختومة ولكن الوظائف والمسؤوليات كانتا مستمرتين . ٢ - حديث المنزلة:

روى أصحاب السير والحديث أن رسول الله خرج إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له على: «أخرج معك؟» فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لا»، فبكى على فقال له رسول الله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا - وأنت خليفتى»، أخرجه البخارى فى صحيحه (٢) والاستثناء يدل على ثبوت ما لهارون من المناصب لعلى سوى النبوة سيأتى توضيحه. وروى مسلم فى صحيحه أن إمام الفئه الباغية قال لسعد بن أبى وقاص: ما منعك أن تسب أبا تراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلن أسبه لأن تكون لى واحدة منها أحبّ إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله يقول له وقد خلفه فى بعض مغازيه بعد ما شكى إليه على بقوله: «يا رسول الله خلقتنى مع النساء والصبين»: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه

١ . كالدكتور محمد حسين هيكلى فى حياة النبي، لاحظ محاضراتنا فى سيرة النبي وقد طبعت باسم (سيد المرسلين ١ / ٣٩٤ - ٣٩٧) .

٢ . صحيح البخارى ٥ باب فضائل أصحاب النبي باب مناقب على ٢٤ وغيره . (٤٦)

لا نبوة بعدى» . وسمعتة يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله» قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لى علياً، فأتى به أرمدا العين، فبصق فى عينه ودفع الراية إليه ففتح عليه. ولما نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلى» (١) . ٣ - حديث الغدير:

إن حديث الغدير من الأحاديث المتواترة رواه الصحابة والتابعون والعلماء فى كل عصر وجيل، ولسنا بصدد اثبات تواتره وذكر مصادره فقد قام غير واحد من المحققين بهذه المهمة، وأما الهدف ايقاف القارىء على نصوص الخلافة فى حق على حتى يقف على أن النبي الأعظم هو البادر الأول لبذرة التشيع والدعوة إلى على بالامامة والوصاية، وعلى أن مسألة التشيع قد نشأت قبل رحلته، ونذكر فى المقام ما ذكره ابن حجر وقد اعترف بصحة سنده، يقول: إنه - صلى الله عليه وآله وسلم - خطب بغدير خم تحت شجرات، فقال: «أيها الناس أنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبى إلا - نصف عمر الذى يليه من قبله، وإنى لأظن أنى يوشك أن ادعى فأجيب وإنى مسؤول وأنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: «أليس

تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنّته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن

١. صحيح مسلم ٦ باب فضائل علي ١٢٠ - ١٢١ طبعه محمد علي صبيح .

(٤٧)

الله يبعث من في القبور؟» قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: «اللهم اشهد» ثم قال: «يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا - يعنى علياً - مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ثم قال: «يا أيها الناس أتى فرطكم وأنكم واردون علي الحوض، حوض أعرض ممياً بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وأتى سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عزوجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا - تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض» (١). وأخرجه غير واحد من أئمة الحديث منهم الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: «فخطبنا وظلل لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بثوب على شجرة سمره من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون، أو لستم تشهدون، أتى أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٢). وأخرجه الحاكم في مناقب علي من مستدرکه عن طريق زيد بن أرقم من طريقين صححها على شرط الشيخين قال: لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: «أتى دعيت فأجبت، قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما،

١. الصواعق ٤٣ - ٤٤، وأخرجه من طريق الطبراني وغيره، وحكم بصحته.

٢. مسند الامام أحمد ٤ / ٣٧٢، وأخرجه الامام أيضاً في مسنده من حديث البراء بن عازب من طريقين، لاحظ الجزء الرابع الصفحة ٢٨١. (٤٨)

فأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض - ثم قال: - إن الله عزوجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن - ثم أخذ بيد علي فقال: - من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» (١). وأخرجه النسائي في خصائصه عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي من حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، وأتى تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وأهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض - ثم قال: - إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن - ثم أخذ بيد علي فقال: - من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنه (٢). إن سؤال أبي الطفيل يعرب عن حقيقة مرّة، وهو أنه يرى التنافي بين مضمون الحديث وعمل الأئمة، فإن الحديث نصّ على ولايته وخلافته والأئمة صرفتها عن علي، فلاجل ذاك عاد يتعجب ويسأل، وليس التعجب مختصاً به، فهذا هو الكميت يصرّح به في هاشمياته ويقول: ويوم الدوح دوح غدیر خم أبان له الخلافة لو أطيعا ولكن الرجال تابعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعاً (٣)

١. المستدرک ٣ / ١٠٩، مع أن الذهبي في تعليقه على المستدرک يعلّق على مواضع من تصحيحات الحاكم صرّح في هذا المقام بصحة الحديث .

٢. الخصائص العلوية ٢١.

٣. الهاشميات طبعت غير مرّة وشرحها غير واحد من أدباء العصر كالرافعي المصري، والأستاذ محمد شاكر الخياط وقد دبّ إليها الدس والتحرير، لاحظ الغدير ٢ / ١٨١. (٤٩)

ولو أردنا استقصاء مصادر الحديث ومسانيده ورواته من الصحابة والتابعين والعلماء لأحوجنا ذلك إلى تأليف مفرد، وقد قام بحمد الله أعلام العصر ومحققوه بذلك المجهود (١). والمهم هو دلالة الحديث على الولاية العامة والخلافة الكبرى لعل بعد الرسول، ويكفي في ذلك التدبر في الأمور التالية: ١- إنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال في خطبته: «أنا أولى بهم من أنفسهم» - ثم قال: - فمن كنت مولاه» وهذا قرينة لفظية على أن المراد من المولى هو الأولي، فالمعنى أن الله أولى بي من نفسي، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ومن كنت أولى به من نفسه، فعلى أولى به من نفسه. وهذا هو معنى الولاية الكبرى للإمام. ٢- ذيل الحديث وهو قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وفي بعض الطرق «وانصر من نصره واخذل من خذله» فإنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لما نصبه إماماً على الأمة بعده، كان يعلم أن تطبيق هذا الأمر رهن توفّر الجنود والأعوان وطاعة أصحاب الولايات والعمال، مع علمه بأن في الملأ من يحسده وفيهم من يحقد عليه، وفي زمرة المنافقين من يضمّر له العدا، فعاد يدعو لمن والاه ونصره، وعلى من عاداه وخذله، ليتّم أمر الخلافة، وليعلم الناس أن موالاته موالاته لله وأنّ عداؤه عداؤه، والحاصل أن هذا الدعاء لا يناسب إلا من نصب زعيماً للإمامة والخلافة. ٣- إنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أصدر كلامه بأخذ الشهادة من الحضار بأن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا

١. العباة للسيد مير حامد حسين (ت ١٣٠٦)، والغدير للعلامة الفذ عبدالحسين الأميني (ت ١٣٩٠)، وكلاهما من حسنات الدهر .

(٥٠)

أولى بهم من أنفسهم، فقال: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه». ٤- إنه - صلى الله عليه وآله وسلم - ذكر قبل بيان الولاية قوله: «كأنّي دعيت فأجبت» أو ما يقرب من ذلك، وهو يعرب أنّه - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يبق من عمره إلا قليل يحاذر أن يدركه الأجل، فأراد سد الفراغ الحاصل بموته ورحلته بتنصيب عليّ إماماً وقائداً من بعده . هذه القرائن وغيرها الموجودة في كلامه، توجب اليقين بأنّ الهدف من هذا النبأ في ذلك المحتشد العظيم ليس إلا إكمال الدين واتمام النعمة من خلال ما أعلن عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - انّ علياً قائداً وإمام الأُمّة، ومن أراد التوسع في الاطلاع على هذه القرائن فليرجع إلى الأثر القيم الغدير (١). لا يشك من درس مضمون حديث الغدير وما حوله من القرائن يقف على أنّ المراد منه هو نصب عليّ للإمامة والخلافة وهذا هو الذي فهمه الحضار من المهاجرين والأنصار في ذلك المحفل كما فهمه من بلغه النبأ بعد حين ممّن يُحتجّ بقوله في اللغة، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجال الأدب إلى العصر الحاضر، وهذا هو حسن بن ثابت الحاضر مشهد الغدير وقد استأذن رسول الله أن ينظم الحديث في أبيات منها قوله: وقال له قم يا علي فأنّى رضيتك من بعدي إماماً وهادياً (٢) حتّى انّ عمرو بن العاص الذي لا يخفى عداؤه لعلّي على أحد يقول في قصيدته التي أرسلها إلى معاوية شاكياً إيّاه: وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصّصة في علي

١. الغدير ١ / ٣٧، وقد ذكر هناك ما يقرب من عشرين قرينة على ما هو المراد من الحديث .

٢. رواه غير واحد من حفاظ الفريقين لاحظ الغدير ٢ / ٣٥ - ٣٧ . (٥١)

وفي يوم خم رقى منبراً * وبلغ والصحب لم ترحل فأمنحه إمرة المؤمنين * من الله مستخلف المنحل وفي كفه كفه معلناً * ينادى بأمر العزيز العلي وقال: فمن كنت مولى له * على له اليوم نعم الولي (١) شبهتان واهيتان: وقد توالى فهم الأدباء والعلماء على ذلك في طيات القرون عبر النظم والنثر. غير أنّ هناك لفيماً من الناس ممّن يعاند الحقيقة ولا يرضى بقبولها، أبدى شبهتين ضعيفتين نذكرهما على وجه الإجمال: الشبهة الأولى:

إنّ المولى يراد به معان مختلفة فمنها، المحبّ والناصر، فمن أين علم أنّ المراد بها المتولّى والمالك للأمر والأولى بالتصرف؟ يلاحظ عليه: أنّ لفظ المولى ليس له إلا معنى واحد وهو: الأولي. قال سبحانه: (فَالْيَوْمَ لَا يُؤَخِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَأَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (٢) وقد فسّره غير واحد من المفسّرين بأنّ المراد أنّ النار أولى بكم، غير أنّ الذي يجب التركيز عليه هو أنّ الأولي هو المعنى الوحيد للمولى

١. والقصيدة تربو على ٦٦ بيتاً، نقل قسمًا منها ابن أبي الحديد في شرحه ١٠ / ٥٦ - ٥٧ ونقلها برمتها الأميني في الغدير ٢ / ١١٥ - ١١٧ .

٢. الحديد / ١٥ . (٥٢)

وإنَّ كلِّما ذكر من المعاني المختلفة له إنما هي من موارد استعماله ومتعلقاته، فقد ذكروا له من المعاني سبعة وعشرين معنى، خلطوا فيها المتعلِّق بالمعنى، ومورد الاستعمال بالموضوع له، فقد قيل إنَّ من معانيه الرب، والعم، والمعنى، والعبد، والمالك، والتابع، والمحِب، والناصر وكلِّها متعلِّقات للمعنى، وليس له إلا معنى واحد وهو الجامع لها تيك المعاني جمعاء، ومأخوذ في كل منها بنوع من العناية، ولم يطلق لفظ المولى على شيء منها إلا بمناسبة. ١- فالربُّ سبحانه هو أولى بخلقه من أي قاهر عليهم، خلق العالمين كما شاءت حكمته يتصرَّف فيه بمشيئته. ٢- والعم أولى الناس بكلاءة ابن أخيه والعطف عليه وهو القائم مقام والده الذي كان أولى به. ٣- و«المعنى» أولى بالتفضُّل على من أعتقه، كما أنَّ المعتق أولى بأن يعرف جميل من أعتقه عليه. ٤- والمالك أولى بالتصرُّف في ماله وكلاءة ممالিকে. ٥- والتابع أولى بمناصرة متبوعه ممَّن لا يتبعه. ٦- والمحِب والناصر أولى بالدفاع عمَّن أحبَّه أو التزم بنصرته. فإذا ن ليس للمولى إلا معنى واحد، وتختلف هذه الأولوية بحسب الاستعمال في الموارد المختلفة. الشبهة الثانية:

المراد أنَّه أولى بالإمامة مآلاً وإلا كان هو الإمام مع وجود النبي ولا تعرض فيه لوقت المآل، فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له، فلا ينافي حينئذ تقديم الأئمة (٥٣)

الثلاثة عليه (١). وهذه الشبهة من الوهن بمكان، وذلك لأنَّه لا- يجتمع مع حكمه المتكلم وبلاغته ولا مع شيء من أفعاله العظيمة وأقواله الجسيمة، وهو يستلزم أن لا تعم ولايته جميع الناس والحضَّار، فيخرج عن ولايته الخلفاء الثلاثة، مع أنَّ الشيخين - حينما سمعا قول رسول الله - قالوا له: يخ بخ لك يا على، أمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (٢). حصيلة البحث:

إنَّ من سبر غضون السير والتواريخ يقف على أنَّ النبي الأكرم لم يبرح يدعو الناس إلى على بالتصريح تارة، والاشارة أخرى من بدء الدعوة إلى ختامها. فتارة يعرفه بأنَّه خليفته ووصيه ووزيره، وأخرى بأنَّ منزلته منه منزلة هارون من موسى، وأنَّ له كل المناصب الثابتة لهارون إلا منصب واحد وهو النبوة، والدليل على ذلك هو الاستثناء «إلا أنَّه لا نبي بعدى» وقد كان هارون وزيراً لموسى وشريكاً له في النبوة قال سبحانه: (وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَىٰ خُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ * قَالَ سَنُنْشِدُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعِلُ لَكَمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِحُّ لِمَنْ إِلَيْكُمْ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْمُ الْعَالِيُونَ) (٣) وقال سبحانه حاكياً عن موسى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا * إِنَّكَ كُنْتَ

١. الصواعق المحرقة ٤٤ .

٢. مسند أحمد ٤ / ٢٨١ .

٣. القصص / ٣٤ - ٣٥ . (٥٤) بنا بصيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (١).

وثالثه ينصبه قائداً وإماماً في هواء حار وارض جافه في محتشد عظيم مبتدئاً كلامه بما يرجع إلى أصول الدين من أخذ الشهادة من الناس على ولاية الله و ولاية الرسول ثم يأخذ بيد على وهو على المنبر محرراً شعور الحاضرين وليشد القلوب نحو على ويقول: «من كنت مولاه فهذا على مولاه». ودلاله هذه الأحاديث على خلافة من عيّنه الرسول على وجه لا ينكره إلا مكابر ولا يرده إلا معاند، وكفانا في الموضوع ما ألفه أصحابنا حول هذه الأحاديث الثلاثة. * * * مرجعية أهل البيت الفكرية بعد الرسول:

دلَّت الأحاديث السابقة على أنَّ الزعامة السياسية والخلافة بعد الرسول تتمثل في على وعترته، وهناك أحاديث متوفرة تسوقنا إلى مرجعيتهم الفكرية وأنهم الأئمة والأوصياء بعد الرسول وأنَّه لا بد للمسلم أن يرجع إليهم في دينه، ويأخذ عنهم أصوله وفروعه، وأنَّ النبي الأكرم جعلهم المغزى بعده، والعتره والكتاب توأمان لا يفترقان، وإليك بعض ما ورد عن الرسول في المقام: ٤- حديث الثقلين:

إنّ النبي الأكرم أيقظ الغافلين ويبيّن مرجع الأُمّة بعد رحلته بهتافه الدوى وقال: «يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتى _____

١. طه / ٢٩ - ٣٦ .

(٥٥)

أهل بيتي» (١). وقال: «إنّي تركت ما إن تمسّـيـتكم به لن تضلّوا بعدى: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتى أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (٢). وقال: «إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (٣). وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إنّي تارك فيكم الثقيلين: كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (٤). وقال: «إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقيلين كتاب الله عزّوجلّ وعترتى، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتي، وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (٥). وقال في منصرفه من حجّة الوداع ونزوله غدِير خم: «كأنّي دعيت فاجبت، أني قد تركت فيكم الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتى فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (٦) . _____

١. كنز العمال ١ / ٤٤، أخرجه الترمذى والنسائى عن جابر.

٢. كنز العمال ١ / ٤٤، أخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم .

٣. مسند أحمد ٥ / ١٨٢، ١٨٩ .

٤. المستدرک للحاكم ٣ / ١٤٨ .

٥. مسند أحمد ٣ / ١٧ - ٢٦، أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى .

٦. المستدرک للحاكم ٣ / ١٠٩، أخرجه من حديث زيد بن أرقم . (٥٦) -٥ حديث السفينة:

إنّ النبي الأكرم يشبّه أهل بيته بسفينة نوح ويقول: «ألا- إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق» (١). وفي حديث آخر يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له» (٢) وفي حديث ثالث: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتى من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس» (٣). ومن المعلوم أنّ المراد ليس جميع أهل بيته على سبيل الاستغراق لأنّ هذه المنزلة ليست إلاّ لحجج الله ولفيف من أهل بيته، وقد فهمه ابن حجر وقال: يحتمل أنّ المراد بأهل البيت الذين هم أمان، علماؤهم، لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون، - وقال فى مقام آخر - أنّه قيل لرسول الله: «ما بقاء الناس بعدهم؟» قال: «بقاء الحمار إذا كسر صلبه» (٤). والمراد من تشبيههم - عليهم السلام - بسفينة نوح: أنّ من لجأ إليهم فى الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمّتهم الميامين نجا من عذاب الله، ومن تخلف عنهم كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله غير أنّ ذاك غرق فى الماء، وهذا غرق فى الحميم. والوجه فى تشبيههم بباب حطّة هو أنّ الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله، والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة، وقد جعل انقياد _____

١. مستدرک الحاكم بسنده إلى أبى ذر ٣ / ١٥١ .

٢. الأربعون حديثاً للنبهانى ٢١٦، نقله عن الطبرانى فى الأوسط .

٣. مستدرک الحاكم بسنده إلى ابن عباس ٣ / ١٤٩ .

٤. الصواعق لابن حجر (الباب الحادى عشر): ٩١، ١٤٢ . (٥٧)

هذه الأُمّة لأهل بيت نبيّها وأتباعهم، مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. ثمّ إنّ ابن حجر قد

أوضح حقيقة التشبيه في كلامه وقال: «ووجه تشبيهِهم بالسفينه أن من أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمه مشرفهم، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعيم، وهلك في مفاوز الطغيان - إلى أن قال: - وباب حطه - يعنى ووجه تشبيهِهم بباب حطه - إن الله جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودّة أهل البيت سبباً لها» (١). وفي هذه الأحاديث الخمسة غنى وكفاية لطلاب الحق . *** الائمة الاثنا عشر فى حديث الرسول:

إنّ هناك روايات تحدّد وتعيّن عدد الأئمّة بعد الرسول، وإن لم تذكر أسماءهم، ولكنّها تذكر سماتهم وهذه هي أحاديث الأئمّة الاثني عشر رواها أصحاب الصحاح والمسانيد نذكرها إكمالاً للبحث، وهى على وجه لا ينطبق إلا على من عيّنهم الرسول ووصفهم بالخلافة والزعامه، ولذلك نذكرها فى عداد أدلّة التنصيص على الخلافة. والإمعان فيها يرشد القارىء إلى الحق، ويأخذ بيده حتّى يرسى مركبه على شاطئ الأمان والحقيقة.

١ . لاحظ الصواعق (الباب الحادى عشر): ٩١، وقد علّق سيّدنا الإمام شرف الدين على كلام ابن حجر وقال: قل لى لماذا لم يأخذ بهدى أئمّتهم فى شىء من فروع الدين وعقائده، ولا شىء من أصول الفقه وقواعده، ولا شىء من علوم السنّة والكتاب، ولا فى شىء من الأخلاق والسلوك والآداب فلماذا تخلف عنهم فأغرق نفسه فى بحار كفر النعم، وأهلكها فى مفاوز الطغيان (المراجعات ٢٥) .

(٥٨)

ويطيب لى أن أذكر مجموع هذه النصوص فإنّها تؤكد بعضها بعضاً وإليك البيان: الائمة الاثنا عشر:

١- روى البخارى عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمه لم اسمعها، فقال أبى: أنّه قال: «كلّهم من قريش» (١) . ٢- روى مسلم عنه أيضاً قال: دخلت مع أبى على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فسمعتة يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفه» قال ثمّ تكلم بكلام خفى علىّ، قال فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» . ٣- و روى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثمّ تكلم النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بكلمه خفيت علىّ فسألت أبى: ماذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -؟ فقال: «كلّهم من قريش» . ٤- وروى عنه أيضاً نفس الحديث إلا أنّه لم يذكر: «لا يزال أمر الناس ماضياً» . ٥- و روى مسلم عنه أيضاً يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفه» ثمّ قال كلمه لم أفهمها فقلت لأبى: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (٢) .

١ . صحيح البخارى ٩ / ١٠١، كتاب الأحكام، الباب ٥١ (باب الاستخلاف) .

٢ . صحيح مسلم ٦ / ٣ . (٥٩)

٦- وروى مسلم عنه أيضاً قال: انطلقت إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعى أبى فسمعتة يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفه» فقال كلمه صمّنيها الناس، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» . ٧- وروى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يوم جمعه عشيه رجم الأسلمى يقول: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعه أو يكون عليكم اثنا عشر خليفه كلّهم من قريش» (١) . ٨- روى أبو داود عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر» فكبر الناس وضجوا، ثمّ قال كلمه، خفيت، قلت لأبى: يا أبه ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (٢) . ٩- روى الترمذى عن جابر بن سمره قال: قال رسول الله: «يكون من بعدى اثنا عشر أميراً» ثمّ تكلم بشىء لم أفهمه فسألت الذى يلىنى، فقال: قال: «كلّهم من قريش» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن جابر، ثمّ ذكر طريقاً آخر إلى جابر (٣) . ١٠- روى أحمد فى مسنده عن جابر بن سمره قال: سمعت النبى يقول: «يكون لهذه الائمة اثنا عشر خليفه» ورواه عن ٣٤ طريقاً (٤) . ١١- روى الحاكم فى المستدرک على الصحيحين فى كتاب معرفة الصحابه عن عون بن جحيفه عن أبيه قال: كنت مع عمى عند النبى فقال: «لا

يزال أمر أمتي _____

١. صحيح مسلم ٦ / ٣ - ٤ .
 ٢. صحيح أبي داود ٢، كتاب المهدي ٢٠٧ (طبع مصر) وروى أيضاً نحوه بطريقتين آخرين .
 ٣. صحيح الترمذي ٢ / ٤٥ (طبع عام ١٣٤٢) .
 ٤. مسند أحمد ٥ / ٨٦ - ١٠٨ . (٦٠)
- صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة» ثم قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمي - وكان أمامي - : ما قال يا عم؟ قال: قال: «كلهم من قريش» (١) . ونحن نكتفي في حديث «الأئمة الاثنا عشر» بالأحاديث الاثنا عشر ولا نتجاوز عنها تيمناً وتبركاً، ورواه كثير من أعلام الأئمة في مجامعهم الحديثية والتاريخية. ١- رواه أحمد بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمان هم سألتهم رسول الله كم يملك هذه الأئمة من خليفة؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله فقال: «اثنا عشر كعدة نساء بني إسرائيل» (٢) . ٣- وقال المتقي الهندي في منتخب كنز العمالي: يملك هذه الأئمة اثنا عشر خليفة كعدد نساء بني إسرائيل، وأخرجه عن أحمد والطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرک (٣) .

١. المستدرک على الصحيحين (كتاب معرفة الصحابة) ٣ / ٦١٧ - ٦١٨ (طبع الهند) .

٢. مسند أحمد ١ / ٣٩٨ .

٣. منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / ٣١٢ . (٦١)

٤- قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وعند أحمد والبخاري بسند حسن عن ابن مسعود، أنه سئل كم يملك هذه الأئمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله فقال: «اثنا عشر كعدة نساء بني إسرائيل» (١) . ٥- قال ابن حجر في الصواعق: أخرج الطبراني عن جابر بن سمره أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» (٢) . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على أن الأئمة بعد النبي الأكرم اثنا عشر، وقد جاء فيها سماتهم وصفاتهم وعددهم، غير أن المهم هو تعيين مصاديقها والاشارة إلى أعيانها وأشخاصها، ولا- تعلم إلا- بوجود السمات الواردة في هذه الأحاديث فيهم، وأما السمات الواردة فيها فإليك مختصرها: ١- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة . ٢- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً . ٣- لا يزال الدين قائماً . ٤- لا يزال أمر أمتي صالحاً . ٥- لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً . ٦- حتى يمضي فيهم اثنا عشر . ٧- ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . ٨- عددهم كعدد نساء بني إسرائيل . وهذه السمات والخصوصيات لا توجد مجتمعة إلا في الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الفريقين، وتلك الأحاديث من أبناء الغيب ومعجزات النبي الأكرم _____

١. تاريخ الخلفاء ١٠ .

٢. الصواعق ١٨٩ ط تخريج عبدالوهاب وعبد اللطيف . (٦٢)

خصوصاً إذا ضُمَّت إليها أحاديث الثقلين والسفينه وكون أهل بيت النبي أماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وسيوافيك تفصيل هذه الأحاديث الثلاثة . فالأئمة الاثنا عشر المعروفون بين المسلمين، أولهم على أمير المؤمنين، وآخرهم المهدي تنطبق عليهم تلك العلامات، ومن وقف على حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية يقف على أنهم هم المثل العليا في سماء الاخلاق وفي القمية والذروة في العلم والاحاطة بالقرآن والسنة، وأنه سبحانه بهم حفظ دينه عن التحريف وبهم اعتز الدين . وأما ما ورد في بعض هذه الطرق: «كلهم تجتمع عليهم الأئمة» على فرض الصيحة، فالمراد تجتمع على الاقرار بإمامتهم جميعاً وقت ظهور آخرهم، و- على فرض الابهام - لا تمنع عن الأخذ بمضامين الحديث . هلم معي نقرأ ماذا يقول غير الشيعة في حق هذه الأحاديث، فكيف يفسرها بالخلفاء القائمين بالأمر بعد النبي الأكرم؟ وإليك نقل كلامهم: ١- إن قوله اثنا عشر اشارة إلى عدد خلفاء بني أمية وأول بني أمية

يزيد بن معاوية وآخريهم مروان الحمار وعدتهم اثنا عشر ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، ولا مروان بن الحكم لكونه صحابياً أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبدالله بن الزبير، وليس على المدح بل على استقامة السلطنة وهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية ثم عبدالملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبدالعزيز ثم يزيد بن عبدالملك ثم هشام بن عبدالملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد (١) .

١ . فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٣ / ٢١٢ ط دار المعرفة . وفي المصدر: عدتهم ثلاثة عشر .

(٦٣) يلاحظ عليه: إذا كان الرسول أراد هذا ولم يكن في مقام مدحهم فأى فائدة في الأخبار بذلك. ثم كيف يقول أنها صدرت على غير سبيل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصريحة في المدح فيقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً قائماً»، أو «أمر أمتي صالحاً» والعجب أنه جعل أول الخلفاء يزيد بن معاوية بحجة أنه استقامت له السلطنة مع أنه كيف استتبت له السلطنة وقد ثار عليه العراق في السنة الأولى وثار عليه أهل المدينة في السنة الثانية وكان مجموع أيامه مؤلفه من حروب دامية بين قتل ونهب وتدمير .

٢- «إن المراد أنه يملك اثنا عشر خليفة بهذه السمات بعد وفاة المهدي» وهذا من أغرب التفاسير لأنها ظاهرة في اتصال خلافتهم بعصر النبي الأكرم ولأجل تبادل ذلك سأل الناس عبدالله بن مسعود عن عدد من يملك أمر هذه الأمة (١) . ٣- ما نقله ابن حجر في فتح الباري عن القاضي عياض أن المراد الخلفاء الذين اجتمع عليهم الناس وهم أبو بكر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، ويزيد، وعبدالملك، وأولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وعمر بن عبدالعزيز بين سليمان ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك (٢) . ولا يكاد ينقضى تعجبي من القاضي عياض وابن حجر كيف يعرّفان هؤلاء بمن عزّ بهم الإسلام والدين وصار منيعاً وفيهم يزيد بن معاوية ذلك السكر المستهتر الذي كان يشرب الخمر ويدع الصلاة، ولم يكتف بذلك بل ضرب الكعبة بالمنجنيق

١ . فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٣ / ٢١٣ ومثله ما نقله أيضاً: اثنا عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة .

٢ . المصدر نفسه ولاحظ تاريخ الخلفاء ١١ . (٦٤)

وأباح المدينة ثلاثة أيام بأعراضها وأموالها وأنفسها. وهل اعترّ الإسلام بعبد الملك وكفى في مساويه تنصيبه الحجاج على العراق فقتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفى (١) . كيف اعترّ الدين بالوليد بن يزيد بن عبدالملك المنتهك لحرمة الله الذي حاول أن يشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ففتح المصحف فخرج (فَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد) فألقاه ورماه بالسهم وقال: تهددني بجبار عنيد * فما أنا ذاك جبار عنيد إذا ماجت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزفتى الوليد ومن أراد أن يقف على جنایات الرجل وأقربائه وأجداده فليقرأ التاريخ الذي أسودت صفحاته بسبب أفعالهم الشنيعة. إن للكاتب القدير السيد محمد تقى الحكيم كلاماً في هذه الأحاديث يطيب لى نقله. قال: والذي استفاد من هذه الروايات: ١- أن عدد الأمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثنى عشر وكلهم من قريش . ٢- أن هؤلاء الأمراء معيّنون بالنص كما هو مقتضى تشبيهم بنباء بنى إسرائيل لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (٢) . ٣- أن هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقى الدين الاسلامى أو حتى تقوم الساعة كما هو مقتضى رواية مسلم «ان هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» وأصرح من ذلك روايته الأخرى في نفس الباب: «لا يزال هذا الأمر في قريش

١ . تاريخ الخلفاء ٢٥٠ وغيره .

٢ . المائدة / ١٢ . (٦٥)

ما بقى من الناس اثنان». إذا صحت هذه الاستفاده فهي لا تلتئم إلا مع مبنى الإمامية في عدد الأئمة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي منسجمة جداً مع حديث الثقلين وبقاؤهما حتى يردا عليه الحوض . وصحة هذه الاستفاده موقوفة على أن يكون المراد من بقاء الأمر فيهم بقاء الإمامة والخلافة - بالاستحقاق - لا بالسلطة الظاهرية لأن الخليفة الشرعى

خليفة يستمد سلطته من الله، وهى فى حدود السلطة التشريعية لا التكوينية، لأن هذا النوع من السلطة هو الذى تقتضيه وظيفته كمشرع، ولا ينافى ذلك ذهاب السلطة منهم فى واقعها الخارجى وتسلب الآخرين عليهم، على أن الروايات تبقى بلا تفسير لو تخلىنا عن حملها على هذا المعنى لبداهة أن السلطة الظاهرية قد تولّاهما من قريش أضعافاً مضاعفة هذا العدد، فضلاً عن انقراض دولهم وعدم النص على أحد منهم - أمويين وعباسيين - باتفاق المسلمين . ومن الجدير بالذكر أن هذه الروايات كانت مأثورة فى بعض الصحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمة فلا يحتمل أن يكون من الموضوعات بعد اكتمال العدد المذكور، على أن جميع رواياتها من أهل السنة ومن الموثوقين لديهم ولعل حيرة كثير من العلماء فى توجيه هذه الأحاديث وملاءمتها للواقع التاريخي كان منشؤها عدم تمكنهم من تكذيبها، ومن هنا تضاربت الأقوال فى توجيهها وبيان المراد منها . والسيوطي - بعد أن أورد ما قاله العلماء فى هذه الأحاديث المشككة - خرج برأى غريب وهو: وعلى هذا فقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز فى بنى أمية وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان منتظران، أحدهما المهدي لأنه من أهل بيت محمد ولم يبين (٦٦)

المنتظر الثانى، ورحم الله من قال فى السيوطي: أنه حاطب ليل . * * *

يستفاد من حديث الثقلين أمور مهمة لو اهتمت بها الأمة لاجتمعت على مائدة أهل البيت واستغنت عن غيرهم، وهاهى: ١- إن اقتران العترة الطاهرة بالقرآن الكريم إشارة إلى أن عندهم علم القرآن وفهمه علماً لاثقاً بشأته . ٢- إن التمسك بالكتاب والعترة يعصم من الضلالة ولا يغنى أحدهما عن الآخر . ٣- يحرم التقدم على العترة كما يحرم الابتعاد عنهم . ٤- إن العترة لا تفارق الكتاب، وأنهما مستمران إلى يوم القيامة . أفصح بعد هذه التصريحات والاشارات ترك العترة والأخذ بقول غيرهم؟ مقتضى الكتاب فى صيغته القيادة بعد الرسول:

قد تعرّف على مقتضى السنة النبوية فى مجال القيادة بعد الرسول، وكلها تدل على أن الرسول قام بتعيين الوصى بعده، وعين خليفة المسلمين تعييناً شخصياً، وقد كثر وأكد ذلك فى مواقف متعدّدة - حتى لا يبقى شك - وحاول تأكيد الأمر فى آخر ساعة من حياته الشريفة عن طريق الكتابة، ولكن حال بعضهم دون تحقق أمية الرسول، فلم يكتب شيئاً، وأمرهم بالخروج عن مجلسه، ونردف ذلك البحث بما وعدناه سابقاً من تبين مقتضى الكتاب فى مسألة الخلافة، وقد نزلت آيات أوضحها آية الولاية فى سورة المائدة، فنحن نأتى بها مع ما يتقدمها حتى تتضح دلالتها: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) * (٦٧) فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فىهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيضربحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهنم أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأضربحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم * إنمّا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (١)، وموضع الاستدلال هو الآيتان الأخيرتان.

وقبل الاستدلال بالآية نذكر شأن نزولها: روى المفسرون عن أنس بن مالك وغيره أن سائلاً أتى المسجد وهو يقول: من يقرض الملى الوفى، وعلى راع يشير بيده للسائل: اخلع الخاتم من يدي. فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل ب (إنمّا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فأنشأ حسان بن ثابت يقول: أبا حسن تفديك نفسى ومهجتي * وكل بطيء فى الهدى ومسارع أيزه مدحى والمحين ضايعا * وما المدح فى ذات الإله بضايع فأنت الذى أعطيت إذ أنت راع * فدتك نفوس القوم يا خير راع بخاتمك الميمون يا خير سيّد * ويا خير شار ثم يا خير بايع

فأنزل فيك الله خير ولاية * وبينها في محكمات الشرايع (١) وإليك تفصيل الآية حرفياً: ١- الولي والمولى والأولى بمعنى واحد، قال رسول الله: «أئماً امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل...» (٢) وقال: «يا على أنت ولي كل مؤمن من بعدى» (٣) ولو أطلق على الناصر والمحب فهو كإطلاق المولى عليهما، وقد عرفت أنه ليس للمولى إلا معنى واحد وهو الأولى، فلو أطلق على الناصر والمحب فلاجل أن المحب أولى بالدفاع عن محبوبه والتزامه بنصرته، والصديق أولى بحماية صديقه، فتفسير الولي بالمحب والناصر والصديق من باب خلط المتعلق بالمفهوم . ٢- لو كان المراد من الولي هو الناصر وما أشبهه يلزم الاكتفاء بقوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) من دون حاجة إلى التقييد بإيتاء الزكاة حال الركوع . ٣- لو كان الولي بمعنى الناصر أو المحب يلزم وحدة الولي والمولى عليه في قوله: (والذين آمنوا) وما هذا إلا لأن كل مؤمن ناصر لأخيه المؤمن ومحب له (٤). مع أن ظاهر الآية أن هناك أولياء ثلاثة: ١- الله، ٢- رسوله، ٣- المؤمنون بالشروط الثلاثة، وأن هناك مولى عليه، وهو غير الثلاثة ولا يتحقق

١. رواه الطبري في تفسيره ١٨٦ / ٦ والجصاص في أحكام القرآن ٢ / ٤٤٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٩٣ وغيرهم .
٢. مسند أحمد ٦ / ٦٦ روتها عائشة عن النبي الأكرم .
٣. مسند أحمد ٤ / ٤٣٧، مستدرک الحاكم ٣ / ١١١ .
٤. اللهم إلا أن يقول القائل ان المؤمنين الموصوفين بالأوصاف الثلاثة أولياء المؤمنين غير الموصوفين بها وهو كما ترى تفسير ساقط . (٦٩)

ذلك المعنى إلا بتفسير الولي بالزعيم والمتصرف في شؤون المولى عليه، فهؤلاء الثلاثة أولياء وغيرهم مولى عليهم . ٤- فإذا كانت الحال كذلك فلماذا أفرد الولي ولم يجمعه؟ والجواب عنه واضح، وهو أنه أفرد لإفادة أن الولاية لله على طريق الأصالة وللرسول والمؤمنين على سبيل التبعية، ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع . ٥- إن قوله (الذين يقيمون) بدل من (الذين آمنوا) كما أن الواو في قوله (وهم راعون) للحال، وهو حال من قوله (يؤتون الزكاة) معنى ذلك أنهم يؤتونها حال ركوعهم في الصلاة . ٦- إذا كان المراد من قوله: (الذين آمنوا) هو الإمام على بن أبي طالب - عليه السلام - فلماذا جيء بلفظ الجماعة؟ والجواب: جيء بها ليرغب الناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه، وليتبه على أن سجنه المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروا إلى الفراغ منها (١) . وهناك وجه آخر، وهو أنه أتى بلفظ الجمع دون المفرد لأجل أن شائتي على وأعداء بني هاشم، وسائر المنافقين من أهل الحسد والحقد، لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد، إذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع في تمويهه، ولا ملتصق في التضليل، فيكون منهم - بسبب بأسهم - حينئذ ما تخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتقاء من معرتهم، ثم كانت النصوص بعدها تترى عبارات مختلفة ومقامات متعددة وبث فيهم أمر الولاية تدريجاً تدريجاً

١. الكشاف ١ / ٦٤٨ طبع مصر الحلبي .

(٧٠)

حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة، جرياً منه - صلى الله عليه وآله وسلم - على عادة الحكماء في تبليغ الناس ما يشق عليهم (١) . وهناك وجه ثالث أشار إليه الشيخ الطبرسي في تفسير الآية، وهو أن النكتة في إطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين، تفخيمه وتعظيمه، وذلك أن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه (٢) . ٧- إنما ذكر من صفات الولي من الذين آمنوا إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لأنهما ركنان عظيمان للإسلام ووظيفتان رئيسيتان للقائد، وهو أن يقيم الصلاة (لا- أن يصلي وحده) ويؤتي الزكاة . وعلى كل تقدير فتقيد الولي من المؤمنين بالأوصاف الثلاثة، وتقيد إيتاء الزكاة بحال الركوع يجعل الكلّي مخصّصاً في فرد واحد، وهو مثل قولك: «رأيت رجلاً سلّم على أمس قبل كل أحد» وهو وإن كان كلياً قابلاً للانطباق على كثيرين قبل التطبيق، لكنّه بعده ينحصر في فرد . ثم إن إمام المشككين

فخر الدين الرازي استشكل على الاستدلال بالآية بوجوه رديئة ساقطة نذكر بعضها ونترك الباقي صيانة للوقت عن الضياع، ولعله لأجل هذه التشكيكات لما دنا أجله أملى على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الاصفهاني وصية في الحادي والعشرين من محرم سنة ٦٠٦هـ، وجاء في الوصية قوله: فاعلموا أنني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كميته وكيفيته، _____

١. المراجعات ١٤٦ .

٢. مجمع البيان ٢ / ٢١١ . (٧١)

سواء أكان حقاً أو باطلاً أو غثاً أو سميناً... (١). ألف - إن المراد من الولي في الآية ليس هو المتصرف، بل المراد الناصر والمحب، بشهادة ما قبلها وما بعدها، أما ما قبل هذه الآية فلأنه تعالى قال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) وليس المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في أرواحكم وأموالكم، لأن بطلان هذا كالمعلوم. بل المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبباً وأنصاراً ولا تخالطوهم ولا تعاضدوهم، ثم لما بالغ في النهي عن ذلك قال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى هُزُوراً وَلِعِبَاباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) - المائدة/٥٧- (٢). حاصل التشكيك هو أن الولي في الآية المتقدمة والمتأخرة بمعنى المحب والناصر فلو فسرت في الآية بالمتصرف يلزم التفكيك . والجواب أن الولي في الآية المتقدمة عليها والمتأخرة عنها، وفي نفسها بمعنى واحد ليس له في جميع المقامات إلا معنى واحد وهو الولي، غير أنه يختلف متعلق الولاية جوهرًا أو لا - وسعةً وضيقةً ثانياً، حسب اختلاف موصوفها ومن قامت به الولاية. فلو كان الولي هو الله والرسول فيكون متعلق الولاية هو النفس والنفس، فهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكيف بأموالهم، فهما أولى بالتصرف في كل ما يمت إلى المؤمنين . ولو كان الولي من الأب والجد، يكون المتعلق شؤون الصغير ومصالحه ، _____

١. دائرة المعارف لفريد وجدى ٤ / ١٤٨ .

٢. مفاتيح الغيب ١٢ / ٢٨ . (٧٢)

من حفظ نفسه وعرضه وماله. فيكون أولى بالتصرف من الصغير في أمواله وشؤونه، ومنها تزويجه بالغير . ولو كان الموصوف رئيس القبيلة، حيث كان الرائج في عهد الجاهلية، عقد ولاء الدفاع بين القبيلتين، فيكون هو أولى بالدفاع عن المنتمى في النوازل، إلى غير ذلك من الموارد المختلفة حسب الموصوف. وبذلك يظهر أن المراد من الأولياء في قوله (لا- تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) هو الأولى لما ستعرف من أنها نزلت في حق (عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي) واليهود، وكان بينهما وبين اليهود عقد ولاء الدفاع فكان كل من الطرفين ولياً للآخر، أي أولى بالدفاع والذب عن المولى عليه من غيره. قال المفسرون: نزلت في حق عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي بعد غزوة بدر، حيث لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأولياءهم من اليهود: آمنوا قبل أن يُصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر، فقال مالك بن ضيف (اليهودي): أعزكم أن اصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أمرونا العزيمة أن نستجمع عليكم، لم يكن لكم يدان لقتالنا، فجاء عبادة بن الصامت الخرجي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود، كثير عددهم قويّة أنفسهم، شديدة شوكتهم، وأنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله. فقال عبدالله بن أبي: لكنني لا- أبرأ من ولاية اليهود، لأنني أخاف الدوائر فلا بد لي منهم. فقال رسول الله: «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه» قال: اذن اقبل، وأنزل الله الآية (١) . فقد اتخذ الرجلان اليهود أولياء ليتفرع عليه النصر والذب كما أنه سبحانه _____

١. مجمع البيان ٢ / ٢٠٦ وغيره .

(٧٣)

جعل الأب والجد أولياء ليتفرع عليه حفظ شؤون المولى عليه، وعلى ضوء ذلك فالولي في جميع المقامات بمعنى واحد، والاختلاف إنما هو فيما يتفرع على الولاية، لا أنه تارة بمعنى الأولى وثانياً بمعنى الناصر وثالثاً بمعنى المحب . ب - والذي يرشدك على أن الولي

في قوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) ليس بمعنى الحب والمحبة كما احتمله الرازي، أنه ورد نظير هذا النص في قوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) (١) وليس الولي بمعنى المحبوب. وذلك لأن حب الآباء والأخوان أمر فطري، فطر الناس عليه من غير فرق بين الكافر والمسلم، ولو كان المراد من التولي هو الحب يلزم النهي عن أمر جبلي ولأجل ذلك لا محيص عن تفسيره باتخاذهم أولياء على غرار اتخاذ الرسول والإمام أولياء، بأن تكون ولايتهم على أعناق المؤمنين، كما أنه ليس أيضاً بمعنى النصره لجواز طلب النصره من الكافر وهذا هو القرآن يجعل شيئاً من الزكاة للمؤلفه قلوبهم . ج - إن قوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) يحكى عن أن التولي على وجه يلحق المتولي باليهود والنصارى، وهو لا ينطبق على مجرد الحب وطلب النصره والحب لا لأجل كونهم كافرين، بل لأسباب أخرى من حسن الجوار وغيره . د - إنه سبحانه يندد ببعض المؤمنين بقوله: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه...) وهذا يعرب عن أن التولي كان على وجه ينتهي إلى ارتداد المتولي .

١ . التوبة / ٢٣ .

(٧٤)

أبعد هذه القرائن يصح للرازي أن يفسر التولي في هذه الآيات بالحب والنصره. على أن تفسير ولاية الله والرسول بالحب والنصره تفسير بأمرو واضح لا يحتاج إلى زيادة تأكيد . هذه هي الشبهة المهمه في كلامه، وأما باقي الشبهات، فليس بشيء ذي بال. مثلاً يقول: لو نزلت الآية في حق علي، يجب أن يكون نافذ التصرف حال حياة الرسول، والآية تقتضي كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية في الحال (١). والجواب: إن هذا المقام كان ثابتاً لعلي كنبوته لله سبحانه والرسول، غير أنه لا يقوم بتطبيقه على سعيد الحياة إلا عند الحاجة، وهو عند ارتحال الرسول ومفارقة الأئمة، وهذا هو المفهوم من تعيين ولي العهد عند الأمم . وأنت إذا قارنت الآية وما ورد حولها من شأن النزول، وما نزل في حق علي من الآيات التي تعرف طهارته من الذنب (٢)، وكون حبهم ومودتهم أجراً للرسالة (٣)، وأنه نفس النبي الأكرم (٤)، إن بيته من أفضل البيوت التي قال في حقها سبحانه: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) - النور / ٣٦ - (٥) لوقفت على أن الذكر الحكيم يواكب السنه في تعيين مصير الأمة الإسلامية في مجال القيادة

١ . مفاتيح الغيب ١٢ / ٢٨ .

٢ . إشارة إلى نزول قوله سبحانه: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في حق علي وأهل بيته - الأحزاب / ٣٣ - .

٣ . إشارة إلى قوله سبحانه: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) - الشورى / ٢٣ - .

٤ . إشارة إلى قوله سبحانه في أمر المباهلة مع نصارى نجران: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) - آل عمران / ٦١ - .

٥ . إشارة إلى ما رواه السيوطي في الدر المنثور من قول أبي بكر للنبي بعد نزول الآية: قال يا رسول الله أهدنا البيت منها - أي بيت علي وفاطمة - قال: هم من أفاضلها / ٥٠ . (٧٥)

والخلافة وأنه سبحانه ألقى مقاليد الزعامة إلى الإمام أمير المؤمنين، وبذلك أخرج الأمة من التنازع والاحتكاك بعد الرسول الأعظم . ونحن نكتفي من البرهنة على خلافة الإمام بهذه الآية، وهناك آيات استدلل بها الأصحاب على ولاية الإمام، ونفي ولاية الغير، أوضحنا مداليلها في مؤلفاتنا الكلامية، فمن أراد فليرجع (١) .

١ . الإلهيات ٢ / ٦١٨ - ٦٣٢ .

الفصل الرابع ما هو السرّ في مخالفة الجمهور نص الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - (٧٨) (٧٩)

لقد ظهرت الحقيقة بأجلى صورها وثبت أن الرسول لم يرحل عن أمته إلا بعد أن نصّب علياً للخلافة والقيادة، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه وهو أنه لو كان الحق كما نطق به النصوص كتاباً وسنة، فلماذا أعرض الجمهور عن ما أمروا أن يتمسكوا به؟ وهذه هي الشبهة المهمة في الباب وهذا هو السؤال الذي ترك العقول متحيرة تبحث عن جواب مقنع، وقد اعتمد على ذلك بعض المنصفين من أهل السنة في رده لمذهب أهل البيت - عليهم السلام - ، فقال: أنظر إلى جمهور أهل القبلة والسواد الأعظم من ممثلي هذه الملة فإذا هم مع أهل البيت على خلاف ما توجه ظواهر تلك الأدلة، فإنا أوامر مني نفسي، نفساً تنزع إلى متابعة الأدلة وأخرى تفزع إلى الأكثرية من أهل القبلة (١). والاجابة عن الشبهة سهلة لمن راجع التاريخ وسيرة الصحابة في عصر الرسول وبعده. فإن القرآن الكريم رغم أمره باتباع الرسول وعدم التقدم عليه (٢)، ورغم أمره

١. من كلام شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري في رسالته إلى السيد شرف الدين، لاحظ المراجعات ص ٢٥، رقم المراجعة ١١.

٢. (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) - الحجرات / ١ - (٨٠)

بالتسليم له وأن الإيمان رهنه (١)، ورغم أنه يندد ببعض المسلمين الذين كانوا يتمنون طاعة الرسول لهم في بعض المواقف وقال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (٢). رغم كل ذلك نشاهد رجالاً يقفون أمام النبي في غير واحد من المواقف ويخالفونه بعنف وقوة ويقدمون الاجتهاد والمصالح الشخصية على أوامر الرسول في مواطن كثيرة، وإليك نزراً يسيراً منها وباللمام بها تسهل عليك الاجابة عن السرّ في مخالفة عدّة من الأصحاب لأمر النبي في مسألة الوصاية والقيادة: ١- اختلافهم مع النبي في الأنفاق والأسرى:

انتصر المسلمون في غزوة بدر وجمع غير واحد من المسلمين ما في معسكر العدو فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم، وقال الذين يحرسون رسول الله: ما أنتم بأحقّ به منا والله لقد رأينا أن نقتل العدو إن منحنا الله كره العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منا. فنزل قوله سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) - الأنفال / ١ - (٣). وأما اختلافهم في الأسرى فيكفي في ذلك قوله سبحانه: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ

١. (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) - النساء / ٦٥ - .
٢. الحجرات / ٧ .

٣. السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦٤١ - ٦٤٢ . (٨١) يَكُونُ لَهُ أَسِيرٌ حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاباً عظيماً (١). نحن نضرب الصّحح عمّا ذكره المفسرون حول الآية من القصص غير أن قوله سبحانه (لولا كتاب...) يعرب عن أنهم اختلفوا إلى حدّ كانوا مستحقين لنزول العذاب لولا سبق كتاب من الله، ومن الجراءة ما يظهر عن بعض المفسرين (٢) من أن العتاب يعم النبي أيضاً مع أن نبيّ العظمة أجلّ من أن يشاركهم في العتاب فضلاً عن العقاب وحاشا ساحة الحق أن يهدّد نبيّه بعذاب عظيم وقد عصمه من المعاصي، والعذاب العظيم لا ينزل إلا على عمل اجرامى كبير، ونحن لا نفسر الآية ولا نريد أن نخوض في خصوصيات القصة وكيفينا أنها تكشف عن تباعد المؤمنين على النبي في مسألة الأسرى إلى حدّ استحقوا هذا التنديد . ٢- مخالفتهم الأمر الرسول في أحد:

ورد رسول الله أحد حين بلغه أن أباسفيان يريد شنّ هجوم على المدينة، واستقبل الرسول المدينة وجعل جبل عينين عن يساره، ونصب خمسين رجلاً نبأ على جبل عينين وأمر عليهم عبدالله بن جبير وقال له: «انضح الخيل عنّا بالنبل، لا يأتوننا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فائت مكانك لا تؤت من قبلك». ولما صار الانتصار حليف المسلمين وأخذ العدو بالانسحاب عن ساحة القتال موكباً نحو مكة، خالف الرماة أمر الرسول وأخلوا مكانهم طمعاً في الغنائم، فكلمنا نصحبهم أميرهم بالبقاء وعدم ترك العينين خالفوه .

١ . الأنفال / ٦٧ - ٦٨ .

٢ . لاحظ الأقوال في الميزان ٩ / ١٣٧ . (٨٢)

ولما رأى العدو المنهزم أن جبل العينين قد أضحى خالياً من الرماء، وكان جبل العينين يقع على ضفتين يتخللهما معبر، فاستغل العدو الفرصة فأدار خالد بن الوليد من معه من وراء المسلمين، فورد المعسكر من هذا المعبر على حين غفلة منهم، فوضع السيوف فيهم فقتل منهم لفيفاً إلى أن تحوّل النصر إلى هزيمة، وكان ذلك نتيجة مخالفة المسلمين لوصية الرسول، وتقديماً للاجتهاد على النص، والرأى الخاطئ على الدليل، وكم له من نظير في حياة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعد وفاته . ٣- مخالفتهم في صلح الحديبية: دخلت السنة الثالثة للهجرة واشتاق النبي إلى زيارة بيت الله فأعدّ العدة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلا سلاح المسافر فلما وصلوا إلى أرض الحديبية، منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبي إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح اثارته حفيظة بعض المسلمين، حتى أن عمر بن الخطاب وثب فأتى أبابكر فقال: «أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلان نعطي الدية في ديننا» (١) . فقد زعم الرجل أن البنود الواردة في صلح النبي تعني اعطاء الدية في الدين، حتى أن النبي أخبرهم حين الشخوص من المدينة أن الله سبحانه أراه في المنام أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة، قالوا: ما حلقنا ولا

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣١٦ - ٣١٧ .

(٨٣)

قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (١) . ولو أراد المتتبع أن يتعمق في السيرو التفاسير يجد أن مخالفة القوم للرسول لم تكن مختصة بموضوع دون موضوع، فكان تقديم الاجتهاد على النص شيئاً رائجاً عندهم ولنكتف في المقام بالمخالفتين الأخيرتين أيام مرض وفاته . ٤- مخالفتهم في تجهيز جيش أسامة: اتفق المؤرخون على أن النبي الأكرم أمر بتجهيز جيش أسامة فقال: «جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه» فقال قوم: «يجب علينا امتثال أمره» وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: «قد اشتد مرض النبي فلا تسع قلوبنا مفارقتة والحال هذه، فنصبر حتى ننظر أي شيء يكون من أمره» (٢) . هذا ما يذكره الشهرستاني ملخصاً، وذكره المؤرخون على وجه التفصيل، فقال الطبري في أحداث سنة إحدى عشرة: «وضرب على الناس بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطىء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إنه لخليق لها أي حقيق بالامارة وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها» فطار الأخبار بتحليل السير بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (٣) . ويقول أيضاً: «لقد ضرب بعث أسامة، فلم يستتب لوجع رسول الله وقد أكثر

١ . الفتح / ٢٧ .

٢ . الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٩ - ٣٠ (تحقيق محمد بن فتح الله بدران) .

٣ . تاريخ الطبري ٢ / ٤٢٩ . (٨٤)

المنافقون في تأمير أسامة، فخرج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على الناس عاصباً رأسه من الصداق لذلك وقال: «وقد بلغني أن أقواماً يقولون في أمانة أسامة، ولعمري لئن قالوا في أمارته لقد قالوا في أمانة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة وأنه لخليق لها بعد أسامة» وقال: «لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد» (١) فضرب بالجرف وأنشأ الناس في العسكر، ونجم طليحة وتمهل الناس وثقل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلم يستتم الأمر ينظرون أولهم آخرهم حتى توفي الله نبيه» (٢) . وقد ذكر القصة

ابن سعد في طبقاته (٣)، والحلبى في سيرته (٤)، ومن أراد التوسع فليرجع إليهما. ٥- مخالفتهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في احضار القلم والدواة:

عن ابن عباس قال: «لما اشتد بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وجعه، قال: «أتتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر: إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال - صلى الله عليه وآله وسلم - «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبين كتابه (٥) .

١ . لا يخفى أنه لاصله لهذه الجملة لما قبل القصة وما بعده ولعله تحريف لما نقلناه عن الشهرستاني من أنه لعن المتخلفين فبدله الراوى بهذا .

٢ . تاريخ الطبرى ٢ / ٤٣٠ .

٣ . الطبقات ٢ / ١٨٩ - ١٩٠ .

٤ . السيرة ٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٥ . صحيح البخارى ١ باب كتابه العلم ٣٠، الطبقات الكبرى ٢ / ٢٤٢ وجاء فيه: فقال بعض من كان عنده ان نبي الله ليهجر . (٨٥)
إن الراوى نقل الرواية بالمعنى كى يخفف من شدة الصدمة التى تحصل فيما لو نقل الرواية بألفاظها والشاهد على ما نقول أن البخارى نفسه روى الرواية بشكل آخر أيضاً، فروى عن ابن عباس إنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله وجعه فقال: «أتتوني بكتف لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» فتنازعا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له؟ أهجر، استفهموه، فقال: «ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونني إليه» فأمرهم بثلاث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» والثالثه خير إمرأ أن سكت عنها وإمرأ أن قالها فنسيتها» (١) . ولعل الثالثه التى نسيها الراوى هو الذى كان أراد النبي أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال ولكن ذكره شفاهاً عوض كتابته، لكن السياسة اضطرت المحدثين إلى ادعاء نسيانه . ولعل النبي أراد أن يكتب فى مرضه تفصيل ما أوجه عليهم فى حديث الثقلين وتشهد بذلك وحده لفظهما، حيث جاء فى الثانى: «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي». وقد فهم الخليفة ما يريده رسول الإسلام وحدث به بعد مدة من الزمن لابن عباس فقال له يوماً: يا عبدالله إن عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقى فى نفس على شىء من الخلافة؟ قال ابن عباس: قلت: نعم، قال: أو يزعم أن رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم، فقال عمر: لقد كان من رسول الله فى أمره ذروة من قول لا تثبت حجة، ولا تقطع عذراً ولقد كان يربح فى أمره وقتاً ما، ولقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه

١ . صحيح البخارى ٤ باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ٩٩ .

(٨٦)

فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، فعلم رسول الله انى علمت ما فى نفسه فأمسك (١) . والعجب أن أحمد أمين مع ما يكن على الشيعة من عداة وقسوة يعترف بما ذكرنا بصراحة . أراد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى مرضه الذى مات فيه أن يعين من يلى الأمر بعده ففى الصححين: البخارى ومسلم أن رسول الله لما اصفر قال: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، وكان فى البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع (٢) وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله فاختلف القوم واختصموا فمنهم من قال: قربوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من قال القول ما قاله عمر فلما أكثروا اللغو (٣) والاختلاف عنده - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: قوموا فقاموا. وترك الأمر خصوصاً لمن جعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتى عصرنا هذا بين السعوديين والهاشميين (٤) . هذه نماذج من مخالفة القوم لصريح النصوص الصادرة عن النبي الأكرم، وكل ذلك

يعرب عن فقدانهم روح التسليم للنبي ولأحكامه، فلم يكونوا ملتزمين بما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم من النصوص، نعم، ربّما يوجد بينهم من كان أطوع _____

١. شرح نهج البلاغة ٣ / ١٧، وكأنّ الرجل كان أشفق على الإسلام من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - .

٢. وفي موضع آخر في صحيح البخارى: أنّه قال «إنّ الرجل ليهجّر» .

٣. والصحيح: اللغظ .

٤. أحمد أمين يوم الإسلام: ٤١ . (٨٧)

للنبي من الظل لذى الظل، ولكن المتنفذين لم يكونوا متعبدين بالنصوص فضلا عن تعبدهم بالاشارات والرموز، وربّما كانوا يقابلون النبي بكلمات عنيفة يقابل بها من هو أقل منه شأنًا. وياليت أنّهم اكتفوا في مجال المخالفة للنصوص أثناء حياته، ولكنهم خالفوها بعد وفاته أكثر ممّا خالفوها أيام حياته، يقف على ذلك من سبر التاريخ وسيرة الخلفاء في غير واحد من المجالات . ولقد حاول الشهرستاني في ملله ونحله (١)، والسيد الشريف في شرح المواقف (٢) تحديد بدء الخلاف بين المسلمين بأيام مرض النبي عندما كان طريح فراشه. ولكن ذلك التحديد من حسن ظنّهما بالصحابه وأنهم كلّهم عدول، غير أنّك عرفت أنّ تاريخ الخلاف يرجع إلى بدايات الهجرة، وقد اكتفينا بموارد خمسة و ضربنا الصّفح عن ذكر موارد أخرى . هذا كلّ يرجع إلى مخالفتهم الرسول فيما يامر وينهى أيام حياته، وأما مخالفتهم لنصوص الرسول بعد رحلته فحدّث عنها ولا حرج . ١- التصرف في أذان الفجر:

أخرج الإمام مالك في موطنه: انّ المؤذّن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه بصلاة الصبح، فوجده نائمًا فقال: الصلاة خير من النوم. فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح . وقال الزرقاني في تعليقه على هذه الكلمة من شرحه للموطأ ما هذا لفظه: هذا

١. الملل و النمل ١ / ٢٩، ولاحظ التبصير في الدين للاسفرائيني ١٩ .

٢. شرح المواقف ٨ / ٣٧٢ . (٨٨)

البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنّفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنّه قال لمؤذنه: إذا بلغت حيّ على الفلاح في الفجر فقل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم (١) . ٢- الحيلولة بين فاطمة وميراثها:

استفاضت الآيات باطلاقاتها تارة ونصوصها تارة أخرى على أنّ أولاد الأنبياء يرثون آباءهم كسائر الناس أمّا الاطلاقات فيكفي في ذلك قوله سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) (٢) وأمّا النصوص فيكفي في ذلك قوله سبحانه: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) (٣) وقال سبحانه ناقلا عن زكريا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) (٤) . إنّ طلب زكريا من الله سبحانه أن يهبه ولداً وأن يجعله رضيّاً لأوضح دليل على أنّ المراد من الوراثة، والوراثة في المال لا النبوة، لبدها أنّ الإنسان لا يكون نبيّاً إلا أن يكون رضيّاً، على أنّ لفظ الوراثة وما يشتق منه ظاهر في الوراثة في المال ولا يستعمل في غيره إلا توسّعاً ومجازاً ومع ذلك فقد خالفت القيادة بعد رسول الله هذا النص وحزمت فاطمة من ميراث أبيها بحجّة أنّه سمع من النبي قوله: نحن الأنبياء لا نورث، مع أنّه لو صحّ هذا الحديث لكان على النبي أن يذكره لوراثته حتّى لا يقعوا في الخطأ ولا يطلبوا شيئاً ليس لهم، فهل أنّ النبي أهمل هذا البيان اللازم وذكره لغير _____

١. الموطأ باب ما جاء من النداء في الصلاة الحديث ٨، والموطأ مع شرح الزرقاني ١ / ١٥٠ طبع مصر .

٢. النساء / ١١ .

٣. النمل / ١٦ .

٤. مريم / ٥-٦ . (٨٩)

وارثه؟ روى البخارى عن عائشة: أنّ فاطمة - عليها السلام - بنت النبي أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله

عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير، فقال أبو بكر: «إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمّد من هذا المال»، وإنّي والله لا أُغَيِّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله» فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر، فهجرت، فلم تكلمه حتّى توفيت، وعاشت بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ستّة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها على ليلا، فلم يؤذنها بها أبابكر، وصلى عليها (١). وقال ابن قتيبة: قال عمر لأبي بكر (رضى الله عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها فلم ترد السلام، فتكلّم أبو بكر وقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وأنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبو بكر أنّي متّ ولا ابقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنّحك حقّك وميراثك من رسول، إلا أنّي سمعت أباك رسول الله يقول: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» (٢). يلاحظ عليه أولاً: أنّ الرسول الأعظم وكذا كل من يتولّى الحكومة الإسلامية تكون له ملكيتين: ملكية شخصية تتعلّق بنفسه ويتصرّف فيها بما أنّها ماله الشخصي، وملكية تتعلّق بمقام الرسالة ويتصرّف فيها بما أنّه رسول وممثل

١. صحيح البخارى ٥ باب غزوة خبير ١٣٩.

٢. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٣ / ١ (٩٠).

الدولة الإلهية، والقسم الثاني من الملكيتين لا تورث بل تنتقل إلى من يمارس المسؤولية بعده. ونحن نربأ بفاطمة أن تطالب أبابكر بالأموال التي تعد من شؤون الدولة الإسلامية وأنما جاءت لتطلب ما كان ملكاً خاصاً لأبيها، بما أنّ أحد الناس والمسلمين، يملك ما شاء باحدى الطرق الشرعية ويرثه أولاده بعده. ثانياً: أنّ ما يرويه البخارى عن الخليفة أنّه قال: «وإنّي والله لا أُغَيِّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها» واقع في غير محلّه لأن حبيبة رسول الله لم تطلب منه صدقات أبيها حتّى تجاب بأنّ الصدقة لا تغيّر ولا تتبدّل وإنما سألته أن يدفع لها ما ملكه رسول الله ونحلّه لبنته أعنى فدك أيّام حياته عندما نزل قوله سبحانه: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ) (١).

نحن نفترض أنّ الرسول قال: لا نورث ما تركناه صدقة، ولكن من المحتمل جدّاً، أنّ الفعل «لا نورث» فعل معلوم لا مجهول ومعناه نحن معاشر الأنبياء لا نورث الأشياء التي تركناها صدقة، فيكون لفظه ما مفعولاً للفعل المبني على الفاعل وعند ذلك لاصله للحديث بكل ما يتركه النبي حتّى أمواله الشخصية والمقصود النهائي هو أنّ الصدقة لا تورث كالزكاة وأمثالها. ٣- النهى عن متعة الحج:

قال سبحانه: (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (٢) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ

١. الاسراء / ٢٦.

٢. أى فعلية ما يتيسر من الهدى، ومن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج، وهي يوم السابع من ذى الحجة وتنتهى بيوم عرفه، والتمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يجرى مجراهم في القرب إليها. (٩١) لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (١).

إنّ صفة التمتع بالعمرة إلى الحج عبارة عن الاحرام في أشهر الحج من احدى المواقيت، ثم الدخول إلى مكة للطواف بالبيت والصلاة بعده، والسعي بين الصفا والمروة ثم التقصير وعندئذ يحلّ له كل ما كان محرماً عليه، فيقيم على هذه الحالة حتّى ينشأ في تلك السنة احراماً آخر للحج ويخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر الحرام، إلى آخر الأعمال، هذا هو التمتع بالعمرة إلى الحج، وأنما أضيف الحج بهذه الكيفية إلى التمتع وقال سبحانه: (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) لما فيه من المتعة واللذة باباحة محرّمات الاحرام في المدّة المتخلّلة بين الاحرامين من غير فرق بين محرّم وآخر حتّى مسّ النساء. هذا هو الهدى شرّعه القرآن وخالفه بعض أصحاب السلطنة،

روى مالك عن سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس: لا يفعل ذلك إلا من جهل أمر الله عزوجل، فقال سعد: بس ما قلت يا ابن أخي، فقال الضحاك: فإن عمر قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وصنعناها معه (٢).
 روى أحمد بن حنبل عن أبي موسى: أنه كان يفتي بالمتع، فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك، حتى لقيه بعد فسأله، فقال عمر - رضى الله عنه - : قد علمت أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا بهن معرسين في الأراك ثم يروحون بالحج
 ١. البقرة / ١٩٦ .

٢. موطأ مالك ٢٣٥ باب ما جاء في التمتع برقم ٧٦٧ . (٩٢)

تقطر رؤوسهم (١). وروى أيضاً عن طريق آخر عنه: أن عمر - رضى الله عنه - قال: هي سنة رسول الله - يعنى المتعة - ولكن أخشى أن يعرسوا بهن تحت الأراك، ثم يروحوا بهن حجاجاً (٢). وقد استفاض القول عن الخليفة أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما (٣). قال القرطبي: لا - خلافاً بين العلماء في أن التمتع جائز وأن الأفراد جائز، وأن القرآن جائز لأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - رضى كلاً ولم ينكره في حجته على أحد من أصحابه، بل أجازهم ورضيه منهم... احتج من فضل التمتع بما رواه مسلم عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله - يعنى متعة الحج - وأمرنا بها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينعها رسول الله حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء (٤). ٤ - اسقاط سهم ذوى القربى من الخمس بعد وفاة الرسول :

ورد النص في الذكر الحكيم على أن لذى القربى سهم من الخمس قال سبحانه: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرُّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى

١. مسند أحمد ١ / ٤٩ - ٥٠ .

٢. مسند أحمد ١ / ٤٩ - ٥٠ .

٣. تفسير الامام الرازى ٥ / ١٦٧ وفسر الآية بالمتع بمحظورات الاحرام، وشرح التجريد للمحقق القوشجى (وهو من أئمة الأشاعرة): وقد عدّه من اجتهاد الخليفة. نعم هو من اجتهاده مقابل النص .

٤. الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٨٨ . (٩٣) الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١). وقد أجمع أهل القبلة على أن الرسول كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقاربه بسهم آخر. وأنه لم يعهد تغيير ذلك حتى دعاه الله إليه. غير أن أصحاب السلطة بعد الرسول أسقطوا سهم بنى هاشم من الخمس، وجعلوهم غيرهم من يتامى النساء و مساكينهم وأبناء السبيل منهم، وقد عرفت في المخالفة الثالثة أن فاطمة - عليها السلام - طلبت من أبى بكر ما بقى من خمس خبير .

ويشهد بذلك ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس أنه كتب إليه نجدة يسأله عن سهم ذى القربى، وعن اليتيم متى ينقضى يتمه، وعن المرأة والعبد يشهدان الغنيمه، وعن قتل أطفال المشركين، فكتب إليه ابن عباس: أنك كتبت إلى تسأل عن سهم ذى القربى لمن هو؟ وأنا كنا نراها لقرباه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فأبى ذلك علينا قومنا. وعن اليتيم متى ينقضى يتمه؟ قال: إذا احتلم... (٢). هذا وقد نقل القرطبي أقوالاً فى كيفية تقسيم الخمس، وهى بين من يأخذ بنص الآية ويجعل سهماً لذى القربى ومن يجتهد أمام النص. ونقلها صاحب المنار فى تفسيره (٣). ٥ - قطع سهم المؤلفه قلوبهم:

قال سبحانه: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا

١. الأنفال / ٤١ .

٢. مسند أحمد ١ / ٢٤٨ .

٣. تفسير القرطبي ٨ / ١٠، المنار ١٠ / ١٧ - ١٨. (٩٤) وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١)، الآية صريحة في أن لكل واحد من الأصناف المذكورة سهم ودلت كتب السيرة والفقهاء على أن الرسول يعطى سهم المؤلفة قلوبهم، فيؤلف بذلك قلوبهم، وهذه سيرته المستمرة معهم، لكن لمّا ولي أبو بكر جاء المؤلفة قلوبهم لاستيفاء سهمهم جرياً على عاداتهم مع رسول الله فكتب أبو بكر لهم بذلك، فذهبوا بكتابه إلى عمر ليأخذوا خطه عليه فمزقه وقال: لا حاجة لنا بكم، فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم، فإن أسلتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا له: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله تعالى، وأمضى ما فعله عمر (٢).

فاستمر الأمر على ذلك بعدهم، وأقصى ما عند المحققين من تبرير عمل الخليفة ما ذكره الدواليبي في كتابه أصول الفقه وقال: ولعل اجتهاد عمر - رضى الله عنه - في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم كان في مقدمته الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغيير المصلحة بتغيير الأزمان رغم أن النص القرآني لا يزال ثابتاً غير منسوخ (٣). وما ذكره الأستاذ يعارض ذيله صدره، فما معنى أن النص القرآني لا يزال ثابتاً غير منسوخ، فإذا كان غير منسوخ فما معنى الاجتهاد في مقابل النص، لأن معنى ذلك ابطال القرآن في فترة خاصه، ولو صح لأصحاب السلطة هذا النمط من العمل لما بقي من الإسلام أثر، فالنص لا يتغير ولا يتبدل ولا تتقيّد اطلاقاته ولا عموماته بالمصالح المرسله.

١. التوبة / ٦٠.

٢. الجوهرة النيرة ١ / ١٦٤ وهي في الفقه الحنفي ونقله في المنار ١٠ / ٥٧٦.

٣. أصول الفقه للدواليبي: ٢٣٩. (٩٥)

نعم يجوز على القول بعدم لزوم الاستيعاب في تقسيم الزكاة، دفعها إلى صنف دون صنف، لكنّه إنّما يجوز مؤقتاً لا دائماً، غير أن الخليفة قام بقطع سهم المؤلفة قلوبهم من رأس، وهذا هو الذي فهمه أبو حنيفة، والشافعي (١) بحجّة أن الله أعز الإسلام وهو اجتهاد من عمر بأنّه ليس من المصلحة استمرار هذا الأمر. ولا نريد من الاجتهاد في مقابل النص إلا هذا. هذه نماذج خمسة من مخالفتهم للنصوص والعمل وفق اجتهادات ذوقية، غير أن أصحاب السلطة قدّموا على النصوص بقوة وحماس، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن النصوص كانت أداة طيعة للتغيير حسب الأهواء والميول الشخصية سواء أكانوا مقصّرين في هذا التأويل أم قاصرين. والهدف ايقاف القارىء على أن مخالفة النصوص لأصحاب النفوذ لم يكن أمراً عسيراً أو شيئاً نادراً. وبذلك تبين أن إعراضهم عن أدلة تنصيب الإمام للخلافة، لم يكن أمراً عجبياً، وذلك لجريان سيرة الصحابة على تقديم المصالح المزعومة على النصوص وبذلك يقطع العذر على من زعم أنّه لو كان في مسألة الخلافة وامامة الامام أمير المؤمنين، نصّ، لما خالفه الصحابة العدول وتلقوه بالقبول. فيقال أو ما أمرهم النبي، بإحضار القلم والدواة، فحالوا بينه وبين منيته، أو ما حثهم على تجهيز جيش أسامة ولعن المتخلفين عنه، ولكنهم أثقلوا إلى الأرض أو ما.. أو ما... وهناك كلمة لابن ابي الحديد، وهو يقارن بين سياستي على وعمر و سياستي على ومعاوية وإليك نصّه. اعلم انّ السائس لا يتمكّن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى

١. المنار ١٠ / ٥٧٦.

(٩٦)

فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره وتوطيد قاعدته، سواء أوافق الشريعة أم لم يوافقها، ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، وإلا - فبيعد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله. وأمير المؤمنين - عليه السلام - كان مقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيّد والتدبير، إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته، قاعده غيره ممّن لم يلتزم بذلك ولسنا بهذا القول ضارّين على عمر بن الخطاب ولا ناسيين إليه ما هو منزه عنه، ولكنّه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان، والمصالح المرسله، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط، من أصول، تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النص، ويكيد

خصمه، ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدّب بالدرّة والوسط من يغلب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجتمروا ما يستحقّون به التأديب. كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤدّيه إليه نظره. ولم يكن أمير المؤمنين - عليه السلام - يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعدّها إلى الاجتهاد والأقيسة، ويطبّق أمور الدنيا على الدين ويسوق الكل مسافاً واحداً، فاختلقت طريقتاهما في الخلافة والسياسة (١). وقال الجاحظ: وربما رايت بعض من يظن بنفسه العقل والتحسين والفهم والتمييز، وهو من العامة وهو يظن أنّه من الخاصة يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً، وأصحّ فكراً، وأجود رؤية وأبعد غاية، وأدق مسلكاً، وليس الأمر كذلك، وسأومى إليك بجملة تعرف بها موضع غلظه، والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله .

١. شرح نهج البلاغة ١٠ / ٥٧٢ .

(٩٧)

كان على - عليه السلام - لا يستعمل في حربه، إلا ما وافق الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة، كما يستعمل الكتاب والسنة (١). وفي حياة الخليفة عشرات الشواهد على اجتهاده تجاه النص، وأي اجتهاد تجاهه أظهر وأولى من منع تدوين الحديث وكتابه الذي هو المصدر الثاني الرئيسي للمسلمين بعد الذكر الحكيم، وقد بلغت السنة من الكمال مكانة حتى صار لفظ السنّي شعاراً لجمهور المسلمين . ولعلّ في قوله سبحانه: (يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢). إشارة إلى بعض هذه الأمور، ومعنى الآية: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتى، ولا تقطعوا أمراً حتى يقطع، بالتالي: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة فانه تقدّم على الله ورسوله. فإذا كان هذا حال الخليفة وعمله طيلة حياته، فلا عجب أن يجتهد أمام نصوص الولاية والخلافة ويسدل عليها الستار، ولا يلتفت إليها ويندفع إلى تتبع مظان المصالح المزعومة في مجال الخلافة بعد عصر الرسول، وفي ما ذكرنا من مظان الاجتهاد أمام النص كفاية لطالب الحق .

١. شرح نهج البلاغة ١٠ / ٥٧٨، نقلا عن أبي عثمان الجاحظ .

٢. الحجرات / ١ .

الفصل الخامس مبدأ التشيع و تاريخ تكوّنه

الفصل الخامس مبدأ التشيع و تاريخ تكوّنه (١٠٠) (١٠١)

زعم غير واحد من الكُتّاب القدامى والجُدد، أنّ التشيع كسائر المذاهب الإسلامية، من إفرازات الصراعات السياسية وذهب بعض آخر إلى القول أنّه نتيجة الجدال الكلامي والصراع الفكري، فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره في الساحة الإسلامية وكأنّهم يتلقّون التشيع كظاهرة طارئة على المجتمع الاسلامي، ويظنون أنّ القطاع الشيعي من جسم الأمة الإسلامية باعتباره قطاعاً تكوّن على مرّ الزمن لأحداث وتطوّرات سياسية أو اجتماعية فكرية أدّت إلى تكوين ذلك المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتّسع ذلك الجزء بالتدرّج . وبعد أن افترض هؤلاء أنّه أمر طارئ، أخذوا بالفحص والتفتيش عن علته أو علله، فذهبوا في تعيين المبدأ إلى كونه ردّة فعل سياسية أو فكرية كما سيوافيك، ولكنهم لو كانوا عارفين أنّ التشيع ولد منذ عهد النبي الأكرم لما تسرّعوا في ابداء الرأي في ذلك المجال، ولعلموا أنّ التشيع والإسلام وجهان لعملة واحدة، وليس للتشيع تاريخ ولا مبدأ، سوى تاريخ الإسلام و مبدئه. وأنّ النبي الأكرم هو الغارس لبذرة التشيع في صميم الإسلام من أوّل يوم أمر بالصدع و اظهار الحقيقة، إلى ان لُبي دعوة ربّه . فالتشيع ليس إلاّ عبارة عن استمرار قيادة النبي بعد وفاته عن طريق من نصبه (١٠٢)

إماماً للناس، وقائداً للأمة حتى يرشدها إلى النهج الصحيح والهدف المنشود، وكان هذا المبدأ أمراً ركّز عليه النبي في غير واحد من المواقف الحاسمة، فإذا كان التشيع متبلوراً في استمرار القيادة بالوصي، فلا نجد له تاريخاً سوى تاريخ الإسلام والنصوص الواردة عن رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - . وقد عرفت في الفصل الثالث نصوصاً متوفرة في وصاية الامام أمير المؤمنين، فتاريخ صدورها عن

النبي هو نفس تاريخ التشيع، والشيعة هم المسلمون المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان في الأجيال اللاحقة، هم الذين بقوا على ما كانوا عليه في عصر الرسول في أمر القيادة ولم يُعَيَّروه ولم يتعدوا عنه إلى غيره، ولم يأخذوا بالمصالح المزعومة في مقابل النصوص، وصاروا بذلك المصداق الأبرز لقوله سبحانه: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١) ففزعوا في الأصول والفروع إلى علي وعترته الطاهرة، وانحازوا عن الطائفة الأخرى الذين لم يتعبدوا بنصوص الخلافة والولاية وزعامه العترة حيث تركوا النصوص، وأخذوا بالمصالح. إن الآثار المروية في حق شيعة الامام عن لسان النبي الأكرم ترفع اللثام عن وجه الحقيقة وتعرب عن التفاف قسم من المهاجرين حول الوصي، فكانوا معروفين بشيعة علي في عصر الرسالة، وإن النبي الأكرم وصفهم في كلماته بأنهم هم الفائزون، وإن كنت في شك من هذا الأمر فسأتلوا عليك بعض ما ورد من النصوص في المقام.

١- أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت: قلت يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: «يا عائشة، أما تقرأين (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١. الحجرات / ١ .

(١٠٣) أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ - البينة / ٧ - (١) .

٢- أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأقبل علي فقال النبي: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فكان أصحاب النبي إذا أقبل على قالوا: جاء خير البرية (٢) . ٣- أخرج ابن عدى وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية (٣) . ٤- وأخرج ابن عدى عن ابن عباس قال: لما نزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» . ٥- أخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «ألم تسمع قول الله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غزاً محجلين» (٤) . ٦- روى ابن حجر في صواعقه عن أم سلمة: كانت ليلتي، وكان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عندي فأتته فاطمة فتبعها علي (رحمهما الله) فقال النبي: يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة (٥) . ٧- روى ابن الأثير في نهايته: قال النبي مخاطباً علياً: يا علي إنك ستقدم علي

١. الدر المنثور للسيوطي ٥٨٩ / ٦ .

٢. الدر المنثور للسيوطي ٥٨٩ / ٦ .

٣. الدر المنثور للسيوطي ٥٨٩ / ٦ .

٤. الدر المنثور للسيوطي ٥٨٩ / ٦ .

٥. الصواعق: ١٦١ طبع مكتبة القاهرة . (١٠٤)

الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح. قال ابن الأثير: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر (١) . ٨- روى الزمخشري في ربيع: أن رسول الله قال: «يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجرة الله تعالى، وأخذت أنت بحجرتي، وأخذ ولدك بحجرتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا» (٢) . ٩- روى أحمد في المناقب: أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعلي: «أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا» (٣) . ١٠- روى الطبراني: أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعلي: «أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا» (٤) . ١١- أخرج الديلمي: «يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك، فابشر أنك الأنزع البطين» (٥) . ١٢- أخرج الديلمي عن النبي أنه قال: «أنت وشيعتك تردون الحوض رواء مرويين، بيضة وجوهكم وإن عدوك يردون الحوض ظماء مقمحين» (٦) . ١٣- روى

المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: _____

١. النهاية مادة قمع ٤ / ١٠٦، ورواه ابن حجر في الصواعق ١٥٤ .

٢. ربيع الأبرار .

٣. الصواعق ١٦١ .

٤. الصواعق ١٦١ .

٥. الصواعق ١٦١ .

٦. الصواعق ١٦١ . (١٠٥)

«يدخلون من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم - ثم التفت إلى علي فقال: - هم شيعتك وأنت إمامهم» (١) . ١٤ - روى المغازلي عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور فلما بصر به، قال له: يا سليمان تصدّر، قال: أنا صدر حيث جلست - إلى أن قال في حديثه: - حدّثني رسول الله قال: «أتاني جبرئيل - عليه السلام - آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق، فإنّه أول حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنة» (٢) . ١٥ - وروى أيضاً بسنده إلى سلمان الفارسي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «يا علي تختّم باليمين تكن من المقرّبين، قال: يا رسول الله ومن المقرّبون؟ قال: جبرئيل وميكائيل، قال: فيما أتختّم يا رسول الله؟ قال: بالعقيق الأحمر، فإنّه جبل أقرّ لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولك بالوصية، ولولدك بالإمامة، ولمحبّيك بالجنة، ولشيعتك وشيعته ولدك بالفردوس» (٣) . ١٦ - روى ابن حجر: أنّه مرّ على علي جمع فأسرعوا إليه قياماً، فقال: هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبّتنا» فأمسكوا حياءً، فقال له من معه: نسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحبّاكم، لما أنبأنا بصفة شيعتكم _____

١. مناقب المغازلي ٢٩٣ .

٢. مناقب المغازلي ٢٨١، ورواه السيد البحراني في غاية المرام عنه، وأنت إذا تدبّرت في الآيات الدالّة على سريان العلم والشعور في عامّة الموجودات مثل قوله: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ) - البقرة / ٧٤ - تستطيع أن تُصدّق ما جاء في الحديث من شهادة العقيق بوحدانية الله .

٣. علل الشرائع ١٥٨ طبع النجف . (١٠٦)

فقال: «شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله» (١) . ١٧ - روى الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١ هـ): أنّ ابن عباس قال: سمعت رسول الله يقول: «إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ الله تبارك وتعالى لشيعته على من الثواب والزلفى والكرامة...» (٢) . وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظة...، تعرب عن كون علي - عليه السلام - متميّزاً بين أصحاب النبي بأن له شيعته وأتباعاً، ولهم مواصفات وسمات كانوا مشهورين بها، في حياة النبي وبعدها. فبعد هذه النصوص لا يصحّ لباحث أن يلتجئ إلى فروض ظنيّة أو وهمية في تحديد تكوّن الشيعة وظهورها. الشيعة في كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق:

قد غلب استعمال الشيعة بعد عصر الرسول تبعاً له فيمن يوالى عليّاً وأهل بيته ويعتقد بإمامته ووصايته ويظهر ذلك من خلال كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات نشير إلى بعضها. ١- روى المسعودي في حوادث وفاة النبي: أنّ الإمام عليّاً أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمّت البيعة لأبي بكر (٣) . ٢- قال الامام عند تنديده بأعمال طلحة والزبير: «إنّ أتباع طلحة والزبير في البصرة قتلوا شيعتي وعمالي» (٤) . _____

١. الصواعق ١٥٤ .

٢. علل الشرائع ١٥٦ طبع النجف .

٣. الوصية للمسعودي ١٢١ طبع النجف .

٤. وقعة صفين ٧ طبع مصر . (١٠٧)

٣- روى أبو مخنف عن الحجاج: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرونا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه فقال: إن معاوية قد هلك وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه (١) . ٤- وقال محمّد بن أحمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ): إن أصحاب علي ينقسمون إلى الأصحاب ثم الأصفياء ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس... ومن الأصفياء سلمان الفارسي، والمقداد، وأبوذر، وعمار، وأبو ليلى، وشبير، وأبو سنان، وأبو عمرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو برزة، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وطرفة الأزدي (٢) . ٥- وقال النوبختي (ت ٣١٣ هـ): إن أول الفرق الشيعة، وهم فرقة علي بن أبي طالب، المسمون شيعة علي في زمان النبي وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته (٣) . ٦- وقال أبو الحسن الأشعري: وإنما قيل لهم الشيعة، لأنهم شايعوا علياً، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله (٤) . ٧- ويقول الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصياً ووصية (٥) . ٨- وقال ابن حزم: ومن وافق الشيعة في أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله

١. مقتل الامام الحسين لأبي مخنف: تحقيق حسن الغفاري ١٥ ولاحظ ١٦ .

٢. الرجال للبرقي: (طبع طهران) / ٣، ولاحظ فهرست ابن النديم ٢٦٣ (طبع القاهرة) وعبارته قريبة من عبارة البرقي.

٣. فرق الشيعة ١٥ .

٤. مقالات الاسلاميين ١ / ٦٥ طبع مصر .

٥. الملل والنحل ١ / ١٣١ . (١٠٨)

وأحقهم بالإمامة وولده من بعده، فهو شيعي، وإن خالفهم في ما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون. فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً (١) . هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جاء في كلمات المؤرخين وأصحاب المقالات، تعرب عن أن لفيفاً من الأمة في حياة الرسول وبعده إلى عصر الخلفاء وبعدهم، كانوا مشهورين بالتشيع لعلّي وأن لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرسول وتبعته الأمة عليه . «إنّ الامام وإن تسامح وتساهل في أخذ حقه تبعاً لمصالح عظيمة مكنونة في مثل هذا التصرف الحكيم، لكن أخذت فكرة استخلاف النبي علياً طريقها في النفوس والقلوب، وتضاعف عدد المتشيعين له على مرور الأيام، ورجع الكثير من المسلمين إلى الماضي القريب، واحتشدت في أذهانهم صور عن مواقف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تلك المواقف التي كان يصرح فيها باستخلاف علي من بعده تارة، ويلمّح فيها أخرى، فالتفتوا حول علي - عليه السلام - وأصبحوا من الدعاة الأوفياء له في جميع المراحل التي مرّ بها، وما زال التشيع ينمو وينتشر بين المسلمين في الأقطار المختلفة، يدخلها مع الإسلام جنباً إلى جنب، واستحكم أمره في السنين التي استولى فيها على الحكم، فشاعت بين المسلمين أحاديث استخلافه، ووجد الناس من سيرته وزهده وحكمته ما أكدّ لهم صحّة تلك الروايات، وأنه هو المختار لقيادة الأمة وحماية القرآن ونشر تعاليمه ومبادئه» (٢) . والعنصر المقوم لإطلاق عبارة الشيعة هو مشايعة علي بعد النبي الأكرم في الزعامة والوصاية أولاً، وفي الفعل والترك ثانياً، ومع هذا لا يصحّ لأي كاتب

١. الفصل في الملل والنحل ٢ / ١١٣ طبع بغداد .

٢. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ٢٨ - ٢٩ . (١٠٩)

افتراض علّة اجتماعية أو سياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة . ولأجل أن تتعرّف على شيعة علي من الصحابة نأتى باسماء رواد الشيعة على وجه الاجمال ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ما كتب حولهم من المؤلفات، وسنأتى بأسماء تلك الكتب في آخر البحث: رواد التشيع في عصر النبي:

إنّ الاحالة للتعرف على رواد التشيع إلى الكتب المؤلّفة في ذلك المضمار لا- تخلو من عسر وغموض، فلأجل ذلك نأتى باسماء لفيف من الصحابة الشيعة المعروفين بالتشيع: ١- عبدالله بن عباس، ٢- الفضل بن العباس، ٣- عبيدالله بن العباس، ٤- قثم بن العباس،

٥- عبدالرحمان بن العباس، ٦- تمام بن العباس، ٧- عقيل بن ابى طالب، ٨- أبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب، ٩- نوفل بن الحرث، ١٠- عبدالله بن جعفر بن أبى طالب، ١١- عون بن جعفر، ١٢- محمد بن جعفر، ١٣- ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب، ١٤- الطفيل بن الحرث، ١٥- المغيرة بن نوفل بن الحرث، ١٦- عبدالله بن الحرث بن نوفل، ١٧- عبدالله بن أبى سفيان بن الحرث، ١٨- العباس بن ربيعة بن الحرث، ١٩- العباس بن عتبة بن ابى لهب، ٢٠- عبدالمطلب بن ربيعة بن الحرث، ٢١- جعفر بن أبى سفيان بن الحرث. هؤلاء من مشاهير بنى هاشم، وأما غيرهم فإليك أسماء لفيهم منهم: ٢٢- سلمان المحمدي، ٢٣- المقداد بن الأسود الكندي، ٢٤- أبوذر الغفاري، ٢٥- عمّار بن ياسر، ٢٦- حذيفة بن اليمان، ٢٧- خزيمه بن ثابت، ٢٨- أبو أيوب الأنصاري مضيّف النبي، ٢٩- أبو الهيثم مالك بن التيهان، (١١٠)

٣٠- أبى بن كعب(١)، ٣١- سعد بن عباد، ٣٢- قيس بن سعد بن عباد، ٣٣- عدى بن حاتم، ٣٤- عباد بن الصامت، ٣٥- بلال بن رباح الحبشي، ٣٦- أبو رافع مولى رسول الله، ٣٧- هاشم بن عتبة، ٣٨- عثمان بن حنيف، ٣٩- سهل بن حنيف، ٤٠- حكيم بن جبلة العبدى، ٤١- خالد بن سعيد بن العاص، ٤٢- ابن الحبيب الأسلمي، ٤٣- هند بن أبى هالة التميمي، ٤٤- جعدة بن هبيرة، ٤٥- حجر بن عدى الكندي، ٤٦- عمرو بن الحمق الخزاعي، ٤٧- جابر ابن عبدالله الأنصاري، ٤٨- محمّد بن الخليفة أبى بكر، ٤٩- أبان بن سعيد بن العاصي، ٥٠- زيد بن صوحان الزيدى. هؤلاء خمسمون صحابياً من الطبقة العليا للشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيعهم فليرجع إلى الكتب المؤلفة في الرجال ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة. وفي الختام نذكر ما ذكره محمّد كرد على في كتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة على في عصر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والالتزام بعلى بن ابى طالب والموالاة له، ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج، قيل: فما الواحدة التى تركوها؟ قال: ولاية على بن أبى طالب، قيل له: وأنها لمفروضة معهن؟ قال: نعم هي مفروضة معهن، ومثل أبى ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان،

١. نقل سيدنا شرف الدين عن تاريخ ابن شحنة أنه ممن تخلف عن بيعه السقيفة مع على - عليه السلام - .

(١١١)

وذو الشهادتين خزيمه بن ثابت، وأبى أيوب الأنصاري، وخالد بن سعيد، وقيس ابن سعد بن عباد(١). الكتب المؤلفة حول رواد التشيع:

إنّ لفيها من أصحابنا الإمامية قاموا بافراد كتاب أو رساله حول رواد التشيع ونذكر في المقام ما وقفنا عليه . ١- صدر الدين السيد على المدنى الحسينى الشيرازى، صاحب كتاب سلافه العصر فى أعيان أهل العصر، وأنوار الربيع فى علم البديع، وطراز اللغة. توفى عام (١١٢٠)، أفرد تاليفاً فى ذلك المجال أسماه بـ «الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الإمامية»، فخصّ الطبقة الأولى بالصحابة الشيعة، وخصّص الباب الأوّل لبنى هاشم من الصحابة، والباب الثانى فى غيرهم منهم. وجاء فى الباب الأوّل بترجمة (٢٣) صحابياً من بنى هاشم لم يفارقوا علياً قط، كما جاء فى الباب الثانى بترجمة (٤٦) صحابياً(٢). ٢- ذكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فى كتابه «أصل الشيعة وأصولها» أسماء جماعة من الصحابة الذين كانوا يشايعون علياً فى حلّه وترحاله وقال معلقاً على قول أحمد أمين الكاتب المصرى «والحق إنّ التشيع كان مأوى يرجع إليه كل من أراد هدم الإسلام»: ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفا أن لا تتعكر، ونيران البغضاء أن لا تتسعر، وأن تنطبق علينا حكمه القائل: «لا تنه عن خلق وتأتى مثله» لعرفناه من الذى يريد هدم قواعد الإسلام بمعاول الالحد والزندقه،

١. خطط الشام ٥ / ٢٥١ .

٢. الدرجات الرفيعة ٧٩- ٤٥٢ طبع النجف . (١١٢)

ومن الذي يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة، ولكننا نريد أن نسال ذلك الكاتب أى طبقة من طبقات الشيعة أرادت هدم الإسلام؟ هل الطبقة الأولى وهم أعيان صحابة النبي وأبرارهم كسلمان المحمدي أو الفارسي، وأبي ذر، والمقداد، وعمّار، وخزيمة ذى الشهادتين، وابن التيهان، وحذيفة بن اليمان والزبير، والفضل بن العباس وأخيه الجبر عبد الله، وهاشم بن عتبة المرقال، وأبي أيوب الأنصاري وأبان وأخيه خالد بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب سيد القراء، وأنس بن الحرث بن نبيه، الذي سمع النبي يقول: «إنّ ابني الحسين - عليه السلام - يقتل في ارض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس وقتل مع الحسين. راجع الاصابة والاستيعاب وهما من أوثق ما ألف علماء السنة في تراجم الصحابة، ولو أردت أن أعدّ عليك الشيعة من الصحابة واثبات تشييعهم من نفس كتب السنة لأحوجني ذلك إلى افراد كتاب ضخمة (١). ٣- قام الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين (١٢٩٠ - ١٣٧٧) بجمع أسماء الشيعة في الصحابة حسب حروف الهجاء، وقال: وإليك اكمالاً للبحث بعض ما يحضرني من أسماء الشيعة من أصحاب رسول الله لتعلم أنّ بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا، وسأفرد لهم إن وفق الله كتاباً يوضح للناس تشييعهم ويحتوي على تفاصيل شؤونهم، ولعلّ بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقني إلى تأليف ذلك الكتاب فيكون لي الشرف إذ خدمته بذكر أسماء بعضهم في هذا الباب وهي على ترتيب حروف الهجاء، ثم ابتداءً بأبي رافع القبطي مولى رسول الله، وختمهم بيزيد بن حوثة الأنصاري ولم يشير من حياتهم إلى شيء، وإنما ألقى ذلك على الأمل أو على من يسبقه من بعض أهل النشاط .

١ . أصل الشيعة وأصولها ٥٣ - ٥٤ مطبعة العرفان .

(١١٣)

وقد ذكر السيد شرف الدين من أسمائهم ما يربو على مائتين (١). ٤- قام الخطيب المصنف الدكتور الشيخ أحمد الوائلي «حفظه الله» بذكر أسماء رواد التشيع في عصر الرسول في كتابه المطبوع «هوية التشيع» فجاء باسم مائة وثلاثين من خلص أصحاب الإمام من الصحابة الكرام، يقول بعد ما يذكر تنويه النبي باستخلاف علي في غير واحد من المواقف: ولا يمكن أن تمر هذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها من دون أن تشد الناس لعلي، ودون أن تدفعهم للتعرف على هذا الإنسان الذي هو وصي النبي، ثم لا بدّ للمسلمين من اطاعة الأوامر التي وردت في النصوص، والالتفات حول من وردت فيه، ذلك معنى التشيع الذي نقول انّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الذي بذر بذرتة، وقد أينعت في حياته وعرف جماعة بالتشيع لعلي والالتفات حوله، وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيّل الأوّل من الصحابة الذين عرفوا بتشيعهم للإمام علي (٢). ٥- آخرهم وليس أخيرهم كاتب هذه السطور حيث قام مجيئاً دعوة السيد شرف الدين فألف كتاباً في ذلك المجال في عدّة أجزاء، نشر منه جزءان، وانتهينا في الجزء الثاني من ترجمة أبي ذر (جندب بن جنادة) ذلك الصحابي العظيم، والكتاب باللغة الفارسية ونقله إلى العربية الشيخ المحقق البارع جعفر الهادي وطبع ونشر . ومن أراد أن يقف على رواد التشيع في كتب الرجال لأهل السنة فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية:

١ . الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة ١٧٩ - ١٩٠ .

٢ . هوية التشيع ٣٤ . (١١٤)

١- الاستيعاب لأبي عمرو (ت ٤٥٦). ٢- أسد الغابة للجزري (٦٠٦). ٣- الاصابة لابن حجر (٨٥٢). إلى غير ذلك من أمّهات كتب الرجال . (١١٥)

الفصل السادس افتراضات وهمية حول تاريخ

الفصل السادس افتراضات وهمية حول تاريخ الشيعة (١١٦) (١١٧)

قد تعرّف على تاريخ التشيع، وأنّه ليس وليد الجدال الكلامي، ولا إنتاج السياسات الزمنية وأنما هو وجه آخر للإسلام وهما وجهان

لعمله واحدة؛ إلا- أن هناك جماعة من المؤرخين وكتّاب المقالات ظنوا أن التشيع أمر حادث وطارىء على المجتمع الاسلامى، فأخذوا يُفتشون عن مبدئه ومصدره، وأشد تلك الظنون عدوانية ما تلوكة أشداق بعض المتقدمين والمتأخرين، هو كونه وليد عبدالله بن سبأ ذلك الرجل اليهودى، الذى - بزعمهم - طاف الشرق والغرب، وأفسد الأمور على الخلفاء والمسلمين وألب الصحابة والتابعين على عثمان، فقتل فى عقر داره، ثم دعا إلى على بالإمامة والوصاية، وإلى النبى بالرجعة، وكوّن مذهباً باسم الشيعة، فهو صنيع ذلك الرجل اليهودى المتظاهر بالاسلام وبما أن للموضوع أهمية خاصة لا نكتفى ببيان توهم واحد بل نأتى على ذكر كل تلك الإدعاءات واحدة بعد الأخرى، مع رعاية التسلسل الزمنى . (١١٨) (١١٩) الافتراض الأول: الشيعة ويوم السقيفة

إنّ مأساة السقيفة جديرة بالقراءة والتحليل، وسوف نتطرّق إليها فى فصل خاص عند البحث عمّا تتعقد به الامامة لدى السنّة والشيعة، ولكن نذكر هنا موجز ما ذكره الطبرى وغيره الذى صار سنداً لمن تخيل أن الشيع تكوّن فى ذلك اليوم . قال الطبرى: اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبيعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبابكر فاتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبوبكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء - إلى أن قال - فبايعه عمر، وبايعه الناس، فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً. ثم قال: أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مسلطاً بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه، وقال أيضاً: وتخلّف على والزبير واخترط الزبير سيفه وقال: لا أعمده حتى يبايع على، فبلغ ذلك أبابكر وعمر فقالوا: خذوا سيف الزبير... (١) .

١ . تاريخ الطبرى ٢ / ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(١٢٠)

وقال يعقوبى: ومالوا مع على بن أبى طالب منهم، العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبى بن كعب... (١) . يلاحظ على تلك النظرية: أنّ هذه النصوص تدل على أنّ فكرة التشيع لعلّى كانت مختمرة فى أذهانهم منذ عهد الرسول إلى وفاته، فلمّا رأّت الجماعة أنّ الحق خرج عن محوره، عمدوا إلى التمسك بالحق بالاجتماع فى بيت على الذى أوصاهم النبى به طيلة حياته، إذ من البعيد جداً أن يجتمع رأيهم على على فى يوم واحد فى ذلك اليوم العصبى. فالمعارضة كانت استمراراً لما كانوا يلتزمون به فى حياة النبى، ولم تكن فكرة خلقتها الظروف والأحداث . كان أبوذر وقت أخذ البيعة غائباً ولمّا جاء قال: أصبتم قناعه، وتركتم قرابه، لو جعلتم الأمر فى أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم الاثنان (٢) وقال سلمان: أصبتم ذا السن، وأخطأتم المعدن، أما لو جعلتموه فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا . وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات: أنّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر . وروى الجوهرى فى كتاب السقيفة: أنّ سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً. وروى أيضاً: أنّه لمّا بويع أبوبكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار

١ . تاريخ يعقوبى ٢ / ١٠٣ طبع النجف .

٢ . ابن قتيبة: الامامة والسياسة ١٢ . (١٢١)

على بيعته ولا م بعضهم بعضاً، وهتفوا باسم الامام على ولكنّه لم يوافقهم (١). ومن المستحيل عادةً اختمار تلك الفكرة بين هؤلاء فى يوم واحد، بل يعرب ذلك عن وجود جذور لها، قبل رحلة النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ويؤكد ذلك نداءاته التى ذكرها فى حق على وعترته فى مواقف متعدّدة، فامتناع الصحابة عن بيعه الخليفة ومطالبتهم بتسليم الأمر إلى على أنّما هو لأجل مشايعتهم لعلّى زمن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وما هذا إلاّ اخلاص ووفاء منهم للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أو أين هو من تكوّن التشيع يوم السقيفة . ويؤيد ذلك ما رواه الصدوق: أنّه بعد ما استتبّ الأمر لأبى بكر اعترض عليه (لفيف) من الصحابة فى مسجد النبى وكلّ يذكر وصايا النبى فى حق على بالوصاية من بعده، وسيوافيك نصوصهم فى فصل مأساة السقيفة على وجه موجز .

١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦ / ٤٣ - ٤٤. (١٢٣) الافتراض الثاني: التشيع صنيع عبدالله بن سبأ «إنَّ يهودياً باسم عبدالله بن سبأ المكنى بابن الأمة السوداء في - صنعاء - أظهر الإسلام في عصر عثمان و اندس بين المسلمين، وأخذ ينتقل في حواضرهم وعواصم بلادهم: الشام، والكوفة، والبصرة، ومصر، مبشراً بأنَّ للنبي الأكرم رجعه كما أنَّ لعيسى بن مريم رجعه، وأنَّ عليّاً هو وصي محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - كما كان لكل نبي وصي، وأنَّ عليّاً خاتم الأوصياء كما كان محمّداً خاتم الأنبياء، وأنَّ عثمان غاصب حق هذا الوصي وظالمه، فيجب مناهضته لارجاع الحق إلى أهله». «إنَّ عبدالله بن سبأ بثَّ في البلاد الإسلامية دعائه، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والظعن في الأمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي الكبير والتابعي الصالح من أمثال أبي ذر، وعمار بن ياسر، و محمد بن حذيفة، و عبدالرحمان بن عديس، و محمّد بن أبي بكر، وصعصعة بن صوحان العبدى، ومالك الأشتر، إلى غيرهم من أبرار المسلمين وأخيارهم فكانت السبائية تثير الناس على ولايتهم، تنفيذاً لخطّة زعيمها، وتضع كتباً في عيوب الأمراء وترسل إلى غير مصرهم من الأمصار، فتنتج عن ذلك قيام جماعات (١٢٤)

من المسلمين بتحريض السبائين، وقدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان في داره، حتّى قتل فيها، كل ذلك كان بقيادة السبائين ومباشرتهم». إنَّ المسلمين بعدما بايعوا عليّاً، ونكث طلحة والزبير بيعة، وخرجوا إلى البصرة رأى السبائيون أن رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنّه إن تم ذلك سيؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً - وقروا أن يندسوا بين الجيشين ويشيروا الحرب بكره دون علم غيرهم، وأنهم استطاعوا أن ينفذوا هذا القرار الخطير في غلس الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السبائين في جيش على من كان بازائهم من جيش البصرة ففرع الجيشان وفتح رؤسائهما، وظنَّ كلَّ بخصمه شراً، ثمَّ إنَّ حرب البصرة وقعت بهذا الطريق، دون أن يكون لرؤساء الجيشين رأى أو علم. إلى هنا انتهت قصة السبائية، ولا يذكر منهم شيء بعد ذلك في التواريخ هذا هو المذموم يذكره الطبري في تاريخه، ويقول: فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمَّ تنقل في بلدان المسلمين يحاول اضلالهم فبدأ بالحجاز، ثمَّ البصرة، ثمَّ الكوفة، ثمَّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب فمن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأنَّ محمّداً يرجع، وقد قال الله عزّ وجلّ: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ) (١)، فمحمّد أحق بالرجوع من عيسى قال: فقبّل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمَّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبي ولكل نبي وصي،

١. القصص / ٨٥.

(١٢٥)

وكان على وصي محمّد. ثم قال: محمّد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يجر وصية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ووثب على وصي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتناول أمر الأمة ثمَّ قال لهم بعد ذلك: إنَّ عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا باللعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبثَّ دعائه وكتب من كان استفسد في الأمصار وكتبوه ودعوا في السرِّ إلى ما عليه رأيهم، واطهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولايتهم، ويكتبهم اخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم، وهؤلاء في أمصارهم، حتّى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون... إلى آخر ما يذكره الطبري في المقام، وفي أحداث السنوات التالية إلى سنة ٣٦ التي وقعت فيها حرب الجمل. ولا يأتي بعد

بشيء عن السبائية (١). ثم إنك قد تعرفت على كبار السبائية وأنهم كانوا من أكابر الصحابة والتابعين، كأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي حذيفة، الذين عرفهم المسلمون بالزهد والتقوى والصدق والصفاء، وأما عبدالرحمان بن عديس البلوي فهو ممن بايع النبي تحت الشجرة وشهد فتح مصر، وكان رئيساً على من سار إلى عثمان من مصر (٢). _____

١. الطبري ٣ / ٣٧٨.

٢. أسد الغابة ٣ / ٣٠٩ قال: وشهد بيعه الرضوان وبايع فيها وكان أمير الجيش القادمين من مصر لحصر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لما قتلوه روى عنه جماعة من التابعين بمصر... (١٢٦)

وأما محمد بن أبي بكر، فأمه أسماء بنت عميس الخثعمية تزوجها أبو بكر بعد استشهاد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمداً في حجة الوداع بطريق مكة، ثم نشأ في حجر علي بعد أبيه، وشهد معه حرب الجمل، كما شهد صفين، ثم ولي مصر عن علي، إلى أن قتل فيها بهجوم عمرو بن العاص عليها (١). وأما صعصعة بن صوحان العبدي، أسلم على عهد رسول الله، كان خطيباً فصيحاً شهد صفين مع علي. ولما استشهاد علي، واستولى معاوية على العراق، نفاه إلى البحرين ومات فيها (٢). وأما الأشتر، فهو مالك بن الحرث النخعي، وهو من ثقات التابعين، شهد وقعة اليرموك، سحب علياً في الجمل و صفين، ولآه على مصر سنة (٣٨) ثم وصل إلى القلزم، دس إليه معاوية عميلاً له، فتوفى بالسم (٣). هذا هو الذي يذكره الطبري وقد أخذه من جاء بعده من المؤرخين وكتاب المقالات حقيقة راهنه، وبنوا عليه ما بنوا من الأفكار والآراء فصارت الشيعة وليدة السبائية في زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال، وإليك من ذكرها مغمض العينين: _____

١. كان أحد من توثب على عثمان حتى قتل ثم انضم إلى علي: أسد الغابة ٤ / ٣٢٤، والاستيعاب ٣ / ٣٢٨، والجرح والتعديل ٧ / ٣٠١.

٢. أسد الغابة ٣ / ٣٢٠ قال: تقدم نسبه في أخيه زيد وكان صعصعة مسلماً على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يره وصغر عن ذلك وكان سيّداً من سادات قومه عبد القيس وكان فصيحاً بليغاً لسنناً ديناً فاضلاً يعد في أصحاب علي - رضي الله عنه - وشهد معه حروبه.

٣. ملك العرب، أحد الأشراف والأبطال: الطبقات الكبرى ٦ / ٢١٣، الاصابة ٣ / ٤٥٩، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤. (١٢٧)

١- ابن الأثير (ت ٦٣٠)، فقد أورد القصة منبئة بين حوادث (٣٠ - ٣٦) وهو وإن لم يذكر المصدر في المقام، لكنّه يصدر عن تاريخ الطبري في حوادث القرون الثلاثة الأولى (١). ٢- ابن كثير الشامي (ت ٧٧٤) فقد ذكر القصة في تاريخه «البدایة والنهاية» وأسندها عند ما انتهى من سرد واقعة الجمل، إلى تاريخ الطبري، وقال: هذا ملخص ما ذكر أبو جعفر بن جرير (٢). ٣- ابن خلدون (ت ٨٠٨)، في تاريخه «المبتدأ والخبر» أورد القصة في حادثه الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري (٣). وأما المتأخرون، وأخص الكتاب الجدد فإنهم يذكرون القصة، فنذكر منهم ما يلي: ٤- محمد رشيد رضا، منشئ مجلة المنار (ت ١٣٥٤)، ذكره في كتابه _____

١. لاحظ مقدمة تاريخ الكامل يقول فيه: فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الامام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه فأخذت ما فيه جميع تراجمه، لم أخل بترجمة واحدة منها لاحظ ١ / ٣ طبع دار صادر.

٢. البدایة والنهاية ٧ / ٢٤٦ طبع دار الفكر بيروت.

٣. تاريخ ابن خلدون يقول: «وبعث (عثمان) إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر: محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامه بن زيد إلى البصرة، وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه، فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم إلاّ عماراً فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه، منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يهودياً وهاجر أريام عثمان فلم يحسن اسلامه وأخرج من البصرة... تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر ٢ / ١٣٩، وقال ١٦٦: هذا أمر الجمل

ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدها للوثوق به ولسلامته من الأهواء . (١٢٨)

«السنة والشيعة» وقال: وكان مبتدع أصوله (التشيع) يهودى اسمه عبدالله بن سبأ، أظهر الإسلام خداعا، ودعا إلى الغلو في على كرم الله وجهه، لأجل تفريق هذه الأمة، وافساد دينها ودنياها عليها، ثم سرد القصة وقال: ومن راجع أخبار واقعة الجمل في تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبائين دون ما كاد يقع من الصلح(١). ٥- أحمد أمين (ت ١٣٧٢)، وهو الذى استبطل عبدالله بن سبأ فى كتابه «فجر الإسلام» وقال: إن ابن السوداء كان يهودياً من صنعاء أظهر الإسلام فى عهد عثمان، وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم وبث فى البلاد عقائد كثيرة ضارة، وقد طاف فى بلاد كثيرة، فى الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، ثم ذكر أن أبازر تلقى فكرة الاشتراكية من ذلك اليهودى، وهو تلقى هذه الفكرة من مزدكى العراق أو اليمن. وقد كان لكتاب «فجر الإسلام» عام انتشاره (١٩٥٢ م) دوى واسع النطاق فى الأوساط الإسلامية، فإنه أول من ألقى الحجر فى المياه الراكدة بشكل واسع، وقد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألف الشيخ المصلح كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأصولها» رداً عليه، كما ردّ عليه العلامة الشيخ عبدالله السببى بكتاب أسماه «تحت راية الحق». ٦- فريد وجدى مؤلف دائرة المعارف (ت ١٣٧٠) فقد أشار إلى ذلك فى كتابه عند ذكره لحرب الجمل ضمن ترجمة الإمام على بن ابى طالب(٢). ٧- حسن إبراهيم حسن، وذكره فى كتابه (تاريخ الإسلام السياسى) وقد ذكر فى آخريات خلافة عثمان قوله: «فكان هذا الجوّ ملائماً تمام الملائمة ومهيئاً لقبول دعوة (عبدالله بن سبأ) ومن لفّ لفه والتأثر بها إلى أبعد حد» وقد

أذكى نيران هذه

١. السنة والشيعة ٤ - ٦ - ٤٥ - ٤٩ - ١٠٣ .

٢. دائرة المعارف ٦ / ٦٣٧ . (١٢٩)

الثورة صحابى قديم اشتهر بالورع والتقوى - وكان من كبار أئمة الحديث - وهو أبوذر الغفارى الذى تحدى سياسة عثمان ومعاوية واليه على الشام بتحريض رجل من أهل صنعاء وهو عبدالله بن سبأ، وكان يهدياً فأسلم، ثم أخذ ينتقل فى البلاد الإسلامية، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة فالكوفة والشام ومصر... الخ(١). هذا حال من كتب عن الشيعة من المسلمين، وأما المستشرقون المتطفلون على موائد المسلمين فحدث عنهم ولا حرج، فقد اتبعوا تلك الفكرة الخاطئة فى كتبهم الاستشراقية التى تؤلف لغايات خاصة، فم أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى ما ألفه الباحث الكبير السيد مرتضى العسكرى فى ذلك المجال، فإنه - دام ظلّه - حقق المقال ولم يبق فى القوس منزعاً(٢). نظر المحقق فى الموضوع

١- إن ما جاء فى تاريخ الطبرى من القصة، على وجه لا يصحّ نسبته إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجن، إذ كيف يصحّ لإنسان أن يصدّق أن يهودياً جاء من صنعاء وأسلم فى عصر عثمان، واستطاع أن يُغرى كبار الصحابة والتابعين، ويخدعهم ويطوف بين البلاد واستطاع أن يكون خلايا ضد عثمان ويستقدمهم على المدينة ويؤلبهم على الخلافة الإسلامية، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم باحسان، هذا شىء لا يحتمله العقل وإن وطن على قبول العجائب والغرائب . إن هذه القصة تمس كرامة المسلمين والصحابة والتابعين، وتصورهم أمة

١. تاريخ الإسلام السياسى ٣٤٧ .

٢. عبدالله بن سبأ ١ / ٤٦ - ٥٠، وكتابه هذا من أنفس الكتب وحسنات الزمان . (١٣٠)

ساذجة يفترون بفكر يهودى وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكرون . ٢- إن القراءة الموضوعية للسيرة والتاريخ توفقنا على سيرة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان، فإنهما كانا يعاقبان المعارضين لهم، وينفون المخالفين ويضربونهم، فهذا أبوذر الغفارى نفاه عثمان من المدينة إلى الربذة لاعتراضه عليه فى تقسيم الفىء وبيت المال بين أبناء بيته، كما أن غلمانته ضربوا عمّار بن ياسر حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه(١). إلى غير ذلك من مواقفهم من مخالفيهم ومعارضيهم التى يقف عليها المتتبع، ومع ذلك نرى أن رجال الخلافة وعمّالها يغضون الطرف عمّن يؤلب الصحابة والتابعين على احماد حكمهم، وقتل خليفتهم فى عقر داره،

ويجر الولايات على كيانهم. وهذا شيء لا يقبله من له أدنى إمام بتاريخ الخلافة وسيرة معاوية . يقول العلامة الأميني: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاء الفتن، وشق عصا المسلمين وقد علم به وبعيته أمراء الأمة وساستها في البلاد، وانتهى أمره إلى خليفه الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنبايات الخطرة والتأديب بالضرب والاهانة، والزج إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى الاعدام المريح للأمة من شره وفساده كما وقع ذلك كله على الصلحاء الأبرار الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرنُّ في مسامع الملائد الديني: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢)

١. الاستيعاب ٢ / ٤٢٢ .

٢. المائة / ٣٣ . (١٣١)

فهل اجتاحت الخليفة جرثومة تلكم القلائق بقتله؟ وهل كان تجهمه وغلظته قصراً على الأبرار من أمه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ففعل بهم ما فعل (١). وهناك لفيق من الكتاب ممن حضر أو غبر، بدل أن يفتحوا عيونهم على الواقع المرير، ليقفوا على الأسباب المؤدية إلى قتل الخليفة حاولوا التخلص من أوزار الحقيقة، ففتحوا فروعاً وهمية سببت قتل الخليفة وأودت به . وفي حق هؤلاء يقول الكاتب المعاصر: «وفي الشرق كتاب لا يعينهم من التاريخ واقع ولا من الحياة حال أو ظرف، فإذا بهم يعللون ثورة المظلومين على أيام عثمان، ويحصرن أحداث عصر بل عصور، بإرادة فرد يطوف في الأمصار والأقطار ويؤلب الناس على خليفه ودوله! إن النتيجة العملية لمثل هذا الزعم وهذا الافتراء هي أن الدولة في عهد عثمان ووزيره مروان إنما كانت دولةً مثاليّة، وأن الأمويين والولاء والأرستقراطيين إنما كانوا رُسلَ العدالة الاجتماعية والإخاء البشرية في أرض العرب. غير أن رجلاً فرداً هو عبدالله بن سبأ أفسد على الأمويين والولاء والأرستقراطيين صلاحهم وبرهم إذ جعل يطوف الأمصار والأقطار مؤلباً على عثمان وأمرائه وولاته الصالحين المصلحين. ولولا هذا الرجل الفرد وطوافه في الأمصار والأقطار لعاش الناس في نعيم مروان وعدل الوليد وحلم معاوية عيشاً هو الرغادة وهو الرخاء . وفي مثل هذا الزعم افتراء على الواقع واعتداء على الخلق ومسايرة ضئيلة الشأن لبعض الآراء، يلف ذلك جميعاً منطقاً ساذجاً وحجّة مصطنعة واهية. وفيه ما هو أخطر من ذلك: فيه تضليل عن حقائق أساسية في بناء التاريخ، إذ يحاول صاحب هذا المسعى الفاشل أن يحصر أحداث عصر بكامله، بل عصور كثيرة، بإرادة فرد يطوف

١. الغدير ٩ / ٢١٩ - ٢٢٠ .

(١٣٢)

في الأمصار ويؤلب الناس على دولة فيثور هؤلاء الناس على هذه الدولة لا لشيء إلا لأن هذا الفرد طاف بهم وأثارهم! أما طبيعة الحكم وسياسة الحاكم وفساد النظام الاقتصادي والمالي والعمراني، وطغيان الأثرة على ذوى السلطان، واستبداد الولاة بالأرزاق، وحمل بنى أمية على الأعناق، والميل عن السياسة الشعبية الديمقراطية إلى سياسة عائلية أرستقراطية رأسمالية، وإذلال من يضمهم لهم الشعب التقدير والاحترام الكثيرين أمثال أبي ذرّ وعمار بن ياسر وغيرهما، أما هذه الأمور وما إليها جميعاً من ظروف الحياة الاجتماعية، فليست بذات شأن في تحريك الأمصار وإثارها على الأسرة الأموية الحاكمة ومن هم في ركابها، في نظر هؤلاء! بل الشأن كلّ الشأن في الثورة على عثمان لعبدالله بن سبأ الذي يلفت الناس عن طاعة الأمة ويلقى بينهم الشر. أليس من الخطر على التفكير أن ينشأ في الشرق، من يعللون الحوادث العامة الكبرى، المتصلة اتصالاً وثيقاً بطبيعة الجماعة وأسس الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية، بارادة فرد من عامة الناس يطوف في البلاد باذراً للضلالات والنساء في هذا المجتمع السليم . أليس من الخطر على التفكير أن نعلل الثورات الاصلاحية في التاريخ تعليلاً صيبانياً نستند فيه إلى رغبات أفراد في التاريخ شاءوا أن يحدثوا شغباً فطافوا الأمصار وأحدثوه (١) . ٣- إن رواية الطبري نقلت عن أشخاص لا يصح الاحتجاج بهم: أ: السري: إن السري المذى يروى عنه الطبري، إنما هو أحد رجلين:

١. الإمام على صوت العدالة الإنسانية ٤ / ٨٩٤ - ٨٩٦ وللکلام صلة من أراد فليرجع إليه .

(١٣٣)

١- السري بن إسماعيل الهمداني الذي كذبه يحيى بن سعيد، وضعفه غير واحد من الحفاظ (١) . ٢- السري بن عاصم بن سهل الهمداني نزيل بغداد المتوفى عام (٢٥٨) وقد أدرك ابن جرير الطبري شطراً من حياته يربو على ثلاثين سنة، كذبه ابن خراش، ووهاه ابن عدى، وقال: يسرق الحديث، وزاد ابن حبان: ويرفع الموقوفات، لا يحل الاحتجاج به، وقال النقاش في حديث وضعه السري (٢) فالاسم مشترك بين كذايين لا يهمننا تعيين أحدهما. واحتمال كونه السري بن يحيى الثقة غير صحيح، لأنه توفي عام (١٦٧) مع أن الطبري من مواليد عام (٢٣٤) فالفرق بينهما (٥٧) عاماً، فلا مناص أن يكون السري، أحد الرجلين الكذابين . ب - شعيب، والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفي المجهول، قال ابن عدى: ليس بالمعروف، وقال الذهبي: راوية، كتب سيف عنه: فيه جهالة (٣) . ت - سيف بن عمر، قال ابن حبان: كان سيف بن عمر يروى الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا: إنه كان يضع الحديث وأتهم بالزندقة. وقال الحاكم: أنهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط، وقال ابن عدى: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدى: عامية حديثه منكر. وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي: ضعيف، وقال السيوطي: وضاع، وذكر حديثاً من طريق السري بن

١. قال يحيى القطان: استبان لي كذبه في مجلس واحد، وقال النسائي: متروك، وقال غيره: ليس بشيء، وقال أحمد: ترك الناس حديثه لاحظ ميزان الاعتدال ٢ / ١١٧ .

٢. تاريخ الخطيب ٩٩٣، ميزان الاعتدال ٢ / ١١٧، لسان الميزان ٣ / ١٢ .

٣. ميزان الاعتدال ٢ / ٢٧٥، لسان الميزان ٣ / ١٤٥ . (١٣٤)

يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدهم سيف (١) . ج - فإذا كان هذا حال السند، فكيف نعتمد في تحليل تكوّن طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تشكّل خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية مع أن هذا هو حال سندها ومنتها، فالاعتماد عليها خداع وضلال . ٤- عبدالله بن سبأ، أسطورة تاريخية:

إنّ القرائن والشواهد والاختلاف الموجود في حق الرجل ومولده، وزمن إسلامه ومحتوى دعوته يشرف المحقق على القول، بأنّ مثل عبدالله بن سبأ مثل مجنون بنى عامر وبنى هلال وأمثال هؤلاء الرجال والأبطال كلّها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون، فإنّ الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط الدولتين: الأموية والعباسية، وكلّما اتسع العيش وتوفرت دواعي اللهو، اتسع المجال للوضع وراج سوق الخيال وجعلت القصص والأمثال كي تأنس بها ربات الحجال، وأبناء الترف والنعمة (٢) . هذا هو الذي ذكره المصلح الكبير كاشف الغطاء، ولعلّ ذلك أورث فكرة التحقيق بين أعلام العصر، فذهبوا إلى أنّ عبدالله بن سبأ أقرب ما يكون إلى الأسطورة منه إلى الواقع. وفي المقام كلام للكاتب المصري الدكتور طه حسين، يدعم كون الرجل أسطورة تاريخية استبطلها أعداء الشيعة نكايه بالشيعة، ولا بأس في الوقوف على كلامه حيث قال:

١. ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٨، تهذيب التهذيب ٤ / ٢٩٥، اللثالي المصنوعة ١ / ١٥٧ - ١٩٩ - ٤٢٩ .

٢. أصل الشيعة وأصولها ٧٣ . (١٣٥)

وأكبر الظن أنّ عبدالله بن سبأ هذا - إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً - إنّما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة، وعظم الخلاف، فهو قد استغلّ الفتنة ولم يثرها. إنّ خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا، ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان، وولاته من ناحية، وليشنّعوا على علي وشيعته من ناحية أخرى، فيردّوا بعض أمور الشيعة إلى

يهودى اسلم كيداً للمسلمين، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة؟ وما أكثر ما شنع الشيعة على خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان؟ فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرّج والاحتياط، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً وكانت أمه سوداء، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكرراً وكيداً وخداعاً، ثم أتيج له من النجاح ما كان يتبغى، فحرّض المسلمين على خليفتهم حيث قتلوه، وفزّقه بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً. هذه كلّها أمور لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغى أن تقام عليها أمور التاريخ، وإنما الشىء الواضح الذى ليس فيه شك هو أن ظروف الحياة الإسلامية في ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الراى، وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسية المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنة النبي وسيرة صاحبيه كانوا يروون أموراً تطراً، ينكرونها ولا يعرفونها، ويريدون أن تواجه كما كان عمر يواجهها في حزم وشدة وضبط للنفس وضبط للرعية، والشباب الناشئون في قريش وغير قريش من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأمور الجديدة بنفوس جديدة، فيها الطمع، وفيها الطموح، وفيها الاثرة، وفيها الأمل البعيد، وفيها الهمة الذى لا يعرب حدّاً يقف عنده، وفيها من أجل هذا كله التنافس والتراحم لا على (١٣٦)

المناصب وحدها بل عليها وعلى كل شىء من حولها. وهذا الأمور الجديدة كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح عليهم، وهذه أموال لا تحصى تجبى لهم من هذه الأقطار فأى غرابه فى أن يتنافسوا فى إدارة هذه الأقطار المفتوحة، والانتفاع بهذه الأموال المجموعة؟ وهذه بلاد أخرى لم تفتح، وكل شىء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها، فمالهم لا يستبقون إلى الفتح؟ ومالهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد والغنيمه إن كانوا من طلاب الدنيا، ومن الأجر والثوبة إن كانوا من طلاب الآخرة. ثم ما لهم جميعاً لا يختلفون فى سياسة هذا الملك الضخم وهذا الثراء العريض؟ وإى غرابه فى أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش هذه الأبواب التى فتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء؟ وإى غرابه فى أن يهيم بمنافستهم فى ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الأخرى من العرب؟ وفى أن تمتلىء قلوبهم موجدة وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة، ويؤثر قريشاً بعظائم الأمور، ويؤثر بنى أمية بأعظم هذه العظائم من الأمور خطراً وأجلها شأناً. والشىء الذى ليس فيه شك هو أن عثمان قد ولّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً، وولّى عبدالله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى. وجمع الشام كلها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك فى ادارتها قريش وغيرها من أحياء العرب، وولّى عبدالله بن أبى سرح مصر، بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، وكل هؤلاء الولاة من ذوى قرابة عثمان، منهم أخوه لأمه، ومنهم أخوه فى الرضاعة، ومنهم خاله، ومنهم من يجتمع معه فى نسبه الأدنى إلى أمية بن عبد شمس. كل هذه حقائق لا سبيل إلى انكارها، وما نعلم أن ابن سبأ قد أغرى عثمان (١٣٧)

بتوليته من ولّى وعزل من عزل، وقد أنكر الناس فى جميع العصور على الملوك والقيصرة والولاة والأمراء إثارة ذوى قرابتهم بشؤون الحكم وليس المسلمون الذين كانوا رعية لعثمان بدعاً من الناس، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر الناس ويعرفون فى جميع العصور (١). إن الجهات التى استنتج منها كون ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة ترجع إلى الأمور التالية: ١- إن كل المؤرخين الثقات لم يشيروا إلى قصة عبدالله بن سبأ، كابن سعد فى طبقاته، والبلاذرى فى فتوحاته. ٢- إن المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر، وهو رجل معلوم الكذب، ومقطوع بآئه وضاع. ٣- إن الأمور التى أسندت إلى عبدالله بن سبأ، تسلّتم معجزات خارقة لفرد عادى كما تسلّتم أن يكون المسلمون الذين خدعهم عبدالله بن سبأ، وسخرهم لمآربه، وهم ينفذون أهدافه بدون اعتراض، فى منتهى البلاهة والسخف. ٤- عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعماله عنه، مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبى حذيفة، ومحمد بن أبى بكر، وغيرهم. ٥- قصة الاحراق، إحراق على إياه وتعيين السنة التى عرض فيها ابن سبأ للاحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيحة، ولا يوجد لها فى هذه الكتب أثر. ٦- عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته فى واقعة صفين وفى حرب النهروان.

١ . الفتنة الكبرى ١٣٤ لاحظ الغدير أيضاً ٩ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١٣٨)

وقد انتهى الدكتور بهذه الأمور إلى القول: بأنه شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة ولا وجود له في الخارج (١) . وقد تبعه غير واحد من المستشرقين، وقد نقل آراءهم الدكتور أحمد محمود صبحي في نظرية الإمامة (٢) . إلى أن وصل الدور إلى المحقق البارع السيد مرتضى العسكري - دام ظلّه - فألف كتابه «عبدالله بن سبأ» ودرس الموضوع دراسة عميقة، وهو الكتاب الذي يحلّل التاريخ على أساس العلم، وقد أدى المؤلف كما ذكر الشيخ محمّد جواد مغنیه: «إلى الدين والعلم وبخاصة إلى مبدأ التشيع خدمة لا يعادلها أي عمل في هذا العصر، الذي كثرت فيه التهجمات والافتراءات على الشيعة والتشيع، وأقلّ الباب في وجوه السماسرة والدسائس الذين يتشبّهون بالطحلب لتمزيق وحدة المسلمين واضعاف قوتهم» (٣) . ولنفتراض أن للرجل حقيقة وليس أسطورة تاريخية لكن لا شك أن ما نقل عنه في ذلك المجال سراب وخداع، يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: وليس ما يمنع أن يستغل يهودى الأحداث التي جرت في عهد عثمان، ليحدث فتنة وليزيدها اشتعالاً، وليؤلب الناس على عثمان، بل أن ينادى بأفكار غريبه، ولكن السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكري العميق، فيحدث هذا الانشقاق العقائدي بين

١ . طه حسين: الفتنة الكبرى: فصل ابن سبأ، وقد لخص ما ذكرنا من الأمور من ذلك الفصل الدكتور الشيخ أحمد الوائلي في كتابه «هوية التشيع» ١٤٦ .

٢ . نظرية الإمامة لأحمد محمود صبحي ٣٧ .

٣ . عبدالله بن سبأ ١ / ١١، والكتاب يقع في جزأين وصل فيهما إلى النتيجة التي تقدّمت، وقد استفدنا من هذا الكتاب في هذا الفصل (١٣٩) .

طائفة كبيرة من المسلمين (١) . إلى هنا تبين أن تحليل تكوّن الشيعة عن هذا الطريق تحليل خيالي خادع، وسراب لا ماء ويتّضح الحق إننا إذا راجعنا كتب الشيعة نرى أن أئمتهم وعلمائهم يتبرّأون منه أشدّ التبرؤ . ١- قال الكشي، وهو من علماء القرن الرابع: عبدالله بن سبأ كان يدعى النبوة وإنّ علياً هو الله فاستتابه ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه بالنار في جملة سبعين رجلاً (٢) . ٢- قال الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) في رجاله في باب أصحاب أمير المؤمنين: عبدالله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو (٣) . ٣- وقال العلامة الحلي (٦٤٨ - ٧٢٦): غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين بالنار، كان يزعم أن علياً إله وأنه نبي، لعنه الله (٤) . ٤- وقال ابن داود (٦٤٧ - ٧٠٧): عبدالله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو (٥) . ٥- وذكر الشيخ حسن (ت ١٠١١) في التحرير الطاووسي: غال ملعون حرقه أمير المؤمنين - عليه السلام - بالنار (٦) . ومن أراد أن يقف على كلمات أئمة الشيعة في حق الرجل، فعليه أن يرجع

١ . نظرية الامامة ٣٧ .

٢ . رجال الكشي ٩٨ برقم ٤٨ .

٣ . رجال الطوسي: باب أصحاب علي برقم ٧٦ / ٥١ .

٤ . الخلاصة للعلامة: القسم الثاني الباب الثاني: عبدالله ٢٣٦ .

٥ . رجال ابن داود: القسم الثاني ٢٥٤ برقم ٢٧٨ .

٦ . التحرير الطاووسي ١٧٣ برقم ٢٣٤ . (١٤٠)

إلى رجال الكشي فقد روى في حقّه روايات كلّها ترجع إلى غلوّه في حق علي، وأما ما نقله عنه سيف بن عمر فليس منه أثر في تلك الروايات، فأقصى ما يمكن التصديق به أن الرجل ظهر غالباً فقتل أو أحرق، والقول بذلك لا يضر بشي، وأما ما يذكره الطبري عن الطريق المتقدم فلا يليق أن يؤمن ويعتقد به من يملك أدنى إلمام بالتاريخ والسير . وأخيراً فلنفتراض أن كل ما ساقوه في القصة صحيح ولكن السؤال الذي نطرحه هو أنه لا ملازمة بين التصديق بها وبين أن ذلك الحدث هو منشأ مذهب الشيعة فإنّ التشيع حدث

في عصر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - واعتنقته أمة مسلمة ورعة من الصحابة والتابعين، وأما ما قام به ابن سبأ على فرض صحة وقوعه فإنه يعبر عن موقف فردي وتصرف شخصي خارج عن إطار المذهب ومن تبعه، فقد أدخل نفسه دار البوار، وأين هؤلاء من الذين لا يخالفون الله ورسوله وأولى الأمر ولا يتخلّفون عن أوامره قيد أنملة كالمقداد وسلمان وحجر بن عدى ورشيد الهجري ومالك الأشتر وصعصعة وأخيه وعمر بن الحمق ممن يستند بهم الغمام و تنزل بهم البركات . إلى هنا تمّ تحليل النظرية الثانية في تكوّن الشيعة فلنرجع إلى تحليل النظرية الثالثة . (١٤١) الافتراض الثالث: التشيع فارسي المبدأ أو الصبغة وهناك فرضية ثالثة اخترعها المستشرقون لتكوّن مذهب الشيعة في المجتمع الاسلامي، وهؤلاء كالباحثين السابقين اعتقدوا أنّ التشيع ظاهرة حدثت بعد النبي الأكرم، فأخذوا يفتشون عن علّتها وسبب حدوثها حتّى انتهوا إلى أنّ التشيع فارسي المبدأ أو الصبغة، والترديد بين الأمرين لأجل أنّ لهم في المقام رأيين . ١- أنّ التشيع من مخترعات الفرس، اخترعوه لأغراض سياسية ولم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، ولكنهم لما أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصة . ٢- أنّ التشيع عربي المبدأ، وإنّ لفيفاً من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس في الإسلام ولما أسلموا اعتنقوه وصبغوه صبغه فارسيه لم يكن له ذلك من قبل . وهذان الرأيان هما اللذان عبرنا عنهما في العنوان بما عرفت، وإليك التفصيل . أمّا الأولى: فقد اخترعها المستشرق دوزي وحاصله أنّ للمذهب الشيعي نزعة فارسيه لأنّ العرب كانت تدين بالحرية، والفرس تدين بالملك، والوراثه، (١٤٢)

ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولما انتقل النبي إلى دار البقاء ولم يترك ولداً، قالوا على أولى بالخلافه من بعده . وحاصله: انّ الإنسجام الفكري بين الفرس والشيعة أعنى كون الخلافه أمراً وراثياً، دليل على أنّ التشيع وليد الفرس . يلاحظ عليه: أولاً: أنّ التشيع حسب ما عرفت ظهر في عصر النبي الأكرم وهو الذي سمى أتباع على بالشيعة، وكانوا متواجدين في عصر النبي وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس سوى سلمان، في الإسلام .

إنّ رواد التشيع في عصر الرسول والوصي كانوا كلّهم عرباً ولم يكن بينهم أي فارسي سوى سلمان المحمدي، وكلّهم يتبنون فكرة التشيع . وكان لأبي الحسن أمير المؤمنين على بن أبي طالب - عليه السلام - أيام خلافته ثلاثه حروب، حرب الجمل، و صفين، والنهروان . وكان جيشه كلّه عرباً أقحاحاً بين عدنانية وقحطانية، فقد انضمّ إلى جيشه زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج، وهمدان، وطى، وكندة، وتميم، ومضر، وكان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمار بن ياسر، و هاشم المرقال، مالك الأشتر، صعصعة بن صوحان وأخوه زيد، قيس بن سعد بن عبادة، عبدالله بن عباس، محمّد بن أبي بكر، حجر بن عدى، عدى بن حاتم، وأضرابهم، وبهذا الجند وبأولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة وحارب القاسطين معاوية وجنوده يوم صفين، وبهم قضى على المارقين . فأين الفرس في ذلك الجيش وأولئك القواد كي نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيع . ثمّ لم يعتنق الفرس التشيع دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب . (١٤٣) شهادة المستشرقين على أنّ التشيع عربي المبدأ:

إنّ لفيفاً من المستشرقين وغيرهم صرّحوا بأنّ العرب اعتنقت التشيع قبل الفرس وإليك نصوصهم: ١- قال الدكتور أحمد أمين: إنّ الفكر الفارسي استولى على التشيع لقدمه على دخول الفرس في الإسلام وقال: والذي أرى كما يدلنا التاريخ أنّ التشيع لعلى بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام ولكن بمعنى ساذج، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام وحيث أنّ أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر في التشيع (١) وسيوافيك الكلام ما في ذيل كلامه من أنّ التشيع أخذ صبغة جديدة بعد فترة من حدوثه . ٢- قال المستشرق: «فلهوزن»: كان جميع سكان العراق في عهد معاوية خصوصاً أهل الكوفة شيعة ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤساء العرب (٢) . ٣- وقال المستشرق «جولد تسيهر»: «إنّ من الخطأ القول بأنّ التشيع في منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحثه (٣) . ٤- يقول المستشرق «آدم متر»: إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام فقد كانت جزيرة

العرب شيعة كلها

١. فجر الإسلام ١٧٦ .

٢. الخوارج والشيعة ١١٣ .

٣. العقيدة والشريعة ٢٠٤ . (١٤٤)

عدا المدن الكبرى، مثل مكة وتهامة وصنعاء وكان للشيعة غلبة في بعض المدن أيضاً مثل عمان، وهجر وصعدة، أما إيران فكانت كلها سنة، ما عدا قم وكان أهل اصفهان يغالون في معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنه نبي مرسل (١). هذه الكلمات من هؤلاء الذين يفقدون الاخلاص غالباً في قضائهم، أوضح شاهد على أنهم لم يجدوا لهذه النظرية أي مصدر صحيح . ٥- يقول الشيخ أبو زهرة: إنَّ الفرس تشييعوا على أيدي العرب وليس التشيع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأما فارس وخراسان وماوراءهما من بلدان الإسلام فقد هاجر إليها الكثير من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيعون فراراً بعقيدتهم من الأمويين أولاً، ثم العباسيين ثانياً وأنَّ التشيع كان منتشرًا في هذه البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولة الأموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها (٢). ٦- قال السيد الأمين: إنَّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة في أول الأمر إلا القليل وجلَّ علماء السنة وأجلاؤهم من الفرس، كالبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم النيسابوري والبيهقي وهكذا غيرهم ممن أتوا في الطبقة التالية (٣). وثانياً: إنَّ التاريخ يدلنا إلى أنَّ الفرس دخلوا في الإسلام يوم دخلوا، بالصيغة السنية، وهذا هو البلاذري يحدِّثنا في كتابه ويقول:

كان ابرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصته، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده، وشهدوا القادسية مع رستم، ولما قتل وانهمز

١. آدم متز: الحضارة الإسلامية ١٠٢ .

٢. الامام جعفر الصادق ٥٤٥ .

٣. أعيان الشيعة ١ / ٣٣ ط الخامسة . (١٤٥)

المجوس اعترلوا، وقالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم، فاعترلوا فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغيرة ابن شعبة فسألهم عن أمرهم، فأخبروه بخبرهم، وقالوا: ندخل في دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فأمهم، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا، فنزلوا الكوفة مع المسلمين (١). لم يكن اسلامهم يوم ذاك، إلا كاسلام سائر الشعوب، فهل يمكن أن يقال: إنَّ اسلامهم يوم ذاك كان اسلاماً شيعياً. وثالثاً: إنَّ الإسلام كان يمشى بين الفرس بالمعنى الذي كان يمشى في سائر الشعوب ولم يكن بلد من بلاد إيران معروفاً بالتشيع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا بذرة التشيع وكان ذلك في أواخر القرن الأول مع أنَّ الفرس دخلوا في الإسلام في عهد الخليفة الثاني أي من سنة ١٧ وهذا يعني أنه قد انقضى عشرات الأعوام ولم يكن عندهم أثر من التشيع. هذا هو ياقوت الحموي يحدِّثنا في معجم البلدان ويقول: «قم، مدينة تذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة اسلامية لا اثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحمس الأشعري، وكان بدو تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣، وذلك أنَّ عبدالرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجاج، ثم خرج عليه وكان في عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلما انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان في جملته إخوة يقال لهم عبدالله، والأحمس، وعبدالرحمان، وإسحاق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري، وقعوا إلى ناحية قم، وكان هناك سبع قرى

١. البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٩ .

(١٤٦)

اسم احدهما «كمندان» فنزل هؤلاء الاخوة على هذه القرى حتى افتتحوها واستولوا عليها، وانتقلوا إليها واستوطنوها، واجتمع عليهم

بنوعمهم وصارت السبع قرى، سبع محال بها، وسميت باسم احداها، «كمدان» فأسقطوا بعض حروفها، فسميت بتعريبهم قمًا وكان متقدم هؤلاء الاخوة عبد الله بن سعد، وكان له والد قد ربي بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان إمامياً فهو الذي نقل التشيع إلى أهلها، فلا يوجد بها سني قط» (١). هذا كله راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، وأما دليله فهو أو هن من بيت العنكبوت فإنّ الفرس وإن كانوا لا يعرفون معنى الإنتخاب والحرية، ولكن كانت العرب أيضاً مثلهم، فإنّ العربي الذي كان يعيش في البادية عيشةً فرديةً كان يحب الحرية ويمارسها، وأما العربي الذي يعيش عيشةً قبليةً، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام أمورهم وشؤونهم، فما معنى الحرية بعد هذا، وإذا مات شيخ القبيلة، يقوم أبناؤه وأولاده مكانه واحداً بعد الآخر. تحليل النظرية الثانية:

إنّ هذه النظرية وإن كانت تتعرف بأنّ التشيع عربي المولد والمنشأ، ولكنّها تدعى أنّه اصطنع بصبغة فارسية بعد دخول الفرس في الإسلام وهذا هو الذي اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولقيت من المستشرقين كـ «فلهاوزن»، يقول الثاني إنّ آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين، أمّا كون هذه الآراء قد انبثقت من الإيرانيين فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه، بل الروايات التاريخية تقول

١ . معجم البلدان ٤ / ٣٩٦، مادة قم، ويقول في مراد الاطلاع بأنّ أهل قم وكاشان كلهم شيعة إمامية ولاحظ رجال النجاشي ترجمته الرواة الأشعريين فيه .

(١٤٧)

بعكس ذلك، إذ تقول انّ التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الأوساط العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها إلى الموالي، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الأوساط. ولكن لمّا ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلّت عن تربية القومية العربية، وكانت حلقة الإرتباط هي الإسلام ولكنه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين (١). أقول: إنّ مراده أنّ التشيع كان في عصر الرسول وبعده بمعنى الحب والولاء لعلّي لكنّه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر وهو كون الخلافة أمراً وراثياً في بيت علي - عليه السلام - هذا هو الذي يصرح به الدكتور أحمد أمين ويقول: إنّ الفكر الفارسي استولى على التشيع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس في عهد ملوك بني ساسان وغيرهم. يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل وراثية الحكم كان سائداً في جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة وغانان وحمير في العراق والشام واليمن كان هو الوراثة، والحكم في الحياة القبلية في الجزيرة العربية كان وراثياً، والمناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أموراً وراثية حتى أنّ النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يغيّر بل أنّه أمضاها ومن هنا نرى أنّه قد دفع مفاتيح البيت لبنى شيبه لما كانت السدانة منصباً لهم أيام الجاهلية، فتخصيص الفرس بالوراثة وغمض العين عن غيرهم أمر عجيب، فعلى ذلك يجب أن نقول، انّ التشيع اصطنع بصبغة فارسية وغانانية وحميرية وأخيراً عربية، فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟! —————

١ . الخوارج والشيعة ١٦٩ .

(١٤٨)

إنّ النبوة والوصاية من الأمور الوراثة في الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هي الملاك المعين بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوة والامامة في بيوتات خاصة، فكان يتوارث نبي نبياً، ووصى وصياً، يقول سبحانه: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) (١). (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا - ينال عهدي الظالمين) (٢). (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) (٣) .

فلماذا لا يكون سبب تشيع الفرس مفاد هذه الآيات والروايات التي تصرّح بأنّ الوصاية بين الأنبياء كانت أمراً وراثياً؟ وإنّ هذه سنّة الله في الأمم كما هو ظاهر قوله سبحانه (لا ينال عهدي الظالمين) فسمّى الامامة عهد الله لا عهد الناس . ثم إنّ من زعم أنّ التشيع من صنع

الفرس مبدأً وصبغته فهو جاهل بتاريخ الفرس وذلك لأنّ التسنن كان هو السائد عليهم إلى أوائل القرن العاشر حتى غلب عليهم التشيع في عصر الصفويين، نعم كانت الري وقم وكاشان معقل التشيع ومع ذلك يقول أبو زهرة: إنّ أكثر أهل الفارس إلى الآن من الشيعة وأنّ الشيعة، الأولين كانوا من أهل فارس (٤). أمّا غلبة التشيع عليهم في الآونة الأخيرة فلا ينكره أحد، إنّما الكلام كونهم

١. الحديد / ٢٦ .

٢. البقرة / ١٢٤ .

٣. النساء / ٥٤ .

٤. تاريخ المذاهب الإسلامية ١ / ٤١ ط دار الفكر العربي . (١٤٩)

كذلك في بداية دخولهم إلى الإسلام، وكأنّ الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران، وها نحن ننقل كلام «أحسن التقاسيم» لتقف على أنّ المذهب السائد في ذلك القرن، هل كان هو التشيع أم التسنن يقول: «اقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش فإنّهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبدالله السرخسي، واقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلا أنّ أهل الحديث حنابلة والغالب بدييل - لعلّه يريد أردبيل - مذهب أبي حنيفة وبالجبالي، أمّا بالري فمذاهبهم مختلفة، والغلبة فيهم للحنفية، وبالري حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة والدينور غلبه مذهب سفيان الثوري، واقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف أهل الأهواز شيعة، وفيه من أصحاب أبي حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيون، اقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبي حنيفة، اقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعي، اقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث، وأهل الملتان شيعة يهيجون في الأذان - أي يقولون: حي على خير العمل - ويثنون في الإقامة - أي يقولون: الله أكبر مرتين، وأشهد أن لا إله إلا الله مرتين أيضاً وهكذا - ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة (١). ذكر ابن بطوطة «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمّى جمال الدين بن مطهر - يعنى العلامة الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦) - فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزّين له مذاهب الروافض وفضله على غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس وآذربايجان واصفهان وكرمان

١. أحسن التقاسيم لشمس الدين محمد بن أحمد المقدسي / ١١٩ (ألفه عام ٣٧٥).

(١٥٠)

وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أول بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز واصفهان، فأما أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الازج يقولون لاسمعاً ولا طاعة، وجاءوا للجامع وهدّوا الخطيب بالقتل إن غير الخطبة وهكذا فعل أهل شيراز وأهل اصفهان (١). وقال القاضي عياض في مقدمة - ترتيب المدارك - وهو يحكى انتشار مذهب مالك: وأمّا خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولاً - بيحيى بن يحيى التميمي، وعبدالله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمة على مر الأزمان، وتفشّى بقروين وماولاها من بلاد الجبل. وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحاق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهباً أبي حنيفة والشافعي (٢). قال «بروكلمان»: إنّ شاه إسماعيل الصفوي بعد انتصاره على «الوند» توجه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أنّ ثلثي سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف، من السنّة (٣). هذه النصوص تعطينا أنّ السنّة كانت هي المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إنّ بلاد فارس كانت هي الموطن الأصلي للتشيع. هذا هو ابن الأثير يؤكّد على أنّ أهل طوس كانوا سنّة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إنّ محمود بن سبكتكين جدّد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر

١. رحلة ابن بطوطة ٢١٩ - ٢٢٠ .

٢. ترتيب المدارك ١ / ٥٣ .

٣. تاريخ المذاهب الإسلامية ١ / ١٤٠ . (١٥١)

على بن موسى الرضا وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فممنعهم ابنه عن ذلك، وكان سبب فعله ذلك أنه رأى في المنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يقول: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد يأمر بعمارته (١) . ويؤيد ذلك ما رواه البيهقي: إن المأمون العباسي هم بأن يكتب كتاباً في الطعن على معاوية، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين! العامة لا تتحمل هذا ولا سيما أهل خراسان ولا تأمن أن يكون لهم نفرة (٢) . فقد بان مما ذكر أمران:

١- إن التشيع ليس فارسي المبدأ، وإنما هو حجازي المولد، والمنشأ اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرس - سوى سلمان المحمدي - وإن الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب وأنهم اعتنقوا الإسلام - لا التشيع - مثل اعتناق سائر الأمم وبقوا عليه قروناً وكان التشيع بينهم قليلاً - إلى أن ظهر بينهم، في عهد بعض ملوك المغول أو عهد الصفوية عام ٩٠٥ هـ - ٢- إن كون الامامة منحصرة في علي وأولاده، ليس صبغة عارضة على التشيع، بل هو جوهر التشيع وحقيقته ولولاه، فقد التشيع روحه وجوهره، فجعل الولاء لآل البيت أو تفضيل علي، على سائر الخلفاء أصله وجوهره، وجعل الامامة في علي ونسله أمراً عرضياً فخر خاطئ ليس له دليل . قال المفيد: الشيعة من دان بوجوب الامامة ووجودها في كل زمان وأوجب

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥ / ١٣٩ .

٢. البيهقي: المحاسن والمساوي ١ / ١٠٨ . (١٥٢)

النص الجلي والعصمة والكمال لكل امام ثم حصر الامامة في ولد الحسين بن علي - عليهما السلام - وساقها إلى الرضا علي بن موسى - عليهما السلام - . (١)

١. اوائل المقالات / ٧ . (١٥٣) الافتراض الرابع: الشيعة ويوم الجمل

إن الشيعة تكونت يوم الجمل لما ذكر ابن النديم: إن علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلها حتى يفينا إلى أمر الله جل اسمه وتسمى من اتبعه علي ذلك الشيعة. وكان يقول: شيعتي وسماهم - عليه السلام - الأصفياء، الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب (١) . وعلى ذلك جرى المستشرق «فلهوزن» حيث يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى فئتين: حزب علي، وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية اسم «الشيعة» فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية، لكن لما تولّى معاوية الملك في دولة الاسلام كلها... أصبح استعمال لفظ «شيعة» مقصوراً على أتباع علي (٢) . يلاحظ عليه: أن ما ذكره ابن النديم نفس ما ذكره البرقي قبله بقول (٣) في رجاله وإليك نصه .

١. ابن النديم: الفهرست ٢٦٣ طبع القاهرة .

٢. الخوارج والشيعة ١٤٦ (ترجمة عبدالرحمان بدوي، طبع القاهرة) .

٣. توفى البرقي عام (٢٧٤) أو (٢٨٠) وألف ابن النديم كتابه عام (٣٧٧) وتوفى عام (٣٧٨) . (١٥٤) أصحاب أمير المؤمنين:

من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الأصحاب، ثم الأصفياء، ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس: من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين - عليه السلام - : سلمان الفارسي، المقداد، أبوذر، عمار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، - أبو سعيد الخدري (عربي أنصاري) - أبو برزة، جابر بن عبد الله، البراء بن عازب (أنصاري)، عرفة الأزدي، وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - دعا له فقال: اللهم بارك (له) في صفقته . وأصحاب أمير المؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل، وقال علي بن الحكم (أصحاب) أمير المؤمنين الذين قال لهم: تشرطوا أنما أشرطكم على الجنة ولست أشرطكم على ذهب وفضة إن نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لأصحابه فيما مضى: تشرطوا فاني لست أشرطكم، إلا على الجنة (١) . ترى أنه عدّ من أصحاب الامام رجالات ماتوا، قبل أيام خلافته كسلمان، وأبوذر والمقداد، وكلهم كانوا شيعة الامام، فكيف يكون التشيع وليد يوم الجمل والظاهر وجود التحريف

في عبارة ابن النديم . وعلى كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص في وجود التشيع في عصر الرسول وبعده وقبل أن تشب نار الحرب في البصرة، دليل على وهن هذا الرأي - على تسليم دلالة كلام ابن النديم - بل كان ذلك اليوم يوم ظهور التشيع . فإنّ الامام وشيعته بعد خروج الحق عن محوره، واستتباب الأمر لأبي بكر، رأوا أنّ مصالح الإسلام والمسلمين تكمن في السكوت ومماشاة القوم، بينما كان نداء

١ . البرقي: الرجال ٣ .

(١٥٥)

التشيع يعلو بين آونة وأخرى من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبي ذر الغفاري وغيره، ولكن كانت القاعدة الغالبة هو إدلاء الأمر للمتقنين بالخلافة والاشتغال برفع مشاكلهم العلمية، ولكن عندما تم الأمر للامام علي، ورجع الحق إلى محلّه اهتزت الشيعة فرحاً، وارتفع كابوس الضغط عنهم، واستنشقوا نسيم الحرية - وإن كانت أياماً قصيرة - ففي تلك الأحيان ظهرت المعارضة بين المتشيعين وغيرهم . (١٥٦) (١٥٧) الافتراض الخامس: الشيعة ويوم صفيين

إنّ بعض المستشرقين (١) زعم أن الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش علي في مسألة التحكيم إلى فرقتين فلمّا دخل على الكوفة وفارقتة الحورية وثبت إليه الشيعة، فقالوا: في أعناقنا بيعه ثانية، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . إنّ رمى الشيعة بالتكّون يوم صفيين اعتماداً على هذه العبارة باطل وأما ذهب إليه ذلك المستشرق لأنه افترض لتكّون الشيعة، تاريخاً مفصلاً عن تاريخ الإسلام فأخذ يتميّك بهذه العبارة، مع أنّ تعبير الطبري، أعنى قوله: وثبت إليه الشيعة (٢) دليل على سبق وجودهم على ذلك . نعم كانت للشيعة بعد تولّى الإمام الخلافة الحرة حيث ارتفع الضغط فالتفّ حوله مواليه من الصحابة والتابعين، نعم لم يكن كل من في جيشه من الشيعة بالمعنى المصطلح، وإنّما كانوا يقتدون به لأجل مبايعته .

١ . تاريخ الامامية للدكتور عبدالله فياض ٣٧ .

٢ . تاريخ الطبري ٤ / ٤٦ طبع مصر . (١٥٨) (١٥٩) الافتراض السادس: الشيعة والبويهيون

تلقى آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام ٣٢٠ - ٤٤٧، فكانت لهم السلطة في العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وإصفهان والري، وقد أقصوا عن الحكم في الأخير بهجوم الغزاة عليه عام ٤٢٠ وقد ذكر المؤرّخون خصوصاً ابن الأثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم شيئاً كثيراً من أحوالهم، وخدماتهم، وافساحهم المجال للعلماء من غير فرق بين طائفة وأخرى. وقد أفرد المستشرق «استانلي لين بول» كتاباً في حياتهم ترجم باسم طبقات سلاطين الإسلام . يقول ابن الأثير وكان عضد الدولة عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء... إلى أن قال: وكان محباً للعلوم وأهلها، مقرباً للعلماء، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل. فقصدته العلماء من كل بلد وصنّفوا له الكتب ومنها الايضاح في النحو، والحجة في القراءات، والمكلى في (١٦٠)

الطب، والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك (١). وهذا يدل أنّهم كانوا محييين للعلم ومرّوجين له من غير فرق بين كون العالم من الشيعة أو السنّة. وكان في عصرهم يغلب التسنن على أكثر البلاد ومع ذلك لم يحاربوا التسنن خلافاً لمملوك السنّة، فكلّما كانت لهم السلطة والقوة استأثرت الشيعة، ولو وقعت في أيامهم حوادث بين الشيعة والسنّة في الطرق كان التحرش فيها من طرف السنّة، ومن الحوادث المؤلمة في نهاية حكمهم بعد دخول طغرل بك مدينة دار السلام (بغداد) عام ٤٤٧، إحراق مكتبة الشيخ الطوسي وكرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس (٢). نعم راج مذهب الشيعة في عصرهم واستنشقوا نسيم الحرية بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً في عهد المتوكّل ومن بعده. غير أنّ تكّون مذهب الشيعة في أيامهم شيئاً وكونهم مرّوجين ومعاضدين له شيء آخر، والمسكين لم يفرّق بينهما .

١ . الكامل في التاريخ ٩ / ١٩ - ٢١ طبع دار صادر .

٢ . لاحظ المنتظم: لابن الجوزي ١٦ / ١٠٨ الطبعة الحديثة بيروت . (١٦١) الافتراض السابع: الشيعة والمغول

لما أقصى آل بويه عن الحكم في العراق وإيران، لم تقم للشيعة دولة قوية ذات حول وطول بعدهم، وعاد الضغط على أتباع أهل البيت إلى أن استولى «هولاكو» على إيران وقضى على الخلافة العباسية عام (٦٦٥) فأعطى الحرية للمذاهب ومنها مذهب أهل البيت وعلى ذلك نهج أولاده، ثم أسلم من ملوك المغول أربعة ثالثهم محمد خدابنده، ورابعهم سعيد بن محمد خدابنده. فأما الأول منهما فقد كان حنفياً ولما وفد عليه نظام الدين عبدالملك الشافعي جعله قاضي القضاء في المملكة وكان يناظر الحنفية في محضر السلطان فيفحمهم، ولما ظهرت له الغلبة حسن للسلطان المذهب الشافعي فعدل إليه، ولما كثرت المناظرات بين نظام الدين وعلماء الحنفية، وكان ينسب كل منهم إلى مذهب الآخر ما لا تستحسنه العقول، ظهر عليه الملل والضجر، وقد ورد إليه في هذا الآونة السيد تاج الاوى مع جماعة من الشيعة وقعت بينه وبين نظام الدين محاضرات بمحضره، ثم بعد آونة حضر عنده العلامة الحلّي الحسن بن يوسف بمناسبة خاصية يذكرها التاريخ، فأمر قاضي القضاء بمناظرته، وأعدّ لهم مجلساً حافلاً للعلماء وأهل الفضل، ف وقعت المناظرة بينهم في المسائل العقائدية والفقهية، فظهرت غلبة العالم الشيعي، فأظهر السلطان (١٦٢)

التشيع من حينه، وصارت تلك المناظرة سبباً لانتشار التشيع (١) وقد استنشقت الشيعة في عصر المغوليين على وجه الاطلاق عطر الحرية ونسيمها، فازدحمت المراكز العلمية بعلمائهم ومفكرهم، كنصير الدين الطوسي والمحقق الحلّي. وازدهرت بيوتات الشيعة كبيت آل طاووس وآل سعيد وغيرهما. وقد كان للشيعة كيان ونشاط في عصرهم أعادوا مجدهم في عصر البويهيين .

١ . لاحظ منتخب التواريخ لمعين الدين النظري المؤلف عام ٨١٦-٨١٧ طبع عام ١٣٣٦ .

(١٦٣) الافتراض الثامن: الشيعة والصفوية

والكلام في هذه الأسرة هو الكلام في البويهيين والمغوليين . إن الصفويين أسرة الشيخ صفى الدين العارف المشهور في أردبيل المتوفى عام (٧٣٥) ولما انقرضت دولة المغول، انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة شيعية وغير شيعية إلى أن قام أحد أحفاد صفى الدين، الشاه إسماعيل عام (٩٠٥) واستلم مقاليد الحكم وسيطر على بلاد فارس والطرق، واستمر في الحكم إلى عام (٩٣٠)، ثم ورثه اولاده إلى أن أقصوا عن الحكم بسيطرة الأفغان على إيران عام (١١٣٥) فكان الصفويون خير الملوك لقلّة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن في إيران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيع لا تكوّنه . هذه هي الآراء الساقطة في تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكوّنها، وكلها كانت أموراً افتراضية بنوها على أساس خاطيء وهو أنّ الشيعة ظاهرة طارئه على المجتمع الاسلامي بعد عهد النبي، سامحهم الله وغفر الله لنا ولهم . (١٦٤) زلّة لا تستقال:

إنّ الدكتور عبدالله فياض زعم أنّ التشيع بمعنى مولاة على نضج في مراحل ثلاث: ١- التشيع الروحي، يقول: إنّ التشيع لعلّي بمعناه الروحي زرعت بذرته في عهد النبي وتمّت قبل توليه الخلافة، ثم ساق الأدلّة على ذلك وجاء بأحاديث يوم الدار أوبدء الدعوة وأحاديث الغدير وما قال النبي في حق على من التسليم على على بإمرة المؤمنين. ٢- التشيع السياسي، ويريد من التشيع السياسي، كون على أحق بالإمامة لا- لأجل النص بل لأجل مناقبه وفضائله، ويقول: إنّ التشيع السياسي ظهرت بوادره - دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية (يريد النص) - في سقيفه بنى ساعدة، حين أسند حقّ على بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير، والعباس، وغيرهما، وبلغ التشيع السياسي أقصى مداه حين بويع على بالخلافة بعد مقتل عثمان. ٣- ظهوره بصورة فرقة، فإنّما كان ذلك بعد فاجعه كربلاء سنة (٦١) ولم يظهر التشيع قبل ذلك بصورة فرقة دينية تعرف بالشيعة. ثم استشهد بكلام المقدسي حيث قال: إنّ أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة. وأصل افتراقهم قتل عثمان، ثم تشعبوا (١) وأريد نظريته بما ذكره المستشرق «فلهوزن» قال: تمكّن الشيعة أولاً في العراق ولم يكونوا في الأصل فرقة دينية، بل تعبيراً عن الرأى السياسي في هذا الاقليم كلّه، فكان جميع سكان العراق خصوصاً أهل الكوفة شيعة على على تفاوت بينهم (٢) .

١. أحسن التقاسيم ٣٨ طبع ليدن ١٩٠٦ .

٢. تاريخ الإمامية ٣٨ - ٤٧ . (١٦٥) يلاحظ عليه، أولاً: أنّ التفكيك بين المرحلتين الأوليتين وإنّ الأولى منهما كانت في عصر النبي وظهرت بوادر المرحلة الثانية بعد رحله النبي قد نقضه نفس الكاتب في كلامه حيث قال: كان رواد التشيع الروحي يلتزمون بآراء على الفقهية إلى جانب الالتزام باسناده سياسياً (١). وثانياً: إنّ ما ذكره من النصوص في مجال التشيع الروحي كما يدل على أنّ القائد الروحي، يدل بوضوح على أنّه القائد السياسي، وقد نقل الكاتب جل النصوص، فمعنى التفكيك بينهما هو أنّ الصحابة الواعين أخذوا ببعض مضامينها وتركوا بعضها، ولو صحّ اسناد ذلك إلى بعض الصحابة فلا يصحّ اسناده إلى سلمان، وأبي ذر، وعمّار، الذين لا يتركون الحق وإن بلغ الأمر ما بلغ .

وبما أنّ النبي كان هو القائد المحنك للمسلمين لم تك هناك حاجة لظهور التشيع السياسي في حياته، بل كان المجال واسعاً لظهور التشيع الروحي ورجوع الناس إلى على في القضايا والأحكام الفقهية، وهذا لا يعني عدم كونه قائداً سياسياً وإنّ وصايا النبي لم تكن هادفة إلى ذلك الجانب . وثالثاً: إنّ التشيع السياسي ظهر في أيام السقيفة في ظل الاعتراف بإمامته الروحية، فإنّ الطبري وغيره وإن لم يذكروا مصدر رجوع الزبير والعباس إلى على، ولكن هناك نصوص عن طرق الشيعة وردت في احتجاج جماعة من الصحابة على أبي بكر مستندين إلى النصوص الدينية.

روى الصدوق عن زيد بن وهب أنّه قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر في تقدّمه على على بن أبي طالب اثنا عشر رجلاً - من المهاجرين والأنصار، فمن المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، _____

١. تاريخ الإمامية ٤٥ .

(١٦٦)

وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، وبريدة الأسلمي، ومن الأنصار زيد بن ثابت، وذو الشهادتين، وابن حنيف وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان. وعندما صعد أبو بكر على المنبر قال خالد ابن سعيد: يا أبا بكر اتق الله... ثم استدلل على تقدم على بما ذكره النبي فقال: معاشر المهاجرين والأنصار، أوصيكم بوصية فاحفظوها، وإنّي مؤدّ إليكم أمراً فأقبلوه على أنّ علياً أميركم من بعدى وخليفتي فيكم - إلى آخر ما ذكره - ثمّ قام أبو ذر وقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار... طرحتم قول نبيكم وتناسيتهم ما أوعز إليكم، ثمّ ذكر مناشدة كل منهم مستندين في حجاجهم على أبي بكر بالأحاديث التي سمعوها من النبي الأكرم (١) وهذا يعرب أنّ التشيع السياسي - الذي كان ظرف ظهوره حسب طبع الحال - بعد الرحلة، كان مستفاداً من نصوص النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . رابعاً: ماذا يريد من الفرقة وإنّ الشيعة تكوّنت بصورة فرقة بعد مقتل الامام الحسين فهل يريد الفرقة الكلامية التي تبتنى على آراء في العقائد تخالف فيها الفرق الأخرى، فهذا لم يكن منه أثراً إلى أواسط العقد الثالث من الهجرة، ولم يكن يوماً ذلك أئمة مسألة كلامية مطروحة حتى تأخذ شيعة على بجانب والآخرين بجانب آخر، بل كان المسلمون متسالمين في العقائد والأحكام حسب ما بلغ إليهم من الرسول، ولم يكن يوماً ذلك أيّ اختلاف إلاّ مسألة القيادة، فالفرقة بهذا المعنى لم تكن موجودة في أواسط المسلمين .

وإن أراد من الفرقة الجماعة المتبينة ولاية على روحياً وسياسياً وإنّه أحق بالقيادة على جميع الموازين، فكانت موجودة في يوم السقيفة وبعدها . _____

١. الخصال ٤٦١ طبع مكتبة الصدوق لاحظ المناشدة إلى آخرها ترى فيها دلائل كافية لاثبات الخلافة للامام أمير المؤمنين - عليه السلام - .

(١٦٧)

نعم إنّ احتكاك المسلمين مع الأجانب واستيراد آرائهم وعقائدهم في المسائل الكلامية والدينية أوجد فروعاً كلامية، وبما أنّ الشيعة

حسب حديث الثقلين رجعوا إلى أئمة أهل البيت فصاروا فرقة كلامية متشعبة الأفنان، ضاربة جذورها في الكتاب والسنة والعقل . الآن حصحص الحق وأسفر الصبح لدى عينين فليس التشيع ظاهرة طارئة على الإسلام، وإنما هو نفس الإسلام في إطار ثبوت القيادة لعلى بعد رحلة النبي بتنصيبه. وتبناه منذ بعثه النبي الأكرم لفائف من الصحابة والتابعين وامتد ذلك حسب الأجيال والقرون وظهر بفضل التمسك بالثقلين علماء مجاهدون، وشعراء مجاهرون، وعباقره في الحديث، والفقهاء والتفسير والفلسفة والكلام واللغة والأدب، وشاركوا جميع المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتفقون مع جميع الفرق في أكثر الأصول والفروع وإن اختلفوا معهم في بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. وسيافيك تفصيل عقائدهم في الفصل العاشر باذن الله . وبذلك يظهر وهن ما ذهب إليه الدكتور عبدالعزيز الدوري من أن التشيع باعتباره عقيدة روحية ظهر في عصر النبي وباعتباره حزباً سياسياً قد حدث بعد قتل علي (١). هذه الفروض الوهمية تبتنى على أساس باطل وهو أن التشيع بجميع أو بعض أبعاده أمر طارئ على الإسلام والأئمة، فراحوا يتبنون الفروض الذهنية .

١ . لاحظ الصلة بين التصوف والتشيع ١٨ .

(١٦٨) (١٦٩)

الفصل السابع صيغة الحكومة عند أهل السنة

الفصل السابع صيغة الحكومة عند أهل السنة (١٧٠) (١٧١)

قد تعرّف على صيغة الحكومة عند الشيعة، وحان البحث عن صيغتها لدى أهل السنة، وأنهم يختلفون عن الشيعة في شكل الحكومة بعد رسول الله، في أمرين: الأول: فيما يتعلق بجوهرها وصلبها وأساسها، فإن الخلافة عند الشيعة إمرة إلهية، واستمرار لوظائف النبوة كلّها، سوى تلقى الوحي الإلهي، والامام نفس الرسول في الصلاحيات والوظائف غير أنه ليس بنبي لأن النبوة أوصدت وختمت بالرسول... فلا- نبي ولا- رسول بعده، ولكن الوظائف كلّها مستمرة فلاجل ذلك يجب أن يكون الامام قائماً بوظائفه - صلى الله عليه وآله وسلم - المعنوية والمادية والعلمية والاجتماعية، ويسد الفراغات الحاصلة بوفاته، وقد عرفت قسماً منها، وكان الامام على وعترته الطاهرة على هذا الوصف فكانوا خلفاء إلهيين عيّنهم الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لكن لم تسمح الظروف للقيام بجميع وظائفهم إلا لعلى بعد حرمانه من حقه سنين متتالية، فلما استتبت له الأمور قام بنفس وظائف النبي، من غير فرق بين الاجتماعية منها والعلمية، وسد الفراغات الهائلة.

ولكن الخلافة عند أهل السنة رئاسة دينية لتنظيم أمور الأمة من تدبير الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وقسمة الفيء بين (١٧٢)

المسلمين، وقيادتهم في حجبهم وغزاهم (١). ولأجل اختصاص وظائف الامام بهذه الأمور السياسية لا تشترط فيه العصمة، ولا الاحاطة بالشرع أصوله وفروعه، بل يكفي فيه المقدرة لتدبير الأمور، وقطع كيد الأعداء، وتسهيل الحياة للأمة فعلى ذلك، فلا تتجاوز وظائفه عن الوظائف المخولة للحكومات الحاضرة، غير أنه يجب أن يكون مؤمناً بالله ورسوله وقائماً بالوظائف الفردية، ولا يعزل عن مقامه بالخروج عن الطاعة واقتراف المعصية حسب ما ذكره في محله (٢). وهذا الاختلاف بين الفريقين يرجع إلى تفسير جوهر الامامة وحقيقتها ويتفرع على ذلك خلاف آخر وهذا هو الذي نذكره في الأمر التالي . الثاني: ان الامام عند الشيعة يعين من جانب الله سبحانه ويبلغ بواسطة الرسول، وأما الامام عند أهل السنة، فقد فوّض أمر انتخابه إلى الأمة على وجه الاجمال ولم تذكر خصوصياته على وجه التفصيل، والذي يظهر من مجموع كلامهم، ان الامامة تنعقد عن طريق الشورى، واختيار أهل الحل والعقد أولاً، وتعيين الامام السابق ثانياً، وبالغلبة ثالثاً (٣).

قال الماوردي: الامامة تنعقد بوجهين: أحدهما: باختيار أهل الحل والعقد . والثاني: بعهد الامام من قبل (٤) .

١ . قد لخص الماوردي مسؤوليات الامام في عشرة، لاحظ الأحكام السلطانية ١٥ - ١٦ .

٢ . التمهيد للباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ١٨١ .

٣ . الماوردي: الأحكام السلطانية ٦ والتفتازاني: شرح مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين ٢٧٢ طبع مصر .

٤ . الأحكام السلطانية ٤ (١٧٣)

وقال العضدي: إنها تثبت بالنص من الرسول، وفي الامام السابق بالاجماع، وتثبت بيعة أهل العقد والحل (١) . ثم إنهم اختلفوا في عدد من تنعقد بهم الامامة على مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تنعقد الامامة إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضا به عاماً. وقالت طائفة: اقل ما تنعقد به منهم خمسة، بشهادة أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة الجراح، واسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة . وقال آخرون: تنعقد بثلاثة، يتولّاها أحدهم برضا الاثنين، ليكونوا حاكماً وشاهدين، كما يصحّ عقد النكاح بولي وشاهدين . وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعلي: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنّ حكم وحكم الواحد نافذ (٢) . إن هذا الاختلاف الهائل فيما تنعقد به الامامة، ناجم عن القول بأنّ أمر الخلافة مفوض إلى الأمة مع عدم النص على أصل التفويض ولا على خصوصياته. وهذا من عجيب الأمر، حيث إنّ النبي يفوض ذلك الأمر الحيوي إلى الأمة، ولا يتكلم بأصل التفويض ولا خصوصياته، فيترك الأمة في حيرة. وقد وقف على ذلك، الكاتب المصري الخضري، قال: لم يرد في الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله، اللهم تلك

الأوامر العامة التي تتناول

١ . شرح المواقف ٣ / ٢٦٥ .

٢ . الأحكام السلطانية ٤ (١٧٤)

الخلافة وغيرها، مثل وصف المسلمين بقوله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (١) . وكذلك لم يرد في السنّة بيان نظام لانتخاب الخليفة، إلاّ- بعض نصائح تبعد عن الاختلاف والتفرّق، كأنّ الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتّى يحلّوه بأنفسهم، ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله، كما أوضحت سبل الصلاة والصيام (٢) . إنّ ما ذكره الخضري لا يسمن ولا يغني من جوع، لأنّ الحكومة بعد النبي الأكرم كانت من عظام الأمور فلا يخطر ببال أحد أن يكتفى الرسول بجميع تفاصيلها وخصوصياتها التي لم تمارسها الأمة ولا ذاقها طوال حياته بأية الشورى وهذا أشبه بالاكْتفاء في اقامة الصلاة بالمجملات الواردة في نص الكتاب. «كيف يخطر ببال أحد أن يهمل الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - القيادة السياسية للدولة الإسلامية التي أسسها، وثبت عناصرها، ومر تكراتها، فلم يضع قاعدة معيّنة للخلافة كما زعموا، مع العلم بأنّ القيادة بالنسبة للدولة كالرأس من الجسد، وكالقلب من سائر الأعضاء والجوارح. أيهمل القيادة والرئاسة للدولة، ولا يتكلم عنها بنفى أو اثبات؟ أيهملها ويتركها نهياً لأصحاب المطامع، والمطامح، والأهواء، ولشهووات أصحاب القوّة والفساد في الأرض؟ فتعود بذلك بعد موته، الجاهلية، وعبادة الطواغيت، بعد أن عان وأصحابه ما عانوا من متاعب، ومشقّات، وما قدّموه من تضحيات غالية وعزيزة للخلاص من أوبائها وتحرير العباد من فحشائها؟ أتركها لتكون سبباً لإرافة الدماء وازهاق الأرواح؟ وهو المرسل رحمة لا نعمة للعالمين، ونوراً وهدى للحائرين والضالّين .

١ . الشورى / ٣٨ .

٢ . محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ١٦١ (١٧٥)

حاشاه حاشاه لقد وضع لأمته وبوحى من ربّه العليم الخبير كل قواعد وأسس الحياة الإنسانية بمجالاتها الواسعة، ولم يهمل حتّى آداب الأكل والشرب ولبس النعال وحتّى آداب التبوّل والتبرّز، ووضّح لأمتة معالم الحياة الرفيعة الراقية وفي مقدّماتها الحياة السياسية، ورأسها المفكر وقلبها النابض، هو القيادة المعروفة في لغة القرآن والسنّة باسم - الامامة و الخلافة - والملك والسلطان - وبذلك نزلت البشرية من عالم الغيب والشهادة باكمال الدين، واتمام النعمة، والرضى بالاسلام قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) - المائدة / ٣ - (١). لو كانت صيغة الحكومة قائمة على أساس الشورى، وكانت هي طريقاً لتعيين الحاكم، كان من الضروري أن يقوم النبي بتوعية الأمة، وإيقافها بصورة واسعة على حدود الشورى وتفصيلها وخطوطها العريضة، حتى لا تتحيز الأمة ولا-تختلف في أمرها، ولكننا رغم هذه الأهمية القصوى، لا نجد لهذه التوعية الضرورية أى اثر فى الكتاب والسنة فى مجال انتخاب الحاكم. أجل إن مقتضى كون الدين الاسلامى ديناً خاتماً هو التعرض لصلب الموضوع مؤكلاً شكله إلى نظر الأمة، حتى يتماشى مع جميع العصور. ولا نعى من هذا أنه يجب على الشارع اعطاء كل التفاصيل والخصوصيات الراجعة إلى الشورى، غير أن هناك أموراً ترجع إلى جوهر الشورى وصميمها، فلا يصح للشارع أن يترك بيانها، إذاً هناك أسئلة تطرح نفسها فى المقام لا يمكن الوقوف على أجوبتها، إلا عن طريق الشرع، وهى: ١- من هم المشاركون فى الشورى، فهل العلماء وحدهم أو السياسيون وحدهم أو الضباط والعساكر وحدهم، أو المختلط منهم؟

١. الزيدية نظرية وتطبيق تأليف على بن عبدالكريم ١٠٢-١٠٣ طبع عمان ١٤٠٥.

(١٧٤)

٢- من هم الذين يختارون أهل الشورى؟ ٣- لو اختلف أهل الشورى فى شخص أو أمر، ما هو الملاك لتقديم رأى على آخر؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المطروحة التى ترتبط بنظام الشورى المجمل، ولا يستطيع أحد أن يجيب عنها إلا رجماً بالغيب. ثم إن القوم ربما يعتبرون عن صيغة الحكومة باتفاق أهل الحل والعقد، وهذه الكلمة أشد غموضاً من السابقة إذ لا يعرف الإنسان من هم أهل الحل والعقد، وماذا يحلون وماذا يعقدون؟ أهم أصحاب الفقه والرأى الذين يرجع إليهم الناس فيما ينوبهم من حوادث؟ وهل هناك درجة معينة من الفقه والعلم إذا بلغها الإنسان صار من أهل الحل والعقد؟ ما هى تلك الدرجة؟ وبأى ميزان توزن؟ ولأجل هذه الابهامات حول نظام الشورى أولاً، وأهل الحل والعقد ثانياً، تتبعض دكاترة العصر إلى وهن هذه النظرية. قال الدكتور طه حسين: لو كان للمسلمين هذا النظام المكتوب أى نظام الشورى، لعرف المسلمون فى أيام عثمان ما يأتون من ذلك، وما يدعون، دون أن تكون بينهم فرقة أو اختلاف. وقال الخطيب: إن كلمة أهل العقد والحل لأغرض غموضاً من كلمة الأفراد المسؤولين (١). كل ذلك يعرب عن أن مسألة نظام الشورى إنما اخترعها المتقصدون للخلافة فى أيام الأمويين.

١. الخلافة والامامة للخطيب عبدالكريم ٢٧١.

(١٧٧) آيتان حول الشورى:

إن القائلين بكون صيغة الحكم بعد رحلة الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الشورى، استدلووا بأمرين: ١- الآيتان الواردتان حول الشورى. ٢- أن خلافة الخلفاء تمت بالشورى. ونحن نبحت عن كلا الموضوعين بوجه موجز، ونحيل التفصيل إلى الموسوعات الكلامية، وإليك الآية الأولى وتحليلها: ١- (فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (١). إن الاستدلال بها سببه الغفلة عن مواردها ومضمونها فإن الخطاب فيها موجه إلى الحاكم الذى فرضه سبحانه حاكماً على الأمة، فإمره أن يشاور أفراد الأمة فلا صلة للآية بالمدعى. فإن أقصى ما تفيده الآية هو أن لا يكون الحاكم الاسلامى الذى تمت سلطته، مستبداً فى أعماله، وأما أن الامام، يتعين عن طريق الشورى فالآية لا- تدل عليه، والذى يؤكده ما قلناه أنه يأمر النبي بعد المشاورة. بالتوكل عند العزم. وأن له الرأى النهائى والآخر. والحاصل: ان الآية خطاب للحاكم الاسلامى وأن عليه المشاورة أولاً وأخذ التصميم النهائى ثانياً، وأما أن الحاكم الاسلامى يتعين من جانب الشورى، فالآية أجنبيه عنه فإن الخطاب فى الآية للحاكم لا لغيره. وأما الآية الثانية: أعنى قوله سبحانه فى صفات المؤمنين: (وَأْمُرْهُمْ

١. آل عمران / ١٥٩.

(١٧٨) (شورى بينهم) (١) فهى تحت المؤمنين إلى المشورة فى جميع الأمور المرتبطة بهم وأما أن أمر الخلافة والولاية، من الأمور

المرتبطة بهم فلا- تظهر من الآية. والتمسك بها في مثل هذا المقام المراد بين كونه من أمور المؤمنين أو ممّا يرجع إلى الله ونبيه تمسك بالعام عند الشبهة المصدقية.

وبعبارة أخرى: إنّ الامامة لو كانت أمراً إلهياً. متوقفاً على ولاية مفاضة من الله سبحانه إلى الولي يكون من الأمور المربوطة بالله ورسوله، وأمّا لو كانت امره عرفية وولاية شعبية تكون من الأمور المتعلقة بالمؤمنين وفي مثله حيث الأمر مراد لا يمكن التمسك بالعموم واثبات أنّ الولاية من شؤون المؤمنين. أضف إلى ذلك أنه لو كان أساس الحكم في الإسلام هو الشورى لوجب على الرسول الأكرم بيان تفاصيلها وخصوصياتها وخطوطها العريضة. على ما عرفت تفصيلاً. ولأجل عدم وجود أىّ إيضاح من قبل النبيّ حول النظام المذكور، التجأ الكاتب المصري إلى رفض أن يكون ذلك أساساً للحكم وأنما كانت تجربة من المسلمين بعد رحلة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - . يقول: «ينظر بعضهم إليه على أنه (أى تعيين الامام بالشورى) نواة صالحة لأول تجربة، وإنّ الأيام كفيلاً بأن تنميتها وتستكمل ما يبدو فيها من نقص فلم تكن الأحوال التي تمتّ فيها هذه التجربة تسمح بأكثر ممّا حدث، إذ لم يكن من المستطاع - حينذاك الوقوف على رأى الأئمة كلّها، فرداً فرداً - فيمن يخلف النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وينظر بعض آخر إلى هذا الأسلوب بأنّه أسلوب بدائي عالج أهم مشكلة في الحياة وقد كان لهذا الأسلوب أثر في تعطيل القوى المفكرة

١. الشورى / ٣٨ .

(١٧٩)

للبحث عن اسلوب آخر من أساليب الحكم التي جربتها الأمم» (١). ومعنى ذلك أنّ الرسالة العالمية الخاتمة لجميع الرسالات قد أهملت هذا الجانب المصيري في حياة الأمة، وأنّه اهتمّ بكل صغير وكبير سوى هذا الأمر الخطير الذي به يناط بقاء الإسلام واستمراره. علماً أنّ الظروف كانت مساعدة لوصول ذلك ولا مانع يعترض الطريق . خلافة الخلفاء ومسألة الشورى:

هذا كلّه حول الدليل الأول وأمّا الدليل الثاني. وهو أنّ خلافة الخلفاء تمتّ عن هذا الطريق فهو أوهن وأضعف من الأول فمن قرأ تاريخ السقيفة وانتخاب الخلفاء الثلاثة يقف على أنّه لم يكن هناك أى مشورة ولا استشارة وأنما تمتّ خلافة الأول في جوّ إرهابي وفي محفل ساد فيه، السب والشتم والضرب. إلى غير ذلك من الأفعال الشنيعة التي لا تليق بمجلس كهذا . كما أنّ خلافة الثاني تمتّ بتنصيب من الخليفة الأول وأنّه استبدّ بالأمر ولم يدع مجالاً للأئمة . وأمّا خلافة الثالث فهي وإن كانت مصبوغة بصبغة الشورى ولكن الخليفة هو الذي عين اعضاء الشورى واستبدّ بالأمر وعين المرشحين للخلافة بل كان ما قام به يؤدي إلى تعيين الخليفة. ومثل ذلك لا ينطبق عليه شروط الشورى وأنما كان استبداداً في لباس الحرية . وإن كنت في شك ممّا تلوناه عليك فلندرس تاريخ انتخاب الخلفاء عن كتب.

١. الخلافة والامامة: عبدالكريم الخطيب ٢٧٢ . (١٨٠) ١- السقيفة وخلافة أبي بكر:

توفّي رسول الله وكان أبو بكر خارج المدينة فقام عمر بن الخطاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله قد توفّي، وإنّ رسول الله ما مات، ولكن ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل أنّه قد مات فوالله ليرجعن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عمّا رجع موسى وليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مات فما زال عمر يتكلّم حتّى أزيد شذواه. فقال العباس: إنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يأسن كما يأسن البشر. وإنّ رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم أيّمت أحدكم إمامته ويُميته إمامتين؟ هو أكرم على الله من ذلك فان كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله . وما زال الجدل مستمراً بين عمر والعباس وشاركهم سائر المسلمين إلى أن نزل أبو بكر من السّيح فسمع مقالة عمر فدخل البيت فكشف عن وجه النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فقَبَله وقال: بأبي أنت وأُمّي طبت حياً وميتاً والمذى نفسى بيده لا يديقك الله الموتتين أبداً(١). ثم خرج فقال: على رسليك يا عمر. فجلس عمر.

فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه ثم قال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال: (وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) فتشجج الناس. فقال عمر: والله ما هو إلا أن

١. أين الوهابيون من موقف الخليفة هذا، حيث أخذ يخاطب النبي وهو ميت، ويقبله ويتبرك به، ويقول بأبيه وأمه له .

(١٨١)

سمعت أبا بكر تلاها فدهشت حتى وقعت إلى الأرض، وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد مات (١) . نقاش مع الخليفة:

هناك تساؤلات تطرح نفسها ولعله كان عند الخليفة أجوبة لها أو أن القارئ، يتفطن للاجابة عنها وهي: ١- أن موت النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يكن فجائياً بل كان بعد مرض ألم به عدّة أيام فكانت القرائن والشواهد تدل على أنه قد دنى فراقه للأمة وقد صرح بذلك في غير واحد من أصحابه، آخرها طلبه للقلم والدواة وكتابة الصحيفة والوصية للأمة حتى لا تضل الأمة من بعده وقد حال الخليفة الثاني بين النبي وأمينته وقال ما قال (٢) . وعندئذ فكيف أذعن بأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما مات وإنما غاب كغيبه موسى وقد أصرّ على ذلك حتى ازبد شذاه ولم يكن بين الصحابة من يدافع عن تلك العقيدة. سوى نفسه . فهل كان الخليفة موقفاً بذلك جداً أو أنه كان له في تبنى هذه الفكرة (لساناً لا قلباً) هدفاً سياسياً يخفى فيه مصالح الأمة؟ ٢- هل كانت الغيبة سنّة رائجة بين جميع الأنبياء أو كانت من مختصات بعض الأنبياء كالكلية ونحوه. ولو صحّ الثاني كما هو الحق فما هو الوجه في الحاقه بالنادر؟

١. السيرة النبوية: ابن هشام ٦٥٥، الطبقات الكبرى ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

٢. البخاري: الصحيح، كتاب العلم ١ / ٢٢ وح ١٤ / ٢ . (١٨٢)

٣- نرى أن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - العباس، واجهه بما واجه به أبوبكر وهو أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أكرم من أن يميت سبانه موتين. مع أنه لم يقتنع بكلامه بل اقتنع بما ذكره أبوبكر . ٤- أنه مصرّاً على الغيبة مادام أبو بكر غائباً عن المدينة، فلما نزل من الشنح وأدلى بمقاله سرعان ما تراجع عن موقفه، وأى سرّ كان في هذا الرجوع السريع عن فكرة كان يستमित في الدفاع عنها؟ ٥- كيف يقتنع القارئ بأن الخليفة لم يكن ذاكرةً قوله سبحانه (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقوله سبحانه: (وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) وغيرهما؟ هذه الأسئلة لم نجد لها أجوبة شافية ومن المحتمل جداً أن يكون وراء الكواليس شيئاً ما. وأن تكون اطروحة الغيبة مناورة سياسية، الغاية منها منع المسلمين من اتخاذ أي موقف في المسائل المصيرية للأمة حتى يجيء أبوبكر من الشنح ويجمع على رأى واحد. ولأجل ذلك تنازل عن موقفه بعد ما جاء أبوبكر من خارج البلد. فاتخذنا موقفاً واحداً، تجاه المسائل المصيرية . مأساة السقيفة:

كان على بن أبي طالب وجمهور المهاجرين منهمكين في تجهيز النبي فوقف الخليفتان على اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة للتداول في مسألة الخلافة. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء من الأنصار ما هم عليه فدخلا ومعهما بعض المهاجرين كأبي عبيدة بن الجراح وكان خطيب الأنصار وقيهم سعد بن عبادة يخطب ويحث الأنصار على الأخذ بمقاليد الخلافة بحجة أنهم آووا النبي الأكرم عندما أخرجه قومه. وضخوا في سبيل دعوته بكل غال ورخيص . (١٨٣)

فلما أتم كلامه ابتداءً أبوبكر بالبحث والكلام فاستند إلى أن اللائق بالخلافة هو قوم النبي وقبيلته بحجة أنهم أوسط العرب داراً وأحسنهم احساباً ولم يكتف بذلك حتى أخذ بيد عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ورشحهما للبيعة . ترى أن الطائفتين اتخذوا في حل مشكلة الخلافة قواعداً كانت سائدة في عصر الجاهلية فالأنصار ترى نفسها أحق بالخلافة لحمايتها النبي الأكرم وتقديم المأوى له، وأمياً هؤلاء الحاضرون من المهاجرين فاحتجوا بمثل ما احتجّت به الأنصار وهو أن قريش أوسط داراً وأحسن نسباً . ولم يكن

هناك من يذكر ويوقفهم على أن الإسلام عصف بهذه الأساليب من الاحتجاجات وحطم أحكام الجاهلية (١) فلو كان هناك مشورة اسلامية كان عليهم أن يتفحصوا عن أعلم القوم بالكتاب والسنة وأكثرهم دراية بهما. وأسوسهم وأحسنهم في ذات الله وأسبغهم إلى الايمان والإسلام. كما هو الوارد عن الكتاب والسنة قال سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (٢). وقال النبي الأكرم لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه خصال ثلاث: ١- ورع يحجزه عن معاصي الله. ٢- وحلم يملك به غضبه. ٣- وحسن الولاية على من يلي حتى يكون كالأب الرحيم (٣). _____

١. لاحظ: في الوقوف على احتجاج الطائفتين، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٥٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ٢٦٩، وتاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢ - ٤٤٦.

٢. الحج / ٤١.

٣. الكافي للكليني ١ / ٤٠٧ (١٨٤).

وقال الامام على: «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فإن شغب شاغب استعجب فإن أبي قوتل» (١). وقال - صلوات الله عليه - أيضاً عندما قال قائل كلام «إنك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريص، فقلت: بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وأنا طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي» (٢). وقال الامام السبط الطاهر الحسين بن على - عليهما السلام - فما الامام إلا الحاكم بالكتاب، الدائن بدين الحق، القائم بالقسط، الحابس نفسه على ذات الله (٣). وأين هذه الملاكات والضوابط مآجا في احتجاجات المهاجرين والأنصار وكأنتهم لم يسمعوا قول الله سبحانه: (أَنَّ الْأَرْضَ يَرْتُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (٤). ما سمعت من الكلمات، كانت احتجاجاتهم وشعاراتهم في نادى السقيفة وأما ما قاموا به من الأعمال المخزية أو ما صدر منهم من الضرب والسباب، فحدث عنه ولا حرج. وبذلك تقف على أنه لم تكن هنا أى مشورة، ولا تلاقح فكرى وإنما كان أشبه بملعب يتسابق فيه الجميع لأخذ كرة الخلافة بأى طريق حص وإن كنت فى شك منها فاستمع لما تتلوه عليك من المصادر الموثقة. هذا الحباب بن المنذر الصحابى البدرى الأنصارى قد انتضى سيفه على أبى بكر وكان داعياً إلى قيادة الأنصار وقال: «والله لا يرد على أحد ما أقول إلا _____

١. نهج البلاغة، قسم الخطب برقم ١٧٣.

٢. نهج البلاغة، قسم الخطب برقم ١٧٢.

٣. روضة الواعظين ٢٠٦.

٤. الأنبياء / ١٠٥ (١٨٥).

حطمت أنفه بالسف، أنا جدي لها المحكك (أصل الشجرة) وعذيقها المرجب (النخلة المشتملة بالتمر) أنا أبو شبل فى عرينه الأسد، يعزى إلى الأسد» (١). وهو بكلامه هذا يتهدد كل من يحاول اخراج القيادة من الأنصار واقرارها لغيرهم. وها هو آخر (وهو سعد بن عبادة) يخالف مبايعه أبى بكر وينادى: «أنا أرميكم بكل سهم فى كنانتي من نبل، وأخضب منكم سنانى ورمحى، وأضربكم بسيفى ما ملكته يدي وأقاتلكم مع من معى من أهلى وعشيرتى» (٢). وها هو ثالث يتذمر من تلك البيعة ويشب نار الحرب بقوله: «أنى لأرى عجاجه لا يطفئها إلا الدم» (٣). وهذا هو سعد بن عبادة أمير الخزرج الذى طلب أن تكون الخلافة فى الأنصار يداس بالأقدام، وينزى عليه وينادى عليه بغضب: «اقتلوا سعداً قتله الله إنه منافق أو صاحب فتنه» وقد قام عمر على رأسه ويقول: «لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك أو تندر عيونك» (٤). فإذا بقيس بن سعد يأخذ بلحية عمر ويقول: «والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفى فيك واضحة! أو لخفصت منه شعرة ما رجعت وفى فيك جارحة» (٥). وهذا نفس عمر بن الخطاب يصف تلك المشاجرة بقوله: «كثر

اللغظ _____

١. شرح ابن أبى الحديد ٢ / ١٦.

٢. الغدير ٧ / ٧٦ .

٣. الامامة والسياسة ١ / ١١، تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠ .

٤. مسند أحمد ١ / ٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠، وغيرهما .

٥. تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠، السيرة الحلبية ٣ / ٣٨٧ . (١٨٦)

وارتفعت الأصوات حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت: بسط يديك يا أبابكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ونزونا على سعد بن عباد، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد، فقلت: قتل الله سعد بن عباد» (١) . إن الشورى الإسلامية حسب ما توحى كلمتها السامية، لا تتعقد إلا بدارسة الموضوع دراسة موضوعية واقعية، وأن تكون هناك حرّية في الرأي والنظر، ونزاهة في الكلام، ويقوم مندوب كل جماعة بإدلاء رأيه بدليل وبرهان، وربما تتطلب دراسة مثل ذلك الموضوع الحيوى عقد مجالس متعدّدة حتى يصل من خلالها المسلمون إلى الأمثل فالأمثل في موضوع القيادة، وأمّا المجلس المذمى تسل فيه السيوف على المخالف، ويداس المقابل بالأقدام، فهذا أشبه بميدان الحرب والقتال لا المفاهمة والمشاورة، بل أشبه... هذا حال السقيفة وأما ما جرى بعد السقيفة فحدّث عنه ولا حرج، فقد خرج الخليفة من السقيفة مع من بايعوه فلم يلاقوا أحداً في الطريق إلا وضعوا يده على يد الخليفة بيعه له . ثم إن علياً وجماعة معه كانوا متخلفين عن البيعة، ولمّا كان تخلفه ومن معه من أصحابه اخلاقاً بالبيعة، بعث أبوبكر عمر بن الخطاب إلى بيت علي وفاطمة، ليتهدّدا اللاندين به، الممتنعين عن مبايعته، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، وأتى عمر إلى بيت فاطمة وهو يقول: والله لنحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فقالت فاطمة لما سمعت ذلك صائحة منادية: «يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة» (٢) .

١. السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٦٠ .

٢. تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠، الامامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ١٣ . (١٨٧)

ثم بعد هنّ وهنات أخرج الامام من بيته، وقادوه إلى البيعة كما يقاد البعير المخشوش، وسبق سوقاً عنيفاً، وقالوا له: بايع، فيقول: «إن أنا لم أفعل فمه؟» فيقال: والله الّذى لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال علي: «إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله» (١) . ولم يكن الضغط منحصراً في علي، بل لما سمع الزبير ما جرى في السقيفة سلّ سيفه وقال: لا أعمدته حتى يبايع علي، فيقول عمر: عليكم الكلب، فيؤخذ سيفه من يده، ويضرب به الحجر فيكسر (٢) . هذه صورة اجمالية وضعناها أمام القارئ ليقف على مدى صحّة الشورى التي بنيت عليها خلافة الخليفة الأول، ثم هو عقد الخلافة بنفسه لعمر من دون أى مشاورة للمسلمين (٣) كما فوّض الثانى أمر الخلافة إلى سته وقد استبدّ في تعيينهم من دون مشورة، وليس هذا شيئاً ينكر أو يشك فيه (٤) . وقد بلغت فصاحة الأمر في السقيفة إلى حدّ يصفه عمر بقوله: كانت بيعه أبى بكر فلتة الجاهلية وقى الله المسلمين شرّها. أو قال: كانت بيعه أبى بكر فلتة تمّت، وأنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرّها، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين، فانه لا بيعه له (٥) .

١. الامامة والسياسة ١ / ١٣ .

٢. تاريخ الطبري ٣ / ١٩٩، الامامة والسياسة ١ / ١١ .

٣. سيأتي مصدره .

٤. سيأتي مصدره .

٥. السيرة النبوية ٢ / ٦٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦ . (١٨٨) الخلفاء وتناسى الشورى:

قد درسنا كيفية انعقاد الامامة لأؤل الخلفاء هلمّ معى ندرس خلافة غيره، فسوف ترى أنّه لم يكن هناك أى مشورة ولا أى استفتاء شعبى، ولا- أى ديمقراطية كما يدّعيها بعض الكتيّاب المعاصرين . روى المؤرّخون: أنّه دعا أبوبكر عثمان بن عفان، فقال: اكتب عهدى، فكتب عثمان وأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبوبكر بن أبى قحافة آخر عهد بالدين، نازحاً عنها، وأول

عهده بالآخرة داخلا فيها، إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب... (١). والإنسان عندما يقرأ هذه الصفحة من التاريخ، يقف على قيمة ما ذكره الامام، عندما رفعوا السيف على رأسه ليبيع أبا بكر، فقال: «احلب يا عمر حلباً لك شطره، أشدد له اليوم أمره، ليرده عليك غداً، ألا- والله لا- أقبل قولك ولا أبيع» (٢) فوالله، لقد تحقّق قول الامام حيث ردّ عليه الأمر من بعد، كما عرفت. وهذا عمر بن الخطاب، فبعدما جرح ودنا أجله قال: سأستخلف النفر الذين توفّي رسول الله وهو عنهم راض، فأرسل إليهم فجمعهم وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمان ابن عوف، وكان طلحة غائباً. فقال: يا معشر المهاجرين الأولين، إني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم فتشاوروا ثلاثة أيام، فإن جاءكم طلحة إلى ذلك وإلا فأعزم عليكم أن لا تتفرّقوا من اليوم الثالث حتى

١. الامامة والسياسة لابن قتيبة ١٨، الكامل في التاريخ ٢ / ٢٢٥.

٢. الامامة والسياسة ٢٣، الكامل ٣ / ٣٥ (١٨٩).

تستخلفوا أحدكم. ثم قال لصهيب: «صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف... وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما... فإن رضى ثلاثة رجالاً وثلاثة رجالاً، فحكّموا عبدالله بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس» (١). «فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم ثم تكلم القوم وتنازعوا فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان، وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثماناً، وإن الخلافة لا تخلص له وهما موجودان فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب علي - عليه السلام - بهبه أمر لا انتفاع له به ولا تمكّن له منه. ولما رأى الزبير أن علياً قد ضعف، وانخذل بهبه طلحة حقه لعثمان دخلته حميّة النسب فوهب حقه من الشورى لعلي. لأنه ابن عمته، وهي صفيّة بنت عبدالمطلب وأبو طالب خاله. وقال سعد بن أبي وقاص: أنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبدالرحمان وذلك لأنهما من بني زهرة ولعلمه أن الأمر لا يتم له. فلما لم يبق إلا الثلاثة: علي وعثمان وعبدالرحمان ولكل واحد صوتان وبما أن عمر بن الخطاب قال في وصيته لأبي طلحة الأنصاري: بأنه إذا تساوت الآراء فرجح الفئة التي فيها عبدالرحمان بن عوف. ومن المعلوم أن عبدالرحمان ما كان يميل إلى علي ويترك نفسه أو صهره عثمان، ولأجل ذلك قام بلعبة أخرى يريد بها

١. تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤.

(١٩٠)

حرمان علي. فقال عبدالرحمان لعلي وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبدالرحمان: أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدكما، فامسكاً فبدأ بعلي - عليه السلام - وقال له: أبأبيحك على كتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر، فقال: بل علي كتاب الله وسنة الرسول واجتهاد رأيي، فعدل عنه إلى عثمان فعرض عليه ذلك، فقال: نعم فعاد إلى علي - عليه السلام - فأعاد قوله، وفعل ذلك عبدالرحمان ثلاثاً، فلم يراى أن علياً غير راجع عمّا قاله وأن عثمان ينعّم له بالاجابة صقّ علي يد عثمان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال: إن علياً - عليه السلام - قال له: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجاه صاحبكما من صاحبه دقّ الله بينكما عطر «منشم». قيل: ففسد ذلك بين عثمان وعبدالرحمان فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمان (١). شوري سداسية أو لعبة سياسية؟:

إذا ألقيت نظرة على كيفية تشكيل الشورى وأعضائها أدركت أنها كانت لعبة سياسية وكان الهدف منها تسليم الخلافة إلى عثمان ولكن بصيغة شرعية وقانونية. إذ لم تكن الظروف تسمح بتنصيبه أو الايضاء به صريحاً. فدقّ الخليفة باب الشورى

١. الطبري: التاريخ ٣، الجزري: الكامل ٣ وشرح ابن أبي الحديد ١ / ١٨٨، و«منشم» اسم امرأة عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا

أرادا القتال تطيَّبوا بطيِّبها وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فكان يقال أشأم من عطر منشم، لاحظ الصحاح للجوهري .

(١٩١)

حتى يسد به أفواه المعترضين بالقدر الميسور. وكانت الغاية واضحة لدى المطلعين على خبايا الأمور. منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - حيث قال لعمة العباس: عُدل بالأمر عني يا عم قال: وما عيبك، قال: قرن بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر فان رضى رجلا من رجلا ورجلا من رجلا فكونوا مع عبدالرحمان بن عوف، فسعد لا- يخالف ابن عمه (عبدالرحمان بن عوف) وعبدالرحمان صهر عثمان لا يختلفان (١). وقال ابن عباس: الرجل يريد أن يكون الأمر في عثمان (٢). وقد نال الخليفة بغيته من خلال الأمور التالية: ١- إن الشخصيات المشاركة في الشورى فرضت من جانب الخليفة وقد احتكر ذلك الحق لنفسه وسلبه عن الأمة، ولو كان الانتخاب بيد الأمة ربّما كان المصير على خلاف ما أُراده. فأدخل في الشورى رجلا يسيرون على الخط الذي رسمه الخليفة في نفسه. وبزّ الخليفة حصر أعضاء الشورى فيهم بأنّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مات وهو راض عنهم وهو تبرير تافه، فإنّ النبي مات وهو راض عن غير هؤلاء أيضاً ولقد أثنى على عدّة من أصحابه كأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي أيوب مضيّفه - صلى الله عليه وآله وسلم - وغيرهم بيد أن هؤلاء لمّا كانوا لا يحققون مطامع الخليفة أعرض عنهم وأدلى بأسماء هؤلاء الذين يتجاوزون مع ما يريد . ٢- انتخب رجلا لعصوية الشورى كانوا مختلفي النزعة والهوى ولكن

١. شرح النهج ١ / ١٩١ .

٢. شرح النهج ١ / ١٨٩ . (١٩٢)

الجامع بين أغلبهم هو الانحراف عن علي - عليه السلام - واضمار العداء له. فعند ذلك أصبح اقضاء عليّ أمراً محتوماً إن لم نقل أنّ تعيين عثمان أضحيّ أمراً مفروضاً وذلك لأنّ طلحة بن عبيد الله كان معروفاً بعدائه لعلي وانحرافه عنه. فلأجل ذلك وهب حقّه لعثمان تضعيفاً لجانب علي . إنّ سعد بن أبي وقاص كان ابن عم عبدالرحمان بن عوف وكلاهما من بني زهرة فلا- يميل إلى علي وفي الشورى واحد من عشيرته . وعبدالرحمان بن عوف كان صهر عثمان. لأنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجته وهي أخت عثمان من أمّه . على هذا كانت تشهد القرائن على أنّ الخليفة كان يضمّر حرمان علي من الخلافة. ولم يكن في الشورى منافس لعلي سوى عثمان، فطبع الحال كان يوحى بأنّ عثمان هو الذي سيأخذ بمقاليد الحكم. إذ لم يكن لسائر الأعضاء الأربعة مكانة اجتماعية مثل علي وعثمان بل لم يكن لهم إربة في الخلافة وإنّما أطمعهم فيها الخليفة للتوصل إلى مأربه . ٣- أنّه لما كان من المحتمل أن تتساوى الأصوات بين علي وعثمان جعل الرجحان والتقديم للفئة التي فيها عبدالرحمان بن عوف فكأنّه جعل صوته صوتين. وأمّا عبدالرحمان بن عوف (وهو ذلك الرجل الثرى الذي ترك كمية هائلة من الذهب والفضة وقد كُسر بالفؤوس عند تقسيمها) فهل يترك عثمان ويميل إلى علي وإنّ الطيور على أشكالها تقع . وبالتالي لم يفسد الخليفة علي في هذه الواقعة فحسب بل أفسده على علي بعد رحيل عثمان حيث إنّ ادخال هؤلاء في الشورى أطمعهم في الخلافة وجعلهم يعتقدون في أنفسهم بأنهم مؤهلين لها وأنهم أعدل علي وأقرانه. ولأجل ذلك قاموا في وجه الامام علي يدعون الخلافة لأنفسهم تحت غطاء أخذ الثأر لعثمان . (١٩٣)

إنّ الامام أمير المؤمنين - عليه السلام - قد أفصح بما يكفّه ضميره حول وصية الشورى، فقال في بعض خطبه: «فيا لله والشورى، متى اعتراض الريب فيّ مع الأوّل حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنت أسففت إذ أسفّوا. وطرت إذ طاروا. فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن» (١). هذا كلام علي في أواخر أيامه. فقد اعترض هو أيضاً في أيام الشورى وكذلك فعل أصحابه فروى الطبري أنّ عبدالرحمان قال: أيها الناس أشيروا عليّ في هذين الرجلين؟ فقال عمّار بن ياسر: إنّ أردت أن لا يختلف الناس فبايع علياً. فقال المقداد: صدق عمّار، وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا، فقال عبدالله بن أبي سرح: إنّ أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، وقال عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق، إنّ بايعت عثمان سمعنا وأطعنا، فشمّ عمّار بن أبي سرح وقال له: متى كنت تنصح الإسلام؟! فتكلّم بنو هاشم وبنو أمية وقام عمّار وقال: أيها الناس إنّ الله أكرمكم بنبينه وأعزكم بدينه فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن

أهل بيت نبيكم. فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد: يا عبدالرحمان أفرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس فحينئذ عرض عبدالرحمان على علي - عليه السلام - العمل بسيرة الشيخين . فقال: بل أجتهد برأبي فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال: نعم، فقال علي - عليه السلام - ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما

١ . نهج البلاغة، قسم الخطب / الخطبة ٣ .

(١٩٤)

تصفون والله ما وليته الأمر إلا ليرده إليك والله كل يوم في شأن(١) . وبهذا تبين أن الشورى كانت نظرية بدون تطبيق وكانت اسماً بلا مسمى. إجابة عن سؤال:

إذا لم تكن الشورى مبدأ للحكم في الإسلام فماذا يعنى الامام على من قوله في رسالته إلى معاوية حيث يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاء(٢) . نقول: إن ابن أبي الحديد أول من احتج بهذه الخطبة، على أن نظام الحكومة بعد وفاة النبي هو نظام الشورى، وتبعه البعض غفلة عن حقيقة المراد، وذلك لأن ملاحظة أسلوب الكلام، وما صدر به الامام رسالته، أعنى قوله: «أنه بايعني الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان» تدل بوضوح على أن الامام كان في مقام الاحتجاج بمسلم الخصم - أعنى معاوية - على قاعده «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، فإنه خرج عن طاعة الامام مع اعتناقه إمامة من تقدم، فالامام يحتج عليه بأنه بايعني الذين بايعوا الثلاثة فما وجه البغي على والطاعة لهم، ولو لم يكن في مقام الجدل وافحام الخصم، لما كان لذكر خلافة الخلفاء في صدر الرسالة وجه، مع أن للامام كلمات في تخطئه الشورى التي تمت بها، أو بادعائها خلافة الخلفاء، ومن تصفح نهج البلاغة يقف عليها .

١ . شرح النهج: لابن أبي الحديد ١ / ١٩٣ - ١٩٤ .

٢ . الامامة والسياسة ٢٣، ونهج البلاغة قسم الرسائل، برقم ٤٥ . (١٩٥)

والعجب أن أحداً من المهاجرين والأنصار لم يستند في مأساة السقيفة، إلى نظام الشورى بل استند كل من اللفيين بأمر لا تمت إلى هذا الأصل، فادعى أبوبكر أن المهاجرين من أقوام النبي وعشيرته، واحتج الأنصار بأنهم هم الذين آووا الرسول، وضخوا بأنفسهم ونفائسهم لحراسته وحفظه، فانظر ماذا ترى قاتل الله الأنانية، وحي الله الحقيقة وحمايتها. (١٩٦) (١٩٧)

الفصل الثامن نصوص الخلافة والركون إلى الأمر

الفصل الثامن نصوص الخلافة والركون إلى الأمر الواقع (١٩٨) (١٩٩)

دلّت نصوص الخلافة الماضية، بوضوح على أن الامام علياً كان هو الخليفة الشرعي والقائم بالأمر بعد الرسول وأنه كان من واجب للمسلمين الرجوع إليه فيما يمت إلى حياتهم السياسية والاجتماعية والدينية، غير أن رجالات بعد النبي تناسوا النص بعد تلبية النبي نداء ربه، وانتالوا على أبي بكر، وبعده على عمر وعثمان، إلى أن عاد الحق إلى نصابه، ودار الأمر على مداره. وهناك سؤال يطرحه كل من يؤمن بتواتر النصوص ووضوح دلالتها، لما يشاهد المعارضة بينها وبين الأمر الواقع في السقيفة وما بعدها، وانثيال كثير من المهاجرين والأنصار إلى غير علي، فيقع في الحيرة والتعجب، فيقول: لو كانت النصوص النبوية على هذا المستوى، فلماذا أعرض عنها المسلمون؟ ولماذا لم يطلب الامام حقه الشرعي؟ ولماذا رضى بالأمر الواقع، ولم ينس فيه بنت شفهة؟ وهذا هو الذي نجيب عنه في المقام، فنقول: إن المهم هو بيان السر الذي دفع الامام إلى ترك المطالبة بحقه بالقدرة والعنف، وأما إعراض المهاجرين والأنصار، أو في الحقيقة - إعراض الرؤوس منهم عن النص، وانثيال غيرهم إليهم، فليس هذا أمراً عجباً، فقد أعرضوا عن كثير من النصوص، واجتهدوا تجاهها

كما تقدّم البحث عن مواردّه . . وإليك تشريح ما هو المهم: (٢٠٠)

إنّ الامام لم يسكت طول حياته عن بيان حقّه وارشاد الناس إليه، بل أظهر عدم رضاه بالأمر الواقع وأنه تعبير آخر عن غضب حقّه، يقف عليه كل من قرأ مأساة السقيفة في كتب التاريخ، فلا يفوتك قراءة طبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، والسيره النبوية لابن هشام، ولا العقد الفريد، ولا الامامة والسياسة لابن قتيبة، فكلها مفعمة بشكوى الامام وعدم قبوله بالأمر الواقع، غير أنّ التكليف حسب القدرة، - وبعدها - في ظلّ المصالح العامّة، فلم يكن للامام قدرة على المطالبة بحقّه، وعلى فرض وجودها كانت المصلحة تكمن يومذاك في ادلاء الأمر إلى متمصّيها وعدم المطالبة بها بالقهر والقوة، وإليك ما يدل على ذينك الأمرين من خلال دراسته التاريخ . ١- هذا ابن قتيبة يسرد تاريخ السقيفة، وما فيه من مآسى، يقول: إنّ علياً كرم الله وجهه أتى به إلى أبي بكر وهو يقول: «أنا عبد الله وأخو رسول الله» فقيل له: بايع، فقال: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقراءة من النبي، وتأخذوه من أهل البيت غضبا! أستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد فيكم فسلموا إليكم الإمارة، فإذا نحن أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار. نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فأنصفوا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتى تباع، فقال له علي: «احلب حلباً لك شطره، وشدّ له اليوم، يردده عليك غداً - ثم قال: - والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه» فقال أبو بكر: فإن لم تباع فلا أكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا ابن عم إنّك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ولا أرى أبابكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واستطلاعاً، فسلم لأبي بكر فإنك إن تعش ويطل لك بقاء، (٢٠١)

فأنت لهذا الأمر خليك وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال علي كرم الله وجهه: «الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس، وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأننا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المتطلع لأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّ لفينا فلا تتبعوا الهوى فضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً» (١). فأى بيان أروع من هذا البيان، وأى بلاغ أصرح منه، فقد فند خلافة المتقمص بيان فقده مؤهلاتها وهي الأمور التالية: «١- ما كان فينا القارىء لكتاب الله، ٢- الفقيه في دين الله، ٣- العالم بسنن رسول الله، ٤- المتطلع لأمر الرعيّة، ٥- الدافع عنهم الأمور السيئة، ٦- القاسم بينهم بالسوية» ومعنى ذلك أنّ المتقمص ومؤيديه فاقدون لهذه الصلاحيات . ٢- لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين انباء السقيفة قال - عليه السلام - : «ما قالت الأنصار؟» قالوا: قالت منّا أمير ومنكم أمير، فقال: «فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله وصّى بأن يحسن إلي محسنهم ويتجاوز عن سيئهم؟» قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟! فقال - عليه السلام - : «لو كانت الامامة فيهم، لم تكن الوصية بهم - ثم قال: - فماذا قالت قريش؟» قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فقال - عليه السلام - : «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» (٢).

١ . الامامة والسياسة ١ / ١١ - ١٢ .

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ٦٧ . (٢٠٢)

وروى الرضى في المقام شعراً للإمام: فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غيب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم * فغيرك أولى بالنبي وأقرب (١) ٣- الامام لم يكتف بهذه الجمل في بادئ الأمر، بل استمرّ على بيان الحقّ بأساليب مختلفة منها إحتجاجه بحديث الغدير في يوم الشورى سنة ٢٣، قال عمر بن واثلة: كنت على الباب يوم الشورى مع علي - عليه السلام - في البيت، فسمعتة يقول: «لأحتنّ عليكم بما لا يستطيع عربيكم ولا أعجميكم تغيير ذلك - ثم قال: - أنشدكم الله، أفيكم من وخذ الله قبلي؟» قالوا: لا... إلى أن قال: - «فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، ليبلغ الشاهد الغائب غيري؟» قالوا: اللهم لا (٢) . ٤- كما ناشد يوم الرحبة سنة ٣٥، روى الأصمغ قال:

نشد على الناس في الرحبة: «من سمع النبي يوم غدیر خم ما قال، إلا قام ولا يقوم إلا من سمع رسول الله» يقول: فقام بضعة عشر رجلاً، فيهم أبو أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت الأنصاري... فقالوا: نشهد أننا سمعنا رسول الله يقول: «ألا- من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وأعن من أعانه» (٣). ولم تكن المناشدة، منحصرة بهذين الموردين، بل ناشد الامام في غير واحد من المواقف الأخرى كما ناشدت زوجته الصديقة الطاهرة بحديث الغدير، وبعده

١. نهج البلاغة (قسم الحكم) برقم ١٩٠.

٢. الصواعق لابن حجر ٧٥، المناقب للخوارزمي ١٣٥ برقم ١٥٢ طبع النشر الاسلامي.

٣. أسد الغابة ٣/ ٣٠٧ و ٥/ ٢٠٥ (٢٠٣)

الحسنان السبطان، وعبدالله بن جعفر وعمير بن ياسر، حتى ناشد به عدوه عمرو بن العاص عند احتجاجه على معاوية (١). وهذه شواهد باهرة على عدم سكوته ولا رضاه، بالأمر الواقع بل استمر على هذا إلى أخريات حياته، ويتح هذا بالرجوع إلى خطبته المعروفة الشقشقية التي ألقاها في آخر خلافته. وأما عدم القيام بأخذ الحق بالقوة، فلاجل أن القيام فرع القدرة، ولم يكن يومذاك أي منعه و قدرة للإمام، ويكفي في ذلك كلامه في خطبته الأخيرة: «فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جداء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدر فيها مؤمن حتى يلقي ربه» (٢). ولو افترضنا وجود القدرة، لكن مصالح الإسلام كانت تكمن في المسالمة واداء الأمر إليهم، يشير إليه الامام تارة بالكناية وأخرى بالتصريح، أما الأول فيقول: «أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه. فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به، لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى

١. راجع للوقوف على هذه المناشيدات كتاب الغدير ١ / ١٥٩ - ٢١٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣. (٢٠٤)

البعيدة» (١). وقد خطب بها الامام لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبایعا له بالخلافة. وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، فيشير الامام إلى ما لديه من العلم المكنون، وهو إشارة إلى الوصية التي خص بها - عليه السلام - وأنه كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه (٢). وقد أوضح ما ذكره مجملًا في هذه الخطبة التي ألقاها بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بخطبته التي ألقاها بعد رجوع الناس إليه وصرح بأن لمسالمة الخلفاء لأجل أخطار كانت تحديق بالمسلمين بعد موت النبي، فقال - عليه السلام - : «إن الله سبحانه بعث محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - نذيراً للعالمين، ومهيماً على المرسلين، فلما مضى - عليه السلام -، تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده - صلى الله عليه وآله وسلم - عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عنى من بعده! فما راعنى إلا انتيال الناس على فلان يبایعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا-يتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٢. شرح نهج البلاغة ١ / ٢١٥. (٢٠٥)

وزهق، واطمأن الدين وتنهنه» (١). ورواه أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن عبدالله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد الطرق في أول إمارة علي - عليه السلام - فمررت بمكة فاعتمرت، ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله، إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج علي - عليه السلام - متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد، فلما قبض الله نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - قلنا: نحن أهله وورثته، وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا - إلى أن قال: - وأيم الله، لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكتنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الأمر ولأهله لم يألو الناس خيراً» (٢). كان الامام - عليه السلام - يرى أن الدعوة إلى نفسه تؤدي إلى تعرض الإسلام إلى الأخطار المهلكة. روى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بويج افتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال بعض بني هاشم شعراً مدح فيه الامام وعاب المتقصرين وقال: ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن أليس أول من صلى لقلبتكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟ وأقرب الناس عهداً بالنبى * من * جبريل عون له في الغسل والكفن

١. نهج البلاغة، قسم الكتب ٦٢.

٢. شرح نهج البلاغة ١ / ٣٠٧، والكلمات متقاربتان. (٢٠٦)

ما فيه ما فيهم لا- يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن ماذا الذي ردهم عنه فعلمه؟ * ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن! قال الزبير: فبعث إليه علي فنهاه، أمراً لا يعود وقال: لسلامة الدين أحب إلينا من غيره. فهذه الكلم والخطب عن علي تعرب عن إخلاصه للدين وحبّه لحفظ الوثام والسلام بين المسلمين وأنه لولا خوف محق الدين لما ترك الأمر إلى الغير، ولقام بالسلاح والكرام على أخذ حقه. «ولو لا مراعاة علي للأوضاع والظروف التي احاطت بالاسلام في تلك الفترة من تاريخه، لحدثت تطورات في تاريخ الإسلام لانستطيع أن نقدّر مدى أثرها السيئ على جهود الرسول والوصي والمخلصين من الصحابة، ولكنه أدرك ذلك، وأحصى ما سيجرّه تصلبه في موقفه من الغنائم على المرتدين والمنافقين الذين أضمرُوا الدمار للإسلام» (١). كان الامام ينظر إلى أن طوائف من العرب على عتبة الارتداد عن الإسلام، وأن بين المسلمين في المدينة طابور خامس يتحين الفرص للقضاء على الإسلام وإحياء الجاهلية، فلم ير بدأ من التسليم للأمر الواقع ومماشاة الخلفاء، ورفع مشاكل المسلمين في المسائل المستجدة والمستعصية والاجابة على أسئلة الوافدين إلى المدينة، وتعليم القرآن للفيء من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، والادلاء بالرأى الحق عند المشاورة، إلى غير ذلك من الأمور التي استغرقت قرابه خمس وعشرين سنه من حياته، إلى عام ٣٥ الذي قتل فيه عثمان بمرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار. وقد أحدث في الإسلام أموراً أدت إلى الفتك به، وكان

١. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ٢٨.

(٢٠٧)

الخليفة الثاني متبئاً به، فقال له: لئن وليتها (الخلافة) لتحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس فحمل بنى أبيه علي رقابهم، يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، فأدى ذلك وغيره إلى قتله في عقر داره. تسّم الامام مقاليد الحكم بعد ربع قرن: كان الامام قرابه ربع قرن جليس بيته، يشتغل ببعض الأمور لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، إلى أن قتل عثمان وانتال الناس على الامام من كل جانب هاتفين: لا يصلح للخلافة إلا علي. فقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري». روى الطبرى نقلا عن محمد بن الحنفية: كنت مع أبي، حين قتل عثمان فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقه، ولا أقرب من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: «لا تفعلوا فاني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً» فقالوا: «والله ما نحن فاعلين حتى نبايعك» فقال: «ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا

عن رضا المسلمين»، قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبدالله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد. فلما دخل، دخل المهاجرون والأنصار، فبايعوه، ثم بايعه الناس (١). وفي رواية أخرى: غشى الناس علينا، فقالوا: نبايعك، فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من ذوى القربى، فقال على: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول» فقالوا: نشدك الله، ألا ترى ما نرى، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله،

١. تاريخ الطبرى ٣ / ٤٥٠ .

(٢٠٨)

فقال: «قد أجبتمكم لما أرى، واعلموا إن أجبتمكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني، فإنما أنا كأحدكم، إلا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم» (١). هذا ما يذكره الطبرى، وأما الامام فهو يصف كيفية هجوم الناس على بيته لمبايعته فيقول: «تداكوا على، تداك الإبل الهيم يوم وردها، وقد أرسلها راعيها، وخُلت مثنائها، حتى ظننت أنهم قاتلي، أو بعضهم قاتل بعض ولدى» (٢). وفي خطبة أخرى: «فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى، ينثالون على من كل جانب حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطفى، مجتمعين حولى كريضه الغنم» (٣). ولم تشهد ساحة الخلافة احتشاداً جماهيرياً إلى يومنا هذا، مثلما شهدته فى ذلك الزمان، فقد جاء الطبرى المهاجرون والأنصار، والتابعون لهم بإحسان على المبايعه، ولم يتخلف إلا قليل من الناس لا يتجاوز عدد الأنامل. وقد جاء الطبرى بأسمائهم يقول: بايعت الأنصار علياً إلا نفرأ سيرا، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمه بن مخلد، وأبو سعيد الخدرى، ومحمد بن مسلمه، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت ورافع بن خديج، وفضاله بن عبيد، وكعب بن عجره وكانوا عثمانية. فقال رجل لعبدالله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعه على وكانوا عثمانية، فقال: أميا حيدان، فكان شاعراً لايبالى ما يصنع، وأميا زيد بن

١. تاريخ الطبرى ٣ / ٤٥٦ .

٢. نهج البلاغه، الخطبة ٥٣، تداكوا: ازدحموا، والهيم: العطاش، يوم وردها: يوم شربها، والمثنى: الحبال.

٣. نهج البلاغه، الخطبة ٣، عؤف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، يضرب به المثل الكثرة، ينثالون: يتتابعون، شق عطفى: خدش جانبه من الاصطكاك. (٢٠٩)

ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله - مرتين - فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا إنه كثر لك من العضدان (١) فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقه «مزينه» وترك ما أخذ منهم له (٢). قام الامام بواجبه، وهم بالاصلاح، وحوله حساد حاقدون، وأعداء يترقبون الفرص، وعمال للخليفة يسألونه البقاء على مناصبهم، فعند ذلك حاقت به الأزمات والشدائد، وهو يصف ذلك بقوله: «فلما نهضت بالأمر نكث طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً و العاقبة للمتقين) (٣) بلى! والله لقد سمعوا ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم، وراقهم زبرجها. أما و الذى فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة (٤) ظالم، ولا سغب (٥) مظلوم، لألقت حبلها على غاربها، ولسقت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنيا كم هذه أزهى عندي من عطفه عنز» (٦). فقد أشار الامام بكلامه هذا إلى حروبه الثلاثة مع طوائف ثلاث، فالناكثون هم أصحاب الجمل، الذين لم يجدوا عند الامام إلا الحق، فطلبوا منه من المناصب ما كان فوق شأنهم وأمانتهم فاجتمعوا فى

مكة تحت غطاء المطالبة بدم عثمان مع

١. العضاد: كل ما يحيط بالعضد من حلى وغيرها .

٢. تاريخ الطبرى ٣ / ٤٥٢ .

٣. القصص / ٨٣ .

٤. الكظة: البطنة (ما يعترى الآكل عند امتلائه بالطعام) والمراد: استثثار الظالم بالحقوق .

٥. السغب: شدة الجوع .

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٣. (٢١٠)

أنهم هم المحرّضون على قتله، وموّلهم جماعة من بنى أمية ولم يكتفوا بذلك، وإنما غرّوا بأُمّ المؤمنين عائشة، وأر كبوها على الجمل يقطعون بها الفيافي والقفار، حتّى نزلوا البصرة، فقتلوا من شيعة علي ومحبّيه ما استطاعوا. فلمّا لاقوا عليّاً بجيوشهم أبوا إلا الحرب فدارت الدوائر على الناكثين، فقتل رؤوس الفتنة، وأرسلت أمّ المؤمنين إلى المدينة بتكريم واحترام. ولكن لم يقف الأمر على هذا الحد، فقام ابن آكلة الأكباد، الطليق ابن الطليق الذي خدّل عثمان، ولم ينصره، ثم انتحل دمه وطلب ثأره، فجمع حوله الهمج والرعا، وتحالف مع عمرو بن العاص الذي عزل عثمان عن ولاية مصر، فألب عليه كل راع رآه في البادية، وسامه معاوية على ولاية مصر، فقابلهم الامام في أرض صفين، وقد كادت الحرب تنتهي لصالح الحق والمسلمين لولا أنّهم رفعوا المصاحف على الرماح، وانطلت الحيلة على عسكر الامام، وقالوا له: أجب القوم، فحذّره الامام بأنّه مكر وخداع، والقوم ليسوا أهل قرآن وسنّة، فطلب منهم المهلة فما أجابوه، قل هددوا ياراقه دمه وقتاله إن لم يُوقف الحرب، ولم يسترجع قائده من ساحة القتال حتّى أن الأشتر قائد القوات طلب منهم المهلة ولو بقدر فواق ناقة أو عدوة فرس، فما وافقوه، فاضطرّ الامام إلى إيقاف الحرب، وادلاء الأمر إلى الحكّمين بشرط أن لا يخرجوا عن حكم الكتاب والسنّة، وكانت نهاية الأمر، عزل مندوب الامام (أبو موسى الأشعري) خليفة المسلمين، ونصب عمرو ابن العاص معاوية للخلافة، كل ذلك بمكر وخداع واحتيال على أبي موسى، فقام الحكّمان ومن حولهما يشتمان ويتسابان . ثم أوثك الذين فرضوا قبول التحكيم على علي، ندموا على ذلك، وطفقوا يطالبونه بنقض الميثاق قبل حكم الحكّمين، فخرجوا عن طاعة علي، وعن جيشه، فنزلوا حروراء ولم يرجعوا إلى الطاعة حتّى بعد ما دعاهم الامام لا عادة الحرب على (٢١١)

معاوية، لما ظهر لهم كون قول حكم الحكّمين على خلاف الكتاب والسنّة، بل أصبحوا يطالبون عليّاً أن يتوب من كفره، كما هم تابوا من كفرهم، لأجل تحكيمه الرجال في أمر الدين، ولم يكتفوا بذلك، فصاروا كقطّاع الطريق يقتلون البريء، ويسفكون الدماء فأوجدوا دهشة ورعباً في قلوب المسلمين، فلم يجد الامام بداً من قتالهم، وإن كان قتالهم أمراً عظيماً، لأنهم كانوا أصحاب الجباه السود، يصومون النهار ويقومون الليل، وفي الوقت نفسه هم المارقون، المعاندون لله ورسوله، وفي حقهم يقول الامام: «إني فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليحترىء عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيبها(١)، واشتدّ كلبها(٢)»(٣) . هذه حياة الامام على وجه الاجمال، حياة من ولد في الكعبة ولم يسجد لصنم ورافق النبي منذ صباه في موطنه ومهجره، ولم يتخلّف عنه في غزوة من غزواته إلا غزوة تبوك، حيث خلفه في المدينة لإدارة شؤونها في غيابه . ومع الأزمات التي خلفت عثمان وعمّاله، وسودوا وجه التاريخ وقطعوا عرى الوحدة بين الخلافة والناس «استطاع أن يجعل من نظامه السياسي المثل الكامل للنظام السياسي للدولة التي أسسها ورفع كيانها رسول الله، وأن يجعل من أعماله وأقواله في السلم والحرب، التجسيد الكامل للشريعة الإسلامية وأن يجعل من سلوكه وأخلاقه الصورة الكاملة لأخلاق الرسول وسلوكه، وبذلك ربط كل مسيرة عهده بمسيرة العهد النبوي الشريف، وثبت للاسلام دعائمه، وأعاد إلى النفوس

١. الغيب: الظلمة، وموجها: شمولها وامتدادها .

٢. الكلب - محرّكة - داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عظه أصيب به فججّ ومات إن لم يبادر بالدواء .

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٩٣. (٢١٢)

المؤمننة أمنها ويقينها بالرسالة الإسلامية الخالدة»(١) . قام الامام بالخلافة، وتقلّمها بعد مقتل عثمان، وقد ترك ولاية يمتصّون دماء الناس، ولم يكن الامام ممّن يساوم ويدهن ويترك الحق جانباً، وأوّل ما قام به، هو أنّه أزال الظلم عن الناس بازالة العمّال والولاة

الظالمين، الذين اكتسروا الذهب والفضة، وملكوا العقارات والمواشي، فعند ذلك قامت قيامة هؤلاء فهم بين ناكث، وقاسط، وضم إليهم أعداء يترقبون الفرص للوثوب، والانتقام، لأنه قتل آباءهم واستأصل شأفتهم في الحروب والغزوات، كل ذلك صار سبباً لانشغال الامام بالحروب الداخلية. ولو كان الامام آخذاً مقاليد الخلافة بعد الرسول، بل حتى بعد خلافة الشيخين لما وجد الانحراف عن الدين وتعاليمه في الحياة مجالاً ولكنه - بالأسف - أخذ بها والمجتمع مثقل بالأزمات والانحرافات . إغارة معاوية على البلاد الآمنة:

هذا ابن أبي سفيان، لما رأى ان الأمصار الإسلامية ما عدا الشام في طاعة الامام، جمع حوله الأشقياء والبغاة، يغيرون على البلاد الآمنة، وينشرون الفوضى والفساد واحداً بعد واحد . ١- فأرسل سفيان بن عوف الغامدي، وقال: إنني موجهك في جيش كثيف، ذي أداة وجلادة فالزم لي جانب الفرات، حتى تمر بهيت (٢) فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليها، وامض، حتى تغير على الأنبار فإن لم تجد بها جنداً، فامض حتى توغل المدائن، فكأنك غرت على الكوفة، إن هذه الغارة يا سفيان على أهل العراق _____

١. الزيدية نظرية وتطبيق ١٩ .

٢. هيت: بلد على الفرات فوق الأنبار . (٢١٣)

ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس على مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال فإن حرب الأموال - أي سلبها - شبيهة بالقتل، وهو أوجع للقلب» (١) . ولما بلغ علياً جنائيات الرجل، خطب خطبته المعروفة وقال: «فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة - إلى أن قال - وهذا أخو غامد، وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعنتها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندى جديراً» (٢) . ٢- هذا بسر بن أرطاة، بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي - عليه السلام - ، فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابني عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، وكانا غلامين صغيرين، فقالت أمهما ترثيهما: يا من أحسّ بابني اللذين هما كالدرتين تشظي عنهما الصدف (٣) وقد خطب الامام بعد ما بلغه النبأ بقوله: «أنبتت بسرّاً قد أطلع اليمن، وائي والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم

١. شرح نهج البلاغة ٢ / ٨٥ .

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧ .

٣. شرح نهج البلاغة ١ / ٣٤٠، تشظاً: تفرق شظايا، راجع للوقوف على بقية الأبيات الكامل للمبرد وقد ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٢ / ١٣ . (٢١٤)

عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم بالحق، وطاعتهم إمامهم بالباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم، وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب، لخشيت أن يذهب بعلاقته» (١) . ٣- دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي، فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً، فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلد فامس في أخرى، ولا تقيم لخيّل بلغك أنّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها، ثم جهّزه بثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف . فاقبل الضحّاك، فنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالثعلبية (٢)، فأغار على الحاج، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن مسعود الهذلي، وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقتله في طريقه الحاج عند القطقانة (٣) . وقتل معه ناساً من أصحابه (٤) . ٤- ولم يكتف معاوية بهذه الهجمات العنيفة على البلاد الآمنة، بل جهّز بسر بن أرطاة مرّة ثانية، لإراقة الدماء في حرم الرسول. ويقول ابن أبي الحديد: كان بسر بن أرطاة قاسي القلب فظّاً سفاكاً للدماء لا رافة

عنده ولا رحمة، وقد جهّزه معاوية في ثلاثة آلاف، وقال له: سر حتى تمرّ بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أحصيت له مالا، فمن لم يكن دخل في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم، واخبرهم أنه لا براءة لهم عندك _____

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٢٥ .

٢ . الثعلبية: من منازل طريق مكة إلى الكوفة .

٣ . بالضم ثم السكون: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .

٤ . شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٦ - ١١٧ . (٢١٥)

ولا عذر. ووصل بسر إلى المدينة المنورة، فشم أهلها وتهدّم وتوغدّم وأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، ودار عمرو بن عوف، ودار رفاعه بن رافع الرزقي ودار أبي أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (١). وقال المسعودي: قتل بسر بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعه وغيرها، وكذلك بالجرف قتل خلقاً كثيراً من رجال همدان، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً. ولما بلغ الخبر علياً أنفذ جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، وحين علم بسر بخبر حارثه فرّ هاربا(٢). وكانت هذه العصابات الاجرامية، تأتي إلى العراق فقتل وتحرق وتدمر، إلى آخر حياة الامام، الذي قضى نحبه في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠. وأصبحت شيعته كغنم غاب عنها راعيها، يفترسهم أعداؤهم عندما استتب الأمر لآل أبي سفيان وآل مروان وهذا هو الذي نظرته في الفصل التالي: _____

١ . شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠، وما ذكرناه ملخص ما ذكره مفضلاً.

٢ . مروج الذهب ٣ / ٣١ طبعة ١٩٤٨ .

الفصل التاسع الشيعة في العصرين الأموي

الفصل التاسع الشيعة في العصرين الأموي والعباسي (٢١٨) (٢١٩)

لبي الامام دعوة ربّه في ليلة الحادي والعشرين من رمضان على يد أشقى الأولين والآخريين، شقيق عاقر ناقه ثمود، وهو يصلّي في محراب عبادته، فلما بلغ عائشة قتل علي، فرحت وقالت: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاباب المسافر ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت: فان يك نائياً فلقد نعاه نعي ليس في فيه التراب فقالت زينب بنت أبي سلمة: أتقولين هذا لعلي؟ فقالت: إنني أنسى، فإذا نسيت فذكروني...!! (١). ولما بلغ خبر قتله إلى معاوية قال: إن الأسد الذي كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه. ثم أنشد: قل للأرانب ترعى أينما سرحت وللظباء بلا خوف ولا وجل (٢) فلما مات الامام، خطب الحسن في مسجد الكوفة، وقال: «ألا أنه قد مضى، في هذه الليلة، رجل لم يدركه الأولون، ولن ير مثله الآخرون. من كان يقاتل _____

١ . الكامل لابن الاثير ٣ / ٣٩٤ طبع دار صادر .

٢ . ناسخ التواريخ، القسم المختص بحياة الامام ٦٩٢ . (٢٢٠)

وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله. والله لقد توفي في هذه الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم وأنزل القرآن. الا- وأنه ما خلف صفراء ولا- بيضاء إلا سبعمائه درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله» (١). ثم بويع الحسن في نهاية خطبته، وأول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري، ثم تتابع الناس على بيعته وكان أمير المؤمنين بايعه أربعون ألفاً من عسكريه على الموت. فبينما هو يتجهّز للمسير قُتل - عليه السلام - . وبايع هؤلاء ولده الحسن، فلما بلغهم مسير معاوية في أهل الشام إليه، تجهّز هو والجيش الذين كانوا قد بايعوا علياً. وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية (٢). وهل وفي هؤلاء للحسن - عليه السلام - وكانوا صادقين في بيعتهم؟ كلا بل خانوه كما خانوا أباه فلم ير الامام بدّاً عن التصالح، لأجل تخاذل أهل العراق أولاً وكون الشيوخ الذين

بايعوا علياً والتفوا حوله كانوا من عبدة الغنائم والمناصب، ولم يكن لهؤلاء نصيب في خلافة الحسن إلا ما كان لهم عند أبيه من قبل ثانياً. وإن عدداً غير قليل ممن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يرسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً، وإن لفيماً من جيشه كانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعاً، إلى غير ذلك من الأسباب التي دفعت الامام إلى قبول الصلح مع معاوية، تحت شروط خاصة تضمنت لشيعته على الأمن والأمان ولكنه بعد ما وافق معاوية على الصلح ووقع عليه، قام وخطب: أتى والله ما قاتلتكم لنصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وأنكم لتفعلون ذلك ولكن قاتلتكم لأنأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون ألا وأنى قد كنت منيت الحسن أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء

١. تاريخ يعقوبى ٢ / ٢١٣ .

٢. الكامل ٣ / ٤٠٤ طبع دار صادر . (٢٢١)

منها له (١) . فعند ذلك فسح المجال لمعاوية في قتل الشيعة واستئصالهم، تحت كل حجر ومدبر. وجاءت المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأموية، فلم يكن للشيعة في تلك الأيام نصيب سوى القتل والنفي والحرمان. وهذا هو الذي نستعرضه في هذا الفصل على وجه الاجمال، حتى يقف القارئ على أن بقاء التشيع في هذه العصور المظلمة، كان معجزه من معاجز الله سبحانه كما يقف على أن الصمود والكفاح والرد على الظلمه وأعاونهم، كان شعار الشيعة منذ عصر الامام إلى يومنا هذا. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية : ١- رساله الامام الحسين إلى معاوية:

«أمياً بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور لم تكن تظننى بها رغبة بى عنها، وأن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رمى إليك عنى، فإنما رقاها الملائقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردن حرباً ولا -خلافاً وائى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم وأعاون الشيطان الرجيم. ألس قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراً على الله واستخفافاً بعهده. أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذى اخلقت وأبليت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من اليهود ما لو فهمته العصم لتزلت من سقف الجبل .

١. الارشاد للشيخ المفيد ١٩١ .

(٢٢٢)

أو لست المدعى زياداً فى الإسلام فزعمت أنه ابن أبى سفيان، وقد قضى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ان الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحانه الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب إليك فى حقه زياد أنه على دين على كرم الله وجهه، ودين على هو دين ابن عمه - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، ولو لا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منه عليكم، وقلت فيما قلت: لا تردن هذه الأمة فى فتنه وائى لا أعلم لها فتنه أعظم من امارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد. وائى والله ما أعرف فضلاً من جهادك، فإن أفعل فإنه قربه إلى ربى، وإن لم أفعله فاستغفر الله لدينى. وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى فكندنى أكدك، تكندنى يا معاوية ما بدا لك، فلعمري لقد يماً يكاد الصالحون وائى لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عمالك فكندنى ما بدالك، وائى الله يا معاوية! واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظن، وأخذك بالثمة، وإمارتك صيباً يشرب الشرب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام» (١) . هذه رساله أبى الشهداء، الحسين بن على - عليهما السلام -، وتكفيك بياناً

١. الامامة والسياسة ١ / ١٦٤، جمهرة الرسائل ٢ / ٦٧ ورواه الكشي في رجاله ٤٨ - ٥١، والمجلسي في البحار ٤٤ / ٢١٢ - ٢١٤ .

(٢٢٣)

وبلاغاً لما جنت به يدا معاوية وعماله على شيعة أبيه، من فتك وقتل ذريع، للأبرياء وصحابة النبي الأكرم ونردفها بكلام حفيده الامام محمّد الباقر - عليه السلام - ، قال لبعض أصحابه: إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود، حتى قتل، فبوع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهب عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل. ثمّ بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه . ثمّ لم نزل - أهل البيت - نُستذل ونستضام، ونقصى ونمتن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أولياننا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاء السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعّة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن - عليه السلام - ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين - عليه السلام - . ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنّة وتهمّة، حتى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل (٢٢٤)

بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع (١) . ولعلّ في رسالة الامام أبي الشهداء، وما قاله حفيده الامام الباقر - عليه السلام - غنى وكفاية لمن اراد أن يعرف الأمر عن كتب ويقف على مظالم الامويين في حق شيعة الامام، غير أنّه ايضاحاً لحقيقته نوّكد ذلك بكلام غيرهما لتتم الحقيّة على الجميع . كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب، فلما قدم زياد الكوفة والياً عليها، طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن علي مستجيراً به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: «من الحسن بن علي إلى زياد، أما بعد: فإنّك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإذا أتاك كتابي هذا، فابن له داره، واردد عليه عياله وماله، وشفّعني فيه فقد أجرته» فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد: فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة، كتبت إليّ في فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضاً منك بذلك، وأيم الله لا- تسبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك، فإنّ أحبّ لحم إليّ أن آكل منه، اللحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفّعتك فيه، وإن قتلته لم

١ . شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٣ - ٤٤ .

(٢٢٥)

أقتله إلاّ لحبه أباك الفاسق، والسلام (١) . «كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصر يحرضهم على لعن عليّ أو البراءة منه، فملاً منهم المسجد والرحبة، فمن أبي ذلك عرضه على السيف» (٢)، وفي المنتظم لابن الجوزي: إنّ زياداً لما حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يخرب دورهم ويحرق نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من علي، وعلم أنّهم سيمنتعون، فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراهم بلدهم (٣) . بيان معاوية إلى عماله:

روى أبو الحسن علي بن محمّد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام

الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء، في كل كورة، وعلى كل منبر، يلغون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي - عليه السلام - فاستعمل عليها زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي - عليه السلام -، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: _____

١. شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ١٩٤ .

٢. مروج الذهب ٣ / ٢٦ .

٣. المنتظم ٥ / ٢٦٣ طبع بيروت . (٢٢٦)

الأ- يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء القطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه. فلبثوا بذلك حيناً . ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله . فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله . ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدوا داره . (٢٢٧)

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي - عليه السلام - ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء والمراؤون، والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك فيتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الاخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدبّروا بها . وذكر ابن أبي الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي - عليه السلام - فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض . ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين - عليه السلام -، وولّى عبدالملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين يبغض على وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من علي - عليه السلام - وعيبه، والطعن فيه، والشنان له حتى أن انساناً وقف للحجاج - ويقال أنه جد الأصمعي عبدالملك بن قريش - فصاح به: أيها الأمير أن أهلي عقّوني فسمّوني علياً، وأنى فقير بائس، وأنا إلى صلّة الأمير محتاج . فتضاحك له الحجاج، وقال: للطف ما توّسّلت به، قد وليتكم موضع كذا. وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - في

تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعه في (٢٢٨)

فضائل الصحابه افتعلت في أيام بنى أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم (١). فمن أراد أن يقف على الضغط الشديد الذى تعرض له الشيعة فى عصر الامويين فليقرأ حياة الصحابه والتابعين الذين قُتلوا بسيف عمال معاوية وآل مروان، وهؤلاء الأبطال: ١- حجر بن عدى الذى قبض عليه زياد بعد هلاك المغيرة سنة (٥١) وبعثه مع أصحابه إلى الشام بشهادة مزورة، وأنه يجتمع عليه شيعة على ويظهرون لعن معاوية والبراء منه . يقول المسعودى: «فى سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدى الكندى - وهو أول من قتل صبراً فى الإسلام - وحمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول - ولا عقب له من غيرها - : ترفع أيها القمر المنير * لعلك ان ترى حجراً يسير إلى معاوية بن حرب * ليقته كذا زعم الأمير ويصلبه على بابى دمشق * وتأكل من محاسنه النسور فقتله مع أصحابه فى مرج العذراء (٢). ٢- عمرو بن الحمق ذلك الصحابى العظيم الذى وصفه الامام الحسين سيد

١ . شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٤ - ٤٦ .

٢ . مروج الذهب ٣ / ٣ - ٤ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦٢ - ٤٦٦ برقم ٩٥ . (٢٢٩)

الشهداء بأنه: أبلت وجهه العبادة. قتله بعد ما أعطاه الأمان (١). ٣- مالك الأشتر ملك العرب، أحد الأشراف والأبطال كان شهماً مطاعاً وكان قائد القوات العلوية قتله بالسم فى مسيره إلى مصر بيد أحد عماله (٢). ٤- رشيد الهجرى كان من تلاميذ الامام وخواصه عرض عليه زياد البراءة واللعن فأبى، فقطع يديه ورجليه ولسانه، وصلبه خنقاً فى عنقه (٣). ٥- جويرية بن مهر العبدى أخذه زياد وقطع يديه ورجليه وصلبه على جذع نخلة (٤). ٦- قنبر مولى أمير المؤمنين إذ قال الحجاج لبعض جلاوزته: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبى تراب، فقالوا: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة له من مولاه قنبر، فبعث فى طلبه، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال له: إبرأ من دين على، فقال له: هل تدلنى على دين أفضل من دينه؟ قال: إئى قاتلك فاختر أى قتله أحب إليك، قال: أخبرنى أمير المؤمنين: ان ميتتى تكون ذبحاً بغير حق. فأمر به فذبح كما تذبح الشاة (٥). ٧- كميل وهو من خيار الشيعة وخاصه أمير المؤمنين طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفذ عمرى ولا ينبغى أن أكون سبياً فى حرمان قومى، فاستسلم للحجج اج، فلما رآه قال له: كنت أحب أن أجد عليك سيلاً فقال له كميل: لا- تبرق ولا- ترعد، فوالله ما بقى من عمرى

١ . سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤ - ٣٥ برقم ٦ .

٢ . شذرات الذهب ١ / ٩١ .

٣ . شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

٤ . شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ .

٥ . رجال الكشى ٦٨ - ٦٩ برقم ٢١ ، الشيعة والحاكمون ٩٥ . (٢٣٠)

إلا- مثل الغبار، فاقض فإن الموعد الله عزوجل، وبعد القتل الحساب. وقد أخبرنى أمير المؤمنين أنك قاتلى، فقال الحجاج: الحجج عليك إذن، فقال: ذلك إن كان القضاء لك، قال: بلى، اضربوا عنقه (١). ٨- سعيد بن جبيرة التابعى المعروف بالعفة والزهد والعبادة وكان يصلى خلف الامام زين العابدين فلما رآه الحجاج قال له: أنت شقى بن كسير، فقال: أمى أعرف بإسمى منك، ثم بعد رد وبدل أمر الحجاج بقتله، فقال سعيد: وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. فقال الحجاج: شدوه إلى غير القبلة، فقال: أينما تولوا فثم وجه الله، فقال: كبوه على وجهه، قال: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، ثم ضربت عنقه (٢). وسيوافيك ما جرى على زيد بن على من الصلب أيام خلافة هشام بن عبد الملك عام (١٢٢) عند الكلام عن فرق الزيدية فتربص حتى حين . هذه صورة مصغرة من جنایات البيت الأموى وقد جئنا بها كنموذج يوقفك على كثير وذكرناه لتقف على

ان بقاء التشيع مع هذه المجازر أشبه بالمعجزة . الشيعة في خلافة العباسيين :

دار الزمان على بنى أمية، وقامت ثورات عنيفة ضدّهم، أثناء خلافتهم إلى أن قضت على آخر ملوكهم (مروان الحمار) (فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣) وولى الأمر العباسيون، وكان الأمر في القتل

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧ / ١٤٩، الشيعة والحاكمون ٩٦ .

٢ . سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٢١ - ٣٢٨، الجرح والتعديل ٤ / ٩ برقم ٢٩ .

٣ . الأنعام / ٤٥ . (٢٣١)

والتشريد والسفك والحبس في عهدهم نفس ما كان في عهد الامويين بل أسوأ بكثير. قال الشاعر: والله ما فعلت أمية فيهم * معشار ما فعلت بنو العباس ١- وأول من تولّى منهم أبو العباس السفّاح ببيع سنة (١٣٢) ومات سنة (١٣٦)، قضى وقته في تتبع الامويين والقضاء عليهم، وهو وإن لم يتعرّض للعلويين، لكنّه تنكّر لهم وشيعتهم ويوعز إلى الشعراء أن يتعرّضوا لأولاد علي ويمحوا عنهم حقّ الخلافة. هذا محمّد أحمد براق يقول في كتابه «أبو العباس السفّاح»: «إنّ أصل الدعوة كان لآل علي، لأنّ أهل خراسان كان هواهم في آل علي لا- آل العباس، لذلك كان السفّاح، ومن جاء بعده مفتّحه عيونهم لأهل خراسان حتّى لا يتفشّى فيهم التشيع لآل علي: ... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدّمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرضون بأبناء علي وينفون عنهم حقّ الخلافة، لأنهم ينتسبون إلى النبي عن طريق ابنته فاطمة، أمّا بنو العباس فإنّهم أبناء عمومة» (١) . ٢- ثمّ جاء بعده أبو جعفر المنصور، وقد شيّد مجد الأسرة العباسية، وكانت خلافته مزيجاً من الخير والشرّ وصار في أخريات أيامه شرّاً كلّه، ويكفي للإمام بجرائمه وقسوته ما كتبه ابن عبد ربّه في العقد الفريد قال: إنّ المنصور كان يجلس ويجلس إلى جانبه واعظاً، ثمّ تأتي الجلاوزة في أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتّى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظني! فإذا ذكره الواعظ بالله، أطرق المنصور كالمنكسر، ثمّ يعود الجلاوزة إلى ضرب الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانياً، قال لواعظه:

١ . أبو العباس السفّاح ٤٨، كما في الشيعة والحاكمون ١٣٩ .

(٢٣٢)

عظني!! (١) . فماذا يريد المنصور من قوله للواعظ، وهل يريد الاستهزاء بالدين الذي نهى عن قتل النفس وسفك الدماء أو يريد شيئاً آخر والله العالم. وأمّا ما جرى منه على العلويين، فنذكر ما يلي حتّى يكون كنموذج لأعماله: يقول المسعودي: جمع المنصور أبناء الحسن، وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وحملهم في محامل مشكوفة وبغير وطاء تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين، ثمّ أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار وأشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خسمه أجزاء، فكانوا يصلّون على فراغ كل واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة، وتورّمت أجسادهم ولا- يزال الورم يصعد من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً (٢) . وقال ابن الأثير: دعا المنصور محمّد بن عبد الله العثماني، وكان أخاً لأبناء الحسن من أمّهم، فأمر بشقّ ثيابه، حتّى بانّت عورته، ثمّ ضرب مائة وخمسون سوطاً، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك اكفف عن وجهي، فقال المنصور للجلاّد: الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً، وأصاب إحدى عينيه فسالت على وجهه، ثمّ قتله - ثمّ ذكر - وأحضر المنصور محمّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحسن الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر، لأقتلّك قتله لم أقتلها أحداً، ثمّ أمر به، فبنى عليه اسطوانة، وهو حي، فمات فيها (٣) .

١ . العقد الفريد ١ / ٤١ .

٢ . مروج الذهب ٣ / ٣١٠ طبع ١٩٤٨ .

٣ . الكامل ٤ / ٣٧٥ . (٢٣٣)

٣- ثم ولى بعده المهدي ولد المنصور، وبقي في الحكم من سنة (١٥٨) إلى سنة (١٦٩) وكفى في ظلمه للعلويين، أنه أخذ على بن العباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فسجنه فسد إليه السم فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه . ٤- ولما توفي المهدي بويع ولده الهادي، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكفى في ظلمه - بالرغم من قصر أيامه - ما يذكره أبو الفرج الأصفهاني: إن أم الحسين صاحب فخ هي زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتل المنصور أباهما واخوتها وعمومتها وزوجها علي بن الحسن، ثم قتل الهادي حفيد المنصور، ابنها الحسين، وكانت تلبس المسوح على جسدها، لا تجعل بينها وبينه شيئاً حتى لحقت بالله عزوجل (١) . ٥- ثم تولى بعده الرشيد سنة (١٧٠) ومات (١٩٣) ونذكر من جرائمه شيئاً واحداً، ما نقله صاحب مقاتل الطالبين عن إبراهيم بن رباح، قال: إن الرشيد حين ظفر بيحيى بن عبد الله بن الحسن، بنى عليه اسطوانة وهو حي، وكان هذا العمل الاجرامى موروثاً من جدّه المنصور (٢) الكاظم فنذكره في الفصل الحادي عشر عند ذكر أئمة الشيعة . ٦- ثم جاء بعده ابنه الأمين، فكان على الحكم أربع سنين وأشهر، يقول أبو الفرج: كانت سيرة الأمين في أمر آل أبي طالب خلاف من تقدم لتشاغله بما كان فيه من اللهو ثم الحرب بينه وبين المأمون، حتى قتل فلم يحدث على أحد منهم في أيامه حدث . ٧- وتولى الحكم بعده المأمون، فقد كان من أقوى الحكام العباسيين بعد

١ . مقاتل الطالبين ٢٨٥ طبع النجف .

٢ . مقاتل الطالبين ٣٢٠ طبع النجف، وروى في مقتله أمراً آخر . (٢٣٤)

أبيه الرشيد. فلما رأى المأمون إقبال الناس على العلويين وعلى رأسهم الإمام الرضا، ألقى عليه القبض بحيلة الدعوة إلى بلاطه، ثم دس السم للإمام الرضا، وسيوافيك تفصيله . ٨- مات المأمون سنة (٢١٨) وجاء إلى الحكم ابنه المعتصم فسجن محمد ابن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب فتغلب عليه وسجنه ثم فر من السجن . ٩- ولى الحكم بعده الواثق وقد سجن الإمام الجواد بن الإمام الرضا - عليه السلام - ، ودس له السم بيد زوجته الأئمة أم الفضل بنت المأمون . ١٠- وولى الحكم بعد الواثق، المتوكل وإليك نموذجاً من حقه علي آل البيت وهو ما ذكره أبو الفرج قال: كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً في جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب (١) قبر الحسين وعفى آثاره، ووضع على سائر الطرق، مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به وقتله أو أنهكه عقوبة . وقال: بعث برجل من أصحابه (يقال له «الديزج» وكان يهودياً فأسلم) إلى قبر الحسين وأمره بكره قبره ومحوه وإخراجه ما حوله، فمضى ذلك، فخرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مأتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه . وقال: حدثني محمد بن الحسين الأشثاني: بعد عهدي بالزيارة في تلك

١ . الكرب: إثارة الأرض للزرع .

(٢٣٥)

الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسى فيها، وساعدنى رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا نصف الليل فصرنا بين مسلحتين، وقد ناموا، حتى أتينا القبر فخفى علينا فجعلنا نشمه (نتسمه) ونتحرى جهته حتى أتيناها، وقد قلع الصندوق الذى كان حوالبه وأحرق وأجرى الماء عليه، فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكبيناه عليه... فودعناه وجعلنا حول القبر علامات فى عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتى صرنا القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه . وقال: واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشيء، وإن قل إلا أنهكه عقوبة،

وأثقله غمًا، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر إلى أن قتل المتوكل فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم بمال فرقه بينهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه (١). وولي بعده المنتصر ابنه وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه - كما عرفت - فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا. وأول ما أحدثه أنه لما ولي الخلافة عزل صالح بن علي عن المدينة، وبعث علي بن الحسين مكانه فقال له - عند المودعة -: يا علي: إنني أوجهك إلى لحمي ودمي فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم - يعني آل أبي طالب - فقلت: أرجو أن أمثل رأي أمير المؤمنين - أيده الله - فيهم، إن شاء الله. قال: إذا تسعد _____

١. مقاتل الطالبيين ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢٣٦)

بذلك عندي (١). وقام بعده المستعين بالأمر، فنقص كلما غزله المنتصر من البر والإحسان، ومن جرائمه أنه قتل يحيى بن عمر بن الحسين، قال أبو الفرج: وكان - رضى الله عنه - رجلاً فارساً شجاعاً شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله، ولما أدخل رأسه إلى بغداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له، ودخل أبو هاشم علي محمداً بن عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، قد جئتكم مهتماً بما لو كان رسول الله حياً يعزى به. وأدخل الأسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد ولم يكن روى قبل ذلك من الأسارى لحقه ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سواقاً عنيفاً، فمن تأخر ضربت عنقه. قال أبو الفرج: وما بلغني أن أحداً ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه. هذا قليل من كثير من المجازر الدامية، التي قام بها بنو العباس وأتو بجرائمهم لم يسبقهم أحد من الأمويين ولا من جاء بعدهم إليها وهم كما قال الشاعر: تالله إن كانت بنو أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوماً فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها * هذا لعمر ك قبره مهدوماً أسفوا على أن لا - يكونوا شايعوا * في قتله فتبعوه رميماً ومن أراد أن يقف على سجل جرائم الدولتين (الأموية والعباسية) وملف مظالمهم فعليه قراءة القصائد الثلاث التي نظمها رجال مؤمنون مخلصون، عرضوا أنفسهم للمخاوف والأخطار طلباً لرضى الحق:

١. مقاتل الطالبيين ٦٣٦.

(٢٣٧)

١- تائية دعبل الخزاعي الشهيد عام ٢٤٦ هـ، فإنها وثيقة تاريخية خالدة تعرب عن سياسة الدولتين تجاه أهل البيت - عليهم السلام -، وقد أنشدها الشاعر للإمام الرضا، فبكى وبكت معه النسوة. أخرج الحموي عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي قال: أنشدت قصيدة لمولاي على الرضا - رضى الله عنه -: مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات قال دعبل: ثم قرأت باقي القصيدة، فلما انتهيت إلى قولي: خروج إمام لا محالة واقع * يقوم على اسم الله والبركات بكى الرضا بكاءً شديداً. ومن هذه القصيدة قوله: هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه * ما حكمه بالزور والشبهات تراث بلا قربي وملك بلا هدى * وحكم بلا شورى بغير هدايات وفيه أيضاً قوله: لآل الرسول بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذى الثفات ديار عفاها جور كل منابذ * ولم تعف للآيام والسنوات ودار لعبد الله والفضل صنوه * سليل رسول الله ذى الدعوات منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات منازل وحى الله معدن علمه * سبيل رشاد واضح الطرقات منازل وحى الله ينزل حولها * على أحمد الروحات والغدوات إلى أن قال: ديار رسول الله أصبحن بلقعا * ودار زياد أصبحت عمرات (٢٣٨)

وآل رسول الله غلَّت رقابهم * وآل زياد غلَّظت القصرات وآل رسول الله تُدْمى نحورهم * وآل زياد زينوا الحجلات وفيها أيضاً: أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً * وقد مات عطشاناً بشط فرات إذا للطم الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين في الوجنات أفاطم قومي يا ابنة الخير وانديبي * نجوم سماوات بأرض فلات (١) ٢- ميمية الأمير أبي فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ)، هذه القصيدة تعرف بالشافية

وهي من القصائد الخالدة، وعليها مسحة البلاغة، وروثق الجزالة، وجودة السرد، وقوة الحجّة، وفخامة المعنى، أنشدتها ناظمها لماً وقف على قصيدة ابن سكره العباسي التي مستهلها: بنى على دعوا مقاتلكم * لا ينقض الدر وضع من وضعه فقال الأمير في جوابه ميمته المعروفة وهي: الحق مهتضم والدين مخترم * وفي آله رسول الله مقتسم إلى أن قال: يا للرجال أما لله منتصر * من الطغاة؟ أما لله منتقم؟ بنو علي رعايا في ديارهم * والأمر تملكه النسوان والخدم! (٢) ٣- جيمته ابن الرومي التي رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد، وهي: _____

١. لاحظ للوقوف على هذه القصيدة: المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٣٩٤، وروضه الواعظين للفتال النيسابوري ١٩٤، وكشف الغمة للاربلي ٣ / ١١٢ - ١١٧، وقد ذكرها أكثر المؤرخين .

٢. نقلها في الغدير برمتها وأخرج مصادرها، لاحظ ٣ / ٣٩٩ - ٤٠٢ . (٢٣٩)

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج * طريقان شتى مستقيم وأعوج ألا أي هذا الناس طال ضرير كم * بآل رسول الله فاختشوا أو ارتجوا أكل أو ان للنبي محمد * قتيل زكى بالدماء مضرّج (١) «والله لا يعرف التاريخ أسرة كأسرة أبي طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة، وطيب النجار، ضل عنها حقها، وجاهدت في سبيل الله حقّ الجهاد من الاعصار، ثم لم تظفر من جهادها المرير إلا بالحسرات ولم تعقب من جهادها إلا العبرات، على ما فقدت من أبطال أسألوا نفوسهم في ساحة الوغى، راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم، وصافحوا الموت في بسالة فائقة وتلقوه في صبر جميل يثير في النفس الاعجاب والاكبار ويشيع فيها ألوان التقدير والاعظام . وقد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة في محاربتها وأذوقها ضروب النكال، وصبوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلا ولا ذمة ولم يرعوا لها حقاً ولا حرمة وأفرغوا بأسهم الشديد على النساء والأطفال، والرجال جميعاً في عنف لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال، في فظاعة النكال، وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والموودة في قلوب الناس وأشاعت الأسف الممض في ضمائرهم، وملأت عليهم أقطار نفوسهم شجنا، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثاً يروى وخبراً يتناقل، وقصصاً يقص، يجد فيه الناس إرضاء عواطفهم وإرواء مشاعرهم فتطلبوه وحرصوا عليه» (٢) . كانت الشيعة حليف الضغط والكبت، لم ير الامويون والعباسيون ولا الملوك _____

١. مقاتل الطالبين ٦٣٩ - ٦٤٦ .

٢. مقدمة مقاتل الطالبين، بقلم السيد أحمد صفر: الصفحة ٥ - ك، طبع دار المعرفة . (٢٤٠)

الغزاة ولا- السلاجقة ولا- من أتى بعدهم أي حرمة لنفوسهم واعراضهم وعلومهم ومكتباتهم، وكانت اليهود والنصارى أحراراً في الرقعة الإسلامية وكانت الشيعة تعيش في التقية ولا يتوجه أي ذنب على الشيعة في أن يتقى أخاه المسلم، ويظهر له خلاف ما يعتقد. إنما التقصير على من حملهم على التقية، وأباح دمهم وعرضهم وأموالهم فلم يربداً، لصيانته نفسه ونفيسه من التقية . هذا هو طغرل بيك أول ملك من السلاجقة ورد بغداد سنة ٤٤٧ وشن على الشيعة حملة شعواء وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن اردشير، وزير بهاء الدولة البويهى وكانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل في محلة بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١ على مثال بيت الحكمة المذى بناه هارون الرشيد، وكانت مهتمة للغاية وقد جمع فيه هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق واستكتب تأليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد علي، وناقت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين (١) . قال ياقوت الحموي: وبها كانت خزانه الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعبرة وأصولهم المحررة (٢) . وكان من جملتها مصاحف بخط ابن مقله على ما ذكره ابن الأثير (٣) . وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب، أخذ العلماء يهدون إليه _____

١. خطط الشام ٣ / ١٨٥ .

٢ . معجم البلدان ٢ / ٣٤٢ .

٣ . الكامل في التاريخ ١٠ / ٣ (٢٤١)

مؤلفاتهم، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، وقد احترقت هذه المكتبة العظيمة فيما احترق من محال كرخ عند مجيء طغرل بيك وتوسّعت الفتنة حتى أتجّعت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للكلام . وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨: وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره ثم قال في حوادث سنة ٤٤٩: وفي صفر هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة في الكرخ، وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسيه يجلس إليه للكلام، وأخرج إلى الكرخ وأضيف إليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إن قصدوا زيارة الكوفة، فأحرق الجميع (١) . وأنت إذا سبرت غضون التاريخ المؤلّف في عصور الامويين والعباسيين ومن بعدهم - مع أنّه قد لعبت به الهوى ودسّ فيها أشياء وأشياء - تقف على أنّ بقاء الشيعة إلى العصر الحاضر من المعاجز والكرامات وخوارق العادات، وكيف وأنّ تاريخهم هو الذبح، والقتل، والقمع، والاستئصال، والسحق، والإبادة، قد تصافرت قوى الكفر والفسق على إهلاكهم وقطع جذورهم ومع ذلك فقد كانت لهم دول ودويلات، ومعاهد وكليات، وبلدان وحضارات، وأعلام ومفاخر وعباقرة وفلاسفة، وفقهاء ومحدّثون ووزراء وسياسيون، ويشكلون اليوم خمس المسلمين أو ربعهم، إنّ ذلك من فضله سبحانه لتعلّق مشيئته على إبقاء الحقّ —————

١ . المنتظم ٨ / ١٧٣ - ١٧٩، نقلنا ما يتعلّق بمكتبة أبي نصر سابور والشيخ الطوسي عن مقدّمة شيخنا الطهراني على التبيان وذكرنا المصادر التي أوّماً هو إليها في الهامش، لاحظ الصفحة هـ - و ومن المقدّمة .

(٢٤٢)

و إزهاق الباطل في ظل قيام الشيعة طيلة القرون بواجبها وهو الصمود أمام الظلم، والتضحية والتفدية للمبدأ والمذهب وقد قال سبحانه: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (١) . ولا يفوتك أنّ ثوراتهم المتعاقبة أدّت إلى تشريدهم وقتلهم والفتك بهم، ولو أنّهم ساوموا السلطة الأموية والعباسية، لكانوا في أعلى المناصب والمدارج، لكن ثوراتهم لم تكن عنصرية أو قومية أو طلباً للرئاسة، بل كانت لإزهاق الباطل ورفع الظلم عن المجتمع، والدعوة إلى اعلاء كلمة الله وغير ذلك ممّا هو من وظائف العلماء العارفين .

١ . الأنفال / ٦٥ .

الفصل العاشر في عقائد الشيعة الإمامية

الفصل العاشر في عقائد الشيعة الإمامية

(٢٤٤) (٢٤٥)

إنّ المناهج الكلامية التي فرّقت المسلمين إلى مذاهب حدثت في أواخر القرن الأوّل الهجري، واستمرّت في القرون التالية، نجمت عنها فرق اسلامية كالمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والحشوية، والأشعرية، والكرامية بفرقهم المتشعبة، فأكثر الفرق الإسلامية أو جميعها نتاج البحث والمذاكرة بالاضافة إلى الاحتكاك الفكري بين المسلمين والأمم الأخرى التي حملت إليهم مسائل وموضوعات جديدة، فلا تجد لأكثرها أو جميعها تاريخاً متصلاً بزم النبي الأكرم، ويقف على صدق ما ذكرنا من سبر أجزاء كتابنا هذا . مثلاً الخوارج - مضافاً إلى أنّها كانت فرقة سياسية نجمت عام ٣٧ من الهجرة أثناء حرب صفين - تبدّلت إلى فرقة دينية في أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني . والمرجئة ظهرت على الأوساط الإسلامية عند اختلاف الناس في الخليفتين عثمان وعلي، ثم تطوّرت إلى معنى آخر وكانت حصيلة التطور هو تقديم الإيمان وتأخير العمل . والجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّي سنة ١٢٨، والمعتزلة تستمد من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري المتوفّي عام ١٣٠، وهكذا القدرية (٢٤٦)

والكرامية والظاهرية والأشعرية كلها فرق نتجت عن البحث الكلامي وصقلها الجدل عبر القرون، فلا تجد لهذه الفرق سنداً متصلاً بالنبي الأكرم . وأما عقائد الشيعة الإمامية، فليست حصيلة الاحتكاك بالثقافات الأجنبية ولا ما أنتجته البحوث الكلامية طوال القرون، وإنما هي عقائد مأخوذة من الذكر الحكيم أولاً، والسنة النبوية ثانياً، وخطب الامام علي وكلمات العترة الطاهرة المأخوذة من النبي الأكرم ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياتهم الطاهرين . وهذا لا يعنى أن الشيعة تتعبد بالنصوص في أوصلها من دون تحليل وتفكير، بل يعنى أن أصول العقائد الواردة في المصادر المذكورة، أخذها علماءوهم منها، وحرّروها بأوضح الوجوه، ودعموها بالبرهنة، نعم لا- يعتمدون في مجال العقيدة على آحاد الروايات بل يشترط فيها أن تكون متواترة، أو محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم واليقين، إذ ليس المطلوب في باب الاعتقاد مجرد العمل، بل المطلوب هو الاذعان والإيمان ولا يحصل بأحد الروايات . وهنا نكتة جديرة بالتنبيه، وهي أن قوام التشيع عبارة عن الاعتقاد بأن الإمام علياً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبي الأكرم، وأنه وعترة الطاهرة هم المرجع الوحيد بعد الذكر الحكيم. هذا هو العنصر المقوم للتشيع وأما سائر الأصول فإنها عقائد اسلامية لا تتصل بالتشيع دون غيرهم . وها نحن نذكر قصاصات من عقائد الشيعة الامامية، الواردة في أحاديث أئمتهم تارة، وكلمات علمائهم الأقدمين ثانياً، حتى يقف القارئ على جذور تلك العقائد وأنها مأخوذة عن أئمتهم الطاهرين، وفي مقدمتهم خطب الامام علي - عليه السلام - . (٢٤٧) -١ ما كتبه الامام الرضا - عليه السلام - للمأمون في محض الإسلام:

روى الصدوق بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سألت المأمون علي بن موسى الرضا أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب - عليه السلام - له: «إن محض الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً قيوماً، سميعاً، بصيراً، قديراً، قديماً، قائماً، باقياً، عالمياً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور، وأنه خالق كل شيء، ليس كمثل شيء، لا شبه له ولا ضد له ولا ند له ولا كفو له، وأنه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبنة. وإن محمداً عبده ورسوله وأمينه وصفته وصفوته من خلقه، وسيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبي بعده ولا تبديل لمملكته ولا تغيير لشريعته، وإن جميع ما جاء به محمداً بن عبد الله هو الحق المبين، والتصديق به وجميع من مضى قبله من رسل الله، وأنبيائه، وحججه، والتصديق بكتابه، الصادق العزيز الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١) وأنه المهيم على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، تؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعدته ووعدته، وناسخه ومنسوخه، وقصصه واخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله . وإن الدليل بعده والحجة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيه ووليه، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى: علي بن أبي طالب - عليه السلام - أمير المؤمنين، وإمام

١ . فصلت / ٤٢ .

(٢٤٨)

المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين ووارث علم النبيين والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمداً بن علي باقر علم النبيين، ثم جعفر بن محمداً الصادق وارث علم الوصيين، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمداً بن علي، ثم علي بن محمداً، ثم الحسن بن علي، ثم الحجية القائم المنتظر - صلوات الله عليهم أجمعين - . أشهد لهم بالوصية والإمامة، وأن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى على خلقه في كل عصر وأوان، وأنهم العروة الوثقى، وأئمة الهدى، والحجة على أهل الدنيا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كل من خالفهم ضال، مضل، باطل، تارك للحق والهدى، وأنهم المعبرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالبيان، ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وإن من دينهم الورع، والفق، والصدق والصلاة والاستقامة والاجتهاد، واداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود وصيام النهار وقيام الليل واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء وكرم الصحبة (١) . ثم ذكر الامام فروغاً شتى من مختلف

أبواب الفقه وأشار إلى بعض الفوارق بين مذهب أهل البيت وغيرهم لا- يهمننا في المقام ذكرها ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى المصدر. * * * ٢- عرض السيد عبدالعظيم الحسنى عقائده على الإمام الهادى:

روى الصدوق عن عبدالعظيم الحسنى (٢) قال: دخلت على سيدى على بن محمّد بن على بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - عليهم السلام - فلتمّياً بَصْرَبى، قال لى: «مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً» قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك دينى، فإن كان مرضياً ثبتّ عليه حتى ألقى الله عزّ وجلّ. فقال: «هاتها أبا القاسم». فقلت: إني أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثلته شىء، خارج من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا- جوهر، بل هو مجسّم الأجسام ومصورّ الصور، وخالق الاعراض والجواهر، وربّ كل شىء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمّداً عبده

١. عيون أخبار الرضا ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

٢. عبدالعظيم بن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب - عليهم السلام - من أصحاب الإمام الهادى، قال النجاشى: له كتاب خطب أمير المؤمنين ورد الرى هارباً من السلطان وسكن سرباً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالى، فكان يعبد الله في ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله، فكان يخرج مستتراً، فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ويقول هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر - عليه السلام - فلم يزل يأوى إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمّد - عليهم السلام - حتى عرفه اكثرهم رجال النجاشى ٢ / ٦٥ - ٦٦، ومات عبدالعظيم بالرى وقبره مزار. يزوره الناس. وذكره الشيخ الطوسى في رجاله في أصحاب الإمام الهادى والعسكرى تحت رقم ١ و ٢٠. وذكره أيضاً عمده الطالب ٩٤ . (٢٤٩)

ورسوله خاتم النبيين، فلا نبى بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الامام والخليفة وولّى الأمر بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ على بن الحسين، ثمّ محمّد بن على، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ على بن موسى، ثمّ محمّد بن على، ثمّ أنت يا مولاي . فقال - عليه السلام - : «ومن بعدى الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل (٢٥٠)

ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً- الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليهم ولّى الله، وعدوهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعاد حقّ، والمساءلة في القبر حقّ، وأنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ، وأنّ الساعة آتية لا- ريب فيها وأنّ الله يبعث من فى القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال على بن محمّد - عليه السلام - : يا أبا القاسم: «هذا والله دين الله البذى ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» (١) . وقد اكتفينا بهذين النصّين من الإمامين الطاهرين، أحدهما قولى، والآخر امضائى، وقد أخذوا عقائدهم عن آبائهم الطاهرين . * * * ٣- رسالة الصدوق «٣٠٦ - ٣٨١» فى عقائد الإمامية:

إنّ لمشاينا الإمامية قصاصات فى بيان عقائد الشيعة ومعارفهم، ونختار فى المقام رسائل موجزة، من المتقدّمين : صنّف الشيخ الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١) رسالة موجزة فى عقائد الإمامية، قال: اعلم أنّ اعتقادنا فى التوحيد، أنّ الله تعالى واحد، أحد، ليس كمثلته شىء، قديم لم يزل ولا- يزال، سميعاً بصيراً، عليمًا حكيمًا، حيًّا قتيومًا، عزيزاً قَدوسًا، عالماً قادراً، غنيًّا، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا- عرض - إلى أن قال: - وأنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين، حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه،

١ . التوحيد: باب التوحيد والتشبيه ٨١ رقم الحديث ٣٧ .

(٢٥١)

وأنة تعالى شيء لا كالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولا ند ولا ضد، ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير، خالق كل شيء لا إله إلا هو، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس... ثم إنه قدس الله سره ذكر الصفات الخبرية في الكتاب العزيز وفسرها، وبين حداً خاصاً لصفات الذات وصفات الأفعال، وما هو معتقد الإمامية في أفعال العباد، وأنه بين الجبر والتفويض، كما ذكر عقائدهم في القضاء والقدر، والفطرة والاستطاعة إلى غير ذلك من المباحث الهامة، التي تشكّل العمود الفقري للمعارف الإلهية. حتى أنه قال: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سورة عند الناس ١١٤ سورة، وعندنا أن الضحى والانشراح سورة واحدة، كما أن الإيلاف والفيل سورة واحدة. ومن نسب إلينا أننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب... إلى آخر الرسالة (١). ثم إن الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣) قد شرح تلك الرسالة بكتاب أسماه شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد ناقش فيها أستاذه الصدوق في بعض المواضع التي

١. لاحظ رسالة الصدوق في الاعتقادات، وقد طبعت غير مرة، وعليها شروح وتعليق العلماء منهم العلامة المجلسي .

(٢٥٢)

استند فيها الصدوق على روايات غير جامعة للشرائط في باب العقائد (١) . ٤- ما أملاه هو أيضاً على جماعة في المجلس الثالث والتسعون، وجاء فيه: واجتمع في هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملئ عليهم وصف دين الإمامية على الإيجاز والاختصار، فقال: دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عما لا يليق، والإقرار بأنبياء الله ورسوله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأن محمداً هو سيد الأنبياء والمرسلين، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقرّبين، وأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده... إلى آخر ما ذكر (٢) . * * * ٥- جمل العلم والعمل للسيد الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦):

ألّف السيد الشريف المرتضى رسالة موجزة في العقائد أسماها جمل العلم والعمل. وفيه عقائد الشيعة على وجه الإيجاز نذكر خصوص ما يرجع إلى التوحيد فعلى القارئ الكريم مطالعة نفس الرسالة ونقتطف ما يلي: بيان ما يجب اعتقاده في أبواب التوحيد: الأجسام محدثة لأنها لم تسبق الحوادث، فلها حكمها في الحدوث، ولا بدّ لها من محدث، لحاجته كل محدث في حدوثه إلى محدث كالصناعة والكتابة. ولا بدّ من كونه (تعالى) قادراً لتعدّد الفعل على من لم يكن قادراً وتيسره على

١. طبع الكتاب مع كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد في تبريز عام ١٣٧١ .

٢. الأمامي للشيخ الصدوق - أملاه يوم الجمعة الثاني عشر من شعبان سنة ٣٦٨ - لاحظ ٥٠٩ طبع بيروت . (٢٥٣)

من كان كذلك . ولا بدّ من كون محدثها عالماً لأنّ الإحكام ظاهر في كثير من العالم، والمحكم لا يقع إلا من عالم . ولا بدّ من كونه موجوداً، لأنّ له تعلّقاً من حيث كان قادراً عالماً، وهذا الضرب من التعلّق لا يصحّ إلا مع الوجود . ويجب كونه قديماً، لانتهاء الحوادث إليه . ويجب كونه حياً، وإلا لم يصحّ كونه قادراً، عالماً، فضلاً عن وجوبه. ويجب أن يكون مدرّكاً إذا وجدت المدرّكات، لاقتضاء كونه حياً. ذلك، وواجب كونه سميعاً بصيراً، لأنه ممّن يجب أن يدرك المدرّكات إذا وجدت، وهذه فائدة قولنا سميع بصير . ومن صفاته - وإن كانتا عن علمه - كونه تعالى مريداً وكارهاً لأنّه تعالى، قد أمر وأخبر ونهى، ولا يكون الأمر والخبر، أمراً ولا خبيراً إلا بالإرادة. والنهي لا يكون نهياً إلا بالكراهة . ولا يجوز أن يستحق هاتين الصفتين لنفسه، لوجوب كونه مريداً، كارهاً للشئ الواحد، على الوجه الواحد . ولا لعلمه قديمه، لما سنبطل به الصفات القديمة . ولا لعلمه محدثه في غير حى لا فتقار الإرادة إلى تنبيهه. ولا لعلمه موجودة في حى، لوجوب رجوع حكمها إلى ذلك الحى. فلم يبق إلا - أن توجد لا - في محل . ولا يجوز أن يكون له في نفسه صفة

زائدة على ما ذكرناه لأنه لا- حكم لها معقول . وإثبات ما لا حكم له معقول من الصفات، يفضى إلى الجهالات . ويجب أن يكون قادراً فيما لم يزل، لأنه لو تجدد له ذلك لم يكن إلا لقدرة (٢٥٤)

محدثه، ولا يمكن اسناد احداثها إلا إليه، فيؤدى إلى تعلق كونه قادراً بكونه محدثاً، وكونه محدثاً بكونه قادراً. وثبوت كونه قادراً فيما لم يزل، يقتضى أن يكون فيما لم يزل حياً موجوداً. ويجب أن يكون عالمياً فيما لم يزل لأن تجدد كونه عالمياً، يقتضى أن يكون بحدوث علم، والعلم لا يقع إلا ممن هو عالم . ووجوب هذه الصفات، لم تدل على أنها نفسية، وادعاء وجوبها لمعان قديمة، تبطل صفات النفس. ولأن الاشتراك في القدم، يوجب التماثل والمشاركة في سائر الصفات. ولا يجوز خروجه تعالى عن هذه الصفات لإسنادها إلى النفس . ويجب كونه تعالى غنياً غير محتاج، لأن الحاجة تقتضى أن يكون ممن ينتفع ويستضر وتؤدى إلى كونه جسمياً . لا يجوز كونه تعالى (متصفاً) (١) بصفة الجواهر والأجسام والاعراض لقدمه وحدوث هذه أجمع، ولأنه فاعل الأجسام. والجسم يتعدّر عليه فعل الجسم. ولا- يجوز عليه تعالى الرؤية لأنه كان يجب مع ارتفاع الموانع وصحة أبصارنا أن تراه . ولمثل ذلك يعلم أنه لا يدرك بسائر الحواس . ويجب أن يكون تعالى واحداً لا ثانى له في القدم، لأن إثبات ثان يؤدى إلى إثبات ذاتين لاحكم لهما يزيد على حكم الذات الواحدة ويؤدى أيضاً إلى تعدّر الفعل على القادر من غير جهة منع معقول. وإذا بطل قديم ثان بطل قول الثنوية

١ . أضفناها من عندنا لاقتضاء السياق .

(٢٥٥)

والنصارى والمجوس... إلى آخرها (١) . ٦- البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان للكراچكى «ت (٤٤٩):

كتب الإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن علي الكراچكى الطرابلسى رساله موجزة في عقائد الإمامية وأسمائها «البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان» . قال: سألت يا أخى أسعدك الله بأطافه، وأيدك باحسانه واسعافه، أن اثبت لك جملا من اعتقادات الشيعة المؤمنين، وفصولا في المذهب يكون عليها بناء المسترشدين لتذاكر نفسك بها، وتجعلها عده لطالبيها، وأنا أختصر لك القول وأجمله، وأقرب الذكر وأسهله وأورده على سنن الفتيا في المقالة، من غير حجة ولا دالة، وما توفيقى إلا بالله . فى توحيد سبحانه:

إعلم أن الواجب على المكلف: أن يعتقد حدوث العالم بأسره، وأنه لم يكن شيئاً قبل وجوده، ويعتقد أن الله تعالى هو محدث جميعه، من أجسامه، واعراضه، إلا أفعال العباد الواقعة منهم، فإنهم محدثوها دونه سبحانه . ويعتقد أن الله قديم وحده، لا قديم سواه، وأنه موجود لم يزل، وباق لا- يزال، وأنه شىء لا- كالأشياء. لا- شبه الموجودات، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وإن له صفات يستحقها لنفسه لا لمعان غيره، وهى كونه حياً، عالمياً،

١ . جمل العلم والعمل قسم العقائد، الطبعة الثانية تحقيق رشيد الصفار، طبعة النجف طالع الرسالة بأجمعها، نعم رأيه فى اعجاز القرآن من القول بالصرف رأى شخصى له ولا يمثل رأى جمهور الامامية وفيها وراء النصوص، آراء كلامية .

(٢٥٦)

قديمياً، باقياً، لا يجوز خروجه عن هذه الصفات إلى ضدها، يعلم الكائنات قبل كونها، ولا يخفى عليه شىء منها . فى عدله سبحانه: وإن له صفات أفعال، لا- يصح اضافتها إليه فى الحقيقة، إلا بعد فعله، وهى ما وصف به نفسه من أنه خالق، ورازق، ومعط، وراحم، ومالك، ومتكلم، ونحو ذلك. وإن له صفات مجازات وهى ما وصف به نفسه، من أنه يريد، ويكره، ويرضى، ويغضب. فارادته لفعل هى الفعل المراد بعينه، و ارادته لفعل غيره هى الأمر بذلك الفعل، وليس تسميتها بالارادة حقيقة، وإنما هو على مجاز اللغة، وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه، وأنه لا يفتقر إلى مكان، ولا يدرك بشىء من الحواس . وأنه منزّه من القبائح، لا يظلم الناس وإن كان قادراً على الظلم، لأنه عالم بقبحه، غنى عن فعله، قوله صدق، ووعدته حق، لا يكلف خلقه على ما لا يستطاع، ولا يحرمهم صلاحاً لهم فيه الانتفاع، ولا- يأمر بما لا- يريد، ولا- ينهى عمياً يريد. وأنه خلق الخلق لمصلحتهم، وكلفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح فى

التكليف عليهم، وفعل أصلح الأشياء بهم. وأنه أقدرهم قبل التكليف، وأوجد لهم العقل والتمييز. وإن القدرة تصلح أن يفعل بها وضده بدلا منه. وإن الحق الذي يجب معرفته، يدرك بشيئين، وهما العقل والسمع، وإن التكليف العقلي لا- ينفك عن التكليف السمعي. وإن الله تعالى قد أوجد (للناس) في كل زمان مسمعا (لهم) من أنبيائه، وحججه بينه وبين الخلق، يتبهم على طريق الاستدلال في العقليات ويفقههم على ما لا يعلمونه إلا به من السمعيات. وإن جميع حجج الله تعالى محيطون (٢٥٧)

علما بجميع ما يفتقر إليهم فيه العباد. وأنهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختيار. وإن الله فضلهم على خلقه، وجعلهم خلفاء القائمين بحقه. وأنه أظهر على أيديهم المعجزات، تصديقا لهم فيما أذعوه من الأنباء والاخبار. وأنهم - مع ذلك - بأجمعهم عباد مخلوقون، بشر مكلفون، يأكلون ويشربون، ويتناسلون، ويحيون بإحيائه، ويموتون بإماتته، تجوز عليهم الآلام المعترضات فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا يقدر على خلق، ولا رزق، ولا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم إله الخلق. وإن أقوالهم صدق، وجميع ما أتوا به حق. في النبوة العامة والخاصة:

وإن أفضل الأنبياء أولوا العزم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، وإن محمداً بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أفضل الأنبياء أجمعين، وخير الأولين والآخرين. وأنه خاتم النبيين وإن آباءه من آدم - عليه السلام - إلى عبد الله بن عبد المطلب - رضوان الله عليهم - كانوا جميعاً مؤمنين، وموحدين لله تعالى عارفين، وكذلك أبوطالب - رضوان الله عليه - . ويعتقد أن الله سبحانه شرف نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بياهر الآيات، وقاهر المعجزات، فسبح في كفه الحصاء، ونع من بين أصابعه الماء، وغير ذلك مما قد تضمنته الأنباء، وأجمع على صحته العلماء، وأتى بالقرآن المبين، الذي بهر به السامعين، وعجز من الاتيان بمثله سائر الملحدين. وإن القرآن كلام رب العالمين، وأنه محدث ليس بقديم. ويجب أن يعتقد أن جميع ما فيه من الآيات الذي يتضمن ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه، وأنه يجبرهم على طاعته أو معصيته، أو يضل بعضهم عن طريق هدايته، فإن ذلك كله لا يجوز حمله على ظاهرها، وإن له تأويلا، يلائم ما تشهد به العقول مما قدمنا ذكره في (٢٥٨)

صفات الله تعالى، وصفات أنبيائه. فإن عرف المكلف تأويل هذه الآيات فحسن، وإلا أجزأ أن يعتقد في الجملة أنها متشابهات، وأن لها تأويلا- ملائما، يشهد بما تشهد به العقول والآيات المحكمات، وفي القرآن المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والناسخ والمنسوخ والخاص والعام. ويجب عليه أن يقر بملائكة الله أجمعين، وأن منهم جبرئيل وميكائيل، وأنهما من الملائكة الكرام، كالأنبياء بين الأنام، وأن جبرئيل هو الروح الأمين، الذي نزل بالقرآن على قلب محمد خاتم النبيين، وهو الذي كان يأتيه بالوحي من رب العالمين. ويجب الاقرار بأن شريعة الإسلام التي أتى بها محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ناسخة لما خالفها من شرائع الأنبياء المتقدمين. وأنه يجب التمسك بها والعمل بما تضمنته من فرائضها، وأن ذلك دين الله الثابت الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا- حلال إلا- ما أحلت، ولا حرام إلا ما حرمت، ولا فرض إلا ما فرضت، ولا عبادة إلا ما أوجبت. وإن من انصرف عن الاسم، وتمسك بغيره، كافر ضال، مخلم في النار، ولو بذل من الاجتهاد في العبادة غاية المستطاع. وإن من أظهر الاقرار بالشهادتين كان مسلما، ومن صدق بقلبه، ولم يشك في فرض أتى به محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان مؤمنا. ومن الشرائط الواجبة للإيمان، العمل بالفرائض اللازمة، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن. وقوله تعالى: (٢٥٩) (إن الدين عند الله الإسلام) (١).

إنما أراد به الإسلام الصحيح التام، الذي يكون المسلم فيه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات طائعا. في الإمامة والخلافة:

ويجب أن يعتقد أن حجج الله تعالى بعد رسوله الذين هم خلفاؤه، وحفظه شرعه، وأئمة أمته، اثنا عشر أهل بيته، أولهم أخوه وابن عمه، وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصيه على أمته: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ثم الحسن بن علي الزكي، ثم الحسين بن علي الشهيد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي باقر العلوم، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي التقى، ثم علي بن محمد المنتجب، ثم الحسن بن علي الهادي، ثم الخلف الصالح بن الحسن المهدي - صلوات الله عليهم أجمعين - . لا إمامة بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا لهم - عليهم السلام

- ولا يجوز الاقتداء في الدين إلا بهم، ولا أخذ معالم الدين إلا عنهم . وأنهم في كمال العلم والعصمة من الآثار نظير الأنبياء - عليهم السلام . - وأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . وأن إمامتهم منصوب عليها من قبل الله على اليقين والبيان . وأنه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات، والأمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلا ما قارن وجهاً يعلمه من اللطف

١ . آل عمران / ١٩ .

(٢٦٠)

والصلاح . وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكل ما علمه الله تعالى . والآيات التي تظهر على أيديهم هي فعل الله دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها . وأنهم بشر محدثون، وعباد مصنوعون، لا يخلقون، ولا يرزقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتناهم الآلام والاعلال، ويستضامون، يخافون فيتقون، وأن منهم من قتل، ومنهم من قبض . وأن إمام هذا الزمان هو المهدي ابن الحسن الهادي، وأنه الحجّة على العالمين، وخاتم الأئمة الطاهرين، لا إمامة لأحد بعد إمامته، ولا دولة بعد دولته، وأنه غائب عن رعيته، غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال، وللمعلوم عند الله تعالى في ذلك الصلاح . ويجوز أن يعرف نفسه في زمن الغيبة لبعض الناس، وأن الله عزّ وجلّ سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهد الدين به، (و) يظهر الأرض على يديه، ويهلك أهل الضلال، ويقوم عمود الإسلام ويصير الدين كله لله . وأن الله عزّ وجلّ يظهر على يديه عند ظهوره، الأعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيي له بعض الأموات، فإذا (أ) قام في الناس المدة المعلومه عند الله سبحانه قبضه إليه، ثم لا يمتد بعده الزمان، ولا تتصل الأيام حتى تكون شرائط الساعة، واماته من بقي من الناس، ثم يكون المعاد بعد ذلك . ويعتقد أن أفضل الأئمة - عليهم السلام - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأنه لا يجوز أن يسمى بأمر المؤمنين أحد سواه . وأن بقيّة الأئمة - صلوات الله عليهم - يقال لهم: الأئمة، والخلفاء، (٢٦١)

والأوصياء، والحجج، وإن كانوا في الحقيقة أمراء المؤمنين، فإنهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه، لأنه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنما منعوا من لفظه، حشمةً لأمر المؤمنين - عليه السلام - . وأن أفضل الأئمة بعد أمير المؤمنين، ولده الحسن، ثم الحسين، وأفضل الباقيين بعد الحسين، إمام الزمان المهدي - صلوات الله عليه - ثم بقيّة الأئمة بعده على ما جاء به الأثر وثبت في النظر . وأن المهدي - عليه السلام - هو الذي قال فيه رسول الله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله تعالى ذلك اليوم، حتى يظهر فيه رجل من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملأها عدلاً، وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً» (١) . فاسمه يواطئ اسم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وكنيته تواطئ كنيته، غير أن النهي قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز في القول أنه المهدي، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجّة الله على الخلق . ويجب أن يعتقد أن الله فرض معرفة الأئمة - عليهم السلام - بأجمعهم، وطاعتهم، ومواليتهم والاقئداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالمهم... وأنه لا يتم الايمان إلا بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، وأن أعداء الأئمة - عليهم السلام -

١ . روى هذا الحديث وأمثاله ابن خلدون في المقدمة في الفصل الثاني والخمسين عن الترمذي، وأبي داود باختلاف بعض ألفاظه، وروى حوالى اثنين وثلاثين حديثاً، وقال في ص ٣١١ من المقدمة:

«إن جماعة من الأئمة خزّجوا أحاديث المهدي، منهم: الترمذي، وأبو داود، والبخاري، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، واسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأمّ حبيبة، وأمّ سلمة، وثوبان، وقرّة بن اياس، وعلي الهلالي» . (٢٦٢)

كفّار ملحدون في النار، وإن أظهروا الإسلام، فمن عرف الله ورسوله والأئمة الاثني عشر وتولّاهم وتبرأ من أعدائهم فهو مؤمن، ومن أنكرهم أو تولّى أعداءهم فهو ضال هالك لا ينفعه عمل ولا اجتهاد، ولا تقبل له طاعة ولا تصحّ له حسنات... (١) . في التوبة والحشر

والنشر:

ويعتقد أن الله يزيد وينقص إذا شاء في الأرزاق والآجال . وأنه لم يرزق العبد إلا ما كان حلالاً طيباً . ويعتقد أن باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهي الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترك المعادة إلى مثلها . وأن التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التي تاب العبد منها . وتجوز التوبة من زلته، إذا كان النائب مقيماً على زلته غيراً لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلته . وأن الله يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلك لوجوب قبولها في العقل قبل الوعد، وإنما علم بالسمع دون غيره . ويجب أن يعتقد أن الله سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد . وأن المحاسبة حق والقصاص، وكذلك الجنة والنار والعقاب . وأن مرتكبي المعاصي من العارفين بالله ورسوله، والأئمة الطاهرين، المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوفين التوبة منها، عصاة فساق، وأن ذلك _____

١ . مكان النقاط كلمات غير واضحة .

(٢٤٣)

لا يسلبهم اسم الايمان كما لم يسلبهم اسم الاسلام (١) . وأنهم يستحقون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم بالله تعالى، ورسوله، والأئمة من بعده - صلى الله عليه وآله وسلم - . وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم بفضله ورحمته، وإن عاقبهم فبعده وحكمته، قال الله سبحانه: (وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) (٢) .

وأن عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها الله تعالى، لا تكون مؤبدة، ولها آخر، يكون بعده دخولهم الجنة وليسوا من جملة من توجه إليهم الوعيد بالتخليد. والعفو من الله تعالى يرجي للعصاة المؤمنين . وقد غلظت المعتزلة فسمت من يرجو العفو مرجئاً، وإنما يجب أن يسمى راجياً، ولا طريق إلى القطع على العفو، وإنما هو الرجاء فقط . ويعتقد أن لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة من بعده - عليهم السلام - شفاعه مقبولة يوم القيامة، ترجي للمؤمنين من مرتكبي الآثام . ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنه مشفوع فيه على كل حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقته هذه الحال، وإنما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء . ويعتقد أن المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم _____

١ . صرح بهذا المفيد أستاذ المؤلف في كتابه أوائل المقالات ص ٤٨ ونسبه إلى اتفاق الإمامية، أما الخوارج فنسبى مرتكب الكبيرة مشركاً وكافراً، والحسن البصري أستاذ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سمّاهم منافقين، وأما واصل بن عطاء فوضعهم في منزلة بين منزلتين، وقال إنهم فساق ليسوا بمؤمنين، ولا كفّار، ولا منافقين.

٢ . التوبة / ١٠٦ . (٢٤٤)

القيامة إلى الجنة بغير حساب. وأن جميع الكفار والمشركين، ومن لم تصح له الأصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب، وإنما يحاسب من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم العارفون العصاة . وأن أنبياء الله تعالى وحججه - عليهم السلام - هم في القيامة المسؤولون للحساب باذن الله تعالى، وأن حجة أهل كل زمان يتولّى أمر رعيته الذين كانوا في وقته. وأن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة الاثنا عشر من بعده - عليهم السلام - هم أصحاب الأعراف وهم الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ويدخل النار من أنكرهم وأنكروه . وأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده . وأن المهدي - عليه السلام - هو المواقف لأهل زمانه، والمسائل للذين في وقته . وأن الموازين (التي) توضع في القيامة، هي إقامة العدل في الحساب، والانصاف في الحكم والمجازاة، وليست في الحقيقة موازين بكفات وخيوط كما يظن العوام . وأن الصراط المستقيم في الدنيا دين محمّد وآل محمّد - عليه وعليهم السلام - وهو في الآخرة طريق الجنان . وأن الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضّل عليهم في القيامة، بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان . وأن نعيم أهل الجنة متصل أبداً بغير نفاذ، وأن عذاب المشركين والكفّار (٢٤٥)

متصل في النار بغير نفاذ . ويجب أن يؤخذ معالم الدين في الغيبة من أدلته العقل، وكتاب الله عز وجل، والأخبار المتواترة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعن الأئمة - عليهم السلام - (١) وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية، واجماعها حجة . فأما عند ظهور الإمام - عليه السلام - فإنه المفزع عند المشكلات، وهو المتبته على العقلية، والمعرف بالسمعيات، كما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . ولا يجوز استخراج الأحكام في السمعيات بقياس ولا اجتهاد (٢) . فأما العقلية فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كله ألا يقنع بالتقليد في الاعتقاد وأن يسلك طريق التأمل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه في دينه أقل من نظره لنفسه في دنياه، فإنه في أمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكر ويتأمل، ويعتبر بذهنه، ويستدل بعقله، فيجب أن يكون في أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر في أمر الدين أعظم من الغرر في أمر الدنيا .

١ . ما ذكره هو رأى جماعة من علماء الإمامية، كالشريف المرتضى، وابن زهرة، وابن البراج، والطبرسي، وابن إدريس وغيرهم، فقد ذهب هؤلاء إلى عدم اعتبار الخبر الواحد إذا لم يكن مقطوع الصدور عن المعصوم وخصّوا اعتباره بما إذا كان قطعي الصدور، سواء أكان محتفياً بقريته عقلية أو نقلية أخرى، فالمهم لدى هؤلاء في اعتبار الخبر أن يفضى إلى العلم، ولو كان ذلك لاجماع أو شاهد عقلي، بل صرح المفيد في أوائل المقالات بأنه لا يجب العمل بخبر الواحد .

أما المشهور بين الإمامية بل المجمع عليه بين المتأخرين منهم فاعتبار الخبر الواحد لقيام الدليل على حجّيته، ولكل من الفريقين أدلة على دعواه مذكورة في كتب الأصول .

٢ . المراد بالاجتهاد هنا ليس هو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وإنما المراد به الاعتماد على الرأى والاستحسان والقياس، من دون الرجوع إلى القواعد والأصول التي ثبتت حجّيتها شرعاً . (٢٦٦)

فيجب أن لا يعتقد في العقلية إلا ما صحّ عنده حقّه، ولا يسلم في السمعيات إلا لمن ثبت له صدقه . نسأل الله حسن التوفيق برحمته، وألا يحرمانا ثواب المجتهدين في طاعته . قد اثبت لك يا أخى - أيدك الله - ما سألت، اقتصرت وما أطلت . والذي ذكرت أصل لما تركت، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلّم (١) . * * * ٧- العقائد الجعفرية تأليف الشيخ الطوسي «٣٨٥ - ٤٦٠»:

الشيخ الطوسي، هو شيخ الطائفة على الاطلاق تلميذ المفيد والمرضى وقد ورد بغداد عام ٤٠٨ وحضر في أندية دروس أستاذه المفيد، فلما لبى الأستاذ دعوة ربه حضر لدى المرضى إلى أن اشتغل بالتدريس والافتاء في عصره وبعده، وله رسائل وكتب كلامية مفعمّة بالتحقيق، نأتى في المقام بموجز ما دوّنه في عقائد الشيعة في خمسين مسألة . بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعل كل واحد منهم على الخلق بعد الرسول أميراً . قال الإمام شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي: _____

١ . أدرج المصنف الرسالة في كتابه القيم: كنز الفوائد لاحظ ٢٤٠ - ٢٥٢ .

(٢٦٧)

«المسألة ١» معرفة الله واجبة على كل مكلف، بدليل أنه منعم، فيجب معرفته . «المسألة ٢» الله تعالى موجود، بدليل أنه صنع العالم، وأعطاه الوجود، وكل من كان كذلك فهو موجود . «المسألة ٣» الله تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى أنه لا يفتقر في وجوده إلى غيره، ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنه لو كان ممكناً لا فتقر إلى صانع، كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود . «المسألة ٤» الله تعالى قديم أزلي، بمعنى أن وجوده لم يسبقه العدم . باق أبدى، بمعنى أن وجوده لن يلحقه العدم . «المسألة ٥» الله تعالى قادر مختار، بمعنى أنه إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن يترك ترك، بدليل أنه صنع العالم في وقت دون آخر . «المسألة ٦» الله تعالى قادر على كل مقدور، وعالم بكل معلوم، بدليل أن نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزهة على السوية، فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجح، وهو محال . «المسألة ٧» الله تعالى عالم، بمعنى أن الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنه تعالى فعل الأفعال المحكّمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة .

«المسألة ٨» الله تعالى يدرك لا بجارحة، بل معنى أنه يعلم ما يدرك بالحواس، لأنه منزّه عن الجسم ولوازمه، بدليل قول تعالى: (لا تُدْرِكُهُ) (٢٦٨) (الأبصارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١) فمعنى قوله تعالى: (إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢) أنه عالم بالمسموعات لا بأذن، وبالمبصرات لا بعين.

«المسألة ٩» الله تعالى حي، بمعنى أنه يصحّ منه أن يقدر ويعلم. بدليل أنه ثبت له القدرة والعلم وكل من ثبت له ذلك فهو حي بالضرورة. «المسألة ١٠» الله تعالى متكلم لا بجارحة، بل معنى أنه أوجد الكلام في جرم من الأجرام، أو جسم من الأجسام، لا يصلح عظمته إلى الخلق، بدليل قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (٣) ولأنه قادر، فالكلام ممكن. «المسألة ١١» الله تعالى صادق، بمعنى أنه لا يقول إلاّ الحقّ الواقع، بدليل أن كل كذب قبيح، والله تعالى منزّه عن القبيح. «المسألة ١٢» الله تعالى مريد، بمعنى أنه رجح الفعل إذا علم المصلحة (يعنى أنه غير مضطر وأن ارادته غير واقعة تحت ارادة أخرى، بل هي الارادة العليا التي إن رأى صلاحاً فعل، وإن رأى فساداً لم يفعل، باختيار منه تعالى) بدليل أنه ترك إيجاد بعض الموجودات في وقت دون وقت، مع علمه وقدرته - على كل حال - بالسوية. ولأنه نهى وهو يدل على الكراهة. «المسألة ١٣» الله تعالى واحد، بمعنى أنه لا شريك له في الالوهية، بدليل قوله (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٤) ولأنه لو كان له شريك لوقع التمانع، ففسد النظام، كما قال: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (٥).

١. الأنعام / ١٠٣ .

٢. الإسراء / ١، غافر / ٥٦ .

٣. النساء / ١٦٤ .

٤. الإخلاص / ١ .

٥. الأنبياء / ٢٢ . (٢٦٩)

«المسألة ١٤» الله تعالى غير مركّب من شيء، بدليل أنه لو كان مركّباً لكان مفتقراً إلى الأجزاء، والمفتقر ممكن. «المسألة ١٥» الله تعالى ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر، بدليل أنه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع، وهو محال. «المسألة ١٦» الله تعالى ليس بمرئي بحاسة البصر في الدنيا والآخرة، بدليل أنه تعالى مجرّد، ولأن كل مرئي لابد أن يكون له الجسم والجهة، والله تعالى منزّه عنهما ولأنه تعالى قال: (لَنْ تَرَانِي) (١) وقال: (لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ) (٢). «المسألة ١٧» الله تعالى ليس محلاً للحوادث، وإلاّ لكان حادثاً، وحدوثه محال. «المسألة ١٨» الله تعالى لا يتّصف بالحلول، بدليل أنه يلزم قيام الواجب بالممكن وذلك محال. «المسألة ١٩» الله تعالى لا يتّحد بغيره، لأنّ الاتحاد صيرورة الشيء واحداً من غير زياده ونقصان، وذلك محال، والله لا يتّصف بالمحال. «المسألة ٢٠» الله تعالى منفي عنه المعاني والصفات الزائدة، بمعنى أنه ليس عالماً بالعلم، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كلّ، وقدرة كلّها)، بدليل أنه لو كان كذلك لزم كونه محلاً للحوادث لو كانت حادثه، وتعدّد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب إلى صفاته المغايرة له، فيصير ممكناً وهو ممتنع. «المسألة ٢١» الله تعالى غني، بمعنى أنه غير محتاج إلى ما عداه،

١. الأعراف / ١٤٣ .

٢. الأنعام / ١٠٣ . (٢٧٠)

والدليل عليه أنه واجب الوجود لذاته، فلا يكون مفتقراً. «المسألة ٢٢» الله تعالى ليس في جهة، ولا مكان، بدليل أن كل ما في الجهة والمكان مفتقر إليهما، وأيضاً قد ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فلا يكون في المكان والجهة. «المسألة ٢٣» الله تعالى ليس له ولد، ولا صاحبة، بدليل أنه قد ثبت عدم افتقاره إلى غيره، ولأن كل ما سواه تعالى ممكن، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات، ولقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) و (مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) (٢). «المسألة ٢٤» الله تعالى عدل

حكيم، بمعنى أنه لا يفعل قبيحاً ولا يخل بالواجب بدليل أن فعل القبيح قبيح، والاخلال بالواجب نقص عليه، فالله تعالى منزّه عن كل قبيح واخلال بالواجب. «المسألة ٢٥» الرضا بالقضاء والقدر واجب، وكل ما كان أو يكون فهو بالقضاء والقدر ولا يلزم بهما الجبر والظلم، لأنّ القدر والقضاء هاهنا بمعنى العلم والبيان، والمعنى أنه تعالى يعلم كل ما هو (كائن أو يكون) (٣). «المسألة ٢٦» كل ما فعله الله تعالى فهو أصلح، وإلا لزم العبث، وليس تعالى بعبث، لقوله: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) (٤). «المسألة ٢٧» اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الاغراء، وذلك قبيح، (والله لا يفعل القبيح) _____

١. الشورى / ١١ .

٢. آل عمران / ٥٩ .

٣. الاضافة منّا لإكمال العبارة .

٤. المؤمنون / ١١٥ . (٢٧١)

فاللطف هو نصب الأدلّة، واكمال العقل، وارسال الرسل في زمانهم، وبعد انقطاعهم ابقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه . «المسألة ٢٨» نبينا «محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف» رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حقاً صدقاً. بدليل أنه ادعى النبوة، وأظهر المعجزات على يده، فثبت أنه رسول حقاً، وأكبر المعجزات «القرآن الحميد» والفرقان المجيد الفارق بين الحق والباطل، باق إلى يوم القيامة، حجة على كافة النسمه . ووجه كونه معجزاً: فرط فصاحته وبلاغته، بحيث ما تمكّن أحد من أهل الفصاحة والبلاغة حيث تحدوا به، أن يأتوا ولو بسورة صغيرة، أو آية تامة مثله. «المسألة ٢٩» كان نبينا نبياً على نفسه قبل البعثة، وبعده رسولا إلى كافة النسمه لأنه قال «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وإلا لزم تفضيل المفضول، وهو قبيح . «المسألة ٣٠» جميع الأنبياء كانوا معصومين، مطهرين عن العيوب والذنوب كلها، وعن السهو والنسيان في الأفعال والأقوال، من أول الأعمار إلى اللحد، بدليل أنهم لو فعلوا المعصية أو يطرأ عليهم السهو لسقط محلهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائدة النبوة، فما ورد في الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التأويل . «المسألة ٣١» يجب أن يكون الأنبياء أعلم وأفضل أهل زمانهم، لأنّ تفضيل المفضول قبيح . «المسألة ٣٢» نبينا خاتم النبيين والمرسلين، بمعنى أنه لاني بعدة إلى يوم القيامة، يقول تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ (٢٧٢) وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (١) .

«المسألة ٣٣» نبينا أشرف الأنبياء والمرسلين، لأنه ثبتت نبوته، وأخبر بأفضليته فهو أفضل، لما قال لفاطمة - عليها السلام - : «أبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصياء، وأنت سيدة نساء العالمين، وولدك الحسن والحسين - عليهما السلام - سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما» (٢). «المسألة ٣٤» معراج الرسول بالجسم العنصري علانية، غير منام، حق، والأخبار عليه بالتواتر ناطقه، صريحة، فمنكره خارج عن الإسلام وأنه مر بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والالتيام، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالها . «المسألة ٣٥» دين نبينا ناسخ للأديان السابقة، لأنّ المصالح تتبدل حسب الزمان والأشخاص كما تتبدل المعاجلات لمريض بحسب تبدل المزاج والمرض . «المسألة ٣٦» الإمام بعد نبينا على بن أبي طالب - عليه السلام - بدليل قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «يا علي أنت أخي ووارث علمي وأنت الخليفة من بعدي، وأنت قاضي ديني، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي» (٣). وقوله: «سلموا على علي بإمرة المؤمنين، واسمعوا له وأطيعوا له، وتعلموا منه ولا تعلموه» (٤)، وقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من _____

١. الأحزاب / ٤٠ .

٢. راجع يبايع المودة ٤٣٤ - ٤٣٦ .

٣. راجع صحيح مسلم ٧ / ١٢٠ - ١٢١، باب فضائل علي - عليه السلام -، وصحيح البخاري ٥ / ١٩ باب مناقب علي - عليه السلام - و ٣ / ٦ باب غزوة تبوك، ومسنند أحمد ١ / ١٧٤ - ١٧٧ و ٣ / ٣٢، و ٦ / ٣٦٩ .

٤ . راجع البحار ٣٧ / ٢٩٠ - ٣٤٠ . (٢٧٣)

عاداه» (١) . «المسألة ٣٧» الأئمة بعد علي - عليهم السلام - أحد عشر من ذريته، الأول منهم ولده الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم الخلف الحجة القائم المهدي الهادي بن الحسن صاحب الزمان فكلهم أئمة الناس واحد بعد واحد، حقاً، بدليل أن كل إمام منهم نصّ علي من بعده نصّاً متواتراً بالخلافة، وقوله: «الحسين إمام، ابن إمام، أخو الامام، ابو الأئمة التسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» . «المسألة ٣٨» يجب أن يكون الأئمة معصومين مطهرين من الذنوب كلها، صغيرة وكبيرة، عمداء وسهواً، ومن السهو في الأفعال والأقوال، بدليل أنهم لو فعلوا المعصية لسقط محلهم من القلوب، وارتفع الوثوق، وكيف يهدون بالضالين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمة الاثني عشر اجمعاً، فثبت إمامتهم . «المسألة ٣٩» يجب أن يكون الأئمة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك لزم تفضيل المفضول، أو الترجيح بلا مرجح، ولا يحصل الانقياد به، وذلك قبيح عقلاً ونقلاً وفضل أئمتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس . «المسألة ٤٠» يجب أن نعتقد أن آباء نبينا وأئمتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالأخبار عند أهل البيت علي إسلام أبي طالب مقطوعة _____

١ . راجع مسند أحمد ١ / ٨٤ - ١٥٢ و ٤ / ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٥ / ٣٦٦ - ٤١٩، سنن الترمذ ٥ / ٦٣٣ .

(٢٧٤)

وسيرته أدلّه عليه، ومثله مؤمن آل فرعون . «المسألة ٤١» الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن قد تولّد في زمان أبيه، وهو غائب حتى باق إلى بقاء الدنيا، لأنّ كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم، لما انعقد عليه اجماع الأئمة علي أنّه لا يخلو زمان من حجة ظاهرة مشهورة، أو خافية مستورة، ولأنّ اللطف في كل زمان واجب، والإمام لطف، فوجوده واجب . «المسألة ٤٢» لا استبعاد في طول عمره، لأنّ غيره من الأمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعداً، كشعيب ونوح ولقمان وخضر وعيسى - عليهم السلام - وابليس والدجال، ولأنّ الأمر ممكن، والله قادر علي جميع الممكنات . «المسألة ٤٣» غيبة المهدي لا تكون من قبل نفسه، لأنّه معصوم، فلا يخل بواجب، ولا - من قبل الله تعالى، لأنّه عدل حكيم فلا - يفعل القبيح، لأنّ الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد عن الافادات قبيحان. فغيبته لكثرة العدو والكافر، ولقلّة الناصر . «المسألة ٤٤» لا بد من ظهور المهدي، بدليل قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لو لم يبق من الدنيا إلا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة حتّى يخرج رجل من ذريتي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (١). ويجب علي كل مخلوق متابعته . «المسألة ٤٥» في غيبة الامام فائدة، كما تثير الشمس تحت السحاب، والمشكاة من وراء الحجاب . _____

١ . راجع سنن أبي داود ٤ / ١٠٦ - ١٠٧، كنز العمال ١٤ / ٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٢٧٥)

«المسألة ٤٦» يرجع نبينا وأئمتنا المعصومون في زمان المهدي مع جماعة من الأمم السابقة واللاحقة، لظهار دولتهم وحقهم، وبه قطعت المتواترات من الروايات والآيات لقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) (١) فالاعتقاد به واجب . «المسألة ٤٧» إنّ الله يعيد الأجسام الفانية كما هي في الدنيا، ليوصل كل حق إلى المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيّما القرآن المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالاعتقاد بالمعاد الجسماني واجب . «المسألة ٤٨» كل ما أخبر به النبي أو الإمام فاعتقاده واجب، كإخبارهم عن نبوة الأنبياء السابقين، والكتب المنزلة، ووجود الملائكة، وأحوال القبر وعذابه، وثوابه وسؤال منكر ونكير، والاحياء فيه، وأحوال القيامة وأهوالها، والنشور، والحساب والميزان، والصراط، وانطاق الجوارح، ووجود الجنة والنار والحوض الذي يسقى منه أمير المؤمنين العطاشي يوم القيامة، وشفاعة النبي والأئمة لأهل الكبائر من محبيه إلى غير ذلك، بدليل أنّه أخبر بذلك المعصومون . «المسألة ٤٩» التوبة - وهي الندم علي القبيح في الماضي، والترك في الحال، والعزم علي عدم المعاودة إليه في الاستقبال - واجبة،

لدلالة السمع على وجوبها، ولأنّ دفع الضرر واجب عقلاً. «المسألة ٥٠» الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجبان، بشرط تجويز التأثير والأمن من الضرر(٢). * * *

١. النمل / ٨٣. أصل الرجعة اجماعى والكيفية الواردة في المتن ليست كذلك .
٢. طبعت الرسالة مع جواهر الفقه للقاضى ابن البراج وفي ضمن الرسائل العشر للشيخ الطوسى - قدس سره . - (٢٧٦) ماهو الهدف من نقل هذه الرسائل:

١- إنّ هذه الرسائل لدليل واضح على أنّ جلّ عقائد الشيعة، مأخوذة من الكتاب والسنة وكلمات أئمتهم، وأنّ الشيعة كانت في أواخر القرن الثانى ذات عقائد منتظمة ومستوعبة لجميع ما يرتبط بالمعارف الإلهية فترى أنّ ما كتبه الإمام الرضا، وما عرضه السيد عبدالعظيم الحسنى على الإمام الهادى، هو السائد في هذه الرسائل . ٢- يوجد في ثنايا هذه الرسائل آراء خاصة لمؤلفيها، ربّما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهم من علماء الشيعة، فليس كل ما جاء فيها عقيدة لجميع علماء الشيعة ومؤلفيهم ولكن المجموع من حيث المجموع تمثّل عقائد الشيعة في مجال صفاته سبحانه وأفعاله، وما يرجع إلى النبوة والإمامة، والحياة الأخرى، خصوصاً فيما يرجع إلى الاعتقاد بمقامات الأئمة وصفاتهم. فمن يريد أن يتعرّف على عقائد الشيعة فليرجع إليها بدل الرجوع إلى الكتب المؤلفة من قبل أعدائهم وخصمائهم . ٣- إنّ الإمعان في الأصول التي جاءت في هذه الكتب والرسائل يعرب عن موافقة الشيعة في أكثر المسائل العقائدية لعامة المسلمين. وربّما يختلفون عنهم في أصول تختص بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول. وبما أنّ الأشاعرة والمعتزلة كانتا تمثّلان جمهور المسلمين في العصور المتقدمة. نذكر في المقام الفوارق الجوهرية بين الشيعة والمعتزلة أولاً، وبين الشيعة والأشاعرة ثانياً، ثمّ نكمل البحث عن الفوارق الموجودة بينهم وبين سائر الفرق الإسلامية . الفوارق بين الشيعة والمعتزلة:

إنّ هناك فوارق بين الطائفتين ربّما أشبعنا الكلام فيها في الجزء الرابع من هذه (٢٧٧)

الموسوعة، وذكرنا بأنّ من يتّهم الشيعة بأنهم أخذوا عقائدهم من المعتزلة فهو خاطيء، فنشير في المقام إلى هذه الفوارق على وجه الاجمال، وإن كانت بين الطائفتين أصول مشتركة ربّما تقف عليها عند بيان الفوارق بين الشيعة والأشاعرة. ١- الشفاعة: أجمع المسلمون كافّة على ثبوت أصل الشفاعة وأنها تقبل من الرسول الأكرم واختلفوا في تعيين المشفّع، فقالت الإمامية والأشاعرة: إنّ النبي يشفع لأهل الكبائر باسقاط العقاب عنهم أو باخراجهم من النار، وقالت المعتزلة، لا يشفع إلاّ للمطيعين، المستحقّين للثواب وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة. ٢- مرتكب الكبيرة: عند الامامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلة بين المنزلتين . ٣- الجنة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة أنّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة على أنّهما غير موجودتين . ٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اتفق المسلمون على وجوبهما، فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سماعاً، ولولا النص لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا بوجوبهما عقلاً . ٥- الأحياط: اتفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الاحباط، وقالوا: لكل عمل حسابه الخاص، ولا ترتبط الطاعات بالمعاصى ولا المعاصى بالطاعات، والاحباط يختص بذنوب خاصة كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا: إنّ المعصية المتأخّرة تسقط الثواب المتقدم، فمن عبّد الله طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم يعبد الله أبداً . ٦- الشرع والعقل: غالت المعتزلة في تسميهم بالعقل وغال أهل الظاهر في جمودهم على ظاهر النص وخالفهما الإمامية والأشاعرة، فأعطوا للعقل سهماً فيما (٢٧٨)

له مجال القضاء نعم أعطت الإمامية للعقل مجالاً أوسع ممّا أعطته الأشاعرة. وسيوافيك تفصيله عند ذكر اختلاف الإمامية مع الأشاعرة . ٧- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبة بفضل من الله ولا يجب عقلاً اسقاطها للعقاب. وقالت المعتزلة: إنّ التوبة مسقطه للعقاب على وجه الوجوب . ٨- اتفقت الإمامية على أنّ الأنبياء افضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك . ٩- اتفقت الإمامية على أنّ الإنسان غير مسير ولا مفوض إليه، بل هو في ذلك المجال بين أمرين، بين الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزلة على التفويض . ١٠- اتفقت الامامية والأشاعرة أنّه لا بد في أوّل التكليف وابتدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أنّ العقول تعمل

بمجردها عن السمع (١). هذه هي الأصول التي خالفت الإمامية فيها المعتزلة ووافقت الأشاعرة، وهناك أصول أخرى تجد فيها موافقة الإمامية للمعتزلة ومخالفتها للأشاعرة، وإليك بعضها: الفوارق بين الإمامية والأشاعرة:

هناك أصول خالفت الإمامية فيها، الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمتهم، ونذكر المهم منها: ١- اتحاد الصفات الذاتية مع الذات: إن لله سبحانه صفاتاً ذاتية كالعلم

١. لاحظ للوقوف على هذه الأصول التي خالفت الامامية والأشاعرة فيها المعتزلة الجزء الرابع من هذه الموسوعة ص ١٨٠ تجد فيه الفوارق الأخر لم نذكرها اختصاراً.

(٢٧٩)

والقدرة فهي عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائدة عليها، وهي عند الإمامية والمعتزلة متحدة مع الذات. وقد ذكرنا مضاعفات القول بالزيادة في الجزء الثاني من هذه الموسوعة . ٢- الصفات الخيرية الواردة في الكتاب والسنة، كالوجه والأيدى والاستواء وأمثالها، فالشيعة الإمامية يؤولونها تأويلاً مقبولاً لا تأويلاً مرفوضاً، أى تأخذ بالمفهوم التصديقي للجمله، لا بالمفهوم التصوري للمفردات، فيقولون إن معنى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ) (١) معناه: أنه برىء من البخل، بل هو باذل وسخي، وقادر على البذل. وأمّا الاشاعرة فهم يفسرونها بالمفهوم التصوري ويقولون إن لله سبحانه يدين غير أنهم يتهربون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف، وقد أوضحنا مضاعفات هذا القول عند البحث عن عقائدهم في الجزء الثاني . ٣- أفعال العباد عند الامامية صادرة من نفس العباد، صدوراً حقيقياً بلا مجاز أو توسع، فالإنسان هو الضارب، هو الآكل، هو القاتل، هو المصلّي، هو القارئ وهكذا، وقد قلنا: إن استعمال كلمة «الخلق» في أفعال الإنسان، استعمال غير صحيح فلا يقال: خلقت الأكل والضرب والصوم والصلوة، وإنما يقال: فعلتها فالصحيح أن يقال: إن الإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدره مكتسبة من الله، وإن قدرته المكتسبة هي المؤثرة باذن من الله سبحانه . وأمّا الأشاعرة فذهبوا إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور، وليس لقدرة أى تأثير فى تحقق الفعل، وأقصى ما عندهم أن إرادة الإنسان للعقل تقارن ايجاد الله سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود .

١. المائدة / ٦٤ .

(٢٨٠)

ولمّا رأى الشيخ الأشعري وأتباعه أن ذلك عبارة عن نفس القول بالجبر، واقصاء الإنسان عن أفعاله، وبالتالي براءته من مسؤوليتها، ابتدعوا نظرية الكسب المعقدة فقالوا: إن الله هو الخالق والإنسان هو الكاسب، وقد ذكرنا أن نظرية الكسب من الألغاز التي لم يفهمها مخترعوها . ٤- إن الاستطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقدم عليه أخرى. فلو أريد من القدرة العلة التامة فهي مقارنه، ولو أريد العلة الناقصة فهي متقدمة خلافاً للأشاعرة، فقد قالوا بالتقارن مطلقاً . ٥- رؤية الله بالأبصار فى الآخرة، فهي مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الاشاعرة. ٦- كلامه سبحانه عند الامامية هو فعله، فهو حادث لا قديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات . ٧- التحسين والتقييح العقليان، ذهبت الامامية إلى أن العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أن نفس الفعل من أى فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو ممكناً، يتّصف بأحدهما فيرى مقابله الإحسان بالإحسان أمراً حسناً، ومقابله بالاساءة أمراً قبيحاً، ويتلقاه حكماً مطلقاً سائداً على مَرّ الحقب والأزمان، لا يغيّره شىء، وهذا خلافاً للأشاعرة، فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح وبذلك خالفوا الامامية والمعتزلة فى الفروع المترتبة عليه (١). هذه هي الأصول التي تخالف الامامية فيها الأشاعرة وربما توافقهم المعتزلة فى جميعها أو أكثرها. كل ذلك يثبت أن للشيعة الامامية منهجاً كلامياً خاصاً نابغاً من

١. لاحظ للوقوف على هذه الأصول المترتبة على القول بالتحسين والتقييح العقليين الجزء الثاني من هذه الموسوعة ٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٢٨١)

الكتاب والسنة، وكلمات العترة الطاهرة والعقل فيما له مجال القضاء وليست الشيعة متطرفة في منهجها الكلامي على أية من الطائفتين. وأنت إذا وقفت على الكتب الكلامية المؤلفة في العصور المتقدمة من عصر الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠) إلى عصر شيخنا الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) ومن بعده بقليل، تجد منهجاً كلامياً مبرهنًا متزنًا واضحاً لا تعقيد فيه ولا غموض، وعلى تلك الأصول وذلك المنهج درج علماءهم المتأخرون في الأجيال التالية، فألف الشيخ الحلبي (٣٧٤ - ٤٤٧) «تقريب المعارف» والشيخ سديد الدين الحمصي (ت ٦٠٠) كتابه «المنقذ من التقليد» وتوالى بعدهم التأليف على يد الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢) ومعاصره ابن ميثم البحراني (ت ٥٨٩) وتلميذه العلامة الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦) وهكذا... كل ذلك يكشف عن أن الأئمة طرخوا أصول العقائد، وغدوا أصحابهم وتلاميذهم بمعارف سامية، أعتبر الحجر الأساس للمنهج الكلامي الشيعي، وتكامل المنهج من خلال الجدل الكلامي والنقاش العلمي في الظروف المتأخرة فوصل إلى الذروة والقمة فالناظر في الكتب الكلامية للسيد الشريف المرتضى ك «الشافعي» (١) و «الذخيرة» (٢) يجد منبعاً غنياً بالبحوث الكلامية كما أن الناظر في كتب العلامة الحلبي المختلفة ك «كشف المراد» (٣) و «نهاية المرام» (٤) وغيرهما يقف على أفكار سامية أنضجها البحث والنقاش عبر القرون، فبلغت غايتها القصوى. وقد توالى التأليف في عقائد الشيعة وأصولهم من العصور الأولى إلى يومنا هذا، ولا يحصيها إلا محصى قطرات المطر وذرات الرمال. _____

١. المطبوع في بيروت في أربعة أجزاء.

٢. المطبوع في إيران في جزأين.

٣. الكتاب الدراسي في الجامعات الشيعية.

٤. مخطوط نحتفظ منها بنسخة وهي في يد التحقيق. (٢٨٢)

هذا وإن الشيعة وإن خالفوا في هذه الأصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف أخرى، ولكن هناك أصول اتفق الجميع فيها دون استثناء، وهو ظاهر لمن قرأ ما أثبتناه من الرسائل والكتيبات. أفما آن للمسلمين أن يتحدوا في ظلال هذه الأصول المؤلفة لقلوبهم، ويتظلموا بظلالها، ويتمسكوا بالعروة الوثقى، ويكون شعارهم: أنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، وأن لا يصغوا إلى النعرات المفترقة، المفترية على الشيعة وأئمتهم، وليكن شعارنا في التأليف: التحقيق والتأكد من عقائد الآخرين، ثم التدوين. الفوارق بين الشيعة وسائر الفرق:

إذا تعرّف على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين، فهلمّ معي إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التي صيرتهم إلى فرقتين متميزتين، وأكثرها يرجع إلى مسألة القيادة والخلافة بعد الرسول الأكرم، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال: (٢٨٣) المسألة الأولى: وجوب تنصيب الإمام على الله سبحانه

اتّفقت الأمة الإسلامية على وجوب نصب الامام، سوى العجاردة من الخوارج، ومعهم حاتم الأصم أحد شيوخ المعتزلة (٢٣٧) (١) فذهب المسلمون إلى وجوب نصب الإمام، إمّا على الله سبحانه كما عليه الشيعة، وإمّا على الأمة كما عليه غيرهم، فوجوب نصب الامام لا خلاف فيه بين المسلمين، وإمّا الكلام في تعيين من يجب عليه ذلك. وليس المراد من وجوبه على الله سبحانه، هو إصدار الحكم من العباد على الله سبحانه، حتّى يقال (إن الحكم إلا لله) (٢) بل المراد كما ذكرنا غير مرّة، أن العقل _____

١. ادّعت العجاردة بأن الواجب على الأمة التعاون والتعاقد لإحياء الحق وإماتة الباطل، ومع قيام الأمة بهذا الواجب لا يبقى للإمام فائدة تستدعى تسلّطه على العباد، أمّا إذا اختلفت الأمة ولم تتعاون على نشر العدل وإحقاق الحق فيجب عليها تعيين من يقوم بهذه المهمات، وعلى ذلك فالإمامة لا تجب بالشرع ولا بالعقل، وإنما تجب للمصلحة أحياناً، وقد تعرّف على عقيدة الخوارج في الموضوع في الجزء الخامس من هذه الموسوعة.

٢. يوسف / ٤٠. (٢٨٤)

حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث، يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب أو عدمه، وإلا

فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على الله سبحانه . ثم إن اختلافهم في كون النصب فرضاً على الله أو على الأمة، ينجم عن اختلافهم في حقيقة الخلافة والامامة عن رسول الله. فمن ينظر إلى الامام كرئيس دولة ليس له وظيفة إلا تأمين الطرق والسبل، وتوفير الأرزاق، واجراء الحدود، والجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما يقوم به رؤساء الدول باشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأمة، إذ لا يشترط فيه من المواصفات إلا الكفاءة والمقدرة على تدبير الأمور وهذا ما يمكن أن تقوم به الأمة الإسلامية، وأما على القول بأن الإمامة استمرار لوظائف الرسالة (لا لنفس الرسالة فإن الرسالة والنبوة مختومتان بالتحاق النبي الأكرم بالرفيق الأعلى) فمن المعلوم إن تقلد هذا المقام يتوقف على توفر صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلا إذا حظى بعناية إلهية خاصة فيخلف النبي في علمه بالأصول والفروع، وفي سد جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنه لا تتعرف عليه الأمة إلا عن طريق الرسول، ولا يتوفر وجوده إلا بتربية غيبية. فقد ظهر من ذلك أن كون القيادة الإسلامية بعد النبي بيد الله أو بيد الأمة، أو أن التعيين هل هو واجب عليه سبحانه أو عليهم، ينجم عن الاختلاف في ماهية الخلافة . فمن جعلها سياسة زمنية وقيية يشغلها فرد من الأمة بأحد الطرق، قال في حقه: «لا ينخلع الامام بغصب الأموال وضرب الابشار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب (٢٨٥)

وعظه وتخويفه، وترك طاعته في شيء مما يدعوا إليه من معاصي الله» (١) . فمن قال: بأن الإمام بعد الرسول أشبه برئيس الدولة والوزراء، تنتخبه الأمة الإسلامية قال في حقه: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة، ما لم يأمرنا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافة. والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، بزهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شيء ولا ينقضهما» (٢). وقد درج على هذه الفكرة متكلمو السنة ومحدثوهم، حتى قال التفتازاني: «ولا ينزل الامام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة الله تعالى، والجور (الظلم على عباد الله) لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، ونقل عن كتب الشافعية: أن القاضي ينزل بالفسق بخلاف الامام، والفرق أن في انزاله ووجوب نصب غيره اثاره الفتنة، لما له من الشوكة، بخلاف القاضي» (٣). ومن فسر الامامة بأنها عبارة عن إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوة كلها سوى تحمل الوحي الإلهي، فلا مناص له عن القول: بوجوب نصبه على الله سبحانه .

١ . التمهيد للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣): ١٨١ .

٢ . العقيدة الطحاوية ٣٧٩ - ٣٨٧ .

٣ . شرح العقائد النسفية: وهي لأبي حفص عمرو بن محمد النسفي (ت ٥٧٣) والشرح لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١): ١٨٥ - ١٨٦، ولاحظ في هذا المجال مقالات الاسلاميين للأشعري: ٣٢٣، وأصول الدين لمحمد بن عبدالكريم البزدوي إمام الماتريدي: ١٩٠ . (٢٨٦)

وقد استدلت الامامية على وجوب نصب الامام على الله سبحانه: بأن وجود الامام الذي اختاره الله سبحانه، مقرب من الطاعات، ومبعد عن المعاصي وقد أوضحوه في كتبهم الكلامية. والمراد من اللطف المقرب هنا ما عرفت من أن رحلة النبي الأكرم تترك فراغات هائلة بين الأمة في مجال العقيدة والشريعة، كما تترك جدالا ونزاعاً عنيفاً بين الأمة في تعيين الامام. فالواجب على الله سبحانه من باب اللطف هو سد هذه الفراغات بنصب من هو صنو النبي الأكرم في علمه بالعقيدة والشريعة، وفي العدالة والعصمة، والتدبير والحكمة، وحسم مادة النزاع المشتعل برحلة الرسول، ولم شعث الأمة، وجمعهم على خط واحد . والعجب أن المعتزلة ممن تقول: بوجوب اللطف والأصلح على الله سبحانه، ولكنهم لم يلتزموا بها في المقام، مع العلم بأن المورد من جزئياته، والذي منعهم عن الالتزام بالقاعدة في المقام بأنهم لو قالوا بها في هذه المسألة لزمهم أن يقولوا بعدم صحة خلافة الخلفاء المتقدمين على علي، لأن قاعدة اللطف تقتضي أن يكون الخليفة منصوصاً عليه من الله سبحانه . ثم إنك تعرّف على أن الرسول الأكرم بوحي من الله سبحانه،

قام بتطبيق القاعدة، ونصب إماماً للأمة، ليقود أمرهم ويسد جميع الفراغات الحاصلة بلحوقه بالرفيق الأعلى، وبذلك حسم مادة النزاع، وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنه - وللأسف - تناست الأمة وصية الرسول وأمره، فانقسموا إلى طوائف وأحزاب، وقامت بينهم المعارك والحروب التي أُرِقت فيها الدماء واستبيحت الأعراض، وتبدلت المفاهيم، واختلفت القيم، وما زال ولم تزل معاناة الأمة من هذا الانشقاق، وأصبح التقريب فضلاً عن الوحدة أمراً متعسراً على المفكرين، نسأل الله سبحانه أن يسد تلك الفجوة العميقة بايقاظ شعور علماء الأمة ومصلحيهم في المستقبل . (٢٨٧) المسألة الثانية: عصمة الإمام

تفرّدت الامامية من بين الفرق الإسلامية بوجود عصمة الامام من الذنب والخطأ، مع اتفاق غيرم على عدمه . قال الشيخ المفيد: إن الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلا ما قدم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، ولا يدخل في مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصي، ولا كون المعصوم مضطراً إلى فعل الطاعات، فإن ذلك يستدعي بطلان الثواب والعقاب، هذه هي عقيدة الامامية في الامامة، وقد استدلووا عليه بوجوه من العقل والسمع. أما العقل فقالوا: إن الامام منفذ لما جاء به الرسول، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرسول كلها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب، لا يحصل الغرض من إمامته . (٢٨٨) حقيقة العصمة:

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرماً مع قدرته على الترك والفعل، وإلا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، وإن شئت قلت: إن المعصوم قد بلغ من التقوى حداً لا تتغلب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً. وليست العصمة شيئاً ابتدعتها الشيعة، وإنما دلهم عليها في حق العترة الطاهرة، كتاب الله وسنة رسوله. قال سبحانه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١) وليس المراد من الرجس إلا الرجس المعنوي وأظهره هو الفسق. وقال الرسول: «على مع الحق والحق مع عليّ يدور معه كيفما دار» (٢) ومن دار معه الحق كيفما دار، محال أن يعصى أو أن يخطأ، وقول الرسول في حق العترة: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّ بكم بهما لن تضلوا أبداً» (٣) فإذا كانت العترة عدل القرآن تصبح معصومة كالكتاب، لا يخالف أحدهما الآخر، وليس القول بعصمة العترة بأعظم من القول بكون الصحابة كلهم عدول . وليس للقول بالعصمة في حق العترة منشأ سوى الكتاب والسنة، وسيوافيك بعض دلائلهم . نعم شدّ من قال ان عقيدة العصمة تسرّبت إلى الشيعة من الفرس الذين نشأوا

١ . الأحزاب / ٣٣ .

٢ . حديث مستفيض، رواه الخطيب في تاريخه ١٤ / ٣٢١ والهيثمي في مجمعه ٧ / ٢٣٦ وغيرهما.

٣ . حديث متواتر أخرجه مسلم في صحيحه، والدارمي في فضائل القرآن وأحمد في مسنده ٢ / ١١٤ وغيرهم . (٢٨٩)

على تقديس الحاكم، لهذا أطلق عليها العرب النزعة الكسروية، ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك في حدود اطلاعي، ولعلّ غالبية الشيعة كانت ترمي من وراء هذه الفكرة إلى تنزيه علي من الخطأ حتى يتضح للملاّ عدوان بني أمية في اغتصاب الخلافة. هذا وفي اليهودية كثير من المذاهب التي تسرّبت إلى الشيعة (١) . هب ان عصمة الامام تسرّبت إلى الشيعة من الطريق الذي أشار إليه الكاتب فمن أين تسرّبت عصمة النبي التي يقول بها أهل السنة جميعاً في التبليغ وبيان الشريعة، فهل هذه الفكرة تسرّبت إلى أهل السنة من اليهود . لا والله إنها عقيدة اسلامية واقتبسها القوم من الكتاب والسنة من دون أخذ من اليهود والفرس، فما ذكره الكاتب تخرّص على الغيب، بل فريه واضحة . إن الاختلاف في لزوم توصيف الامام وعدمه، ينشأ من الاختلاف في تفسير الامامة بعد الرسول وماهيتها وحقيقتها فمن تلقى الامامة - بعد الرسول - بأنها مقام عرفي لتأمين السبل، وتعمير البلاد واجراء الحدود، فشأنه شأن سائر الحكام العرفيين. وأما من رأى الامامة بأنها استمرار لتحقيق وظيفة الرسالة وأن الامام ليس نبياً ولا يوحى إليه، لكنه مكلف بملاء الفراغات الحاصلة برحلة النبي، فلا محيص له عن الالتزام بها، لأن الغاية المنشودة لا تحصل بلا تسديد إلهي كما سيوافيك، نعم إن أهل السنة يتحرّجون من توصيف الامام بالعصمة ويتخيّلون أن ذلك يلزم النبوة وما هذا إلا - أنهم لا - يفترقون بين الإمامتين ولكل معطياته

والتفصيل موكول إلى محله .

١ . الدكتور نبيه حجاب: مظاهر الشعبوية في الأدب العربي ٤٩٢، كما في هوية التشيع ١٦٦ .

(٢٩٠) الدليل على لزوم عصمة الامام بعد النبي:

استدل على لزوم العصمة في الامام بوجوه نأتى بها. الأول: ان الامامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوة والرسالة، وكان الامام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جراء رحلة النبي الأكرم، فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأن تجويز المعصية يتنافى مع الغاية التي لأجلها نصبه الله سبحانه إماماً للأمة، فإن الغاية هي هداية الأمة إلى الطريق المهيح، ولا يحصل ذلك إلا بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحة كلامه، فاذا جاز على الامام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت ثقة الناس به، فتنفى الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الذي استدلل به المتكلمون على عصمة الأنبياء، والامام وإن لم يكن رسولا ولا نبياً ولكنه قائم بوظائفهما .

نعم لو كنت وظيفة الامام مقتصرة بتأمين السبل وغزو العدو و الانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلاً عادلاً قائماً بالوظائف الدينية، وأما إذا كانت وظيفته أوسع من ذلك كما هو الحال في مورد النبي، فكون الامام عادلاً قائماً بالوظائف الدينية، غير كاف في تحقيق الهدف المنشود من نصب الامام . فقد كان النبي الأكرم يفسر القرآن الكريم ويشرح مقاصده وأهدافه ويبين أسراره . كما كان يجيب على الأسئلة في مجال الموضوعات المستحدثة وكان يرد على الشبهات والتشكيكات التي كان يلقيها أعداء الإسلام . وكان يصون الدين من محاولات التحريف والتغيير . وكان يربي المسلمين ويهدبهم ويدفعهم نحو التكامل . فالفراغات الحاصلة برحلة النبي الأكرم لا تسد إلا بوجود انسان مثالي تقوم (٢٩١)

بتلك الواجبات وهو فرع كونه معصوماً عن الخطأ والعصيان(١) . الثاني: قوله سبحانه: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ)(٢) .

والاستدلال مبني على دعامين: ١- إن الله سبحانه أمر بطاعة أولى الأمر على وجه الاطلاق، إى في جميع الأزمنة والأمكنة، وفي جميع الحالات والخصوصيات، ولم يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيء كما هو مقتضى الآية . ٢- إن من البديهي أنه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان (ولا يرضى لعباده الكفر)(٣) من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخل أمر أو نهى ناه، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهى من أولى الأمر . فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين (وجوب اطاعة أولى الأمر على وجه الاطلاق، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتصف أولى الأمر الذين وجبت اطاعتهم على وجه الاطلاق، بخصوصية ذاتية وعناية إلهية ربانية، تصددهم عن الأمر بالمعصية والنهي عن الطاعة. وليس هذا إلا- عبارة أخرى عن كونهم معصومين، وإلا فلو كانوا غير واقعين تحت تلك العناية، لما صح الأمر بطاعتهم على وجه الاطلاق ولما صح الأمر بالطاعة بلا قيد وشرط. فتستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة، اشتغال المتعلق على خصوصية تصدده عن الأمر بغير الطاعة . وممن صرح بدلالة الآية على العصمة الامام والرازي في تفسيره، ويطيب لي

١ . هذا اجمال ما أوضحناه في بحوثنا الكلامية فلاحظ الإلهيات ٢ / ٥٢٨ - ٥٣٩ .

٢ . النساء / ٥٩ .

٣ . الزمر / ٧ . (٢٩٢)

أن أذكر نصه حتى يمعن فيه أبناء جلدته وأتباع طريقته قال: إن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير اقدمه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفرض إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر

الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً (١). ولما وقف الرازي على تمامية دلالة الآية على عصمة أولى الأمر، وهي لا توافق مذهبه في الامامة حاول أن يؤول الآية بما يوافقه مع أن الواجب على أمثاله، أن يتعرف على «أولى الأمر» الذي استظهر من الآية كونهم معصومين، ولكنه زلت قدمه، ولم يستغل هذه الفكرة، ولم يستثمرها، فأخذ يتهرّب من نتائج الفكرة بالقول بأننا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليه، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه، فإذا كان الأمر كذلك فالمراد ليس بعضاً من أبعاض الأمة، بل المراد هو أهل الحل والعقد من الأمة. يلاحظ عليه: بأنه إذا دلت الآية على عصمة أولى الأمر فيجب علينا التعرف عليهم، وأدعاء العجز، هروب من الحقيقة فهل العجز يختص بزمانه أو كان يشمل زمان نزول الآية، لا أظن أن يقول الرازي بالثاني فعليه أن يتعرف على المعصوم في زمان النبي وعصر نزول الآية، فبالتعرف عليهم، يعرف معصوم زمانه، حلقة بعد

١. مفاتيح الغيب ١٠ / ١٤٤.

(٢٩٣)

أخرى، ولا يعقل أن يأمر الوحي الإلهي باطاعة المعصوم ثم لا يقوم بتعريفه حين النزول، فلو آمن الرازي بدلالة الآية على عصمة أولى الأمر، لكان عليه أن يؤمن بقيام الوحي الإلهي على تعريفهم بلسان النبي الأكرم. إذ لا معنى أن يأمر الله سبحانه باطاعة المعصوم، ولا يقوم بتعريفه. ثم إن تفسير «أولى الأمر» بأهل الحل والعقد، تفسير للغامض - حسب نظر الرازي - بالأغمض إذ هو ليس بأوضح من الأول، فهل المراد منهم: العساكر والضباط، أو العلماء والمحدثون، أو الحكام والسياسيون أو الكل. وهل اتفق اجماعهم على شيء، ولم يخالفهم لغير من المسلمين. إذا كانت العصمة ثابتة للأمة عند الرازي كما علمت، فهناك من يرى العصمة لجماعة من الأمة كالقراء والفقهاء والمحدثين، هذا هو ابن تيمية يقول في رده على الشيعة عند قولهم: إن وجود الامام المعصوم لا بد منه بعد موت النبي يكون حافظاً للشريعة ومبيناً أحكامها خصوصاً أحكام الموضوعات المتجددة، يقول: إن أهل السنة لا يسلمون أن يكون الامام حافظاً للشرع بعد انقطاع الوحي، وذلك لأن ذلك حاصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كان ذلك خيراً من نقل الواحد، فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدثون معصومون في حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون في الكلام والاستدلال (١). يلاحظ عليه: كيف يدعى العصمة لهذه الطوائف مع أنهم غارقين في الاختلاف في القراءة والتفسير، والحديث والأثر، والحكم والفتوى، والعقيدة والنظر، ولو أغمضنا عن ذلك فما الدليل على عصمة تلك الطوائف خصوصاً على قول القائل بأن القول بالعصمة تسرب من اليهود إلى الأوساط الإسلامية.

١. ابن تيمية: منهاج السنة كما في نظريته الامامية ١٢٠.

(٢٩٤) الثالث: قوله سبحانه: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١).

والاستدلال بالآية على عصمة الامام، يتوقف على تحديد مفهوم الامامة الواردة في الآية والمقصود منها غير النبوة وغير الرسالة، فأما الأول فهو عبارة عن منصب تحمّل الوحي، والثاني عبارة عن منصب ابلاغه إلى الناس. والامامة المعطاة للخليل في أخريات عمره غير هذه وتلك، لأنه كان نبياً ورسولاً وقائماً بوظائفهما طيلة سنين حتى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة في المقام هو منصب القيادة، وتنفيذ الشريعة في المجتمع بقوة وقدرة. ويعرب عن كون المراد من الامامة في المقام هو المعنى الثالث، قوله سبحانه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (٢). فالإمامة التي أنعم بها الله سبحانه على الخليل وبعض ذريته، هي الملك العظيم الوارد في هذه الآية. وعلينا الفحص عن المراد بالملك العظيم، إذ عند ذلك يتضح أن مقام الامامة، وراء النبوة والرسالة، وإنما هو قيادة حكيمة، وحكومة إلهية، يبلغ المجتمع بها إلى السعادة. والله سبحانه يوضح حقيقة هذا الملك في الآيات التالية: ١- يقول سبحانه - حاكياً قول يوسف - عليه السلام -: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ

تأويل الأحاديث (٣) ومن المعلوم أن الملك الذي من به _____

١. البقرة / ١٢٤ .

٢. النساء / ٥٤ .

٣. يوسف / ١٠١ . (٢٩٥)

سبحانه على عبده يوسف، ليس النبوة، بل الحاكمية حيث صار أميناً مكيماً في الأرض. فقوله: (وعلمتني من تأويل الأحاديث) إشارة إلى نبوته، والملك إشارة إلى سلطته وقدرته . ٢- ويقول سبحانه في داود - عليه السلام - : (وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) (١) ويقول سبحانه: (وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ) (٢) . ٣- ويحكي الله تعالى عن سليمان أنه قال: (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (٣) . فملاحظة هذه الآيات يفسر لنا حقيقة الامامة، وذلك بفضل الأمور التالية: أ - إن إبراهيم طلب الامامة لذريته، وقد أجاب سبحانه دعوته في بعضهم. ب - إن مجموعة من ذريته، كيوسف وداود وسليمان، نالوا وراء النبوة والرسالة - منصب الحكومة والقيادة . ج - إن سبحانه أعطى آل إبراهيم الكتاب، والحكمة، والملك العظيم . فمن ضم هذه الأمور بعضها إلى بعض، يخرج بهذه النتيجة: إن ملاك الإمامة في ذرية إبراهيم، هو قيادتهم وحكمهم في المجتمع، وهذه هي حقيقة الامامة، غير أنها ربما تجتمع مع المقامين الآخرين، كما في الخليل، ويوسف، وداود، وسليمان، وغيرهم، وربما تنفصل عنهما كما في قوله سبحانه: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

١. البقرة / ٢٥١ .

٢. ص / ٢٠ .

٣. ص / ٣٥ . (٢٩٦) بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسِيطَةً فِي الْعِلْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١) .

والامامة التي يتبناها المسلمون بعد رحلة النبي الأكرم، تتحد واقعتها مع هذه الامامة . ما هو المراد من الظالم:

قد تعرّف على المقصود من جعل الخليل اماماً اماماً للناس، وإن المراد هو القيادة الإلهية، وسوق الناس إلى السعادة بقوة وقدره ومنعه. بقي الكلام في تفسير الظالم الذي ليس له من الإمامة سهم، فنقول: لما خلع سبحانه ثوب الامامة على خليله، ونصبه للناس، ودعا إبراهيم أن يجعل من ذريته اماماً، أُجيب بأن الامامة منصب إلهي، لا يناله الظالمون، لأن الإمام هو المطاع بين الناس، المتصرّف في الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوي، والظالم المتجاوز عن الحد لا يصلح لهذا المنصب . إن الظالم الناكث لعهد الله، والناقض لقوانينه وحدوده، على شفا جرف هار، لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة، لأنه على مقربة من الخيانة والتعدي، وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين، فكيف يصح في منطق العقل أن يكون اماماً مطاعاً، نافذ القول، مشروع التصرف. وعلى ذلك، فكل من ارتكب ظمناً وتجاوز حداً في يوم من أيام عمره، أو عبد صنماً، أو لاذ إلى وثن، وبالجملة ارتكب ما هو حرام فضلاً عما هو شرك وكفر، ينادى من فوق العرش في حقه: (لا ينال عهدي الظالمين) من غير فرق بين صلاح حالهم بعد تلك الفترة، أو البقاء على ما كانوا عليه .

١. البقرة / ٢٤٧ .

(٢٩٧)

نعم اعترض «الجصاص» على هذا الاستدلال وقال: «إن الآية إنما تشمل من كام مقيماً على الظلم وأما التائب منه فلا يتعلّق به الحكم، لأن الحكم إذا كان معلقاً على صفة، وزالت تلك الصفة، زال الحكم. ألا ترى أن قوله: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (١) إِنَّا يَنْهَى عَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا عَلَى الظلم، فقوله تعالى: (وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) لم ينف به العهد عن تاب عن ظلمه، لأنه في هذه الحالة لا يسمّى ظالماً، كما لا يسمّى من تاب من الكفر كافراً» (٢) . يلاحظ عليه: أن قوله «الحكم يدور مدار وجود الموضوع» ليس ضابطاً

كلياً، بل الأحكام على قسمين، قسم كذلك، وآخر يكفي فيه اتّصاف الموضوع بالوصف والعنوان آنأ ما، ولحظة خاصة، وإن انتفى بعد الاتّصاف، فقوله: «الخمير حرام»، أو: «في سائمة الغنم زكاة» من قبيل القسم الأوّل، وأمّا قوله: «الزاني يحد»، و «السارق يقطع» فالمراد منه أنّ الإنسان المتلبس بالزنا أو السرقة يكون محكوماً بهما وإن زال العنوان، وتاب السارق والزاني، ومثله: «المستطيع يجب عليه الحج» فالحكم ثابت، وإن زالت عنه الاستطاعة عن تقصير لا عن قصور .

وعلى ذلك فالمدعى أنّ «الظالمين» في الآية المباركة كالسارق والسارقة والزاني والزانية والمستطيع وأمهات نسائك في الآيات الراجعة إليهم . نعم المهم في المقام، اثبات أنّ الموضوع في الآية من قبيل الثاني، وأنّ التلبس بالظلم ولو آنأ ما، يسلب عن الإنسان صلاحية الامامة، وإن تاب من ذنبه، فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة: ١- من كان طيلة عمره ظالماً .

١. هود / ١١٣ .

٢. تفسير آيات الأحكام ١ / ٧٢ . (٢٩٨)

٢- من كان ظاهراً ونقياً في جميع فترات عمره . ٣- من كان ظالماً في بداية عمره، وتائباً في آخره . ٤- من كان ظاهراً في بداية عمره، وظالماً في آخره . عند ذلك يجب أن نقف عن أنّ إبراهيم - عليه السلام -، الذي سأل الإمامة لبعض ذريته أيّ قسم منها أراد؟ حاشا إبراهيم أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل، والرابع من ذريته، لوضوح أنّ الغارق في الظلم من بداية عمره إلى آخره، أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة، لا- يصلح لأن يؤتمن عليها . بقي القسمان الآخران، الثاني والثالث، وقد نص سبحانه على أنّه لا ينال عهده الظالم، والظالم في هذه العبارة لا ينطبق إلّا على القسم الثالث، أعني من كان ظالماً في بداية عمره، وكان تائباً حين التصدي . فإذا خرج هذا القسم، بقي القسم الثاني، وهو من كان نقى الصحيفة طيلة عمره، ولم ير منه لا- قبل التصدي ولا بعده أي انحراف عن جادة الحق، ومجازرة للصراف السوي . وهو يساوي المعصوم . العصمة في القول والراي:

إنّ الأئمة معصومون عن العصيان والمخالفة أولاً، وعن الخطأ والزلة في القول ثانياً وما ذلك إلّا لأنّ كلّ إمام من الأوّل إلى الثاني عشر، قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكل ما في هذين الأصلين بحيث لا يشذ عن علمهم معنى آية من آي الذكر الحكيم تنزيلاً وتأويلاً ولا- شيء من سنّة رسول الله قولاً وفعلاً وتقريراً وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنّة فضلاً وعلماً . ومن هنا كانوا قدوة الناس جميعاً بعد جدّهم الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - . (٢٩٩)

وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب و السنّة وفهموها عن رسول الله تماماً (١) كما أخذها ووعاها رسول الله عن جبرائيل، وكما وعاها جبرائيل عن الله، ولا فرق أبداً في شيء إلّا بالواسطة، وقال الشاعر الإمامي في هذا المعنى: إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهبا * ينجيك يوم البعث من لهب النار فدع عنك قول الشافعي ومالك * وأحمد والمروى عن كعب أحبار و وال أناساً نقلهم وحدثهم * روى جدنا عن جبرئيل عن الباري أخذ عليّ عن النبي، وأخذ الحسنان عن أبيهما، وأخذ علي بن الحسين عن أبيه، وهكذا كل إمام يأخذ العلم عن إمام، ولم ترو أصحاب السير والتواريخ أنّ أحداً من الأئمة الإثنا عشر أخذ عن صحابي أو تابعي، فقد أخذ الناس العلم عنهم، ولم يأخذوه عن أحد، وقال الامام الباقر - عليه السلام - : لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا ولكن نحدّثهم بأحاديث نكترها عن رسول الله كما يكثر هؤلاء ذهبهم وفضتهم . (٢)

١ . أو الهاماً غيبياً لأنهم محدّثون، كما أنّ مريم كانت محدّثة، وفي صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان كان من أمتي منهم أحد فعمرو . صحيح البخاري ٢ / ١٩٤ . باب مناقب عمر بن الخطاب .

٢ . محمّد جواد مغنّية: الشيعة والتشيع ٤٤ . (٣٠٠) (٣٠١) المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

إنّ الاعتقاد بالامام المهدي المنتظر عقيدة مشتركة بين جميع المسلمين، إلّا من أصمّه الله، فكل من كان له إمام بالحديث يقف على تواتر البشارة عن النبي وآله واصحابه، بظهور المهدي في آخر الزمان لا زالة الجهل والظلم، ونشر اعلام العلم والعدل، واعلاء كلمة

الحق واطهار الدين كله، ولو كره المشركون، وهو باذن الله ينجي العالم من ذل العبودية لغير الله، ويبطل القوانين الكافرة التي سنتها الأوهاء، ويقطع أوامر التعصبات القومية والعنصرية، ويميت أسباب العداة والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأمة واضطراب الكلمة، واشتعال نيران الفتن والمنازعات، ويحقق الله بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله: (وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ (٣٠٢) وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١).

وقال سبحانه (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (٢) هذا ما اتفق عليه المسلمون في الصدر الأول والأزمة اللاحقة، وقد تضافر مضمون قول الرسول الأكرم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً». ولو وجد هناك خلاف بين أكثر السنة والشيعة، فلاختلاف في ولادته، فإن الأكثرية من أهل السنة يقولون بأنه سيولد في آخر الزمان، والشيعة بفضل هذه الروايات، تذهب إلى أنه ولد في «سر من رأى» عام ٢٥٥، وغاب بأمر الله سبحانه سنة وفاة والده، عام ٢٦٠، وهو يحيى حياة طبيعية كسائر الناس، غير أن الناس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره الله سبحانه ليحقق عدله. وهذا المقدار من الاختلاف لا يجعل العقيدة بالمهدي عقيدة خلافية، ومن أراد أن يقف على عقيدة السنة والشيعة في مسألة المهدي فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية لمحققي السنة ومحدثيهم: ١- «صفة المهدي» للحافظ أبي نعيم الاصفهاني. ٢- «البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجي الشافعي. ٣- «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» لملا على المتقي. ٤- «العرف الوردى في أخبار المهدي» للحافظ السيوطي.

١. النور / ٥٥.

٢. الأنبياء / ١٠٥. (٣٠٣)

٥- «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر. ٦- «عقد الدرر في أخبار الامام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقي. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى «منتخب الأثر في الامام الثاني عشر» للعلامة الصافي - دام ظلّه - . ولم ير أحد الضعف في أخبار الامام المهدي، إلا ابن خلدون في مقدمته، وقد فند مقالته محمد صديق برسالة أسماها «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» وقد كتب أخيراً الدكتور عبدالباقي كتاباً قيماً في الموضوع أسماه «بين يدي الساعة» فيقول في تضافر الأخبار الواردة في حق المهدي: «إن المشكلة ليست في حديث أو حديثين أو راو أو راويين، أنها مجموعة من الأحاديث والأخبار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح. فلماذا نرد كل هذه الكمية؟ أكلها فاسدة؟ لو صح هذا الحكم لانهار الدين - والعياذ بالله - نتيجة تطرق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . ثم إنني لا أجد خلافاً حول ظهور المهدي، أو حول حاجة العالم إليه، وإنما الخلاف حول من هو، حسني أو حسيني؟ سيكون في آخر الزمان، أو موجود الآن، خفي وسيظهر؟ ظهر أو سيظهر؟ ولا عبرة بالمدعين الكاذبين، فليس لهم اعتبار. ثم إنني لا أجد مناقشة موضوعية في متن الأحاديث، والذي أجده، إنما هو مناقشة وخلاف حول السند، واتصاله وعدم اتصاله، ودرجة رواته، ومن خرجه، ومن قالوا فيه. وإذا نظرنا إلى ظهور المهدي، نظرة مجردة، فإننا لا نجد حرجاً من قبولها (٣٠٤)

وتصديقها، أو على الأقل عدم رفضها. فإذا ما تؤيد ذلك بالأدلة الكثيرة، والأحاديث المتعددة، ورواياتها مسلمون مؤتمنون، والكتب التي نقلتها إلينا كتب قيمة، والترمذي من رجال التخريج والحكم، بالإضافة إلى أن أحاديث المهدي لها، ما يصح أن يكون سنداً لها في البخاري ومسلم، كحديث جابر في مسلم الذي فيه: «فيقول أميرهم (أى لعيسى): تعال صل بنا» (١)، وحديث أبي هريرة في البخاري، وفيه: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم» (٢)، فلا مانع من أن يكون هذا الأمير، وهذا الامام هو المهدي. يضاف إلى هذا أن كثيراً من السلف رضى الله عنهم، لما يعارضوا هذا القول، بل جاءت شروحاتهم وتقريراتهم موافقة لا ثبات هذه العقيدة عند المسلمين» (٣).

١. صحيح مسلم ١ (باب نزول عيسى) ٥٩ .

٢. صحيح البخارى ١٤ / ٣٣٤ .

٣. بين يدي الساعة للدكتور عبدالباقى ١٢٣ - ١٢٥ .

(٣٠٥) المسألة الرابعة: القول بالبداء

إن من العقائد الثابتة عند الشيعة الامامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم انّ النسخ والبداء صنوان، غير أنّ الأوّل فى التشريع والثانى فى التكوين، وقد اشتهرت بالقول به، كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء وصار القول بهذه الأمور الثلاثة من خصائصهم وقد أنكرت عليهم السنّة أشد الانكار خصوصاً فى مسألة البداء ولكنهم لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تجويز البداء على الله لتوقفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق، وأقول عن جد: لو أُتيحت الفرصة لعلماء الفريقين للبحث عن النقاط الخلافية بعيداً عن التعصب والأنحياز لتجلّى الحق بأجلى مظاهره، ولا عترفوا بصحة مقالة الشيعة، غير أنّ تلك أمنيّة لا تتحقق إلا فى فترات خاصة، وقد سألتنى أحد علماء أهل السنّة عن حقيقة البداء، فأجبتة باجمال ما أفصّله فى هذا المقام، فتعجّب عن اتقان معناه، غير أنّه زعم أنّ ما (٣٠٦)

ذكرته نظريّة شخصيّه لا صلة لها بنظريّة الامامية فى البداء فطلب منى كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه أوائل المقالات، وشرح عقائد الصدوق لشيخ الأئمة محمّد بن النعمان المفيد (٣٣٦ - ٤١٣) فقرأهما بدقه، وجاء بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الذى يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنّة ولا يخالفون الشيعة فى هذا المبدأ أبداً. ولتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدمات: الأولى: اتفقت الشيعة على أنّه سبحانه عالم بالحوادث كلّها غابرها وحاضرها، ومستقبلها لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، بل الأشياء دقيقها وجليلها، حاضرة لديه ويدل عليه الكتاب والسنّة المروية عن طريق أئمّة أهل البيت - مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقرّرة فى محلها - أمّا الكتاب:

ف قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (١). وقوله تعالى (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (٢). وقوله سبحانه: (إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٣) كيف وهو محيط بالعالم صغيره وكبيره، ماديه ومجرّده، والأشياء كلّها قائمة به قياماً قيوماً كقيام المعنى الحرفى بالاسمى والرابطى بالطرفين ويكفى فى ذلك قوله سبحانه: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٤).

١. آل عمران / ٥ .

٢. إبراهيم / ٣٨ .

٣. الأحزاب / ٥٤ .

٤. الحديد / ٢٢ . (٣٠٧)

وقوله سبحانه: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (١). وأمّا الأخبار فنكتفى بالقليل منها: قال الامام موسى الكاظم - عليه السلام - : «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء» (٢). وقال الامام على - عليه السلام - : «كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة» (٣). وقال - عليه السلام - : «لا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافى الريح فى الهواء، ولا ديبب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ فى الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفىّ طرف الأحداق» (٤). إلى غير ذلك من الروايات (٥) التى تدل على احاطة علمه بكل شىء قبل خلقه وحينه وبعده، وإنه لا يخفى عليه شىء أبداً. وقال الصادق - عليه السلام - فى تفسير قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): «فكل أمر يريد الله، فهو فى علمه قبل أن يصنعه، ليس شىء يبدو له إلا وقد كان فى علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل. وقال: من زعم أنّ الله عزّوجلّ يبدو له من

١. هود / ٦ .

٢. الكافي ج ١، باب صفات الذات، الحديث ٤ .

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥ .

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣، طبعه عبده .

٥. لاحظ في العثور على الروايات حول علمه سبحانه، البحار ٤ / ١٢١ والكافي ١ / ١١١ . (٣٠٨)

شيء لم يعلمه أمس، فابراً وامنه» (١) إلى غير ذلك من الروايات التي تدل على إحاطة علمه بكل شيء قبل خلقه وحينه وبعده وأنه لا يخفى عليه شيء أبداً . وأما العقل فقد دلّ على تنزهه من وصمة الحدوث والتغيير، وأنه تقدّست أسماؤه، أعلى من أن يقع معرضاً للحوادث والتغييرات، ولأجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل، لاستلزامه كون ذاته محلاً للتغيير والتدبيل، والمستلزم للتركيب والحدوث، إلى غير ذلك مما يستحيل عليه سبحانه . فالآيات وكذلك الأحاديث المروية عن أئمة الشيعة - عليهم السلام - تشهد على علمه الذي لا يشوبه جهل، وعلى سعته لكل شيء قبل الخلق وبعده، وأنه يستحيل عليه الظهور بعد الخفاء، والعلم بعد الجهل . وعليه فمن نسب إلى الشيعة الإمامية ما يستشتم منه خلاف ما دلّت عليه الآيات والأحاديث فقد افترى كذباً ينشأ من الجهل بعقائد الشيعة، أو التزلف إلى حكام الوقت الحاقدين لهم أو التعصب المقيت . وبذلك يعلم بطلان ما قاله الرازي في تفسيره عند البحث عن آية المحو والاثبات حيث يقول: قالت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت): ثم قال: إنّ هذا باطل لأنّ علم الله من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك، كان دخول التغيير والتبدل فيه باطلاً (٢) . وما حكاه الرازي عن «الرافضة» كاشف عن جهله بعقيدة الشيعة وإنما سمعه

١. البحار ٤ / ١١١ باب البداء، الحديث ٣٠، والبرهان ٢ / ٣٠٠ حديث ٢١ .

٢. تفسير الرازي ٤ / ٢١٦ تفسير سورة الرعد . (٣٠٩)

عن بعض الكذابين الأفاكين الذين يفتعلون الكذب لغايات فاسدة، وقد قبله من دون امعان ودقّة، مع أنّ موطنه ومسقط رأسه (بلدة رى) كانت مزدهم الشيعة ومركزهم وكان الشيخ محمود بن علي بن الحسن سديد الدين الحمصي الرازي، علامة زمانه في الأصوليين معاصراً وموطناً للرازي وهو مؤلف كتاب «المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد» (١) ولو كان الفخر الرازي رجلاً منصفاً لرجع إليه في تبين عقائد الشيعة، ولما تهاجم عليهم بسباب مقذع، وربّما ينقل عنه بعض الكلمات في تفسيره . وليس الرازي فريداً في التقوّل في هذا المجال بل سبقه البلخي (ت ٣١٩) في هذه النسبة (٢)، ونقله الشيخ الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤) في مقالات الاسلاميين (٣) ونقله أبو الحسن النوبختي في فرق الشيعة عن بعض فرق الزيدية (٤) . * * * الثانية: كما دلّت الآيات والأحاديث (٥) على أنّه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والايجاد، والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر، بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم من الصدقة والاحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين، والاستغفار والتوبة وشكر النعمة واداء حقّها إلى غير ذلك من الأمور التي تغيّر المصير وتبدّل القضاء وتفترج الهموم والغموم وتزيد في الأرزاق، والأمطار، والأعمار

١. الطهراني آغا بزرك: الثقات العيون في سادس القرون ٢٩٥ وطبع الكتاب أخيراً .

٢. الطوسي: التبيان ١ / ١٣ .

٣. مقالات الاسلاميين ١٠٧ .

٤. فرق الشيعة ٧٦ نقله عن سليمان بن جرير الذي كفره أهل السنّة أيضاً لتكفيره عثمان فهل يصحّ الاعتماد على قول مثله .

٥. البحار ٤ / ١٠٤ الحديث ١٧ وغيره . (٣١٠)

والآجال كما أنّ لمحرم الأعمال وسينها من قبيل البخل والتقصير، وسوء الخلق، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والطيش، وعدم

الانابه، وكفران النعمه وماشابهها تأثيراً في تغيير مصيرهم بعكس ذلك من اكثر الهموم، والقلق، ونقصان الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، وما شاكلها . فليس للانسان مصير واحد، ومقدر فارد، يصيبه على وجه القطع والبت، ويناله، شاء أو لم يشأ، بل المصير أو المقدر يتغير ويتبدل بالأعمال الصالحه والطالحه وشكر النعمه وكفرانها، وبالايمان والتقوى، والكفر والفسوق. وهذا مما لا يمكن (لمن له أدنى علاقته بالكتاب والسنة) انكاره إلا من كان مؤمناً بالقلب، ومنكراً باللسان . ونحن نأتى فى المقام بقليل من كثير مما يدل على ذلك من الآيات والروايات. منها: قوله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء: (اسْتِغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) (١). ترى أنه - عليه السلام -، يجعل الاستغفار، علته مؤثره، فى نزول المطر، وكثرة الأموال والبنين، وجريان الأنهار إلى غير ذلك. وأما بيان كيفية تأثير عمل العبد فى الكائنات الطبيعىة، فيطلب عن محلّه . وقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (٢). وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى

١. نوح / ١٠ - ١٢ .

٢. الرعد / ١١ . (٣١١) يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (١).

وقوله سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٢). وقوله سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (٣). وقوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (٤). وقوله سبحانه: (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) (٥). وقال تعالى: (وَإِيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ) (٦). وقال سبحانه: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (٦). وقال تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَتَيَدُّنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَعِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) (٧). وقال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) (٨). وقال سبحانه: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا

١. الأنفال ٥٣ .

٢. الأعراف ٩٦ .

٣. الطلاق ٢ - ٣ .

٤. إبراهيم ٧ .

٥ و ٦ - الأنبياء ٧٦ و ٨٣ - ٨٤ .

٦. الأنفال ٣٣ .

٧. الصافات ١٤٣ - ١٤٦ .

٨. الأنبياء ٨٨ . (٣١٢) آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (١) .

وهذه الآيات بالاضافة إلى كثير من الأحاديث التى سيوافيك بيان نزر منها تعرب على أن الأعمال الصالحه مؤثره فى مصير الإنسان وأنه يقدر بعمله الصالح على تغيير القدر، وتبديل القضاء وليس هناك مقدر محتوم فيما يرجع إلى أفعاله الاختيارية حتى يكون العبد فى مقابله مكتوف الأيدي والأرجل . وأما الأحاديث التى تدل على هذا المطلب فكثيرة جداً، مبعثرة فى كتب الحديث تحت عناوين مختلفة من قبيل الصدقة، والاستغفار، والدعاء، وصله الرحم، وما أشبه ذلك، وسنذكر فيما يلى نموذجاً من الأحاديث لكل من الأمور الآتية . الف - الصدقة وأثرها فى دفع البلاء:

روى الصدوق فى الخصال عن أنس: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «أكثر من صدقة السر، فإنها تطفى غضب الرب جل جلاله» . وروى فى عيون الأخبار عن الرضا عن آبائه، قال: قال رسول الله: «باكروا بالصدقة فمن باكر بها لم يتخطاها البلاء» .

وروى الشيخ الطوسي في أماليه عن الباقر - عليه السلام - قال: قال أمير المؤمنين: «أفضل ما توصل به المتوسلون بالإيمان بالله... وصدقة السر، فإنها تذهب الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنائع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء وتقوى مصارع الهوان». وروى الصدوق في ثواب الأعمال عن الصادق - عليه السلام - قال: «الصدقة»

١. يونس / ٩٨، وقد استشهد الامام أمير المؤمنين ببعض هذه الآيات عند الاستسقاء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةَ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ...» نهج البلاغة، الخطبة ١٤٣.

(٣١٣)

باليد تدفع ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء». إلى غير ذلك من الروايات التي جمعها العلامة المجلسي في كتاب الزكاة والصدقة (١). ب - أثر الاستغفار في الرزق:

روى الصدوق في الخصال عن أمير المؤمنين قال: «الاستغفار يزيد في الرزق». وروى أيضاً فيها عن أمير المؤمنين - عليه السلام - : «أكثرُوا الاستغفار، تجلبوا الرزق» (٢). ج - الدعاء وآثاره :

روى الحميري في قرب الاسناد عن الصادق - عليه السلام - : «انَّ الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَذْنُبُ فَيَحْرَمُ بِذَنْبِهِ الرِّزْقَ». وروى أيضاً عنه - عليه السلام - : قال رسول الله: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدعاء». وروى الصدوق عن أمير المؤمنين -

عليه السلام - : «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء» (٣). _____

١. بحار الأنوار: الجزء ٩٣ الباب ٢١، الأحاديث ٤-٧-٩-٢٦ (وروى هناك أحاديث أخرى).

٢. المصدر نفسه كتاب الذكر والدعاء باب الاستغفار وفضله وأنواعه، الحديث ٤-١٧ (وروى أحاديث حول الاستغفار من الفريقين).

٣. البحار الجزء ٩٣ كتاب الذكر والدعاء، أبواب الدعاء. الباب ١٦ - الحديث ٢-٣-٥ (وروى أحاديث من الفريقين). (٣١٤)

وقد عقد الكليني في الكافي باباً أسماه «انَّ الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَالْقَضَاءُ وَمِنْ جَمَلَةِ أَحَادِيثِ هَذَا الْبَابِ عَنْ حَمَادِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «انَّ الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ يَنْقُضُهُ كَمَا يَنْقُضُ السَّلْكَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبرَاماً» (١). وروى عن أبي الحسن موسى - عليه السلام - : «عليكم

بالدعاء فإنَّ الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا امضاؤه فإذا دعى الله عزَّ وجلَّ وسئل، صرف البلاء صرفه» (٢). وأخرج الحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنه - ، قال: لا ينفع الحذر عن القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.

قال: وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف وابن أبي الدنيا في الدعاء عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: ما دعا عبد بهذه الدعوات إلا وسع الله له في معيشته: «يا ذا المنِّ ولا- يمنّ عليه، يا ذا الجلال والاکرام يا ذا الطول، لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين،

ومأمن الخائفين إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء واثبتني عندك سعيداً، وإن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً مقترراً على رزقي، فامح حرمانى ويسر رزقى واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير فإنك تقول في كتابك الذى أنزلت:

(يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٣). وروى أيضاً في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (يسأله من في

١. الكافي ج ٢ باب انَّ الدعاء يرد القضاء ص ٤٦٩ الحديث ١.

٢. المصدر نفسه ص ٤٧٠ الحديث ٨.

٣. السيوطي، الدر المنثور ٤ / ٦٦. (٣١٥) السموات) ما يقرب من هذا، فلاحظ (١). د - أثر صلة الرحم:

روى الكليني عن أبي الحسن الرضا قال: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء» (٢). روى أيضاً عن أبي جعفر قال: «صلة الأرحام تزكى الأعمال ونمى الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب

وتنسى في الآجال» (٣). وروى أهل السنة نظير هذه الروايات فنكتفى بما رواه السيوطي في الدر المنثور عن علي - رضى الله عنه - : أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن هذه الآية (يَمْحُوا اللَّهُ) فقال له: «لأقرن عينيك بتفسيرها ولأقرن عين أمتي بعدى

بتفسيرها: الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، وتقى مصارع السوء». وكما أنّ للأعمال الصالحة أثراً في المصير وحسن العاقبة، وشمول الرحمة وزيادة العمر وسعة الرزق، كذلك الأعمال الطالحة والسيئات في الأفعال فإنّ لها تأثيراً ضدّ اثر الأعمال الحسنه. ويدل على ذلك من الآيات قوله سبحانه: (وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوِيَّةً كَانَتْ مِنْهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

١. الدر المنثور ٦ / ١٤٣ .

٢. الكافي ج ٢، باب صلة الرحم، الحديث ٣ .

٣. المصدر نفسه، الحديث ٤ ولاحظ البحار ج ٤ باب البداء، الحديث ٦٦ . (٣١٦) يَصْنَعُونَ(١) .

وقال سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢) . وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) (٣) . وأما الروايات في ذلك فحدّث عنها ولا حرج فنكتفى بما عن أمير المؤمنين أنّه قال في خطبة: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء» فقام إليه عبدالله بن الكواء الشكري، فقال: يا أمير المؤمنين أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: «نعم، ويلك قطعة الرحم». وقال أيضاً: «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار» (٤) . وقد وردت في الآثار الوضعية للأعمال، روايات يطول الكلام بنقلها. فلاحظ ما ورد في الزنا من أنّ فيها ست خصال ثلاث منها في الدنيا وثلاث منها في الآخرة أمّا التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق (٥) . أيضاً ما ورد في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ما روى عن أبي الحسن الرضا - عليه السلام - أنّه قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهّن عن المنكر أو لتستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» (٦) وعن أمير المؤمنين - عليه السلام - : -

١. النحل / ١١٢ .

٢. الأنفال / ٥٣ .

٣. الأعراف / ١٣٠ .

٤. الكافي ج ٢ كتاب الايمان والكفر، باب قطعة الرحم، الحديث ٧ - ٨ .

٥. سفينة البحار ١ / ٥٦٠ مادة (زنا) .

٦. الوسائل ج ١١ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ١ الحديث ٤ . (٣١٧)

«إنّهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الرّبّانيون والأخبار نزلت بهم العقوبات» (١) وورد: «لا تزال أمّتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزلت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء» (٢) إلى غير ذلك من درر الكلمات التي نقلت عن معدنها. * * *
فقد تحصل ممّا ذكرنا: أولاً: إنّ علمه سبحانه يعم كل الأشياء ماضيها وحاضرها ومستقبلها. وثانياً: إنّ سبحانه كل يوم هو في شأن. وثالثاً: إنّ لأفعال العباد، تأثيراً في حسن العاقبة وسوئها، ونزول الرحمة والبركة، أو العقاب والنقمة .

إذا وقفت على هذه المقدمات الثلاث فاعلم أنّه يقع الكلام في البداء في مقامين: ١- البداء في مقام الثبوت: أي تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة . ٢- البداء في مقام الاثبات: أي الاخبار عن تحقق الشيء علماً بالمقتضى مع خفاء المانع .

١. الوسائل ج ١١ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ١ الحديث ٧ .

٢. المصدر نفسه، الحديث ١٨ . (٣١٨) (٣١٩) البداء في مقام الثبوت والاثبات

حقيقة البداء هو أنّه سبحانه (على خلاف ما اعتقده اليهود والنصارى في حقّه من فراغه عن أمر الخلق والتدبير، والاحياء والاماتة، والتوسيع والتقدير في الرزق، والتعمير والتنقيص إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى الكون والإنسان) هو القائم دائماً بالأمر، والتدبير، وهو القيوم على كل شيء، وكل يوم في شأن وليست يده مغلولتان، بل يده مبسوطتان (في كل شيء) يمحو ويثبت حسب مشيئته الحكيمه

وارادته النافذة فهو المتجلى في كل زمان بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا كالخالقية والرازقية والاحياء والامامة إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى . ومن شعب هذا الأمر، هو أنه سبحانه: يزيد في الرزق والعمر وينقص منهما، وينزل الرحمة والبركة، كما ينزل البلاء والنقمة، حسب مشيئته الحكيمه، النافذة، ولا تصدر عنه الأمور جزافاً واعتباطاً بل حسب ما تقتضيها حال العباد من حسن الأفعال وقبحها وصالح الأعمال وطالحها. فربما يكون الإنسان مكتوباً في الأشقياء ثم يمحي فيكتب من السعداء أو على العكس بسبب ما يقوم به من أعمال . (٣٢٠)

وبالجملة: فالبدء في عالم الثبوت يضاد مزعمه اليهود والنصارى المشار إليها في قوله سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (١)، وقد رد سبحانه تلك العقيدة اليهودية الباطلة في هذه الآية كما هو واضح . ولأجل أن يديه سبحانه مبسوطتان، يزيد في الخلق ما يشاء، وفي العمر، وينقص منه، حسب مشيئته الحكيمه قال سبحانه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢) وقال سبحانه: (وَمَا تُحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٣) . وبناء على ذلك فالبدء بهذا المعنى، مما يشترك فيه كل المسلمين، على مذاهبهم المختلفة من دون اختصاص بالشيعة، فليس أحد من المسلمين ينكر أنه سبحانه كل يوم هو في شأن، وأنه جلّ وعلا. يبدئ ويعيد، ويحيى ويميت، كما أنه سبحانه يزيد في الرزق والعمر وينقص إلى غير ذلك حسب المشيئة الحكيمه والمصالح الكامنه في أفعاله . وكما أنه سبحانه: يده مبسوطتان، كذلك العبد مختار، في أفعاله لا مسير، وحر في تصرفاته (٤) -لا- مجبور، له أن يغير مصيره ومقدّره بحسن فعله، وجودة عمله ،

١ . المائدة / ٦٤ .

٢ . فاطر / ١ .

٣ . فاطر / ١١ .

٤ . لا- يخفى أن المقصود من أفعال الإنسان التي تثبت اختياره فيها هي الأفعال التي تتعلق بها التكاليف لا الأفعال القهرية التي تصدر من جهازه الهضمي مثلاً . (٣٢١)

ويخرج اسمه من الأشقياء، ويدخله في السعداء، كما أن له أن يخرج اسمه من السعداء ويدخله في الأشقياء بسوء عمله . فالله سبحانه كما يمحو ويثبت في التكوين، فيحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد، ويغيره حسب ما يغير العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (١)، كل ذلك لأجل أن يديه مبسوطتان وأن العبد حرّ مختار، قادر على تغيير القضاء، وتبديل القدر، بحسن فعله أو سوءه، كما دلّت عليه الآيات والروايات . وليس في ذلك أي محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنة بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوءه، هو أيضا من قدره وقضائه وسننه التي لا تبدل لها ولا تغيير، فالله سبحانه إذا قدر لعبده شيئا وقضى له بأمر، فلم يقدره ولم يقضه به على وجه القطع والبت، بحيث لا يتغير ولا يتبدل، بل قضى به على وجه خاص وهو أن القضاء والقدر يجرى عليه، ما لم يغير العبد حاله، فإذا غير حاله بحسن فعله أو سوءه، يتغير القضاء ويتبدل القدر ويخلف قضاء وقدر آخر مكانهما الأول، وكل هذه أيضا قضاء وقدر منه، كما لا يخفى . وهذا (البدء في الثبوت) أولى بالتسمية بالمحو والاثبات، والتغيير والتبديل في الكون وفي مصير الإنسان غير أن المحو والاثبات في الكون بيد الله سبحانه، يتصرف فيه حسب مشيئته، ولا دخل لارادة الإنسان ولصلاح فعله ولا فساده فيه، وأما التغيير في مصير الإنسان فيتوقف تعلق المشيئة عليه، على كيفية حال العبد وكيفية عمله من حسن أو قبح .

١ . الرعد / ١١ .

(٣٢٢) البدء في الذكر الحكيم:

هذا الأصل - الذي يعدّ من المعارف العليا تجاه ما عرف من اليهود، من سيادة القدر على كل شيء حتى إرادته سبحانه - يستفاد بوضوح من قوله سبحانه (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (١) وهذه الآية هي الأصل في البداء في مقام الثبوت ويكفي في إيضاح دلالتها، نقل كلمات المحققين من المفسرين، حتى يقف القارئ على أنّ القول بالبداء بالمعنى الصحيح، مما أصفقت عليه الأمة. ١- روى الطبري (٣١٠ هـ) في تفسير الآية عن لفيف من الصحابة والتابعين أنّهم كانوا يدعون الله سبحانه بتغيير المصير واخراجهم من الشقاء - إن كتب عليهم - إلى السعادة مثلاً، كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول وهو يطوف بالكعبة: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الذنب [الشقاوة] فامحني وأثبتني في أهل السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسعود، وابن عباس وشقيق وأبي وائل (٢) . وروى عن ابن زيد أنّه قال في قوله سبحانه: (يمحو الله ما يشاء) بما يُنزلُ على الأنبياء، ويثبت ما يشاء مما ينزل على الأنبياء قال: وعنده أم الكتاب لا يُغيّر ولا يُبدّل (٣) . ٢- قال الزمخشري (٥٢٨ هـ): (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو ينزله غير منسوخ (٣) .

١ . الرعد / ٣٩ .

٢ . الطبري: التفسير (جامع البيان) الجزء ١٣ / ١١٢ - ١١٤ .

٣ . الزمخشري: الكشاف: ٢ / ١٦٩ . (٣٢٣)

٣- ذكر الطبرسي (٥٤٨ - ٤٧١ هـ) لتفسير الآية وجوهاً متقاربة وقال: «الربيع أنّه عامٌّ في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما. (روى ذلك) عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود وأبي وائل وقتادة: وأم الكتاب أصل الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات والكائنات . وروى أبو قلابه عن ابن مسعود أنّه كان يقول: «اللهم إن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء...» (١) . ٤- قال الرازي (٦٠٨ هـ) إنّ في هذه الآية قولين: القول الأول: إنّها عامّة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إنّ الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . والقول الثاني: إنّ هذه الآية خاصّة في بعض الأشقياء دون البعض . ثم قال: فإن قال قائل: ألستم تزعمون أنّ المقادير سابقه قد جفّ بها القلم وليس الأمر بأنف فكيف يستقيم مع هذا المعنى، المحو والإثبات؟ قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضاً مما جف به القلم فلأنّه لا- يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه (٢) . ٥- قال القرطبي (٦٧١ هـ) - بعد نقل القولين وإنّ المحو والإثبات هل يعمّان جميع الأشياء أو يختصّان ببعضها - : مثل هذا لا يدرك بالرأى والاجتهاد، وإنّما يؤخذ توقيفاً فإن صحّ فالقول به يجب أن يوقف عنده، وإلا فتكون الآية عامّة في جميع الأشياء وهو الأظهر - ثم نقل دعاء عمر بن الخطاب في حال الطواف ودعاء

عبدالله

١ . الطبري مجمع البيان ٦ / ٣٩٨ .

٢ . الرازي: ١٠ / ٦٤ - ٦٥ . (٣٢٤)

ابن مسعود ثم قال: روى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «من سرّه أن ييسر له في رزقه ويُيسر له في أثره (أجله) فليصل رحمه» . (١) ٦- قال ابن كثير (٧٧٤ هـ) بعد نقل قسم من الروايات: ومعنى هذه الروايات أنّ الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إنّ الرجل ليُخرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» ثم نقل عن ابن عباس: الكتاب كتابان، فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت عنده ما يشاء، وعنده أم الكتاب (٢) . ٧- روى السيوطي (٩١١ هـ) عن ابن عباس في تفسير الآية: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل

بمعصية الله تعالى وقد سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله سبحانه وتعالى. ثم نقل ما نقلناه من الدعاء عن لقيف من الصحابة والتابعين (٣). ٨- ذكر الآلوسى (١٢٧٠ هـ) عند تفسير الآية قسماً من الآثار الواردة حولها وقال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن عليّ - كرم الله وجهه - أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء...) الآية فقال: له عليه الصلاة والسلام. لا قرّن عينك بتفسيرها ولا قرّن عين أمتي بعدي بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين واصطناع المعروف، محو الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقى مصارع السوء، ثم قال: دفع الإشكال عن استلزام ذلك، بتغير علم الله سبحانه ومن شاء فليرجع (٤). ٩- قال صديق حسن خان (١٣٠٧ هـ) في تفسير الآية: وظاهر النظم

١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٢٩.

٢. ابن كثير: التفسير ٢ / ٥٢٠.

٣. السيوطي: الدر المنثور ٤ / ٦٦٠ لاحظ ما نقله في المقام من المأثورات كلها تحكى .

٤. الآلوسى: روح المعاني ١٣ / ١١١. (٣٢٥)

القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شرّ ويبدل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا. لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن جريح وغيرهم... (١). ١٠- قال القاسمي (١٣٣٢ هـ): تمسّك جماعة بظاهر قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فقالوا: إنها عامّة في كل شيء كما - يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا - يمحو الله من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر (٢). ١١- قال المراغي في تفسير الآية: وقد أثر عن أئمة السلف أقوال لا تناقض بل هي داخله فيما سلف ثم نقل الأقوال بإجمال (٣). وهذه الجمل والكلم الدرية المضيئة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان، والمفسرين تعرب عن الرأي العام بين المسلمين في مجال إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة ومنها الدعاء والسؤال وأنه ليس كل تقدير حتمياً لا يغير ولا يبدل وأنّ لله سبحانه لو حين: لوح المحو والإثبات ولوح «أم الكتاب» والذي لا يتطرق التغيير إليه هو الثاني دون الأول، وإنّ القول بسيادة القدر، على اختيار الإنسان في مجال الطاعة والمعصية، قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة، ومحكمات الكتاب. ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل وإنزال الكتب (ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (٤).

١. صديق حسن خان: فتح البيان ٥ / ١٧١.

٢. القاسمي: محاسن ٩ / ٣٧٢.

٣. المراغي: التفسير ٥ / ١٥٥ - ١٥٦.

٤. سورة «ص» الآية ٢٧. (٣٢٦) الأثر التربوي للاعتقاد بالبداء:

الاعتقاد بالمحو والاثبات، وإنّ العبد قادر على تغيير مصيره بأفعاله وأعماله، يبعث الرجاء في قلب من يريد أن يتطهر، وينمي نواة الخير الكامنة في نفسه، فتشريع البداء، مثل تشريع قبول التوبة، والشفاعة، وتكفير الصغائر بالاجتناب عن الكبائر. كلّها لأجل بعث الرجاء وايقاد نوره في قلوب العصاة والعتاة، حتى لا يأسوا من روح الله ولا يتولّوا بتصوّر أنّهم من الأشقياء وأهل النار تقديراً، فلا فائدة في السعي والعمل، فلو علم الإنسان أنّه سبحانه لم يجفّ قلمه في لوح المحو والاثبات، وله أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، يسعد من يشاء، ويشقى من يشاء «وليس مشيئة جزافية غير تابعة لضابطه عقليه» وتاب، وعمل بالفرائض وتمسّك بالعروة الوثقى، يخرج من سلك الأشقياء، ويدخل في صنف السعداء، وبالعكس وهكذا كل ما قدر في حقه من الموت والمرض والفقر، والشقاء يمكن تغييره بالدعاء، والصدقة وصله الرحم، وإكرام الوالدين، وغير ذلك، فالكل لأجل بث الأمل في قلب الإنسان، وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصريح آياته وأخبار الهداة. وبهذا يظهر أنّ البداء من المعارف العليا التي اتفقت عليه كلمة المسلمين وإن غفل عن معناه الجمهور (ولو عرفوه لأذعنوا به). وأمّا اليهود - خذلهم الله - فقالوا باستحالة تعلق المشيئة بغير ما جرى عليه القلم، ولأجل

ذلك قالوا: يد الله مغلوله عن القبض والبسط، والأخذ والاعطاء، وبعبارة أخرى عندهم انّ للانسان مصيراً واحداً لا يمكن تغييره ولا تبديله وأنه ينال ما قدر له من الخير والشر . ولو صح ذلك لبطل الدعاء والتضرع ولبطل القول بأنّ للأعمال الصالحة وغير الصالحة ممّا عددناها تأثيراً في تغيير مصير الإنسان . (٣٢٧)

وعلى ضوء هذا البيان نتمكن من فهم ما جاء في فضيلة البداء وأهميته في الروايات مثل ما روى زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق - عليهما السلام -): «ما عبدالله عزوجل بشيء مثل البداء» (١) . وما عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله - عليه السلام - : «ما عظم الله عزوجل بمثل البداء» (٢) . إذ لولا الاقرار بالبداء بهذا المعنى ما عرف الله حق المعرفة، ويتجلى سبحانه في نظر العبد (بناء على عقيدة بطلان البداء) أنه مكتوف الأيدي، لا يقدر على تغيير ما قدره، ولا محو ما أثبتته . ومن الروايات في هذا المعنى ما روى عن الصادق - عليه السلام - أنه قال: «لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه» (٣) . وذلك لأنّ الاعتقاد بالبداء مثل الاعتقاد بتأثير التوبة والشفاعة يوجب رجوع العبد عن التمادي في الغي والضلالة، والانابة إلى الصلاح والهداية . البداء في مقام الاثبات:

إذا عرفت ما ذكرنا فاعلم أنّ المراد من البداء في مقام الاثبات هو، وقوع التغيير في بعض مظاهر علمه سبحانه فإنّ لعلمه سبحانه مظاهر، منها: ما لا يقبل التغيير ومنها ما يقبل ذلك . أمّا الأول: فهو المعبر عنه بـ «اللوحة المحفوظ» تارة و بـ «أم الكتاب» أخرى قال سبحانه: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) (٤) وقوله تعالى:

١ . البحار ٤ / ١٠٧ باب البداء، الحديث ١٩ - ٢٠ .

٢ . التوحيد للصدوق باب البداء، الحديث ٢ .

٣ . الكافي ١ / ١١٥، والتوحيد للصدوق، باب البداء، الحديث ٧ .

٤ . البروج ٢١ - ٢٢ . (٣٢٨) (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ) (١) وقال سبحانه: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٢) فاللوحة المحفوظ وأم الكتاب وذلك الكتاب الذي كتب فيه ما يصيب الإنسان من مصائب ممّا لا يتطرق إليها المحو والاثبات قدر شعرة، ولأجل ذلك لو أمكن الإنسان أن يتصل به، لوقف على الحوادث على ما هي عليه بلا خطأ ولا تخلف . وأمّا الثاني: فهو لوحة المحو والاثبات الذي أشار إليه سبحانه، بقوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٣) فالأحكام الثابتة فيه، أحكام معلقة على وجود شرطها أو عدم مانعها، فالتغير فيها لأجل اعواز شرطها أو تحقق مانعها وربما يكتب فيه الموت نظراً إلى مقتضياته، ولكنه ربما يمحي ويكتب فيه الصحة لفقدان شرط التقدير الأول أو طرؤ مانع من تأثير المقتضى .

فالتقدير الأول يفرض لأجل قياس الحادث إلى مقتضيه، كما أنّ التقدير الثاني يتصور بالنسبة إلى جميع أجزاء علته، فإنّ الشيء إذا قيس إلى مقتضيه (الذي يحتاج الصدور منه إلى وجود شرائط وعدم موانع) يمكن تقدير وجوده، ولكنه بالنظر إلى مجموع أجزاء علته التي منها الشرائط وعدم الموانع، يقدر عدمه لفرض عدم وجود شرائطه، وتحقق موانعه . إذا علمت ذلك، فاعلم أنّه ربما يتصل النبي أو الولي بلوح المحو والاثبات، فيقف على المقتضى من دون أن يقف على شرطه أو مانعه، فيخبر عن وقوع شيء

١ . الزخرف / ٤ .

٢ . الحديد / ٢٢ .

٣ . الرعد / ٣٩ . (٣٢٩)

ولكنه ربما لا يتحقق لأجل عدم تحقق شرطه أو عدم تحقق وجود مانعه وذلك هو البداء في عالم الاثبات وإن شئت قلت: إنّ موارد وقوع البداء حسب الاثبات من ثمرات البداء في عالم الثبوت، ولم يرد في الأخبار من هذا القسم من البداء إلا موارد لا تتجاوز عن عدد الأصابع، نشير إليه بعد الفراغ عمّا ورد في الذكر الحكيم . تلميحات إلى البداء في الذكر الحكيم:

١- قال سبحانه: (فَبَشِّرْهُ بِبُحْبُوحِ جَنَّةٍ مَّا تَوَمَّرُ سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (١). أخبر إبراهيم - عليه السلام - ولده إسماعيل - عليه السلام - بأنه رأى في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء (كما ورد في الحديث) من أقسام الوحي (٢)، فكانت رؤياه صادقة حاكية عن حقيقة ثابتة، وهي أمر الله إبراهيم بذبح ولده، وقد تحققت ذلك الأمر، أي أمر الله سبحانه به. ولكن قوله: (أنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يكشف عن أمرين: الف: الأمر بذبح الولد وهو أمر تشريعى كما عرفت وقد تحققت. ب: الحكاية عن تحقق ذلك فى الواقع الخارجى وأن إبراهيم سيمثل ذلك، والحال أنه لم يتحقق لفقدان شرطه، وهو عدم النسخ ويحكى عن كلا الأمرين قوله: (و فديناه بذبح عظيم). وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه بأنه كيف أخبر خليل الرحمن بشيء من _____

١. الصافات / ١٠١ - ١٠٢.

٢. السيوطى: الدر المنثور ٥ / ٢٨٠. (٣٣٠)

الملاحم والمغيبات، ثم لم يتحقق، وما هذا إلا لأجل أنه وقف على المقتضى، فأخبر بالمقتضى، ولكنه لم يقف على ما هو العلة التامة، وليس لعلمه هذا مصدر سوى اتصاله بلوح المحو والاثبات. ٢- أخبر يونس قومه بأنهم إن لم يؤمنوا فسوف يصيبهم العذاب إلى ثلاثة أيام (١) ولكن العذاب لم يصيبهم، فما هذا إلا لأن النبي، وقف على المقتضى ولم يقف على المانع وهو أن القوم سيتوبون عند رؤيته العذاب توبة نصوحاً رافعة للعذاب، وإليه يشير قوله سبحانه: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (٢). ٣- أخبر موسى قومه بأنه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، كما روى عن ابن عباس حيث قال: إن موسى قال لقومه: إن ربى وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه واخلف هارون فيكم، فلما فصل موسى إلى ربه زاده الله عشرًا، فكانت فنتهم فى العشر التى زاده الله (٣). وإليه يشير قوله سبحانه: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (٤). فلا شك أن موسى أطلع على الخبر الأول ولم يطلع على نسخه وإن التوقيت سيزيد ولا مصدر لعلمه إلا الاتصال بلوح المحو والاثبات. _____

١. الطبرسى: مجمع البيان ٣ / ١٣٥.

٢. يونس / ٩٨.

٣. الطبرسى: مجمع البيان ٢ / ١١٥.

٤. الأعراف / ١٤٢. (٣٣١)

هذه جملة الأخبار التي تحدث بها الذكر الحكيم ولكنها لم تحقق، فلا محيص لتفسيرها إلا القول بوقوفهم على المقتضى دون العلة التامة، فعندما يظهر عدم التحقق يطلق عليه البداء، والمراد أنه بدا من الله لنبئيه وللناس ما خفى عليهم، على غرار قوله سبحانه: (وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (١) فالبداء إذا نسب إلى الله سبحانه فهو بداء منه، وإذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم، وبعبارة أخرى، البداء من الله هو اظهار ما خفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفى لهم، وهذا هو الحق القراح الذى لا يرتاب فيه أحد. وأما ما ورد فى الروايات، فهو بين خمسة أو أزيد بقليل: ١- إن المسيح - عليه السلام - مرّ بقوم مجلبين، فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح الله فلانة بنت فلانة تهدى إلى فلان فى ليلته هذه. فقال: يجلبون اليوم ويبيكون غداً، فقال قائل منهم: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن صاحبتهم ميتة فى ليلتها هذه... فلما أصبحوا وجدوها على حالها، ليس بها شيء، فقالوا: يا روح الله إن التى أخبرتنا أمس أنها ميتة لم تمت. فدخل المسيح دارها فقال: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلا وكنت أصنعه فيما مضى، أنه كان يعترينا سائل فى كل ليلة جمعة فنتيله ما يقوته إلى مثلها. فقال المسيح: تنح عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة، عاص على ذنبه، فقال - عليه السلام -: بما صنعت، صرف عنك هذا (٢). ٢- روى الكليني عن الامام الصادق - عليه السلام -: إنه مرّ يهودى بالنبي فقال: السام عليك. فقال النبي عليك. فقال أصحابه: إنما سلم عليك بالموت فقال: _____

١. الزمر / ٤٧ .

٢. المجلسي: بحار الأنوار ٤ / ٩٤ . (٣٣٢)

الموت عليك. فقال النبي: وكذلك رددت. ثم قال النبي: إن هذا اليهودي يعضه أسود في ففاه فيقتله، قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتلمه، ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله: ضعه، فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود، فقال: يا يهودي ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلا حطبي هذا حملته فجئت ومعى كعكتان، فأكلت واحدة وتصدقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله: بها دفع الله عنه، قال: إن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الانسان (١). ولا يمكن لأحد تفسير مضامين الآيات الماضية وهذين الحديثين إلا- عن طريق البداء بالمعنى الذي تعرّف عليه، وهو اتصال النبي بلوح المحو والاثبات والوقوف على المقتضى والاختبار بمقتضاه دون الوقوف على العلّة التامة . ٣- عرض الله عزوجل على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، فمرّ بآدم اسم داود النبي - عليه السلام - فإذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا رب ما أقل عمر داود وما أكثر عمري يا رب إني أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أثبت ذلك له؟ قال الله: نعم يا آدم، فقال آدم: فإني قد زدته من عمري ثلاثين سنة، فأثبت الله عزوجل لداود في عمره ثلاثين سنة (٢). ترى أنه سبحانه أثبت شيئاً، ثم محاه بدعاء نبيه، وهذا هو المراد من قوله سبحانه: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فلو أخبر نبي الله عن عمر داود بأربعين سنة لم يكن كاذباً في إخباره، لأنه وقف على الاثبات الأول ولم يقف على محوه .

١. المجلسي: بحار الأنوار ٤ / ١٢١ .

٢. المجلسي: بحار الأنوار ٤ / ٩٥ - ١٠٢ . (٣٣٣)

٤- أخبر الله نبياً بأن يخبر ملكاً بأنه تعالى متوفيه إلى كذا وكذا، فأخبره بذلك ولما دعا الملك وقال: ربّ أجلني حتى يشب طفلي وأقضى أمري، فأوحى الله عزوجل إلى ذلك النبي أن ائت فلاناً الملك واخبره أنّي قد زدته في عمره خمس عشرة سنة (١). ٥- روى عمرو بن الحمق، قال: دخلت على أمير المؤمنين - عليه السلام - حين ضرب على قرنه، فقال لي: يا عمرو إني مفارقكم، ثم قال: سنة السبعين فيها بلاء - قالها ثلاثاً - فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبني وأغمى عليه، فبكت أمّ كلثوم فأفاق... فقلت: بأبي أنت وأمي قلت: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إن بعد البلاء رخاء و (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٢). هذه جملة ما ورد في البداء في مقام الاثبات وإن شئت قلت في ثمرات البداء في الثبوت ولا تجد في الأحاديث الشيعية بداء غير ما ذكرنا، ولو عثر المتتبع على مورد، فهو نظير ما سبق من الموارد، والتحليل في الجميع واحد . إذا وقفت على ذلك تعرفت قيمة ما ذكره الرازي في ختام محصّيه، وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا مقاتلين لشيعةهم، لا يظهر معهما أحد عليهم . الأول: القول بالبداء، فإذا قال: إنه سيكون لهم قوّة وشوكة، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروا، قالوا: بدا الله فيه (٣) .

١. المجلسي: بحار الأنوار ٤ / ١٢١ (وفي رواية أخرى أن ذلك النبي هو حزقيل، البحار ٤ / ١١٢ وذكر مثله في قضية شعيا ص ١١٣ .

٢. المجلسي: بحار الأنوار ٤ / ١١٩، برقم ٦٠ .

٣. الرازي: نقد المحصل ٤٢١، نقله عن سليمان بن جرير الزيدي، والأثر الثاني هو التقيّة كما ستعرف . (٣٣٤)

إنّ الذي نقله أئمة الشيعة هو ما تعرّف عليه من الروايات فليس فيها ما يدعم ذلك، فقد نقلوا قصة رسول الله مع اليهودي وقصة المسيح مع العروس، كما نقلوا قصة عمر داود وعمر الملك، فهل ورد فيها ما أشار إليه الرازي؟ وأما ما رواه عمرو بن الحمق فإنما هو خير واحد فإنّ الامام ذيل كلامه بالآية قائلاً: بأنّ هذا ليس خيراً قطعياً وأنه في مظان المحو والاثبات. أفصح لأجل مثله رمى أئمة الشيعة «بأنهم وضعوا قاعدتين وأنهم كلّما يقولون سيكون لهم قوّة ثم لا يكون، قالوا بدا الله تعالى فيه؟». وقد سبق الرازي في هذا الزعم، أبو القاسم البلخي المعتزلي على ما حكاه شيخنا الطوسي في تبيانته (١) ثم إن اكمال البحث يتوقف على ذكر أمور: الأمر الأول: إنّ البداء بالمعنى المذكور يجب أن يكون على وجه لا يستلزم تكذيب الأنبياء ووحيمهم بان تدل قرائن على صحة الإخبار الأول كما

صحّ الخبر الثاني، كما هو واضح لمن قرأ قصة يونس وإبراهيم الخليل فإنّ القوم قد شاهدوا طلائع العذاب فأذعنوا بصحة خبر يونس كما أنّ التفديّة بذبح عظيم دلّت على صحة اخبار الخيل، وهكذا وجود الأفعى تحت الثياب أو في جوف حطب اليهودى يدلّان على صحة اخبار النبي الأعظم . كل ذلك يشهد على أنّ الخبر الأوّل كان صحيحاً ومقدّراً، غير أنّ الإنسان يمكن له أن يغيّر مصيره بعلمه الصالح أو الطالح كما في غير تلك المقامات .

١. الطوسي: التبيان ١ / ١٣ - ١٤، طبع النجف، وقد عرفت بعض المتشدقين بهذه الكلمة الكاذبة .

(٣٣٥)

وبالجملة يجب أن يكون وقوع البداء مقروناً بما يدل على صحة اخبار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا يكون البداء على وجه يعد دليلاً على كذبه، ففي هذه الموارد دلّت القرائن على أنّ المخبر كان صادقاً في خبره . الأمر الثاني:

إنّ البداء لا يتحقّق فيما يتعلّق بنظام النبوة والولاية والخاتمية والملاحم الغيبية التي تعدّ شعاراً للشريعة فإذا أخبر المسيح بمجيئ نبي اسمه أحمد أو أخبر النبي بكونه خاتماً للرسل أو أنّ الخلافة بعده لوصيه أو أنّه يخرج من ولده من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونظير ذلك، فلا يتحقّق فيه البداء قطعاً، لأنّ احتمال البداء فيه ناقض للحكمة، وموجب لضلال العباد، ولو كان احتمال هذا الباب مفتوحاً في تلك المسائل الأصولية، لما وجب لأحد أن يقتفي النبي المبشر به، ولا يوالى الوصى المنصوص ولا يتلقى دين الإسلام خاتماً ولا ظهور المهدي أمراً مقضياً بحجّة أنّه يمكن أن يقع فيها البداء، ففتح هذا الباب في المعارف والعقائد والأصول والسنن الإسلامية مخالف للحكمة وموجب لضلالة الناس . وهذا ما يستحيل على الله سبحانه وأنما مصبّ البداء هو القضايا الجزئية أو الشخصية، كما هو الحال في الأخبار الماضية . الأمر الثالث:

إنّ اطلاق البداء في هذه الموارد، إنّما هو بالمعنى الذي عرفت، وإنّ حقيقته بداء من الله للناس واطهار منه ولو قيل بدا لله، فإنّما هو من باب المشاكلة والمجاز، والقرآن ملئ به، فقد نسب الذكر الحكيم إليه سبحانه المكر وقال: (وَمَكَرُوا) (٣٣٦) وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (١) وليست المناقشة في التعبير من دأب المحقّقين، فلو كان أهل السنّة لا يروقه التعبير عن هذا الأصل بلفظ البداء لله . فليغيروا التعبير ويعبروا عن هذه الحقيقة الناصعة بتعبير يرضيهم .

ولكن الشيعة تبعت النبي الأكرم في هذا المصطلح وهو أوّل من استعمل تلك اللفظة في حقّه سبحانه، روى البخارى في كتاب النبوة «قصة بدء الخليفة» وفيها هذه اللفظة التي يستوحش منها أهل السنّة، روى أبو هريرة: أنّه سمع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: إنّ ثلاثه في بنى إسرائيل ابرص وأقرع واعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أى شىء أحبّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قدرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أى المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر - هو شك في ذلك ان الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر - فأعطى ناقه عشرة، فقال: يبارك الله لك فيها . وأتى الأقرع فقال: أى شىء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا قدرنى الناس . قال: فمسحه، فذهب، أعطى شعراً حسناً، قال: فأبى المال أحبّ إليك؟ قال: البقر . قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها . وأتى الأعمى فقال: أى شىء أحبّ إليك؟ قال: يرد الله إلى بصرى، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره . قال: فأبى المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والداً فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم .

١ . آل عمران / ٥٤، وهنا آيات أخرى يستدل بها على المشاكلة في التعبير عن الحقائق العلوية .

(٣٣٧)

ثمّ إنّ أتى الأبرص في صورته وهيبته فقال: رجل مسكين تقطعت بى الجبال في سفرى فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك . أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلّغ عليه في سفرى فقال له: إنّ الحقوق كثيرة . فقال له: كأتى أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس . فقيراً فأعطاك الله؟ فأجابه: لقد ورثت لكابر عن كابر؟ فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى

الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثلما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم إلا بالله، ثم بك. أسألك بالذى رد عليك بصرك، شاء أبلغ بها في سفرى فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصرى وفقيراً فقد أغنانى فخذ ما شئت، فوالله لا أجحدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: امسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك(١) . * * *
هذه حقيقة البداء، وهذا هو مفهومه في الثبوت والاثبات، قد دعمه الذكر الحكيم والسنة النبوية فماذا بعد الحق إلا الضلال .

١ . البخارى: الصحيح ٤ / ١٧٢، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بنى اسرائيل .

(٣٣٩) المسألة الخامسة : التقيّة

التقيّة من المفاهيم القرآنية التي وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وفي تلك الآيات إشارات واضحة إلى الموارد التي يلجأ فيها المؤمن إلى استخدام هذا المسلك الشرعى خلال حياته أثناء الظروف العصيبة، ليصون بها نفسه وعرضه وماله، أو نفس من يمت إليه بصله وعرضه وماله، كما استعملها مؤمن آل فرعون لصيانة الكليم عن القتل والتنكيل (١) ولاذبحها عمّار عندما أخذ وأستر وهُدّد بالقتل (٢) إلى غير ذلك من الموارد الواردة في الكتاب والسنة، فمن المحتّم علينا أن نتعرف عليها، مفهومها وغايتها ودليلاً وحداً، حتى نتجنّب الإفراط والتفريط في مقام القضاء والتطبيق. إن التقيّة، إسم لـ «إتقى يتقى» (٣) والتاء بدل من الواو وأصله من الوقاية،

١ . القصص / ٢٠ .

٢ . النحل / ١٠٦ .

٣ . قال ابن الأثير في النهاية ٥ / ٢١٧: وأصل اتقى: أوتقى فقلبت الواو ياء لكسرة قبلها ثم أبدلت تاء وأدغمت. ومنه حديث على - عليه السلام -: كتبنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، أى جعلناه وقاية من العدو. ولاحظ السان العرب مادة «وقى» . (٣٤٠)

ومن ذلك اطلاق التقوى على اطاعة الله، لأن المطيع يتخذها وقاية من النار والعذاب. والمراد هو التحفظ عن ضرر الغير بموافقة في قول أو فعل مخالف للحق . مفهومها:

إذا كانت التقيّة هي اتخاذ الوقاية من الشرّ، فمفهومها في الكتاب والسنة هو: إظهار الكفر وإبطال الإيمان، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحق. وإذا كان هذا مفهومها، فهي تقابل النفاق، تقابيل الإيمان والكفر، فإن النفاق ضدها وخلافها، فهو عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر، والتظاهر بالحق وإخفاء الباطل، ومع وجود هذا التباين بينهما فلا يصحّ عدّها من فروع النفاق . نعم: من فسر النفاق بمطلق مخالفة الظاهر للباطن، وبه صور التقيّة - الواردة في الكتاب والسنة - من فروعه، فقد فسره بمفهوم أوسع ممّا هو عليه في القرآن، فإنه يُعرّف المنافقين بالمتظاهرين بالإيمان والمبطنين للكفر بقوله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (١) فإذا كان هذا حدّ المنافق فكيف يعمّ من يستعمل التقيّة تجاه الكفار والعصاة فيخفى إيمانه ويظهر الموافقة لغاية صيانة النفس والنفس، والعرض والمال من التعرض؟! ويظهر صدق ذلك إذا وقفنا على ورودها في التشريع الإسلامى، ولو كانت من قسم النفاق، لكان ذلك أمراً بالقبح ويستحيل على الحكيم أن يأمر به: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢) .

١ . المنافقون / ١ .

٢ . الأعراف / ٢٨ . (٣٤١) غايتها:

الغاية من التقيّة: هي صيانة النفس والعرض والمال، وذلك في ظروف قاهرة لا يستطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحق صريحاً

خوفاً من أن يترتب على ذلك مضار وتهلكة من قوى ظالمة غاشمة كلجوء الحكومات الظالمة إلى الارهاب، والتشريد والنفى، والقتل والتنكيل، ومصادرة الأموال، وسلب الحقوق الحققة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذي يرى نفسه محققاً محيصاً عن إبطانها، والتظاهر بما يوافق هوى الحاكم وتوجهاته حتى يسلم من الاضطهاد والتنكيل والقتل، إلى أن يُحدث الله أمراً. إنَّ التقيّة سلاح الضعيف في مقابل القوى الغاشم، سلاح من يتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشيء إلا لأنه لا يتفق معه في بعض المبادئ والأفكار. إنّما يمارس التقيّة من يعيش في بيئه صودرت فيها الحرية في القول والعمل، والرأى والعقيدة فلا ينجو المخالف إلا بالصمت والسكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطة وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلة لا بد منها من أجل اغاثة الملهوف المضطهد والمستضعف الذي لا حول له ولا قوة، فيتظاهر بالعمل إلى جانب الحكومة الظالمة وصولاً إلى ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذي حكاه سبحانه في الذكر الحكيم. إنّ أكثر من يعيب التقيّة على مستعملها، يتصور أو يصوّر أن الغاية منها هو تشكيل جماعات سرية هدفها الهدم والتخريب، كما هو المعروف من الباطنيين والأحزاب الإلحادية السرية، وهو تصور خاطئ ذهب إليه أولئك جهلاً أو عمداً دون أن يركزوا في رأيهم هذا على دليل ما أو حجة مقنعة، فإين ما ذكرناه من هذا الذي يذكره، ولو لم تلجئ الظروف القاهرة والأحكام المتعسفة هذا الجموع المستضعفة من (٣٤٢)

المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقيّة، ولما تحمّلوا عبء اخفاء معتقداتهم ولدعوا الناس إليها علناً ودون تردد، إلا أن السيف والنزع صالح لا تترد كل الحكومات الفاسدة من التلويح بها أمام من يخالفها في معتقداتها وعقائدها. أين العمل الدفاعي من الأعمال البدائية التي يركبها أصحاب الجماعات السرية للإطاحة بالسلطة امتطاء ناصية الحكم، فأعمالهم كلها تخطيطات مدبرة لغايات ساقطة. وهؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرر الوسائل» فكل قبيح عقلي أو ممنوع شرعي يستباح عندهم لغاية الوصول إلى المقاصد المشؤومة. إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء وبين من يتخذ التقيّة غطاءً، وسلاحاً دفاعياً ليسلم من شر الغير، حتى لا يُقتل ولا يُستأصل، ولا تُنهب داره وماله، إلى أن يُحدث الله أمراً، من قبيل عطف المبائن على مثله. إنّ المسلمين القاطنين في الاتحاد السوفيتي السابق قد لاقوا من المصائب والمحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها ولا أن تتصورها، فإنّ الشيوعيين وطيلة تسلطهم على المناطق الإسلامية قلبوا لهم ظهر المِجَن، فصادروا أموالهم وأراضيهم، ومسكنهم، ومساجدهم، ومدارسهم، وأحرقوا مكاتباتهم، وقتلوا كثيراً منهم قتلاً ذريعاً ووحشياً، فلم ينج منهم إلا من اتقاهم بشيء من التظاهر بالمرونة، واخفاء المراسم الدينية، والعمل على اقامة الصلاة في البيوت إلى أن نجّاهم الله سبحانه بانحلال تلك القوة الكافرة، فبرز المسلمون إلى الساحة من جديد، فملكوا أرضهم وديارهم، وأخذوا يستعيدون مجددهم وكرامتهم شيئاً، وما هذا إلا - ثمرة من ثمار التقيّة المشروعة التي أباحها الله تعالى لعباده بفضله وكرمه سبحانه على المستضعفين. فإذا كان هذا معنى التقيّة ومفهومها، وكانت هذه غايتها وهدفها، فهو أمر (٣٤٣)

فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كل شيء عقله ولبه، وتدعوه إليه فطرته، ولأجل ذلك يستعملها كل من ابتلى بالملوك والساسه الذين لا يحترمون شيئاً سوى رأيهم وفكرتهم ومطامعهم وسلطتهم ولا يترددون عن التنكيل بكل من يعارضهم في ذلك، من غير فرق بين المسلم - شيعياً كان أم سنياً - وغيره، ومن هنا تظهر جدوى التقيّة وعمق فائدتها. ولأجل دعم هذا الأصل الحيوي ندرس دليلاً من القرآن والسنة. دليلها في القرآن والسنة:

شُرعت التقيّة بنص القرآن الكريم حيث وردت جملة من الآيات الكريمة (١) سنحاول استعراضها في الصفحات التالية: الآية الأولى: قال سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢). ترى أنه سبحانه يجوز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، وصرح بذلك لفي من المفسرين القدامى والجدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجتنباً عن الإطالة والاسهاب، ولمن يبتغي المزيد فعليه بمراجعة كتب التفسير المختلفة: ١- قال الطبرسي: قد نزلت الآية في جماعة أكرهوا على الكفر، وهم عمّار وأبوه ياسر وأمه سمية، وقتل الأبوان لأنهما لم يظهرهما الفكر ولم ينالا من النبي، وأعطاهم

١. غافر / ٢٨ و ٤٥، والقصاص / ٢٠ وستوافقك نصوص الآيات في ثنايا البحث .

٢. النحل / ١٠٦). (٣٤٤)

عَمَّارٌ مَا أَرَادُوا مِنْهُ، فَأُطْلِقُوهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَمَّارٌ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، وَانْتَشَرَ خَبْرُهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ قَوْمٌ: كَفَرَ عَمَّارٌ، فَقَالَ الرَّسُولُ: كَلَّا إِنَّ عَمَّاراً مَلَأَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ. وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ، وَكَانَ عَمَّارٌ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: إِنْ عَادُوا لَكَ فَعَدَّ لَهُمْ بِمَا قَلْتُ (١). ٢- وقال الزمخشري روى أن أناساً من أهل مكة فُتِنُوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أكرهه وأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عَمَّارُ بْنُ يَسَارٍ وَأَبُوهِ: يَاسِرٌ وَسَمِيَةُ، وَصَهْبٌ وَبِلَالٌ وَخَبَابٌ. أَمَّا عَمَّارٌ فَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مَكْرَهُاً... (٢). ٣- وقال الحافظ ابن ماجه: «والإيتاء: معناه الاعطاء أن وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيته، والتقية في مثل هذه الحال جائزة لقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (٣). ٤- وقال القرطبي قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة - ثم قال: - أجمع أهل العلم على أن من أكرهه على الكفر حتى خشى على نفسه القتل إنّه لا- اثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا- تبين منه زوجته ولا- يحكم عليه بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي (٤). ٥- قال الخازن: «التقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة التية، قال الله

١. الطبرسي: مجمع البيان ٣ / ٣٨٨ .

٢. الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل ٢ / ٤٣٠ .

٣. ابن ماجه: السنن ١ / ٥٣، شرح حديث رقم ١٥٠ .

٤. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٥٧. (٣٤٥)

تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ثُمَّ هَذِهِ التَّقِيَةُ رِخْصَةٌ (١). ٦- قال الخطيب الشربيني: «(إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ) أَي عَلَى التَّلْفِظِ بِهِ (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فَلَا- شَيْءٌ عَلَيْهِ لِأَنَّ مَحَلَّ الْإِيمَانِ هُوَ الْقَلْبُ» (٢). ٧- وقال إسماعيل حقي: «(إِلَّا- مَنْ أَكْرَهَ) أُجْبِرَ عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ بِأَمْرٍ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ... لِأَنَّ الْكُفْرَ اعْتِقَادًا، وَالْإِكْرَاهَ عَلَى الْقَوْلِ دُونَ الْعَقْدِ، وَالْمَعْنَى: «وَلَكِنْ الْمَكْرَهُ عَلَى الْكُفْرِ بِاللِّسَانِ»، (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) لَا تَتَغَيَّرُ عَقِيدَتُهُ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْمَنْجِي الْمَعْتَبَرَ عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ» (٣).
الآية الثانية:

قال سبحانه: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً وَ يُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (٤). . وكلمات المفسرين حول الآية تغيننا عن أي توضيح: ١- قال الطبري: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً وَ يُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ): قال أبو العالیه: التقيه باللسان، وليس بالعمل، حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاک يقول في قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً) قال: التقيه باللسان من حُيِّلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ فَتَكَلَّمَ مَخَافَةً نَفْسِهِ (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)

١. تفسير الخازن: ١ / ٢٧٧ .

٢. الخطيب الشربيني: السراج المنير .

٣. إسماعيل حقي: تفسير روح البيان ٥ / ٨٤ .

٤. آل عمران / ٢٨. (٣٤٦) بالإيمان فلا اثم عليه، إنما التقيه باللسان (١).

٢- وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا- أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً): رِخْصٌ لَهُمْ فِي مَوَالِيَتِهِمْ إِذَا خَافُوهُمْ، وَالْمُرَادُ بِتِلْكَ الْمَوَالِيَةِ: مَخَالَفَةُ وَمَعَاشِرَةُ ظَاهِرَةٌ، وَالْقَلْبُ مُطْمَئِنٌّ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَانْتِظَارُ زَوَالِ الْمَانِعِ (٢). ٣- قال الرازي في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً): المسألة الرابعة: اعلم: إن للتقية أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها: أ: إن التقيه إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويخاف منهم على نفسه، وحاله، فيداريهم باللسان وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهوم للمحبة

والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه وأن يعرض في كل ما يقول، فإن للتقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب . ب: التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة: لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «من قتل دون ماله فهو شهيد» (٣) . ٤- وقال النسفي: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا- تخافوا جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، أى لا يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالكك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وإبطان المعادة (٤) . ٥- وقال الألوسي: وفي الآية دليل على مشروعية التقية وعزفوها بمحافظه _____

١ . الطبرى: جامع البيان ٣ / ١٥٣ .

٢ . الزمخشري: الكشاف ١ / ٤٢٢ .

٣ . مفاتيح الغيب ٨ / ١٣ .

٤ . النسفي: التفسير بهامش تفسير الخازن ١ / ٢٧٧ . (٣٤٧)

النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء. والعدو قسمان: الأول: من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين، كالكافر والمسلم . الثاني: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية، كالجمال والتمتع والملك والامارة (١) . ٦- وقال جمال الدين القاسمي: ومن هذه الآية: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) استنبط الأئمة مشروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الاجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليماني في كتابه (ايتار الحق على الخلق) (٢) . ٧- وفسر المراغى قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) بقوله: أى ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم فى كل حال إلا فى حال الخوف من شىء تتقونه منهم، فلکم حينئذ أن تتقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشىء، إذ القاعدة الشرعية «إن درء المفسد مقدم على جلب المصالح» . وإذا جازت موالاةهم لاتقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأولى إما بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن توالياها فى شىء يضر المسلمين، ولا تختص هذه الموالاة بحال الضعف، بل هى جائزة فى كل وقت . وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحق، لأجل التوقى من ضرر يعود من الأعداء إلى النفس، أو العرض، أو المال. فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقايه لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان، _____

١ . الألوسي: روح المعاني ٣ / ١٢١ .

٢ . جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل ٤ / ٨٢ . (٣٤٨)

لا يكون كافراً يُعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئن بالإيمان وفيه نزلت الآية: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (١) .

هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالاً إلا أن يحكم بشرعية التقية بالمعنى الذى عرفته بل قد لا يجد أحد مفسراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها يتردد فى الحكم بجوازها، كما أنك أختى القارئ لا تجد انساناً واعياً لا يستعملها فى ظروف عصيبة، ما لم تترتب عليها مفسدة عظيمة، كما سيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها . وإنما المعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنما يفسرها بالتقية الرائجة بين أصحاب التنظيمات السرية والمذاهب الهدامة كالنصيرية والدروز، والباطنية كلهم، إلا أن المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقية الهدامة لكل فضيلة رابيه . الآية الثالثة: قوله سبحانه: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ) (٢) .

وكانت عاقبه أمره أن: (فَوَقَاةَ اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُؤًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) (٣) . وما كان ذلك إلا لأنه بتقيته استطاع أن ينجى نبي الله من الموت: قَالَ _____

١ . تفسير المراغى ٣ / ١٣٦ .

٢. غافر / ٢٨ .

٣. غافر / ٤٥ . (٣٤٩) يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ لِيُقْتُلُوكَ فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (١) .

وهذه الآيات تدل على جواز التقيّة لانتفاذ المؤمن من شرّ عدوه الكافر . اتقاء المسلم من المسلم في ظروف خاصّة:

إنّ مورد الآيات وإن كان هو اتقاء المسلم من الكافر، ولكن المورد ليس بمخصص لحكم الآية فقط، إذ ليس الغرض من تشريع التقيّة عند الابتلاء بالكفار إلاّ - صيانة النفس والنفس من الشر، فإذا ابتلى المسلم بأخيه المسلم الّذى يخالفه في بعض الفروع ولا يتردد الطرف القوي عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكل به أو ينهب أمواله أو يقتله، ففي تلك الظروف الحرجة يحكم العقل السليم بصيانة النفس والنفس عن طريق كتمان العقيدة واستعمال التقيّة، ولو كان هناك وزر إنّما يتوجه على من يُتقى منه لا - على المتقى، فلو سادت الحرية جميع الفرق الإسلامية، وتحملت كل فرقة آراء الفرقة الأخرى بصدر رحب، وفهمت بأنّ ذلك هو قدر اجتهادها، لم يضطر أحد من المسلمين إلى استخدام التقيّة، ولساد الوثام مكان النزاع . وقد فهم ذلك لفيف من العلماء وصرّحوا به، وإليك نصوص بعضهم: ١- يقول الإمام الرازي في تفسير قوله سبحانه: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) ظاهر الآية على أنّ التقيّة إنّما تحل مع الكفار الغالبين، إلاّ أنّ مذهب الشافعي - رضى الله عنه - : إنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلّت التقيّة محاماة عن النفس، وقال: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «من قتل دون ما له فهو شهيد» (٢) _____

١. القصص - ٢٠ .

٢. الرازي: مفاتيح الغيب ٨: ١٣ في تفسير الآية . (٣٥٠)

٢- ينقل جمال الدين القاسمي عن الإمام مرتضى اليماني في كتابه «إيثار الحق على الخلق» ما هذا نصه: «وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران: أحدهما: خوف العارفين - مع قلتهم - من علماء السوء وسلطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقيّة عند ذلك بنص القرآن، واجماع أهل الإسلام، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، ولا برح المحق عدواً لأكثر الخلق، وقد صحّ عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنّه قال في ذلك العصر الأوّل: حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعاءين، أمّا أحدهما فبثته في الناس وأمّا الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم (١) . ٣- وقال المراغي في تفسير قوله سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) : ويدخل في التقيّة مداراة الكفرة والظلمة الفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسم، في وجوههم وبذل المال لهم، لكف أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهى عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبراني قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «ما وقى المؤمن به عرضه فهو صدقة» (٢) . إنّ الشيعة تتقى الكفار في ظروف خاصّة لنفس الغاية التي لأجلها يتقيهم السني، غير أنّ الشيعي ولأسباب لا تخفى، يلجأ إلى اتقاء أخيه المسلم لالقصور في الشيعي، بل في أخيه الّذى دفعه إلى ذلك لأنّه يدرك أنّ الفتك والقتل مصيره إذا صرّح بمعتقده الّذى هو موافق لأصول الشرع الإسلامي وعقائده، نعم كان الشيعي وإلى وقت قريب يتحاشى أن يقول: إنّ الله ليس له جهة، أو أنّه تعالى لا يرى يوم القيامة، وإنّ المرجعية العلمية والسياسية لأهل البيت بعد رحلة النبي الأكرم، أو أنّ حكم المتعة غير منسوخ. إنّ الشيعي إذا صرّح بهذه الحقائق - التي استنبطت من _____

١. جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل: ٤ / ٨٢ .

٢. مصطفى المراغي: التفسير ٣ / ١٣٦ . (٣٥١)

الكتاب والسنة - سوف يُعرض نفسه ونفيسه للمهالك والمخاطر. وقد مر عليك كلام الرازي وجمال الدين القاسمي والمراغي الصريح في جواز هذا النوع من التقيّة، فتخصيص التقيّة بالتقيّة من الكافر فحسب جمود على ظاهر الآية وسد لباب الفهم، ورفض للملاك الّذى سُرع لأجلية التقيّة، واعدام لحكم العقل القاضى بحفظ الأهم إذا عارض المهم . والتاريخ بين أيدينا يحدثنا بوضوح عن لجوء جملة معروفة من كبار المسلمين إلى التقيّة في ظروف عصيبة أوشكت أن تؤدى بحياتهم وبما يملكون، وخير مثال على ذلك ما

أورده الطبري في تاريخه (٧ / ١٩٥ - ٢٠٦) عن محاولة المأمون دفع وجوه القضاة والمحدثين في زمانه إلى الإقرار بخلق القرآن قسراً حتى وإن استلزم ذلك قتل الجميع دون رحمة، ولما أبصر أولئك المحدثين حد السيف مشهراً عمدوا إلى مصانعة المأمون في دعواه وأسروا معتقدتهم في صدورهم، ولما عوتبوا على ما ذهبوا إليه من موافقة المأمون برروا عملهم بعمل عمار بن ياسر حين أكره على الشرك وقلبه مطمئن بالإيمان، والقصة شهيرة وصريحة في جواز اللجوء إلى التقية التي دأب البعض على التشنيع فيها على الشيعة وكأنهم هم الذين ابتدعوها من بنات أفكارهم دون أن تكون لها قواعد وأصول إسلامية ثابتة ومعلومة. الظروف العصبية التي مرت بها الشيعة:

الذي دفع بالشيعة إلى التقية بين اخوانهم وأبناء دينهم إنما هو الخوف من السلطات الغاشمة فلو لم يكن هناك في غابر القرون - من عصر الأمويين ثم العباسيين والعثمانيين - أي ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضبة بدمائهم والتاريخ خير شاهد على ذلك، كان من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية وأن تحذفها من ديوان حياتها، ولكن يالأسف إن كثيراً من اخوانهم كانوا أداء (٣٥٢)

طبيعة بيد الأمويين والعباسيين الذين كانوا يرون في مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلبون العامة من أهل السنة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة لم يكن للشيعة، بل لكل من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلا اللجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدسة التي هي أعلى عنده من نفسه وماله. والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى أو أن تعد، إلا أنا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبي سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا كيفما كانوا، وإليك نص ما ذكرته المصادر عن هذه الواقعة لتدرك محنة الشيعة: بيان معاوية إلى عماله:

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي - عليه السلام - فاستعمل عليها زياد بن سميه، وضم إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي - عليه السلام -، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. ثم كتب إلى عامه نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة (٣٥٣)

أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة حتى أن الرجل من شيعة علي - عليه السلام - ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ويحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتمن عليه. وأضاف ابن أبي الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي - عليهما السلام - فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين - عليه السلام -، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرَّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من علي - عليه السلام - وعيبه، والعطن فيه، والشنآن له، حتى إن إنساناً وقف للحجاج - ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريش - فصاح به: أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإنِّي فقير وبائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضحك له الحجاج، وقال: للطف ما توصلت به، قد وليتك موضع كذا (١). ونتيجة لذلك شهدت أوساط الشيعة مجازر بشعة على يد السلطات الغاشمة، فقتل الآلاف منهم، وأما من بقي منهم على قيد الحياة فقد تعرض إلى شتى صنوف التنكيل والارهاب والتخويف، والحق يقال إن من الأمور العجيبة أن يبقى لهذه الطائفة

باقية رغم كل ذلك الظلم الكبير والقتل الذريع، بل العجب العجاب أن

١. شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٤ - ٤٦ .

(٣٥٤)

تجد هذه الطائفة قد ازدادت قوة وعدة، وأقامت دولا وشيدت حضارات وبرز منها الكثير من العلماء والمفكرين . فلو كان الأخ السنّي يرى التقيّة أمراً محرّماً فليعمل على رفع الضغط عن أخيه الشيعي، وأن لا يضيق عليه في الحرية التي سمح بها الإسلام لأبنائه، وليعذوه في عقيدته وعمله كما هو عذر أناساً كثيراً خالفوا الكتاب والسنة وأراقوا الدماء ونهبوا الدور فكيف بطائفة تدين بدينه وتتفق معه في كثير من معتقداته، وإذا كان معاوية وأبناء بيته والعباسيون كلّهم عنده مجتهدين في بطشهم وإراقه دماء مخالفيهم فماذا يمنعه عن إعدار الشيعة باعتبارهم مجتهدين . وإذا كانوا يقولون - وذاك هو العجيب - أنّ الخروج على الإمام علي - عليه السلام - غير مضر بعدالة الخارجين والتأثرين عليه، وفي مقدمتهم طلحة والزبير وأمّ المؤمنين عائشة، وإنّ إثارة الفتن في صفين - التي انتهت إلى قتل كثير من الصحابة والتابعين وإراقه دماء الآلاف من العراقيين والشاميين - لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين وهم بعد ذلك مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهاد وأخطأ فلم لا يتعامل مع الشيعة ضمن هذا الفهم ويذهب إلى أنّهم معذورين ومثابين!! نعم كانت التقيّة بين الشيعة تزداد تارة وتتضاءل أخرى، حسب قوّة الضغط وضآلته، فشتان بين عصر المأمون الذي يجيز مادحي أهل البيت، ويكرم العلويين، وبين عصر المتوكل الذي يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة . فهذا ابن السكيت أحد أعلام الأدب في زمن المتوكل، وقد اختاره معلماً لوالديه فسأله يوماً: أيهما أحبُّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ قال ابن السكيت: والله إنّ قبر خادم علي - عليه السلام - خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل: سلوا لسانه من ففاه، ففعلوا ذلك به فمات. وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع (٣٥٥)

وأربعين ومائتين، وقيل ثلاث وأربعين، وكان عمره ثمانية وخمسين سنة. ولما مات سيّر المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال: هذه دية والدك!! (١) . وهذا ابن الرومي الشاعر العبقرى يقول في قصيدته التي يرثي بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي: اكلّ أوان للنبيّ محمّد * قتيل زكيّ بالدماء مضرّج بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم * لبلواكم عمّا قليل مفرّج أبعاد المكّي بالحسين شهيدكم * تضيء مصابيح السماء فتسرّج (٢) فإذا كان هذا حال أبناء الرسول، فما هو حال شيعتهم ومقتفي آثارهم؟! قال العلامة الشهرستاني: إنّ التقيّة شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية. إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقيّة أكثر من غيرها لأنها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أية أمّة أخرى، فكانت مسلوبه الحرية في عهد الدولة الأموية كلّها، وفي عهد العباسيين على طوله، وفي أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقيّة أكثر من أي قوم، ولما كانت الشيعة، تختلف عن الطوائف المخالفة لها في قسم مهم من الاعتقادات في أصول الدين وفي كثير من الأحكام الفقهيّة، والمخالفة تستجلب بالطبع رقابة وتصدقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة في أكثر الأحيان إلى كتمان ماتخص به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك،

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٣٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٦ .

٢. ديوان ابن الرومي ٢ / ٢٤٣ . (٣٥٦)

تبتغي بهذا الكتمان صيانة النفس والنفيس، والمحافظة على الوداد والاخوة مع سائر اخوانهم المسلمين، لئلا تنشق عصا الطاعة، ولكي لا يحس الكفار بوجود اختلاف ما في المجتمع الإسلامي فيوسع الخلاف بين الأمّة المحمديّة . لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقيّة وتحافظ على وفاقها في الظواهر مع الطوائف الأخرى، متبعة في ذلك سيرة الأئمة من آل محمد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقيّة من قبيل: «التقيّة ديني ودين آبائي»، إذ أنّ دين الله يمشی على سنّة التقيّة لمسلوبي الحرية، دلّت على ذلك آيات من القرآن العظيم (١) . روى عن صادق آل البيت - عليهم السلام - في الأثر الصحيح: «التقيّة ديني ودين آبائي» و: «من لا تقيّة له لا

دين له» وكذلك هي. لقد كانت التقيّة شعاراً لآل البيت - عليهم السلام - دعواً للضرر عنهم، وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّا لشعثهم، وما زالت سمّة تُعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأُمم. وكل إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقى مواضع الخطر. وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول. من المعلوم أنّ الإمامية وأئمتهم لا قوا من ضرور المحن، وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة، أو أُمَّة أُخرى، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقيّة في تعاملهم مع المخالفين لهم، وترك مظاهرهم، وستر عقائدهم، وأعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدنيا. ولهذا السبب امتازوا بالتقيّة وعرفوا بها دون سواهم. وللتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها، بحسب اختلاف مواقع خوف

١. غافر / ٢٨، النحل / ١٠٦.

(٣٥٧)

الضرر، مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية (١). حدّها:

قد تعرّف على مفهوم التقيّة وغايتها، ودليلها، بقى الكلام في تبين حدودها، فنقول: عرفت الشيعة بالتقيّة وأنهم يتقون في أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض السطحيين والمغالطين، فقالوا: بما أنّ التقيّة من مبادئ التشييع فلا يصح الاعتماد على كلّ ما يقولون ويكتبون وينشرون، إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعايات والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرره الكاتب الباكستاني «إحسان إلهي ظهير» في كتبه السقيمة التي يتحامل بها على الشيعة. ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقيّة إنّما هو في حدود القضايا الشخصية الجزئية عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ في إظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مذهب أهل البيت - يحتمل أن يدفع بالمؤمن إلى الضرر يصبح هذا المورد من مواردها، ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأمور الكليّة الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصور فيها التقيّة، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخله في هذا النوع الأخير، إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، حيث ليس هناك لزوم للكتابة أصلاً في هذه الحال فله أن يسكت ولا يكتب شيئاً. فما يدعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناشئة عن عدم معرفتهم بحقيقة التقيّة عند الشيعة. والحاصل: أنّ الشيعة إنّما كانت تتقى في عصر لم تكن لهم

١. مجلة المرشد ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣، ولاحظ: تعليقه أوائل المقالات ص ٩٦.

(٣٥٨)

دولة تحميهم، ولا قدره ولا منعة تدفع عنهم الأخطار. وأمّا هذه الأعصار فلا مسوغ ولا مبرر للتقيّة إلا في موارد خاصّة. إنّ الشيعة وكما ذكرنا لم تلجأ إلى التقيّة إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك، وهو حق لا أعتقد أن يخالفها فيه أحد ينظر إلى الأمور بلّبه لا بعواطفه، إلا أنّ من الثوابت الصحيحة بقاء هذه التقيّة - إلا في حدود ضيقة - تنحصر في مستوى الفتاوى ولم تترجم إلا قليلاً على المستوى العملي، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كل باحث أن يرجع إلى مواقف رجال الشيعة مع معاوية وغيره من الحكام الأمويين، والحكام العباسيين، أمثال حجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، ومئات من غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوارتهم المتتالية. التقيّة المحرّمة:

إنّ التقيّة تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية، وتسلب الأعداء على شؤون المسلمين وحرمانهم ومعايبتهم، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقيّة في بعض الأحيان وقدّموا أنفسهم وأرواحهم أصحابي من أجل الدين، فللتقيّة مواضع معينة، كما أنّ للقسم المحرم منها مواضع خاصّة أيضاً. إنّ التقيّة في جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتّى يزول الخطر، فهي أفضل السبل للخلاص

من البطش، ولكن ذلك لا- يعني أن الشيعة جبان خائر العزيمة، خائف متردد الخطوات يملأ حناياه الذل، كلاً إن للتقية حدوداً لا تتعداها، فكما هي واجبة في حين، هي حرام في حين آخر، فالتقية أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاوية (٣٥٩)
 مثلاً- محرمة، إذ فيها الذل والهوان ونسيان المثل والرجوع إلى الوراء، فليست التقية في جوازها ومنعها تابعة للقوة والضعف، وإنما تحددها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين . إن للإمام الخميني - قدس سره - كلاماً في المقام ننقله بنصه حتى يقف القارئ على أن للتقية أحكاماً خاصة وربما تحرم لمصالح عالية. قال - قدس سره - : تحرم التقية في بعض المحرمات والواجبات التي تمثل في نظر الشارع والمتشرعة مكانة بالغه، مثل هدم الكعبة، والمشاهد المشرفة، والرد على الإسلام والقرآن والتفسير بما يفسر المذهب وبطابق الالحاد وغيرها من عظام المحرمات، ولا تعمها أدلة التقية ولا الاضطرار ولا الاكراه . وتدل على ذلك معتبرة مسعدة بن صدقة وفيها: «فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز» (١) . ومن هذا الباب ما إذا كان المتقى ممن له شأن وأهمية في نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرمات تقية أو تركه لبعض الواجبات كذلك مما يعد موهناً للمذهب وهاتكاً لحرمة، كما لو أكره على شرب المسكر والزنا مثلاً، فإن جواز التقية في مثله، تميكاً بحكومة دليل الرفع (٢) وأدلة التقية مشكل بل ممنوع، وأولى من ذلك كله في عدم جواز التقية وفيه ما لو كان أصل من أصول الإسلام أو المذهب أو ضروري من ضروريات الدين في معرض الزوال والهدم والتغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الارث والطلاق والصلاة والحج وغيرها من أصول الأحكام فضلاً عن أصول الدين أو المذهب، فإن التقية في مثلها غير جائزة، ضرورة أن تشريعها

١ . الوسائل كتاب الأمر بالمعروف الباب ٢٥ الحديث رقم ٦ .

٢ . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «رفع عن أمتي ما اضطروا إليه وما استكروهوا عليه» . (٣٦٠)

لبقاء المذهب وحفظ الأصول وجمع شتات المسلمين لإقامة الدين وأصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقية، وهو مع وضوحه يظهر من الموثقة المتقدمة (١) . وهكذا فقد بينا للجميع الأبعاد الحقيقية والواقعية للتقية، وخرجنا بالنتائج التالية: ١- إن التقية أصل قرآني مدعم بالسنة النبوية، وقد استعملها في عصر الرسالة من ابتلى بها من الصحابة لصيانة نفسه فلم يعارضه الرسول بل أيده بالنص القرآني كما في قضية عمار بن ياسر، حيث أمره - صلى الله عليه وآله وسلم - بالعودة إذا عادوا . ٢- إن التقية بمعنى تشكيل جماعات سرية لغاية التخريب والهدم، مرفوضة عند المسلمين عامة والشيعة خاصة، وهو لا يمت للتقية المتبناة من قبل الشيعة بصله . ٣- إن المفسرين في كتبهم التفسيرية عندما تعرضوا لتفسير الآيات الواردة في التقية اتفقوا على ما ذهب إليه الشيعة من إباحتها للتقية . ٤- إن التقية لا تختص بالالتقاء من الكافر، بل تعم الالتقاء من المسلم المخالف، الذي يريد السوء والبطش بأخيه . ٥- إن التقية تنقسم حسب انقسام الأحكام إلى أقسام خمسة، فبينما هي واجبة في موضع فهي محرمة في موضع آخر . ٦- إن مجال التقية لا يتجاوز القضايا الشخصية، وهي فيما إذا كان الخوف قائماً، وأما إذا ارتفع الخوف والضغط، فلا موضوع للتقية لغاية الصيانة .

١ . الإمام الخميني: الرسائل: ١٧١ - ١٧٨ . (٣٦١) وفي الختام نقول:

نفترض أن التقية جريمة يرتكبها المتقى لصيانة دمه وعرضه وماله ولكونها في الحقيقة ترجع إلى السب الذي يفرض التقية على الشيعة المسلم ويدفعه إلى أن يتظاهر بشيء من القول والفعل الذي لا يعتقد به، فعلى من يعيب التقية للمسلم المضطهد، أن يسمح له الحرية في مجال الحياة ويتركه بحاله، وأقصى ما يصح في منطق العقل، أن يسأله عن دليل عقيدته ومصدر عمله، فإن كان على حجة بينة يتبعه، وإن كان على خلافها يعذره في اجتهاده وجهاده العلمي والفكري . نحن ندعو المسلمين للتأمل في الدواعي التي دفعت بالشيعة إلى التقية، وأن يعملوا قدر الإمكان على فسح المجال لآخوانهم في الدين فإن لكل فقيه مسلم، رأيه ونظرة، وجهده وطاقته . إن الشيعة يقتفون أثر الأئمة أهل البيت في العقيدة والشريعة، ويرون رأيهم، لأنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأحد الثقلين اللذين أمر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالتمسك بهما في مجال العقيدة والشريعة، وهذه عقائدهم لا تخفى على أحد،

وهي حجة على الجميع . نسال الله سبحانه: أن يصون دماء المسلمين وأعراضهم عن تعرض أى متعرض، ويؤخذ صفوفهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويجمع شملهم، ويجعلهم صفًا واحدًا فى وجه الأعداء إنه بذلك قدير وبالإجابة جدير . (٣٦٢) (٣٦٣) المسألة السادسة: الرجعة

إن فكرة الرجعة التى تحدت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن أهل بيت الرسالة مما يشنع بها على الشيعة، فكأن من قال بها، رأى رأياً يوجب الخروج عن الدين، غير أن هؤلاء نسوا أو تناسوا أن أول من أبدى نظرية الرجعة هو الخليفة عمر بن الخطاب فقد أعلن عندما شاعت رحله النبي الأكرم بأنه ما مات وليعودن فيقطعن أيدي وأرجل أقوام... عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - توفي، وإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مات، والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قدمات، والله ليرجعن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن (٣٦٤)

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مات (١) . ولا يخفى أن كلام الخليفة لو كان كلاماً حقيقياً لا بد أن يحمل على أن النبي ما مات موتاً لا رجوع فيه وإنما يرجع فيقوم بما أخبر عنه الخليفة، ولو أراد من نفى موته أنه ما زال حياً فهو خلاف رأى جميع الصحابة الذين اتفقوا على موته، ولم يكن موت النبي أمراً يدركه جميع الناس ولا يدركه الخليفة . إن الرجعة بمعنى عود جماعة قليلة إلى الحياة الدنيوية قبل يوم القيامة ثم موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة ليس شيئاً يصاد أصول الإسلام، وليس فيه انكار لأى حكم ضرورى، وليس القول برجعتهم إلى الدنيا ينفي بعثهم يوم القيامة، وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلى الحياة الدنيوية، نظير: ١- إحياء جماعة من بنى إسرائيل (٢) . ٢- إحياء قتيل بنى إسرائيل (٣) . ٣- موت أوف من الناس وبعثهم من جديد (٤) . ٤- بعث عزيز بعد مائة عام من موته (٥) . ٥- إحياء الموتى على يد عيسى - عليه السلام - (٦) . فلو كان الاعتقاد برجع بعض الناس إلى الدنيا قبل القيامة أمراً محالاً، فما معنى هذه الآيات الصريحة فى رجوع جماعة إليها؟

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٣٠٥ .

٢ . البقرة / ٥٥ - ٥٦ .

٣ . البقرة / ٧٢ - ٧٣ .

٤ . البقرة / ٢٤٣ .

٥ . البقرة / ٢٥٩ .

٦ . آل عمران / ٤٩ . (٣٦٥)

ولو كان الرجوع إلى الدنيا على وجه الاطلاق تناسخاً فكيف تفسر هذه الآيات؟ إن الاعتقاد بالذكر الحكيم يجزنا إلى القول بأنه ليس كل رجوع إلى الدنيا تناسخاً وإنما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الانسان إلى الدنيا عن طريق النطفة والمرور بمراحل التكوّن البشرى من جديد ليصير انساناً مرة أخرى وأين هذا من الرجعة وعود الروح إلى البدن الكامل من جميع الجهات من دون أن يكون فيها رجوع من القوة إلى الفعلية، أو دخول روح فى بدن آخر، إنساناً كان أو حيواناً؟! اتفقت الشيعة على بطلان التناسخ وامتناعه وقد كتبوا فيه مقالات ورسائل يقف عليها من كان له إمام بكتبهم وعقائدهم، وقد ذكروا أن للتناسخ أنواعاً وأقساماً، غير أن الرجوع إلى الدنيا من خلال دخول الروح إلى البدن الذى فارقه عند الموت لا يعد تناسخاً، وإنما هو إحياء للموتى، الذى كان معجزه من معجزات المسيح . كل ذلك يدل على أنه ليس أمام القول بالرجعة عراقيل وموانع وإنما هو أمر ممكن لو دل عليه الدليل القطعى نأخذ به وإلا فنذر فى سنبله، والحال أن بعض الآيات والروايات تدل على أنه سيتحقق الرجوع إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة لبعض الناس على وجه الاجمال، وأما من هم؟ . وفى أى وقت يرجعون؟ . ولأى غرض يعودون إلى الدنيا؟ فليس هنا مقام بيانها، إنما نكتفى ببيان بعض الآيات

الدالة على وقوعه قبل البعث، وإليك الآيات . قال سبحانه: (و إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ (٣٦٦) يُوزَعُونَ(١) .

لا- يشك من أمعن النظر في سياق الآيات وما ذكره المفسرون حولها، في أن الآية الأولى تتعلق بالحوادث التي تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية مكتملة لها، وتدل على حشر فوج من كل جماعة قبل يوم القيامة، والحال أن الحشر في يوم القيامة يتعلق بالجميع لا بالبعض، يقول سبحانه (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢) . أفبعد هذا التصريح يمكن تفسير الآية السابقة بيوم البعث والقيامة؟ وهذه الآية تعرب عن الرجعة التي تعتقد بها الشيعة في حق جماعة خاصة وأما خصوصياتها فلم يحدث عنها القرآن الكريم وجاء التفصيل في السنة . وقد سأل المأمون العباسي الامام الرضا - عليه السلام - عن الرجعة، فأجابه بقوله: إنها حق قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة(٣) . وأما من هم الراجعون؟ وما هو الهدف من إحيائهم؟ فيرجع فيه إلى الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، واجمال الجواب عن الأول أن الراجعين لفيق من المؤمنين ولفيق من الظالمين . وقال المفيد ناقلا عن أئمة أهل البيت: إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم، من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وأما ما سوى هذين فلا رجوع

١ . النمل / ٨٢ - ٨٣ .

٢ . الكهف / ٤٧ .

٣ . بحار الأنوار ٥٣ / ٥٩ الحديث ٤٥ (٣٦٧)

لهم إلى يوم المآب(١) . وقال أيضاً في المسائل السروية: والرجعة عندنا تختص بمن محض الإيمان، ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين(٢) . وإجمال الجواب عن الثاني ما ذكره السيد المرتضى، قال: إن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم . ذكر نكات:

١- إن الرجعة وإن كانت من مسلمة عقائد الشيعة، ولكن التشيع ليس منوطاً بالاعتقاد بها فمن أنكرها فقد أنكر عقيدة مسلمة، بين أكثر الشيعة، ولكن لم ينكر ركناً من أركان التشيع، ولأجل ذلك نرى أن جماعة من الشيعة أولوا الأخبار الواردة في الرجعة إلى رجوع الدولة إلى شيعتهم وأخذهم بمجارى الأمور دون رجوع أعيان الأشخاص، والباعث لهم على هذا التأويل هو عجزهم عن تصحيح القول بها نظراً واستدلالاً، ولكن المحققين من الامامية، أخذوا بظواهرها وبيّنوا عدم لزوم استحالة عقليته على القول بها لعموم قدرة الله على كل مقدور، أجابوا عن الشبه الواردة عليها، وإلى هذا الاختلاف يشير الشيخ المفيد بقوله: واتفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف .

١ . الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد ٤٠ .

٢ . الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد ٤٠ (٣٦٨)

ويشير إلى الاختلاف، تلميذه الجليل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الرى ومنها حقيقة الرجعة، فأجاب بأن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية بأن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه، وأن من الشيعة، تأولوا الرجعة على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى شيعتهم، من دون رجوع الأشخاص وحياء الأموات(١) . ٢- كيف يجتمع إعادة الظالمين مع قوله سبحانه: (و حَرَامٌ عَلَى قَوْمٍ عَلَى قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يُزْجَعُونَ(٢) فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَنْفَى رَجوعهم بتاتاً، وحشر لفيق من الظالمين، يخالفها . والاجابة عن السؤال واضحة، فإن الآية مختصة بالظالمين الذين أهلكوا في هذه الدنيا ورأوا جزاء عملهم فيها، فالآية تحكم بأنهم لا يرجعون، وأما الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذه فيرجع لفيق منهم ليروا جزاء عملهم فيها

ثم يردون إلى أشد العذاب في الآخرة، فالآية تنفي رجوع لفيق من الظالمين الذين ماتوا حتف الأنف . ٣- إن الظاهر من قوله تعالى: (حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعوني * لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنها كلمته هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون) (٣) هو نفى الرجوع إلى الدنيا بعد مجيء الموت لأي أحد . والاجابة عنها واضحة. ان الآية كسائر السنن الإلهية الواردة في حق الإنسان، فهي تفيد أن الموت بطبعه ليس بعده رجوع وهذا لا ينافي رجوع البعض

١ . بحار الانوار ٥٣ / ١٣٨ .

٢ . الأنبياء / ٩٥ .

٣ . المؤمنون / ١٠٠ - ١٠١ . (٣٦٩)

استثناءً ولمصالح عليا، كما مرّت الآيات الواردة في هذا المضممار . أضف إلى ذلك أن عود بعض الظالمين إلى الدنيا - على القول بالرجعة - إنما هو لأجل عقابهم والانتقام منهم، وأين هذا من طلب هؤلاء الكفار الرجوع لأجل تصحيح عملهم والقيام بما تركوه من الصالحات، وردّ هذا الفرع من الرجوع لا يكون دليلاً على نفى النوع الأول منه .

(٣٧١) المسألة السابعة: زواج المتعة

ومما يشنّع به على الشيعة: قولهم بجواز نكاح المتعة، ويعدون القول بتشريعه أو بعدم نسخه مخالفاً للكتاب والسنة. والمسألة فرعية فقهية لا- يناسب البحث عنها في كتب تاريخ العقائد، غير أنه لما كانت من شعائر فقه الشيعة، آثرنا أن نبحت عنها في اطار الكتاب والسنة على وجه الاجمال حتى يقف القارئ على أن القول باصل تشريعها وعدم نسخها، ممّا يشبهه الكتاب والسنة. وإن القول بعدم تشريعها بتاتا أو ادعاء نسخها يصادهما. وسياويك ان لفيقاً من الصحابة والتابعين كانوا يفتون بجوازها وعدم نسخها وإنما منع عنها عمر بن الخطاب لحافز نفسى أو اجتهاد شخصى لا دليل عليه وليس حجّة على الآخرين . وقد أبدى بنظيره فى متعة الحج فى زمن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (١) .

١ . لاحظ الفصل الرابع من هذا الجزء، المورد الثالث من الموارد التي اجتهدوا فيها مقابل النص .

(٣٧٢)

وأما زواج المتعة: وهو عبارة عن تزويج المرأة الحرة الكاملة إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان أو عدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعية، بمهر مسمى إلى أجل مسمى بالرضا والاتفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق. ويجب عليها مع الدخول بها إذا لم تكن يائسة أن تعتد عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض وإلا فخمسة وأربعين يوماً (١) . وولد المتعة ذكراً كان أو أنثى يلحق بالأب ولا- يُدعى إلا به، وله من الارث ما أوصانا الله سبحانه به فى كتابه العزيز. كما يرث من الأم وتشمله جميع العمومات الواردة فى الآباء والأبناء والأمهات وكذا العمومات الواردة فى الاخوة والأخوات والأعمام والعّمات . وبالجملة: المتمتع بها زوجة حقيقة وولدها ولد حقيقة ولا فرق بين الزوجين: الدائم والمنقطع إلا أنه لا توارث هنا ما بين الزوجين ولا قسم ولا نفقه لها. كما ان له العزل عنها وهذه الفوارق الجزئية فوارق فى الاحكام لا فى الماهية والماهية واحدة غير ان أحدهما مؤقت والآخر دائم. وإن الأول ينتهى بانتهاء الوقت والآخر ينتهى بالطلاق أو الفسخ . وقد أجمع أهل القبلة على أنه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسلام ولا- يشك أحد فى أصل مشروعيته وأما وقع الكلام فى نسخه أو بقاء مشروعيته . والأصل فى مشروعيته قوله سبحانه: (وحلائل أبنائكم الذين من أضيالكم وأن تجتمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان عفوراً رحيماً * والمحصنات من النساء إلا ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَكُمْ

١ . لاحظ الكتب الفقهية للشيعة الامامية فى ذلك المجال .

(٣٧٣) ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم مُحَصَّةً بَيْنَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (١) .

والآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه: ١- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

إن هذه السورة - سورة النساء - تكفلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح في أوائل السورة على نظام خاص، أما الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (وإن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...) (٢). وأما أحكام المهر فقد جاءت في الآية التالية: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِينًا مَرِيئًا) (٣). وأما نكاح الاماء فقد جاء في قوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ...) (٤). _____

١. النساء / ٢٣ - ٢٤ .

٢. النساء / ٣ .

٣. النساء / ٤ .

٤. النساء / ٢٥ . (٣٧٤)

فقوله سبحانه: (فمن ما ملكت أيمانكم) إشارة إلى نكاح السيد لأمته، الذي جاء في قوله سبحانه أيضاً: (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين...) (١). وقوله سبحانه: (فانكِحوهن بإذن أهلهن) إشارة إلى الزواج من أمة الغير. فإلى هنا تم بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلا نكاح المتعة وهو الذي جاء في الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: (فما استمتعتم) على الزواج الدائم وحمل قوله: (فآتوهن أجورهن) على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، وحمله على وجوب الصداق كله بالدخول، خلاف المتبادر على أنه يجب الكل بالعقد والطلاق قبله منصف. فالناظر في السورة يرى أن آياتها تكفلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاص ولا يتحقق ذلك إلا بحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً. ٢- تعليق دفع الأجرة على الاستمتاع: إن تعليق دفع الأجرة على الاستمتاع في قوله سبحانه: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) يناسب نكاح المتعة الذي هو زواج مؤقت لا النكاح الدائم، فإن المهر هنا يجب بمجرد العقد ولا ينتجز وجوب دفع الكل إلا بالمس. ٣- تصريح جماعة من الصحابة على شأن نزولها:

ذكرت أمية كبيرة من أهل الحديث نزولها فيها وينتهي نقل هؤلاء إلى أمثال ابن عباس وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله الأنصاري _____

١. المؤمنون / ٦ .

(٣٧٥)

وحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن جبير إلى غير ذلك من رجال الحديث الذين لا يمكن اتهامهم بالوضع والجعل. وقد ذكر نزولها من المفسرين والمحدثين: امام الحنابلة في مسنده (١) وأبو جعفر الطبري في تفسيره (٢) وأبو بكر الجصاص الحنفي في أحكام القرآن (٣) وأبو بكر البيهقي في السنن الكبرى (٤) ومحمود بن عمر الزمخشري في الكشاف (٥) وأبو بكر بن سعدون القرطبي في تفسير جامع أحكام القرآن (٦) وفخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب (٧)، إلى غير ذلك من المحدثين والمفسرين الذين جاءوا بعد ذلك إلى عصرنا هذا ولا نطيل الكلام بذكرهم. وليس لأحد أن يتهم هؤلاء الأعلام بذكر ما لا يثقون به. فبملاحظة هذه القرائن لا يكاد يشك في ورودها في نكاح المتعة. ونزيد بياناً بقوله سبحانه: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين). إن قوله سبحانه: (أن تبتغوا) مفعول له لفعل مقدر، أي يبين لكم ما يحل مما يحرم لأجل أن تبتغوا بأموالكم، وأما مفعول قوله: (تبتغوا) فيعلم من القرينة وهو النساء أي تطلبوا النساء، أي بين الحلال والحرام لغاية ابتغاءكم النساء _____

١. مسند أحمد / ٤ / ٤٣٦ .

٢. تفسير الطبري ٩ / ٥ .

٣. أحكام القرآن ١٧٨ / ٢ .

٤. السنن الكبرى ٢٠٥ / ٧ .

٥. الكشاف ٣٦٠ / ١ .

٦. جامع أحكام القرآن ١٣ / ٥ .

٧. مفاتيح الغيب ٢٦٧ / ٣ . (٣٧٦)

من طريق الحلال لا- الحرام. وقوله سبحانه: (محصنين) وهو من الاحصان بمعنى العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، وقوله سبحانه: (غير مسافحين) هو جمع مسافح بمعنى الزاني مأخوذ من السفح بمعنى صب السائل، والمراد هنا هو الزاني بشهادة قوله سبحانه في الآية المتأخرة في نكاح الإماء (وآتوهن أجورهنّ بالمعروف محصنات غير مسافحات) أي عفائف غير زانيات . ومعنى الآية: انّ الله تبارك وتعالى شرّع لكم نكاح ماوراء المحرّمات لأجل أن تبتغوا بأموالكم ما يحصنكم ويصون عفتكم ويصدكم عن الزنا. وهذا المناط موجود في جميع الأقسام: النكاح الدائم، والمؤقت والزواج بأمة الغير، المذكورة في هذه السورة من أولها إلى الآية ٢٥ . هذا هو الذي يفهمه كل إنسان من ظواهر الآيات غير انّ من لا يروقه الأخذ بظاهر الآية (فما استمتعتم به منهنّ فاتوهنّ أجورهنّ) لرواسب نفسية أو بيئية حاول أن يطبق معنى الآية على العقد الدائم وذكر في المورد شبهات نشير إليها . الشبهة الأولى: إنّ الهدف في تشريع النكاح هو تكوين الأسرة وإيجاد النسل وهو يختصّ بالنكاح الدائم دون المنقطع الذي لا يترتب عليه إلا إرضاء القوة الشهوية وصبّ الماء وسفحه .

يجاب عنها بأنّه خلط بين الموضوع والفائدة المترتبة عليه. وما ذكر أنّها هو من قبيل الحكمة، وليس الحكم دائراً مدارها، ضرورة أنّ النكاح صحيح وإن لم يكن هناك ذلك الغرض. كزواج العقيم واليائسة والصغيرة. بل أغلب المتزوجين في سن الشباب بالزواج الدائم لا يقصدون إلاّ قضاء الوطر واستيفاء الشهوة من طريقها المشروع، ولا يخطر ببالهم طلب النسل أصلاً وإن حصل لهم قهراً، ولا يقدر ذلك في صحّة زواجهم . (٣٧٧)

ومن العجب حصر فائدة المتعة في قضاء الوطر مع أنّها كالدائم قد يقصد منها النسل والخدمة وتدير المنزل وتربية الأولاد والارضاع والحضانة . ونسأل المانعين الذين يتلقون نكاح المتعة، مخالفاً للحكمة التي من أجلها شرّع النكاح، نسألهم عن الزوجين الذين يتزوجان نكاح دوام، ولكن نيوان الفراق بالطلاق بعد شهرين فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظنّ أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك، وإلاّ فقد أفتى بغير دليل ولا برهان فيتعيّن الأوّل. فأى فرق يكون حينئذ بين المتعة وهذا النكاح الدائم سوى أنّ المدّة المذكورة في الأوّل دون الثاني؟ يقول صاحب المنار: إنّ تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بتية الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون أنّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه في صيغة العقد، ولكن كتمانها إياه يعدّ خداعاً وغشاً وهو أجدر بالطلاق من العقد الذي يشترط فيه التوقيت (١) . أقول: نحن نفترض انّ الزوجين رضياً بالتوقيت لبناً، حتّى لا يكون هناك خداع وغش، فهو صحيح بلا اشكال . الشبهة الثانية: إنّ تسوية النكاح المؤقت ينافي ما تقرّر في القرآن كقوله عزّ وجلّ في صفة المؤمنين: (والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)(٢).

والمراد من الآية أن من ابتغى وراء ذلك، هم المتجاوزون ما أحله الله لهم إلى ما حرّمه عليهم، والمرأة المتمتّع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذي

١. المنار ١٧ / ٥ .

٢. المؤمنون / ٥ - ٧ . (٣٧٨)

عليها بالمعروف . يلاحظ عليه: أنها دعوى بلا دليل، فأنها زوجة ولها أحكام وعدم وجود النفقة وعدم وجود القسم، لا يخرجها عن الزوجية فإن الناشزة زوجة ليست لها النفقة وحق القسم. ومثلها الصغيرة. والعجب أن يستدل بعدم وجود الأحكام على نفى الماهية، فإن الزوجية رابطة بين الزوجين يترتب عليها أحكام وربما تختص بعض الأحكام ببعض الأقسام . الشبهة الثالثة: إن المتمتع في النكاح المؤقت لا يقصد الاحصان دون المسافحة، بل يكون قصده مسافحة، فإن كان هناك نوع ما من احصان نفسه ومنعها من التنقل في زمن الزنا، فإنه لا يكون فيه شيء ما من احصان المرأة التي تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل:

كرة حُرِّدَتْ بصوالجته * فتلقفها رجل رجل (١) يلاحظ عليه: أنه من أين وقف على ان الاحصان في النكاح المؤقت، يختص بالرجل دون المرأة، فإننا إذا افترضنا كون العقد شرعياً، فكل واحد من الطرفين يُحصن نفسه من هذا الطريق، وإلا فلا محيص عن التنقل في زمن الزنا. والذي يصون الفتاة عن البغي أحد الأمور الثلاثة:

١- النكاح الدائم . ٢- النكاح المؤقت بالشروط الماضية . ٣- كبت الشهوة الجنسية . فالأول ربما يكون غير ميسور خصوصاً للطالب والطالبة الذين يعيشان بمنح ورواتب مختصرة يجريها عليهما الوالدان أو الحكومة، وكبت الشهوة الجنسية أمر

١ . المنار ٥ / ١٣ .

(٣٧٩)

شاق لا يتحمله إلا الأمثل فالأمثل من الشباب والمثلى من النساء، وهم قليلون، فلم يبق إلا الطريق الثاني، فيحصنان نفسيهما عن التنقل في بيوت الدعارة . إن الدين الإسلامي هو الدين الخاتم، ونبية خاتم الأنبياء، وكتابه خاتم الكتب، وشريعته خاتمة الشرائع فلا بد أن يضع لكل مشكلة اجتماعية، حلولا شرعية، يصون بها كرامة المؤمن والمؤمنة، وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه : ماذا يفعل هؤلاء الطلبة والطالبات الذين لا يستطيعون القيام بالنكاح الدائم، وتمنع كرامتهم ودينهم عن التنقل في بيوت الدعارة والفساد، والحياة المادية بجماها لتؤجج نار الشهوة في نفوسهم، فمن المستحيل عادة أن يصون نفسه أحد إلا من عصمه الله، فلم يبق طريق إلا ما ذكره الإمام علي بن أبي طالب، حيث قال: «لولا نهى عمر عن المتعة لما زنى إلا شقى أو شقية» . وأنا تشبيه المتعة بما جاء في الشعر فهو يعرب عن جهل الرجل بحقيقة نكاح المتعة وحدودها، فإن ما جاء فيه هي المتعة الدورية التي ينسبها الرجل (١) وغيره إلى الشيعة، وهم براء من هذا الإفك إذ يجب على المتمتع بها بعد انتهاء المدّة، الاعتداد على ما ذكرنا، فكيف يمكن أن تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل؟! سبحان الله ما أجرأهم على الكذب على الشيعة والفريه عليهم، وما مضمون الشعر إلا جسارة على الوحي والتشريع الإلهي، وقد اتفقت كلمة المحدثين والمفسرين على التشريع، وأنه لو كان هناك نهى أو نسخ فأنما هو بعد التشريع والعمل . الشبهة الرابعة: إن الآية منسوخة بالسنة، واختلفوا في زمن نسخه إلى أقوال شتى:

١- أبيحت ثم نهى عنها عام خير .

١ . لاحظ كتابه: السنة والشيعة ٦٥ - ٦٦ .

(٣٨٠)

٢- ما أحلت إلا في عمرة القضاء . ٣- كانت مباحة ونهى عنها في عام الفتح . ٤- أبيحت عام أو طاس ثم نهى عنها (١) . وهذه الأقوال تنفي الثقة بوقوع النسخ، على أن نسخ القرآن بأخبار الاحاد ممنوع جداً، وقد صحّ عن عمران بن الحصين أنه قال: «إن الله أنزل المتعة وما نسخها بآية أخرى وأمرنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه»، يريد به عمر بن الخطاب . إن الخليفة الثاني لم يدع النسخ وإنما أسند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من الله عزوجل أو من رسوله، لأسند التحريم إليهما، وقد استفاض قول عمر وهو على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء، بل نقل متكلم الأشاعرة في شرحه على شرح التجريد أنه قال: أيتها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهنّ، وأحزمنهنّ، وأعاقب عليهنّ: متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل (٢) . وقد تقدم في الفصل الرابع بعض الكلام في ذلك أن

ابن عباس قال لبعض المناظرين الذين كانوا يحتجون بنهى أبي بكر وعمر: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر، حتى أن ابن عمر لما سئل عنها، أفتى بالاباحة، فعارضوه بقول أبيه، فقال لهم: أمر رسول الله أحق أن _____

١ . لاحظ للوقوف على مصادر هذه الأقوال: مسائل فقهية ٦٣ - ٦٤، الغدير ٦ / ٢٢٥، أصل الشيعة وأصولها ١٧١، والأقوال في النسخ أكثر مما جاء في المتن .

٢ . مفاتيح الغيب ١٠ / ٥٢ - ٥٣، شرح التجريد للقوشجي ٤٨٤ طبع إيران . (٣٨١)

يتبع أم أمر عمر؟ كل ذلك يعرب عن أنه لم يكن هناك نسخ ولا نهى نبوي وإنما كان تحريماً من جانب الخليفة. لبعض المصالح المزعومة التي عبر عنها في غير واحد من كلماته في المقام وفي متعة الحج، وقال: ... ورؤوسنا تقطر ماءً (١) . المنكرون للتحريم: إن هناك لفيماً من الصحابة والتابعين أنكروا التحريم بحماس: ١- على أمير المؤمنين، في ما أخرجه الطبري بالاسناد إليه أنه قال: لولا أن عمر نهى عن المتعة مازنى إلا شقي (٢) . ٢- عبدالله بن عمر، أخرج الامام أحمد من حديث عبدالله بن عمر، قال: قد سئل عن متعة النساء والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين، ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله يقول: ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون وأكثر (٣) . ٣- عبدالله بن مسعود، روى البخاري عن عبدالله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع رسول الله وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين، ثم قرأ علينا: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب الممعتدين) (٤)(٥) . _____

١ . المفيد: الارشاد ٩٣ طبع النجف .

٢ . الطبري التفسير ٩ / ٥ .

٣ . مسند أحمد ٢ / ٩٥ .

٤ . صحيح البخاري، كتاب النكاح ٧ / ٤، الباب ٨، الحديث ٣ .

٥ . المائدة / ٨٧ . (٣٨٢)

٤- عمران بن حصين، أخرج البخاري في صحيحه عنه، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله، ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات. قال رجل برأيه ما شاء (١) . أخرج أحمد في مسنده عن أبي رجاء عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله وعملنا بها مع رسول الله، فلم تنزل آية تمنعها، ولم ينه عنها النبي حتى مات (٢) . ٥- وقد عمد المأمون الخليفة العباسي، أن يعلن بتحليل المتعة، ولكنه خوفاً من الفتنة توقف عن الاعلان قال ابن خلكان، نقلاً عن محمد بن منصور: قال: كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال يحيى بن أكثم لى ولأبي العيناء: بكراً غداً إليه فإن رأيتما للقول وجهاً فقولاً، وإلاً فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاض: متعتان كانتا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلى عهد أبي بكر - رضى الله عنه - وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وآله وسلم - وأبو بكر - رضى الله عنه -؟! فأوما أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال: رجل يقول من عمر بن الخطاب نكلمه نحن؟ فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عزوجل، وحديث _____

١ . صحيح البخاري ٦ / ٢٧، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة قول (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج).

٢ . مسند أحمد. لاحظ مسائل فقهية للسيد شرف الدين ٧٠ . (٣٨٣)

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) إلى قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا - عَلَى

أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (١). يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا، قال: فهي، الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين (٢). عذب عن ابن أكرم - وهو كان ممن يكنّ العداء لآل البيت - أن المتعة داخله في قوله سبحانه (إلا على أزواجكم) وأما عدم الوراثة، فهو تخصيص في الحكم، وهو لا - ينافي ثبوتها، وكما لها من نظير، فالكافرة لا ترث الزوج المسلم، وبالعكس، كما أن القاتلة لا ترث وهكذا العكس، وأما الولد، فيلحق قطعاً ونفى اللحق ناش إماً من الجهل بحكمها أو التجاهل به . وما أقبح كلامه حيث فسّر المتعة بالزنا وقد أصفقت الأمة على تحليلها عصر الرسول والخليفة الأول، فحسب ابن أكرم ان الرسول حلّل الزنا ولو مدّة قصيرة. كبرت كلمة تخرج من أفواههم:

وهناك روايات مأثورة عن الخليفة نفسه، تعرب عن أن التحريم كان صميم رأيه، من دون استناد إلى آية أو رواية . روى مسلم في صحيحه: عن ابن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يامر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها فذكر ذلك لجابر، فقال: على يدي دار الحديث: تمتعنا مع _____

١ . المؤمنون / ١ - ٧.

٢ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ / ١٤٩ - ١٥٠ . (٣٨٤)

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما قام عمر قال: إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء فأتموا الحج والعمرة وابتوا نكاح هذه النساء فلئن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمت بالحجارة (١) . وروى الامام أحمد في مسنده عن ابى نضرة: قلت لجابر: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها، فقال لي: على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله ومع أبى بكر فلما ولى عمر خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن، وإن رسول الله هو الرسول، وإتبعهما كانتا متعتان على عهد رسول الله إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء (٢) . وهذه المأثورات تعرب أولاً: عن أن المتعة كانت باقية على الحل إلى عهد الخليفة ولم تكن محرمة إلى زمان تولى عمر الأمر فنهى ومنع . وثانياً: أنه باجتهاده قام بتحريم ما أحله الكتاب والسنة، ومن المعلوم ان اجتهاده - لو صحّت تسميته بالاجتهاد - حجة على نفسه لا على غيره .

وفي الختام نقول: إن الجهل بفقهاء الشيعة أدى بكثير من الكتاب إلى القول أن من أحكام المتعة عند الشيعة أنه لا نصيب للولد من ميراث أبيه، وإن المتمتع بها لا - عدّة لها، وأنها تستطيع أن تنتقل من رجل إلى رجل إن شاءت. ومن أجل هذا استقبحوا المتعة واستنكروها وشنعوا على من أباحها . وقد خفى الواقع على هؤلاء، وإن المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلا بالعقد الدال على قصد الزواج صراحة، وإن المتمتع بها يجب أن تكون خالية من _____

١ . مسلم: الصحيح ٤ / ١٣٠ باب نكاح المتعة الحديث ٨، طبع محمد علي صبيح .

٢ . أحمد: المسند ١ / ٥٢ . (٣٨٥)

جميع الموانع، وإن ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوراث، والانفاق وسائر الحقوق المادية وإن عليها أن تعتد بعد إنتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهي في عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار (١) .

١ . الاثنا عشرية وأهل البيت تأليف مغنية ٤٦ .

(٣٨٦) (٣٨٧) المسألة الثامنة: مسح الأرجل في الوضوء

اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمة الأربعة إلى أن الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الامامية أنه المسح، وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية يجب الجمع بينهما وهو صريح الطبري في تفسيره: ونقل عن الحسن البصري أنه مخير بينهما (١) . ومما يثير العجب اختلاف المسلمين في هذه المسألة، مع أنهم رأوا وضوء رسول الله كل يوم ليلة في موطنه

ومهجره، وفي حضره وسفره ومع ذلك اختلفوا في أشد المسائل ابتلاءً وهذا يعرب عن أن الاجتهاد لعب في هذه المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهماً. إن الذكر الحكيم تكفل لبيان المسألة وما أبقى فيها ابهاماً واعضالاً، وكان الحاضرون في عصر النزول فهموا من الآية معنى واحداً. إما المسح أو الغسل، _____

١. الطبرى: التفسير ٦ / ٨٦ ومفاتيح الغيب ١١ / ١٦٢ والمنار ٦ / ٢٢٨ .

(٣٨٨)

ولم يترددوا في حكم الرجلين أبداً. ولو خفى حكم هذه المسألة بعد رحلة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على الأجيال الآتية فلا غرو في أن يخفى على المسلمين حكم أكثر المسائل . وليس فيها شيء أوثق من كتاب الله فعلىنا دراسة ما جاء فيه، قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إذا قُمتُم إلى الصلوة فَاغْبِطُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (١) وقد اختلف القراء في قراءة (وأرجلكم إلى الكعبين) فمنهم من قرأ بالخفض، ومنهم من قرأ بالكسر. ومن البعيد أن تكون كل من القراءتين موصولة إلى النبي، فإن تجويزهما يضيف على الآية ابهاماً واعضالاً، ويجعل الآية لغزاً، والقرآن كتاب الهداية والارشاد، وتلك الغاية تطلب لنفسها الوضوح وجلالة البيان، خصوصاً فيما يتعلق بالأعمال والأحكام التي يتلى بها عامية المسلمين، ولا تقاس بالمعارف والعقائد التي يختص الامعان فيها بالأمثل فالأمثل. وعلى كل تقدير فممن حقق مفاد الآية وبينها الامام الرازي في تفسيره، نقل كلامه بتلخيص: قال: حجة من قال بوجوب المسح مبنى على القراءتين المشهورتين في قوله (وأرجلكم) وهما: الأول: قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم - في رواية أبوبكر عنه - بالجر . الثاني: قرأ نافع وابن عامر وعاصم - في رواية حفص عنه - بالنصب . أما القراءة بالجر فهي تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس، فكذلك في الأرجل .

١. المائدة / ٦ .

(٣٨٩)

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون الجر على الجوار؟ كما في قوله: «جَحْرُ ضَبِّ خَرِبٍ» وقوله: «كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ» . قيل: هذا باطل من وجوه: ١- إن الكسر على الجوار معدود من اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر، وكلام الله يجب تنزيهه عنه . ٢- إن الكسر على الجوار إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله: «جَحْرُ ضَبِّ خَرِبٍ» فإن «الخرِب» لا يكون نعتاً للضب بل للجر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل . ٣- إن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب . وأما القراءة بالنصب فهي أيضاً توجب المسح، وذلك لأن «برؤوسكم» في قوله (فامسحوا برؤوسكم) في محل النصب (١) بامسحوا لأنه المفعول به ولكنها مجرورة لفظاً بالباء فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، وجاز الجر عطفاً على الظاهر . ونزيد بياناً أنه على قراءة النصب يتعين العطف على محل برؤوسكم ولا يجوز العطف على ظاهر «أيديكم» لاستلزامه الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بجملة أجنبية وهو غير جائز في المفرد، فضلاً عن الجملة، هذا هو الذي يعرفه المتدبر في الذكر الحكيم، ولا يسوغ لمسلم أن يعدل عن القرآن إلى غيره فإذا كان هو المهيمن _____

١ . يقال ليس هذا بعالم ولا عاملاً. قال الشاعر:

معاوى أننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

لاحظ: المغنى لابن هشام: الباب الرابع . (٣٩٠)

على جميع الكتب السماوية فأولى أن يكون مهيمناً على ما في أيدي الناس من الحق والباطل والمأثورات التي الحديث فيها ذو شجون (١) مع كونها متضاربة في المقام، فلو ورد فيها الأمر بالغسل، فقد جاء فيها الأمر بالمسح. رواه الطبرى عن الصحابة والتابعين نشير إليه على وجه الاجمال: ١- ابن عباس، قال: الوضوء غسلتان ومسحتان. ٢- كان أنس إذا مسح قدميه بلهما. ولما خطب الحجاج

وقال: ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه في قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، قال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال الله (واسمحو برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) وكان أنس إذ مسح قدميه بلهما . ٣- عكرمة، قال: ليس على الرجلين غسل وإنما نزل فيهما المسح . ٤- الشعبي قال: نزل جبرائيل بالمشح وقال: ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحاً . ٥- عامر: أمر أن يمسح في التيمم ما أمر أن يغسل بالوضوء وأبطل ما أمر أن يمسح في الوضوء: الرأس والرجلان. وقيل له: إن أناسا يقولون: إن جبرائيل نزل بغسل الرجلين فقال: نزل جبرائيل بالمشح . ٦- قتادة: في تفسير الآية: افترض الله غسلتين ومسحتين . ٧- الأعمش: قرأ «وأرجلكم» مخفوضه اللام . ٨- علقمة: قرأ «أرجلكم» مخفوضه اللام . ٩- الضحاك: قرأ «وأرجلكم» بالكسر .

١ . لاحظ الجزء الأول من هذه الموسوعة: فصل «علل تكوّن المذاهب وأسبابه» .

(٣٩١)

١٠- مجاهد: مثل ما تقدّم (١) . وهؤلاء من أعلام التابعين وفيهم الصحابيان: ابن عباس وأنس وقد أصفقوا على المسح وقراءة الجرح الصريح في تقديم المسح على الغسل، وجمهور أهل السنّة يحتجون بأقوالهم في مجالات مختلفة، ولماذا، أعرض عنهم الأئمة الأربعة؟ أنا لا أدري . إن القول بالمشح هو المنصوص عن أئمة أهل البيت وهم يُسندون المسح إلى النبي الأكرم ويحكون وضوءه به قال أبو جعفر الباقر - عليه السلام -: ألا - أحكى لكم وضوء رسول الله؟ ثم أخذ كفاً من الماء فصبها على وجهه... إلى أن قال: ثم مسح رأسه وقدميه. وفي رواية أخرى ثم

مسح بقبضة مابقي في يديه، رأسه ورجليه ولم يعدهما في الاناء (٢) . وفي ضوء هذه الروايات والمأثورات اتفقت الشيعة الامامية على أن الوضوء غسلتان ومسحتان وقال السيد بحر العلوم في منظومته الموسومة بالدرّة النجفية: إن الوضوء غسلتان عندنا ومسحتان والكتاب معنا فالغسل للوجه ولليدين والمسح للرأس وللرجلين وبعد وضوح دلالة الآية، واجماع أئمة أهل البيت على المسح، لا يبقى مجال للاستدلال على الغسل، وإليك ما ذكروا من وجوه باطلة . ١- إن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه ويكون غسل

١ . الطبري: التفسير ٦ / ٨٢ - ٨٣ .

٢ . الحرّ العاملي: الوسائل ١، الباب ١٥ من أبواب الوضوء، الحديث ٩ و ١٠ . (٣٩٢)

الأرجل يقوم مقام مسحها (١) . يلاحظ عليه: أن أخبار الغسل معارضة بأخبار المسح، وليس شيء أوثق من كتاب الله فلو دل على لزوم المسح، لا يبقى مجال لترجيحه على روايات الغسل، والقرآن هو المهيمن على الكتب والمأثورات، والمعارض منها للكتاب لا يقيم لها وزن .

وأعجب من ذلك قوله: إن الغسل مشتمل على المسح، مع أنّهما حقيقتان مختلفتان، فالغسل إمرار الماء على المغسول، والمسح إمرار اليد على الممسوح (٢) . وهما حقيقتان مختلفتان لغوياً وشرعاً ولو حاول الاحتياط لوجب الجمع بين المسح والغسل، لا الاكتفاء بالغسل . ٢- ما روى عن علي أنه كان يقضى بين الناس فقال «وأرجلكم» هذا من المقدم والمؤخر في الكلام فكأنه سبحانه قال: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واغسلوا أرجلكم واسمحو برؤوسكم» . يلاحظ عليه: أن أئمة أهل البيت كالباقر والصادق - عليهما السلام - أدري بما في البيت وهم اتفقوا على المسح وهل يمكن الاتفاق على المسح، مع اعتقاد كبيرهم بالغسل. وما روى موضوع عن لسان الامام ليشيروا الشك بين أتباعه وشيعته. ولا نعلق على احتمال التقديم والتأخير شيئاً، سوى أنه يجعل معنى الآية شيئاً مبهماً في المورد الذي يطلب فيه الوضوح، إذ هي المرجح للقروي والبدوي، وللحاضر عصر النزول، والغائب عنه، فيجب أن يكون على

نسق ينتقل منه إلى المراد، ثم إنه

١ . الرازي: مفاتيح الغيب ١١ / ١٦٢ .

٢ . قال سبحانه حاكياً عن سليمان: (رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) - ص / ٣٣ - أى مسح بيده على سوق الصافنات الجياد وأعناقها . (٣٩٣)

أى ضرورة اقتضت هذا التقديم والتأخير، مع أنه كان من الممكن ذكر الأرجل بعد الأيدي من دون تأخير؟ ولو كان الدافع إلى التأخير هو بيان الترتيب، وأن غسل الأرجل بعد مسح الرأس، فكان من الممكن أن يُذكر فعله ويقال «فامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين». كل ذلك يعرب عن أن هذه محاولات فاشلة لتصحيح الاجتهاد تجاه النص وما عليه أئمة أهل البيت من الاتفاق على المسح . ٣- ما روى عن ابن عمر في الصحيحين قال: تخلف عنا رسول الله في سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، وجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، قال: فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» - مرتين أو ثلاث - (١) . يلاحظ عليه: أن هذه الرواية على تعيين المسح أدل من دلالة على غسل الرجلين فإنها صريحة في أن الصحابة كانوا يمسحون، وهذا دليل على أن المعروف عندهم هو المسح. وما ذكره البخارى من أن الإنكار عليهم كان بسبب المسح لا بسبب الاقتصار على بعض الرجل، اجتهاد منه، وهو حجة عليه لا على غيره، فكيف يمكن أن يخفى على ابن عمر حكم الرجلين حتى يمسح رجله عدّة سنين إلى أن ينكر عليه النبى المسح؟! على أن للرواية معنى آخر تؤيده بعض المأثورات، فقد روى أن قوماً من أجلاف العرب، كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لذلك الوعيد (٢) ويؤيد ذلك ما يوصف به بعض الأعراب بقولهم: بوال على عقيب، وعلى فرض كون المراد ما ذكره البخارى، فلا تقاوم الرواية نص الكتاب .

١ . صحيح البخارى ج ١ كتاب العلم ص ١٨ باب من رفع صوته، الحديث ١ .

٢ . مجمع البيان ٢ / ١٦٧ . (٣٩٤)

٤- روى ابن ماجه القزوينى عن أبى إسحاق عن أبى حية، قال: رأيت علياً توضأ فغسل قدميه إلى الكعبين ثم قال: أردت أن أرىكم طهور نبيكم (١) . يلاحظ عليه: أن أباً حية مجهول لا يعرف، ونقله عنه أبو إسحاق الهذلى شاخ ونسى واختلط وترك الناس روايته (٢) أضف إليه أنه يعارض ما رواه عنه أهل بيته، وأئمة أهل بيته، خصوصاً من لازمه في حياته وهو ابن عباس كما مرّ .

٥- قال صاحب المنار: وأقوى الحجج اللفظية على الامامية جعل الكعبين غاية طهارة الرجلين وهذا لا يحصل إلا باستيعابهما بالماء، لأن الكعبين هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل . يلاحظ عليه: أننا نفترض أن المراد من الكعبين هو ما ذكره، لكن نسأله: لماذا لا تحصل تلك الغاية إلا باستيعابهما بالماء؟ مع أنه يمكن تحصيل تلك الغاية بمسحهما بالندوة المتبقية فى اليد، والاختبار سهل، فها نحن من الذين يمسحون الأرجل إلى العظمين الناتئين بنداوة اليد ولا نرى فى العمل اعضالاً وعسراً .

٦- الامامية يمسحون ظاهر القدم إلى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم، ويقولون هو الكعب، ففى الرجل كعب واحد على رأيهم، فلو صحّ هذا لقال إلى الكعاب كما قال فى اليدين إلى المرافق (٣) . يلاحظ عليه: إن المشهور بين الامامية هو تفسير الكعب بقية القدم التى هى معقد الشراك، وهناك من يذهب إلى أن المراد هو المفصل بين الساق والقدم وذهب قليل منهم إلى أن المراد هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل وعلى كل تقدير، يصح

١ . سنن ابن ماجه ١ / ١٧٠ باب ما جاء فى غسل القدمين الحديث الأول .

٢ . لاحظ التعليقة لسنن ابن ماجه ١٧٠ وميزان الاعتدال للذهبي ٤ / ٥١٩، برقم ١٠١٣٨ و ص ٤٨٩ باب «أبو إسحاق» .

٣ . المنار ٦ / ٢٣٤ . (٣٩٥)

اطلاق الكعبين، وإن كان حدّ المسح هو معقد الشراك أو المفصل، فيكون المعنى «فامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين منكم» إذ لا شك أن كلّ مكلف يملك كعبين فى رجله . أضف إلى ذلك أنه لو صحّ التفسير بما ذكره يجب أن يوسع الممسوح ويحدّد بالعظمين الناتئين لا أن يبذل المسح بالغسل، وكأنه تخيل أن المسح بالندوة المتبقية فى اليد لا يتحقّق إليهما وتجفّ اليد قبل الوصول إليهما . ولعمري إن هذه اجتهادات واهية، وتخزّصات لا قيمة لها فى مقابل الذكر الحكيم . ٧- آخر ما عند صاحب المنار فى توجيه غسل

الأرجل هو التمسك بالمصالح، حيث قال: لا يعقل لإيجاب مسح ظاهر القدم باليد المبللة بالماء حكمة، بل هو خلاف حكمة الوضوء، لأن طروء الرطوبة القليلة على العضو الذي عليه غبار أو وسخ، يزيده وساخة، وينال اليد الماسحة حظ من هذه الوساخة. يلاحظ عليه: أن ما ذكره استحسان لا- يُعْرَج عليه مع وجود النص، فلا شك أن الأحكام الشرعية تابعة للمصالح الواقعية ولا يجب علينا أن نقف عليها، فأى مصلحة في المسح على الرأس ولو بمقدار اصبع أو اصبعين حتى قال الشافعي: إذا مسح الرجل باصبع واحدة أو بعض اصبع أو باطن كفه، أو أمر من يمسخ له أجزاء ذلك، وهناك كلمة قيمة للامام شرف الدين الموسوي تأتي بنصها، فقال: نحن نؤمن بأن الشارع المقدس لاحظ عباده في كل ما كلفهم به من أحكامه الشرعية، فلم يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم، ولم ينههم إلا عما فيه مفسدة لهم، لكنه مع ذلك لم يجعل شيئاً من مدارك تلك الأحكام منوطاً من حيث المصالح والمفاسد بآراء العباد، بل تعبدهم بأدلة قوية عينها لهم، فلم يجعل لهم مندوحة عنها إلى ما سواها. وأول تلك الأدلة الحكيمة كتاب الله عزوجل، وقد حكم بمسح الرؤوس والأرجل في الوضوء، (٣٩٦)

فلا مندوحة عن البخوع لحكمه، أما نقاء الأرجل من الدنس فلا يبد من احرازه قبل المسح عليها عملاً بأدلة خاصة دلت على اشتراط الطهارة في أعضاء الوضوء قبل الشروع فيه (١) ولعل غسل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - رجله - المدعى في أخبار الغسل - إنما كان من هذا الباب ولعله كان من باب التبرّد، أو كان من باب المبالغة في النظافة بعد الفراغ من الوضوء والله أعلم (٢).

١. ولذا ترى حفاة الشيعة والعمال منهم كأهل الحرث وأمثالهم وسائر من لا يبالون بطهارة أرجلهم في غير أوقات العبادة المشروطة بالطهارة، إذا أرادوا الوضوء غسلوا أرجلهم ثم توضّأوا فمسحوا عليها نقيته جافة.

٢. مسائل فقهية ٨٢.

(٣٩٧) المسألة التاسعة: عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة

صحابه النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - هم الذين رأوا النبي الأكرم وتشرفوا بكرامة الصحبة وبذل ليف من النفس والنفيس في نشر الإسلام حتى ضرب بجرانه وأتسع نطاقه. فشادوا بنيانه، ورفعوا قواعده بجهادهم المتواصل، وبلغوا ذروة المجد باستسهال المصاعب، فلولا بريق سيوفهم، وقوة سواعدهم، وخوضهم عباب المنايا، لما قام للدين عمود، ولا اخضر له عود. إن الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسيان عند المسلمين جميعاً، والشيعة خاصة، ولا يجوز لمسلم أن يحكم بأمر شرعي إلا بالرجوع إليهما. ولا يخالفهما إلا منافق أو تاجر بالدين. والكتاب والسنة يثنيان على الصحابة، ومن تلى آيات الذكر الحكيم حول (٣٩٨)

المهاجرين والذين أتبعوهم بإحسان (١) يغبط هؤلاء ويتمنى من صميم قلبه أن يكون أحدهم. ويدرك شأنهم، ومن استمع للآيات النازلة في المبايعين تحت الشجرة (٢) أو أصحاب سورة الفتح (٣) فاضت عيناه دموعاً من الشوق إلى هؤلاء الذين ركبوا الطريق، ومضوا، وتعاقدوا على المنيّة. فإذا كان هذا حال الصحابة في الذكر الحكيم فكيف يتجزأ مسلم على تكفير الصحابة ورميهم بالردة والزندقه أو تفسيقهم جميعاً. (سبحانك هذا بهتان عظيم). وكيف يستطيع أن يصور دعوة النبي ضئيلة الفائدة أو يتهمه بعدم النجاح في هداية قومه وارشاد أمتة وأنه لم يؤمن به إلا - شردمة قليلة لا- يتجاوزون عدد الأصابع وأن ما سواهم كانوا بين منافق ستر كفره بالتظاهر بالإيمان، أو مرتد على أدباره القهقري بعد رحلة النبي الأكرم. كيف يجوز لمسلم أن يصف دعوته ويقول: أنه لم يهتد ولم يثبت على الإسلام بعد مرور (٢٣) عاماً من الدعوة إلا ثلاثة أو سبعة أو عشرة. وأي شيعي واع ادعى ذلك؟ ومتى قال؟ وأين ذكره؟ إن هو إلا جزء من الدعايات الفارغة ضد الشيعة أثارها الأمويون في أعصارهم، ليسقطوا الشيعة من عيون المسلمين وتلقفتها أقلام المستأجرين لتمزيق الوحدة الإسلامية وفصم عرى الاخوة. وترى تلك الفرية في هذه الأيام في كتيب نشره الكاتب أبو الحسن الندوي أسماه بـ «صورتان متعارضتان». وهو يجترّ ذلك مرّة بعد أخرى يجتره صنائع الوهابية في المنطقه. نعم وردت روايات في ذلك ولكنها لا تكون مصدراً للعقيدة ولا تتخذ مقياساً

١ . التوبة: ١٠٠: (والذين اتبعوهم يا حسان...).

٢ . الفتح: ١٨: (لقد رضى الله عن المؤمنين...).

٣ . الفتح: ٢٩: (محمد رسول الله والذين معه...). (٣٩٩)

لها لأنها روايات آحاد لا تفيد علماً في مجال العقائد، وستوافيك دراسة متنها وسندها . إننا لو أحصينا المهتدين في عصر الرسول من بنى هاشم لتجاوز عددهم العشرات بدءاً من عمه أبي طالب ومروراً بصفيته عمته، وفاطمة بنت أسد، وبحمزة والعباس وجعفر وعقيل وطالب وعبيدة بن الحارث «شهيد بدر» وأبي سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وجعدة بن أبي هبيرة وأولادهم وزوجاتهم، وانتهاءً بعلي - عليه السلام - وأولاده وبناته وزوجته سيده نساء العالمين . أما الذين استشهدوا في عهد النبي الأكرم فهم يتجاوزون المئات ولا يشك أي مسلم في أنهم كانوا من المؤمنين الصادقين الذين حولهم الإسلام وأثر فيهم، وضربوا في حياتهم أروع الأمثلة في الإيمان والتوحيد والتضحية، بالغالي والرخيص، خدمة للمبدأ والعقيدة. ابتداءً من ياسر وزوجته سميّة أول شهيد وشهيدة في الإسلام وكان الرسول يقول لهم وهو يسمع أنينهم تحت سياط التعذيب: «صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة» (١) مروراً بمن توفى في مهجر الحبشة إلى شهداء بدر وأحد، وقد استشهد في معركة أحد سبعون صحابياً دفنهم النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - وصلى عليهم وكان يزورهم ويسلم عليهم، ثم شهداء سائر المعارك والغزوات حتى قال النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - في حق سعد بن معاذ شهيد غزوة الخندق: اهتز العرش لموته، وشهداء بئر معونة ويتراوح عدد الشهداء بين ٤٠ حسب رواية أنس بن مالك أو ٧٠ حسب رواية غيره، إلى غير ذلك من الأصحاب الصادقين الأجلاء الذين: (صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ

١ . السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٢٠ طبعة الحلبي .

(٤٠٠) قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (١)، (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَمَا بِهِمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (٢)، (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٣) .

أو ليست هذه الآيات تثبت نجاح النبي في دعوته، وأنه اجتمع حوله رجال صالحون ومخلصون فكيف يمكن رمي مسلم يتلو الذكر الحكيم ليل نهار باعتقاده بخيبة النبي الأكرم في دعوته وتهالكه في هداية أمته. إن الموقف الصحيح من الصحابة، هو ما جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - : «أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهاداتتين؟ وأين نظرائهم من اخوانهم الذين تعاهدوا على الميثة وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟ أوه على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه. أحيوا السنة وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه» (٤) . وليس ما جاء في هذه الخطبة فريداً في كلامه، فقد وصف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يوم صفين، يوم فرض عليه الصلح بقوله:

١ . الأحزاب / ٢٣ .

٢ . آل عمران / ١٧٣ .

٣ . الحشر / ٨ - ٩ .

٤ . نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢ . (٤٠١)

«ولقد كنّا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نقتل آباءنا وأبنائنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم وصبراً على مضمض الألم، وجدداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان انفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت،

وأُنزل علينا النصر، حتى استقرَّ الإسلام ملقياً جرائه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كُنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للايمان عود»(١). هذه كلمة الامام قائد الشيعة وامامهم أهل يجوز لمن يؤمن بإمامته أن يكفّر جميع صحابة النبي أو يفسقهم أو ينسبهم إلى الزندقة والالحاد أو الارتداد، من دون أن يقسمهم إلى أقسام ويصنّفهم اصنافاً ويذكر تقاسيم القرآن والسنة في حقهم؟ كلاً ولا، وهذا هو الامام علي بن الحسين يذكر في بعض أدعيته صحابة النبي ويقول: اللهم وأصحاب محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - خاصية الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء احسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في اظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظلّ قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاء لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم، اللهم واوصل التابعين

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٥٦ .

(٤٠٢)

لهم باحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا... (١). فإذا كان الحال كذلك، واتّفق الشيعة والسني على اطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كي يعد ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟ إنّ موضع الخلاف ليس إلا في نقطة واحدة وهي أنّ أهل السنة يقولون بأنّ كل من رأى النبي وعاشره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالة منذ اللقاء إلى يوم أدرج في كفه، ولو صدر منه قتل أو نهب أو زنا أو غير ذلك، محتجّين بما نسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. ولو تليت عليهم التواريخ المتضاربة يقولون بما ذكره الحسن البصري: اولئك الذين طهر الله سيوفنا عن دمائهم فلنظهر ألسنتنا عن أعراضهم. ولا أظن أنّ الحسن البصري يعتقد بما قال. وقد تدرّج بهذه الكلمة وصان بها نفسه عن هجمات الأمويين الذين كانوا يروجون عدالة الصحابة في جميع الأزمنة بل يلبسونهم ثوب العصمة، إلى حدّ كان القدح بالصحابي أشدّ من القدح برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فنفي العصمة عن النبي واتهامه بالذنب قبل بعثته وبعده كان أمراً سهلاً يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل به، وأمّا من نسب صغيرة أو كبيرة إلى صحابي فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلا فالقتل.. فإذا كان هذا هو محلّ النزاع أي عدالة الكل بلا استثناء أو تصنيفهم إلى مؤمن وفاسق ومثالي وعادي، إلى زاهد ومتوغّل في حبّ الدنيا، إلى عالم بالشرعية وعامل بها وجاهل لا يعرف منها إلا شيئاً طفيفاً، فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنة مجرّدين عن كل رأى مسبق لا النزول على العاطفة التي تحمل المسلم

١ . الصحيفة السجادية: الدعاء ٤ .

(٤٠٣)

على الحكم بنزاهة الصحابة كلّهم، ورفض ما خلفته الحوافز . ولأجل اماطة الستر عن وجه الحقيقة نذكر أموراً: الصحابة في القرآن الكريم:

١- إنّ القرآن الكريم يصنّف الصحابة إلى اصناف مختلفة، فهو يتكلّم عن السابقين الأولين، والمبايعين تحت الشجرة، والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم، وأصحاب الفتح، إلى غير ذلك من الأصناف المثالية، الذين ينشئ عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفي مقابل ذلك يذكر اصنافاً أخرى يجب أن لا- تغيب عن أذهاننا وتلك الأصناف هي التالية: ١- المنافقون المعروفون (١) . ٢- المنافقون المتسترون الذين لا يعرفهم النبي (٢) . ٣- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب (٣) . ٤- السّماعون لأهل الفتنة (٤) . ٥- المجموعة الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً (٥) . ٦- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر (٦) .

١. المنافقون / ١ .

٢. التوبة / ١٠١ .

٣. الأحزاب / ١١ .

٤. التوبة / ٤٥ - ٤٧ .

٥. التوبة / ١٠٢ .

٦. آل عمران / ١٥٤ . (٤٠٤)

٧- الفاسق أو الفساق الذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم (١) . ٨- المسلمون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم (٢) . ٩- المؤلف قلوبهم الذين يظهرون الإسلام ويتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم (٣) . ١٠- المؤلفون أمام الكفار (٤) . هذه الأصناف إذا انضمت إلى الأصناف المتقدمة، تعرب عن أن صحابة النبي الأكرم لم يكونوا على نمط واحد، بل كانوا مختلفين من حيث قوة الإيمان وضعفه، والقيام بالوظائف والتخلي عنها، فيجب اخضاعهم لميزان العدالة الذي توزن به أفعال جميع الناس، وعندئذ يتحقق أن الصحبة لا تعطى لصحابها منقبة إلا إذا كان أهلا لها، ومع ذلك فكيف يمكن رمي الجميع بسهم واحد واعطاء الدرجة الواحدة للجميع، وهذا هو رأى الشيعة فيهم، وهو نفس النتيجة التي يخرج بها الإنسان المتدبر للقرآن الكريم . ٢- إن الآيات التي تناولت المهاجرين والأنصار، وغيرهم بالمدح والثناء، لا تدل على أزيد من أنهم كانوا حين نزول القرآن مثلاً للفضل والفضيلة ولكن الأمور إنما تعتبر بخواتيمها، فيحكم عليهم - بعد نزول الآيات - بالصلاح والفلاح إذا بقوا على ما كانوا عليه من الصفات، وأما لو ثبت عن طريق السنة أو التاريخ الصحيح أنه صدر عن بعضهم ما لا تحمد عاقبته، فحينئذ لا مندوحة لنا إلا الحكم بذلك، ولا يعد مثل ذلك معارضاً للقرآن الكريم لأنه ناظر إلى أحوالهم في

١. الحجرات / ٦، السجدة / ١٨ .

٢. الحجرات / ١٤ .

٣. التوبة / ٦٠ .

٤. الأنفال / ١٥ - ١٦ . (٤٠٥)

ظروف خاصة، لافي جميع فصول حياتهم، فليس علينا رفع اليد عن السنة والتاريخ الصحيح بحجة أن القرآن الكريم مدحهم وأن الله رضى عنهم، لما عرفت من أن المقياس القاطع للقضاء هو دراسة جميع أحوالهم، فكم من مؤمن زلّ قدمه في الحياة، فعاد منافقاً، أو مرتدّاً، وكم من ضالّ شملته العناية الإلهية فبصر الطريق وصار رجلاً إلهياً، وبالجملة فمن ثبت عن طريق الدليل الصحيح انحرافه وزيغته عن الصراط المستقيم وشوب إيمانه بالظلم والعيث والفساد، فيؤخذ بما هو الثابت في ذينك المصدرين، وأما من لم يثبت زيغته فلا نتكلم في حقه بشيء سوى ما أمر الله به سبحانه من طلب الرحمة لهم حيث قال: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) (١) . ٣- ومن سوء الحظ أن شردمة قليلة من الصحابة، زلت أقدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمس دراسة أحوال هؤلاء القليلين، وتبيين مواقفهم، وانحرفهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقين، ولعل عدد المنحرفين (غير المنافقين) لا يتجاوز العشرة إلا بقليل . أفسوخ في ميزان النصفه رمى الشيعة بأنهم يكفرون الصحابة ويفسقونهم بحجة أنهم يدرسون حياة عدّة قليلة منهم ويذكرون مساوي أعمالهم، وما يؤخذ عليهم على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح . وما نسب إلى الحسن البصري فهو أولى بالاعراض عنه إذ لو كانت النجاة في ترك ذكرهم فلماذا اهتم ببيان أفعالهم وصفاتهم التاريخ المؤلف بيد السلف الصالح الذين كانوا يحترمون الصحابة مثلما يحترمهم الخلف، فلو كان الحق ترك التكلم فيهم واعذارهم بالاجتهاد، فلماذا وصف النبي الأكرم بعضهم بالارتداد، كما رواه

١. الحشر / ١٠ .

البخارى وغيره (١). وإذا دار الأمر بين كون القرآن أو النبي أسوء، أو الكلمة المأثورة عن الحسن البصرى، فالأول هو المتعين، ويضرب بالثاني عرض الجدار. الردة بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -:

بقيت هنا كلمة وهي: إذا كان موقف الشيعة وأئمتهم من الصحابة ما ذكر آنفاً فما معنى ما رواه أبو عمرو الكشى من أنه ارتد الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا ثلاثة. إذ لو صح ما ذكر، وجب الالتزام بأن النبي الأكرم لم ينجح في دعوته ولم تتخرج من مدرسته إلا قلائل لا يعتد بهم في مقابل ما ضحى به من النفس والنفس. والاجابة على هذا السؤال واضحة لمن تفحص عنها سنداً ومنتاً. فإن ما رواه لا يتجاوز السبع روايات. وهي بين ضعيف لا يعرج عليه، وموثق - حسب اصطلاح علماء الامامية في تصنيف الأحاديث - وصحيح قابلين للتأويل، ولا يدلان على الارتداد عن الدين، والخروج عن الإسلام بل يرميان إلى أمر آخر. أما الضعيف فهو ما رواه الكشى عن حمدويه وإبراهيم أبناء نصير قال: حدثنا محمد بن عثمان بن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة... (٢). وكفى في ضعفها وجود محمد بن عثمان في سنده وهو من المجاهيل. وما رواه أيضاً عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي

١. صحيح البخارى ٥ / ١١٨ - ١١٩ في تفسير سورة النور.

٢. رجال الكشى ١٢ الحديث ١. (٤٠٧)

قال: قال أبو جعفر - عليه السلام -: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان و أبوذر والمقداد (١). وكفى في ضعفها ان الكشى من اعلام القرن الرابع الهجرى القمري فلا يصح أن يروى عن علي بن الحكم سواء أكان المراد منه الأنبارى الراوى عن ابن عمير المتوفى عام ٢١٧ أو كان المراد الزبيرى الذى عدّه الشيخ من أصحاب الرضا - عليه السلام - المتوفى عام ٢٠٣. وما نقله أيضاً عن حمدويه بن نصير قال: حدثني محمد بن عيسى ومحمد ابن مسعود قال: حدثنا جبرئيل بن أحمد. قال: حدثنا محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن محمد بن البشير عن حدثه قال: ما بقى أحد إلا وقد جال جولاً إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زير الحديد (٢). والرواية ضعيفة بجبرئيل بن أحمد فأنه مجهول كما أنها مرسله فى آخرها. وأما الروايات الباقية فالموثق عبارة عما ورد فى سنده على بن الحسن بن فضال والثلاثة الباقية صحيحة ومن أراد الوقوف على اسنادها ومتونها فليرجع إلى رجال الكشى (٣). ومع ذلك كله فإن هذه الروايات لا - يحتج بها أبداً لجهات عديدة نشير إلى بعض منها. ١ - كيف يمكن أن يقال أنه ارتد الناس بعد رسول الله ولم يبق إلا ثلاثة تمسكوا بولايه على ولم يعدلوا عنها مع أن ابن قتيبة والطبرى رويان أن جماعة من

١. رجال الكشى ١٦ الحديث ١٣.

٢. رجال الكشى ١٦ الحديث ١١.

٣. رجال الكشى ١٣ الحديث ٣ - ٤ - ٦ و ٧. (٤٠٨)

بنى هاشم وغيرهم تحصنوا فى بيت على معترضين على ما آل إليه أمر السقيفة. ولم يتركوا بيت الامام إلا بعد التهديد والوعيد واضرام النار أمام البيت. وهذا يدل على أنه كان هناك جماعة مخلصين بقوا أوفياء لما تعهدوا به فى حياة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وإليك نص التاريخ. قال ابن قتيبة: «إن بنى هاشم اجتمعت عند بيعه الأنصار إلى على بن أبى طالب، ومعهم الزبير ابن العوام - رضى الله عنه -... (١). وقال فى موضع آخر: إن أبابكر - رضى الله عنه - تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند على - كرم الله وجهه - فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل به: يا ابا حفص ان فيها فاطمة فقال: وإن... (٢). وقال الطبرى: قال: أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف فعرث فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (٣). وقال ابن واضح الاخبارى: وتخلّف عن بيعه أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع على بن أبى طالب منهم

العباس بن عبدالمطلب، والفضل ابن العباس، والزيبر بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب وأبي بن كعب. فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة

١. الامامة والسياسة ١ / ١٠ - ١٢ .

٢. الامامة والسياسة ١ / ١٠ - ١٢ .

٣. تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢ . (٤٠٩)

ابن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبدالمطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً... (١). كل ذلك يشهد على أنه كان هناك أمة بقوا على ما كانوا عليه، في عصر الرسول الأعظم، ولم يغتروا بانثيال الأكتريه إلى غير ما كان الحق يدور مداره. وكيف يمكن ادعاء الردة لعامة الصحابة إلا القليل . ٢- كيف يمكن أن يقال ارتد الناس إلا ثلاثة مع أن الصدوق -رضى الله عنه- ذكر عدة من المنكرين للخلافة في أوائل الأمر وقد بلغ عددهم اثنا عشر رجلا من المهاجرين والأنصار وهم خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي ابن كعب، وعمار بن ياسر، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، وبريدة الأسلمي، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو هيثم ابن التيهان وغيره . ثم ذكر اعتراضاتهم على مسألة الخلافة واحداً بعد واحد (٢). ٣- إن وجود الاضطراب والاختلاف في عدد من استثناهم الامام يورث الشك في صحتها ففى بعضها «إلا ثلاثة» وفي البعض الآخر إلا سبعة وفي ثالث «إلا ستة» فإن التعارض وإن كان يمكن رفعه بالحمل على اختلافهم في درجات الايمان غير أنه على كل تقدير يوهن الرواية . ٤- كيف يمكن انكار ايمان اعلام من الصحابة مع اتفاق كلمة الشيعة والسنة على علو شأنهم كأمثال بلال الحبشي، وحجر بن عدي، واويس القرني، ومالك بن نويرة المقتول ظلماً على يد خالد بن الوليد، وعباس بن عبدالمطلب

١. تاريخ يعقوبى ٢ / ١٢٤ .

٢. الخصال: الشيخ الصدوق أبواب الاثنى عشر ٤٦١ - ٤٦٥ . (٤١٠)

وابنه حبر الأئمة وعشرات من أمثالهم، وقد عرفت أسماء المتخلفين عن بيعة أبي بكر فى كلام يعقوبى، أضف إلى ذلك ان رجال البيت الهاشمى كانوا على خط الامام ولم يتخلفوا عنه وإنما عمدوا سيوفهم اقتداءً بالامام لمصلحة عالية ذكرها فى بعض كلماته (١) . واقصى ما يمكن أن يقال فى حق هذه الروايات هو أنه ليس المراد من الارتداد، الكفر والضلال والرجوع إلى الجاهلية وإنما المراد عدم الوفاء بالعهد. الذى أخذ منهم فى غير واحد من المواقف وأهمها غدیر خم. ويؤيد ذلك: ما رواه وهب بن حفص عن ابى بصير عن أبى جعفر: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم - بعدما بويح أبو بكر - إلى على وقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، أنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هلّم يدك لنا يعك فوالله لنموتنّ قدامك. فقال على - عليه السلام - : إن كنتم صادقين فاغدوا غداً على محلّين. فحلق أمير المؤمنين وحلق سلمان وحلق مقداد وحلق أبوذر ولم يحلق غيرهم (٢). وهذه الرواية قرينة واضحة على أن المراد هو نصره الامام - عليه السلام - لأخذ الحق المغتصب فيكون المراد من الردة هو عدم القتال معه . ومما يؤيد ذلك أيضاً الرواية التى جاء فيها أن قلب المقداد بن الأسود كزبر الحديد، فهى وإن كانت ضعيفة السند، لكن فيها اشعار على ذلك لأن وصف قلب المقداد اشارة إلى ارادته القوية وثباته فى سبيل استرداد الخلافة . وظننى ان هذه الروايات صدرت من الغلاة والحشوية دعماً لأمر الولاية وتفانياً فى الاخلاص غافلين عن أنها تضاد القرآن الكريم وما روى عن

١. نهج البلاغة، قسم الرسائل برقم ٦٢ .

٢. لاحظ الرجال للكشى ١٤ الحديث ٧ من هذا الباب . (٤١١)

أمير المؤمنين وحفيده سيد الساجدين، من الثناء والمدح لعدّة من الصحابة. وهناك كلمة قيمة للعلامة السيد محسن الأمين العاملى

نذكر نصه وهو يمثل عقيدة الشيعة فقال: وقالت الشيعة حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم ولا يتحتم الحكم بها بمجرد الصحبة وهي لقاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مؤمناً به ومات على الإسلام. وإن ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته، لزمنا له من التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وبسر بن أرطاة وبعض بنى أمية وأعوانهم، ومن جهلنا حاله في العدالة توقفنا في قبول روايته. ومما يمكن أن يذكر في المقام إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - توفي ومن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف إنسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر في الاصابة عن أبي زرعة الرازي: «وقيل مات - صلى الله عليه وآله وسلم - عن مائة وأربعة عشر ألف صحابي» ومن الممتنع عادة أن يكون هذا العدد في كثرته وتفترق أهوائه وكون النفوس البشرية مطبوعة على حب الشهوات كلهم قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعة عن صدور الكبائر، والاصرار على الصغائر بمجرد رؤية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والايان به، ونحن نعلم أن منهم من أسلم طوعاً ورجبة في الإسلام ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلفة قلوبهم، وما كانت هذه الأمية إلا كغيرها من الأمم التي جبلت على حب الشهوات وخلقت فيها الطباع القائدة إلى ذلك إن لم يردع رادع والكل من بنى آدم وقد صح عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخل أحدكم (٤١٢)

حجر ضب لدخلتموه». ولو منعت رؤية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الذي حصل من جماعة منهم كعبدالله بن جحش، وعبيدالله بن خطل، وربيع بن أمية بن خلف والأشعث بن قيس (١) وغيرهم. هذا مع ما شوهد من صدور أمور من بعضهم لا تتفق مع العدالة كالخروج على أئمة العدل، وشق عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسب والشتيم وحرب المسلمين وغشهم، والقاح الفتن والرغبة في الدنيا، والتراحم على الامارة والرئاسة وغير ذلك مما تكفلت به كتب الآثار والتواريخ وملا الخافقين. وأعمال مروان بن الحكم في خلافة عثمان معلومة مشهورة، وكذلك بسر بن أرطاة والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وكلهم من الصحابة (٢). وحصيلة البحث: إن موضع الاختلاف، ومصب النزاع ليس إلا - كون عدالة الصحابة قضية كلية، أو جزئية، فالسنة على الأولى والشيعة على الثانية وأما ما سواها من سب الصحابة ولعنهم، أو ارتدادهم عن الدين بعد رحلة الرسول أو عدم حجية رواياتهم على وجه الاطلاق فإنها تهم اموية ناصبية، اتهم بها شيعة آل محمد وهم برآء منها. ونعم الحكم الله. فالشيعة يعطون لكل ذي حق حقه، فيأخذون معالم دينهم عن ثقاء الصحابة، ولا يتكلمون في حق من لم يتعرفوا على حاله، ويحكمون على القسم الثالث على ضوء الكتاب والسنة. إن هناك رجالاً من السلف لا يجوز حبهم ولا يصح الترحم عليهم - حسب الموازين الشرعية -، منهم:

١. الثلاثة الأولون ارتدوا وماتوا على الردة، والأشعث ارتد فأتى به إلى أبي بكر - رضى الله عنه - أسيراً فعاد إلى الإسلام وزوجه أخته، وكانت عوراء فأولدها محمداً أحد قتلة الحسين - عليه السلام - .

٢. الأمين: أعيان الشيعة ١ / ١١٣ - ١١٤. (٤١٣)

١- معاوية بن أبي سفيان ويكفي في حقه ما ذكره الجاحظ في رسائله: قال في رسالته في بنى أمية والآثام التي اقترفوها: استوى معاوية على الملك، واستبد على بقتية أهل الشورى، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكيناه، وعلى منازل ما رتبناه، حتى رد قضية رسول الله رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً (١)، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار. أو ليس قتل حجر بن عدى واطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفيء واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراية، من جنس الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة، وسواء جحد الكتاب، ورد السنة إذا كانت في شهرة الكتاب وظهوره، وإلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه

أشد (٢). وقد أربت نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت: لا تستبه فإن له صحبة وسب معاوية بدعة، ومن بغضه فقد خالف السنة، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة (٣). ٢- عمرو بن العاص الذي ألب على عثمان وشيّر بقتله، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه من كان من أشد المدافعين عنه، وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء

١. إشارة إلى استلحاق زياد بن أبيه وليد فراش غير أبي سفيان .

٢. أي رد السنة مثل رد الكتاب إذا بلغت السنة في الشهرة، شهرة الكتاب .

٣. الجاحظ: رسائل الجاحظ ٢٩٤ طبع مصر . (٤١٤)

عنه وتعجيل قتله. كل ذلك كان من ابن العاص حباً بخراج مصر، لا بعثمان ولا بمعاوية أيضاً، والعجب أن الرسول تتبأ بذلك وصرح بأنهما لا يجتمعان إلا على غدر (١). ٣- يزيد الخليفة المستهتر خليفة معاوية الذي ولي ثلاث سنين بعده، فقتل في الأولى الحسين، وفي الثانية أغار على المدينة وقتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى وأباح أعراضهم، وفي الثالثة رمى الكعبة (٢) وكفى في كفره وإحاده جهره بقول ابن الزبير: لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحى نزل ٤- مروان بن الحكم الذي كان من أشد الناس بغضاً لأهل البيت. قال ابن حجر: ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم (٣). روى الحاكم أن عبدالرحمان بن عوف - رضى الله عنه - قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو وزع بن الوزع، الملعون بن الملعون (٤). ٥- الوليد بن عقبة شارب الخمر، والزائد في الفريضة (٥). ٦- عبدالله سعد بن أبي سرح الذي أهدر النبي دمه (٦). ٧- الوليد بن يزيد بن عبدالملك الذي يخاطب كتاب الله العزيز بعد أن ألقاه

١. ابن حجر: تطهير الجنان ١٠٢، المطبوع على هامش الصواعق المحرقة .

٢. ابن الجوزي: تذكرة الخواص، فصل يزيد بن معاوية ٢٥٧ .

٣. ابن حجر: الصواعق المحرقة .

٤. الحاكم: المستدرک ٤ / ٤٧٩ .

٥. البلاذري: الانساب ٥ / ٣٣ وأحمد بن حنبل: المسند ١ / ١٤٤ .

٦. الطبري: التاريخ، الجزء ٣ / ٢٩٥، فصل: ذكر الخبر عن فتح . (٤١٥)

ورماه بالسهام بقوله: تهذدني بجبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد إذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مرقني الوليد (١) هؤلاء وأضرابهم، هم الذين تتبرأ الشيعة منهم وتحكم عليهم بما حكم الله به عليهم. أفيصح تكفير الشيعة وتفسيقهم لأجل سب هؤلاء والتبري منهم . ويقول السيوطي: إن الوليد هذا كان فاسقاً خميراً لواطاً، راود أخاه سليمان عن نفسه ونكح زوجات أبيه (٢) . إلى غير ذلك من رجال العيث والفساد، أفيصح في ميزان العدل والنصف مؤاخذه الشيعة لأجل رفض هؤلاء الفسقة. الخارجين عن ولاية الله ودينه .

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥ / ١٠٧ .

٢. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ٩٧ . (٤١٦) (٤١٧) المسألة العاشرة: الالتزام بالسجدة على الأرض أو ما أنبتته

السجدة في الصلاة وغيرها، من مظاهر العبودية أمام المسجود له، ومن أركان الصلاة وفي بعض المأثورات «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده» فمهما أتى بالتذلل والخضوع كان أوقع وافضل في العبودية، فالسجود على التراب والرمل والحجر والحصى أبين لبيان العبودية والتصاغر، من السجود على الحصر والبواري، فضلا عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الغالية والذهب والفضة، وإن كان الكل سجوداً، لكن العبودية تتجلى في الأول بما لا تتجلى في غيره . والامامية ملتزمة بالسجدة على الأرض في حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلا - إلى ما أثبت منها من الحصر والبواري بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس . ولا يرون الجسود على غيرهما صحيحاً في حال الصلاة أخذاً بالسنة المتواترة عن النبي الأكرم وأهل بيته وصحبه . وسيظهر - في ثنايا البحث - أن الالتزام بالسجود على

(٤١٨) الأرض أو

ما أنبتت، كانت هي السنّة بين الصحابة وإنّ العدول عنها حدث في الأزمنة المتأخّرة، ولأجل توضيح المقام نقدم أموراً: ١- اختلاف الفقهاء في شرائط المسجد عليه:

اتفق المسلمون على وجوب السجود في الصلاة في كل ركعة مرّتين، ولم يختلفوا في المسجد له فإنّه هو الله سبحانه الذي له يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً (١) وشعار كل مسلم قوله سبحانه: (لا- تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا- لِلْقَمَرِ واسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) (٢) وأنما اختلفوا في شروط المسجد عليه - أعني ما يضع الساجد جهته عليه - فالشيعة الامامية على أنّه يشترط أن يكون المسجد عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا- ملبوس كالحصر والبوارى، وما أشبه ذلك. وخالفهم في ذلك غيرهم من المذاهب وإليك نقل الآراء. قال الشيخ الطوسي (٣) وهو يبيّن آراء الفقهاء: لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتان مع الاختيار. وخالف جميع الفقهاء في ذلك وأجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك - إلى أن قال - : لا يجوز السجود على شيء هو حامل له ككور العمامة، وطرف الرداء، وكم القميص، وبه قال الشافعي، وروى ذلك عن علي - عليه الصلاة والسلام - وابن عمرو عبادة بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل، _____

١ . إشارة إلى قوله سبحانه: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَضالُّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) - الرعد / ١٥ - .

٢ . فضلت / ٣٧ .

٣ . من أعلام الشيعة في القرن الخامس صاحب التصانيف والمؤلّفات ولد ٣٨٥ توفّي عام ٤٦٠ من تلاميذ الشيخ المفيد ٣٣٦ - ٤١٣، والسيد الشريف المرتضى ٣٥٥ - ٤٣٦- رضى الله عنهم - . (٤١٩)

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التي عليه، أجزاءه، وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفرش يده ويسجد عليها أجزاءه لكنّه مكروه، وروى ذلك عن الحسن البصري (١). وقال العلامة الحلّي (٢) - وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه - : لا- يجوز السجود على ما ليس بارض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع، وأطبق الجمهور على الجواز . وقد اقتفت الشيعة في ذلك أئمّتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه في حديث الثقلين نكتفي بالترز القليل: روى الصدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبي عبد الله - عليه السلام - : أخبرني وعمّا يجوز السجود عليه، عمّا لا يجوز؟ قال: السجود لا يجوز إلا على الأرض، أو على ما أنبت الأرض إلا ما أكل أو لبس. فقال له: جعلت فداك ما العلّة في ذلك؟ قال: لأنّ السجود خضوع لله عزّ وجلّ فلا- ينبغى أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عزّ وجلّ، فلا ينبغى أن يضع جهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا لغرورها (٣). فلا- عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته إذا لم يكن مأكولاً ولا ملبوساً اقتداءً بأئمّتهم، على أنّ ما رواه أهل السنّة في المقام، _____

١ . الخلاف / ١ - ٣٥٧ - ٣٥٨ كتاب الصلاة، المسألة ١١٢ - ١١٣ .

٢ . الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي ٦٤٨ - ٧٢٦ وهو أستاذ الشيعة في قرن السابع لا يسمع الدهر بمثله إلا في فترات خاصة .

٣ . الوسائل ٣ الباب ١ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١، وهناك روايات بمضمونه. والكل يتضمّن أنّ الغاية من السجود التي هي التذلل لا تحصل بالسجود على غيرهما فلاحظ . (٤٢٠)

يدعم نظرية الشيعة وسيظهر لك فيما سيأتي من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح أنّ السنّة كانت هي السجود على الأرض، ثم جاءت الرخصة في الحصر والبوارى فقط، ولم يثبت الترخيص الآخر بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك . ٢- الفرق بين المسجد له والمسجد عليه:

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت، بدعة، ويتخيّل الحجر المسجد عليه، وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين المسجد له، والمسجد عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربة الموضوعه أمام المصلّي، وثناً يعبد المصلّي بوضع الجبهة عليه. ولكن

لاعتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرق بين الأمرين وزعم المسجود عليه، مسجوداً له، وقاس أمر الموحد، بأمر المشرك بحجة المشاركة في الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر مع أن الملاك هو الأخذ بالبواطن والضمائر، فالوثن عند الوثني معبود ومسجود له يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحد الذي يريد أن يصلّي في أظهار العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع لله سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر، والرمل والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلًا: أين التراب ورب الأرباب .

٣- السنة في السجود في عصر الرسول وبعده:

إن النبي الأكرم وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض مدة لا يستهان بها، متحملين شدة الرمضاء وغبار التراب ورطوبة الطين، طيلة أعوام. ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب وكور العمامة بل ولا على الحصر والبوارى والخمر، وأقصى ما كان عندهم لرفع الأذى عن الجبهة، هو تبريد الحصى بأكفهم ثم السجود (٤٢١)

عليها، وقد شكى بعضهم رسول الله من شدة الحر، فلم يجبه، إذ لم يكن له أن يبدل الأمر الإلهي من تلقاء نفسه، إلى أن ورد الرخصة بالسجود على الخمر والحصر فوسع الأمر للمسلمين لكن في اطار محدود، وعلى ضوء هذا فقد مرت في ذلك المجال على المسلمين مرحلتان لا غير: ١- ما كان الواجب فيها على المسلمين، السجود على الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصى والطين، ولم تكن هناك أية رخصة . ٢- المرحلة التي ورد فيها الرخصة بالسجود على نبات الأرض من الحصر والبوارى والخمر، تسهلاً للأمر، ورفعاً للحرج والمشقة ولم تكن هناك أية مرحلة أخرى توسع الأمر للمسلمين أكثر من ذلك كما يدعيه أهل السنة وإليك البيان: المرحلة الأولى: السجود على الأرض:

١- روى الفريقان عن النبي الأكرم أنه قال: «وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» (١) . والمتبادر من الحديث ان كل جزء من الأرض مسجود وطهور يشجد عليه ويُقصد للتيمم، وعلى ذلك فالأرض تقصد للجتهتين: للسجود تارة والتيمم أخرى. وأما تفسير الرواية بأن العبادة والسجود لله سبحانه لا يختص بمكان دون مكان، بل الأرض كلها مسجود للمسلمين بخلاف غيرهم حيث خصوا العبادة بالبيع والكنائس، فهذا المعنى ليس مغايراً لما ذكرناه، فإنه إذا كانت الأرض على وجه الاطلاق مسجداً للمصلّي فيكون لازمه كون الأرض كلها صالحة للعبادة، فما ذكر

١ . صحيح البخارى ١ / ٩١ كتاب التيمم الحديث ٢ وسنن البيهقي ٢ / ٤٣٣ باب: أينما أدركتكم الصلاة فصل فهو مسجود، ورواه غيرهما من أصحاب الصحاح والسنن .

(٤٢٢)

معنى التزامى لما ذكرناه، ويعرب عن كونه المراد ذكر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولين لـ «جعلت» والنتيجة هو توصيف الأرض بوصفين كونه مسجداً وكونه طهوراً، وهذا هو الذى فهمه الجصاص وقال: إن ما جعله من الأرض مسجداً هو الذى جعله طهوراً (١) . ومثله غيره من شراح الحديث . تبريد الحصى للسجود عليها:

٢- عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: كنت أصلى مع النبي الظهر، فأخذ قبضة من الحصى، فأجعلها فى كفى ثم أحولها إلى الكف الأخرى حتى تبرد ثم أضعها لجبيني حتى أسجد عليها من شدة الحر (٢) . وعلق عليه البيهقي بقوله: قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود (٣) . ونقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلاً أم منفصلاً جائزاً لكان أسهل من تبريد الحصى ولأمكن حمل منديل أو ما شابهه للسجود عليه . ٣- روى أنس قال: كنا مع رسول الله فى شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصباء فى يده فإذا برد وضعه وسجد عليه (٤) . ٤- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله شدة الرمضاء فى جباهنا

١ . احكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٨٩ نشر بيروت .

٢ . مسند أحمد ٣ / ٣٢٧ من حديث جابر وسنن البيهقي ١ / ٤٣٩ باب ما روى فى التعجيل بها فى شدة الحر .

٣. سنن البيهقي ١٠٥ / ٢ .

٤. السنن الكبرى ١٠٦ / ٢ . (٤٢٣)

وأكفنا فلم يشكنا (١) . ٥- قال ابن الاثير في معنى الحديث: إنهم لما شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم (٢) . هذه المأثورات تعرب عن أن السنّة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط حتى أن الرسول لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتصلة أو المنفصلة وهو - صلى الله عليه وآله وسلم - مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مس جباههم الأرض، وإن آذتهم شدة الحر . والذي يعرب عن التزام المسلمين بالسجود على الأرض وعن اصرار النبي الأكرم بوضع الجبهة عليها لا على الثياب المتصلة ككور العمامة أو المنفصلة كالمناديل والسجاجيد، ما روى من حديث الأمر بالترتيب في غير واحد من الروايات . الأمر بالترتيب:

٦- عن خالد الجهنى قال: رأى النبي صهيياً يسجد كأنه يتقى التراب فقال له: ترّب وجهك يا صهيب (٣) . ٧- والظاهر أن صهيياً كان يتقى عن الترتيب بالسجود على الثوب المتصل والمنفصل، ولا- أقل بالسجود على الحصر والبوارى والأحجار الصافية، وعلى كل تقدير، فالحديث شاهد على أفضلية السجود على التراب في مقابل السجود على _____

١. سنن البيهقي ١٠٥ / ٢ باب الكشف عن الجبهة .

٢. ابن الاثير: النهاية ٢ / ٤٩٧ مادة «شكى» .

٣. المتقى الهندي: كنز العمال ٧ / ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠ . (٤٢٤)

الحصى لما دل من جواز السجدة على الحصى في مقابل السجود على غير الأرض . ٨- روت أم سلمة - رضى الله عنها - رأى النبي غلاماً لنا يقال له «افلح» ينفخ إذا سجد، يا افلح ترّب (١) . ٩- وفي رواية: يا رباح ترّب وجهك (٢) . ١٠- روى أبو صالح قال: دخلت على أم سلمة، فدخل عليها ابن أخ لها فصلّى في بيتها ركعتين فلما سجد نفخ التراب، فقالت أم سلمة: ابن أخي؟! لا تنفخ، فإنّي سمعت رسول الله يقول لغلام له يقال له يسار - ونفخ - : ترّب وجهك لله (٣) . الأمر بحسر العمامة عن الجبهة:

١١- روى أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته (٤) . ١٢- روى عن علي أمير المؤمنين أنه قال: إذا كان أحدكم يصلّي فليحسر العمامة عن وجهه، يعنى حتى لا يسجد على كور العمامة (٥) . ١٣- روى صالح بن حيوان السبائي أن رسول الله رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله عن جبهته (٦) . ١٤- عن عياض بن عبدالله القرشي: رأى رسول الله رجلاً يسجد على كور _____

١. المتقى الهندي: كنز العمال ٧ / ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٦ .

٢. المصدر نفسه برقم ١٩٧٧٧ .

٣. المتقى الهندي كنز العمال ٧ / ٤٦٥، برقم ١٩٨١٠ ومسنّد أحمد ٦ / ٣٠١ .

٤. الطبقات الكبرى ١ / ١٥١ كما في السجود على الأرض ٤١ .

٥. منتخب كنز العمال المطبوع في هامش المسنّد ٣ / ١٩٤ .

٦. البيهقي: السنن الكبرى ١٠٥ / ٢ . (٤٢٥)

عمامته فأوماً بيده: ارفع عمامتك وأوماً إلى جبهته (١) . هذه الروايات تكشف عن أنه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلا السجود على الأرض ولم يكن هناك أي رخصه سوى تبريد الحصى ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبي بالترتيب، وحسر العمامة عن الجبهة . المرحلة الثانية: الترخيص في السجود على الخمر والحصر:

هذه الأحاديث والمأثورات الموثقة في الصحاح والمسائيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبي وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنهم كانوا لا يعدلون عنه وإن صعب الأمر واشتد الحر لكن هناك نصوص تعرب عن ترخيص النبي - بإحياء من الله

سبحانه إليه - السجود على ما أنبت الأرض، فسهل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الاصر والمشقة في الحر والبرد وفيما إذا كانت الأرض مبتلة، وإليك تلك النصوص : ١- عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلي على الخمرة (٢) . ٢- عن ابن عباس: كان رسول الله يصلي على الخمرة وفي لفظ: وكان النبي يصلي على الخمرة (٣) . ٣- عن عائشة: كان النبي يصلي على الخمرة (٤) .

١ . البيهقي: السنن الكبرى ٢ / ١٠٥ .

٢ . أبو نعيم الاصفهاني: ذكر أخبار اصفهان ٢ / ١٤١ .

٣ . مسند أحمد ١ / ٢٦٩ - ٣٠٣ - ٣٠٩ و ٣٥٨ .

٤ . مسند أحمد ٦ / ١٧٩ وفيه أيضاً قال للجارية وهو في المسجد: ناوليني الخمرة . (٤٢٦)

٤- عن أم سلمة: كان رسول الله يصلي على الخمرة (١) . ٥- عن ميمونة: ورسول الله يصلي على خمرته فإذا أصابني طرف ثوبه (٢) . ٦- عن أم سليم قالت: وكان يصلي الخمرة (٣) . ٧- عن عبد الله بن عمر: كان رسول الله يصلي على الخمر (٤) . السجود على الثياب لعذر:

قد عرفت المرحلتين الماضيتين ولو كان هناك مرحلة ثالثة فأنما مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أن هذا الترخيص جاء متأخراً عن المرحلتين لما عرفت أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يُجب شكوى الأصحاب من شدة الحر والرمضاء وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحر والأذى ولكن الباري عزّ اسمه رخص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة وإليك ما ورد في هذا المقام . ١- عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلينا مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثم سجد عليه . ٢- وفي صحيح البخاري: كنّا نصلّي مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر. فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، بسط ثوبه . ٣- وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلينا مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

١ . مسند أحمد ٦ / ٣٠٢ .

٢ . مسند أحمد ٦ / ٣٣١ - ٣٣٥ .

٣ . مسند أحمد ٦ / ٣٧٧ .

٤ . مسند أحمد ٢ / ٩٢ - ٩٨ . (٤٢٧)

فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر مكان السجود (١) . وهذه الرواية التي نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف الغطاء عن بعض ما روى في ذلك المجال الظاهر في جواز السجود على الثياب في حالة الاختيار أيضاً. وذلك لأن رواية أنس نص في اختصاص الجواز على حالة الضرورة، فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات وإليك بعض ما روى في هذا المجال . ١- عبد الله بن محرز عن أبي هريرة: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلي على كور عمامته (٢) . إن هذه الرواية مع أنها معارضة لما مرّ من نهى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن السجود عليه، محمولة على العذر والضرورة وقد صرح بذلك الشيخ البيهقي في سننه، حيث قال: قال الشيخ: «وأما ما روى في ذلك عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك وأصح ما روى في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب النبي (٣) . وقد روى عن ابن راشد: قال: رايت مكحولاً يسجد على عمامته فقلت: لم تسجد عليها؟ قال: أتقى البرد على أسناني (٤) . ٢- ما روى عن أنس: كنّا نصلّي مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيسجد

١ . صحيح البخاري ١ / ١٠١، صحيح مسلم ٢ / ١٠٩، مسند أحمد ١ / ١٠٠، السنن الكبرى ٢ / ١٠٦ .

٢ . كثر العمال ٨ / ١٣٠ برقم ٢٢٢٣٨ .

٣. البيهقي: السنن ٢ / ١٠٦ .

٤. المصنف لعبد الرزاق ١ / ٤٠٠ كما في سيرتنا وسنتنا، والسجدة على التربة ٩٣ . (٤٢٨)

أحدنا على ثوبه (١) . والرواية محمول على صورة العذر بقريته ما رويناها عنه، وبما رواه عنه البخاري: كُنَّا نَصَلِّي مع النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فِي شِدَّةِ الْحَرِّ فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يَمُكِّنَ وَجْهَهُ مِنَ الْأَرْضِ بَسَطَ ثُوبَهُ فَسَجَدَ عَلَيْهِ (٢) . وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ بِالظُّهَائِرِ سَجَدْنَا عَلَى ثِيَابِنَا اتِّقَاءَ الْحَرِّ (٣) . وَهَنَّاكَ رَوَايَاتٌ قَاصِرَةٌ الدَّلَالَةُ حَيْثُ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى عَلَى الْفُرُو . وَأَمَّا أَنَّهُ سَجَدَ عَلَيْهِ فَلَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَيْهِ . ٣- عن المغيرة بن شعبة: كان رسول الله يصلي على الحصى والفرو المدبوغة (٤) . والرواية مع كونها ضعيفة بيونس بن الحرث، ليست ظاهرة في السجود عليه. ولا ملازمة بين الصلاة على الفرو والسجدة عليه ولعله - صلى الله عليه وآله وسلم - وضع جبهته على الأرض أو ما ينبت منها وعلى فرض الملازمة لا تقاوم هي وما في معناها، ما سردناه من الروايات في المرحلتين الماضيتين . حصيلة البحث:

إن الناظر في الروايات يجد أنه مرّ على المسلمين مرحلتان أو مراحل ثلاثة ففي المرحلة الأولى كان الفرض السجود على الأرض ولم يُرَخَّصْ للمسلمين السجود على غيرها، وفي الثانية جاء الترخيص فيما تنبت الأرض وليست وراء هاتين

١. البيهقي السنن الكبرى ٢ / ١٠٦، باب من بسط ثوباً فسجد عليه .

٢. البخاري ٢ / ٦٤ كتاب الصلاة باب بسط الثوب في الصلاة للسجود .

٣. ابن الأثير: الجامع للأصول ٥ / ٤٦٨ برقم ٣٦٦٠ .

٤. أبو داود: السنن / باب ما جاء في الصلاة على الخمرة برقم ٣٣١ . (٤٢٩)

المرحلتين، مرحلة أخرى إلا جواز السجود على الثياب لعذر وضرورة فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود على الفرو وأمثاله مطلقاً، فمحمولة على الضرورة أو لا دلالة لها على السجود عليها بل غايتها الصلاة عليها . فاللازم على فقهاء أهل السنة إعادة النظر في هذه المسألة حتى يحيوا السنة ويميتوا البدعة. فإنّ الرائج في بلادهم هو افتراش المساجد بالسجاد، والسجود عليها. كما أنّ السائد هو السجود على كل شيء. من البسط المنسوجة من الصوف والوبر، والحرير، وطرف الثوب فإنّ هذا العمل حسب مامرّ من الروايات بدعة حدثت بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وكانت السنة غيرهما فلا عتب على الشيعة إذا ما تمسكوا بالسنة ولم يسجدوا إلا على الأرض وما أنبتت تبعاً للسنة النبوية والأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت . ما هو السر في اتّخاذ تربة طاهرة:

بقي هنا سؤال يطرحه اخواننا أهل السنة يقولون ما هو السر في اتّخاذ تربة طاهرة في السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها. وربما يتخيل البسطاء أنّ الشيعة يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربة ولكن المساكين لا يفرّقون بين السجود على التربة، والسجود لها وعلى أي تقدير فالاجابة عنها واضحة فإنّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربة طاهرة طيبة ليتيقن من طهارتها من أي أرض أخذت، من أي صقع من أرجاء العالم كانت، وهي كلّها في ذلك سواء . وليس هذا الالتزام إلاّ مثل التزام المصلّي بطهارة جسده وملبسه ومصلاه وأما سرّ الالتزام في اتّخاذ التربة هو أنّ الثقة بطهارة كل أرض يحل بها، ويتّخذها مسجداً لا تتأتّى له في كل موضع من المدن والرساتيق والفنادق والخانات ومحال المسافرين ومحطات وسائل السير والسفر ومهابط فئات الركاب ومنازل (٤٣٠)

الغرباء، أتى له ذلك وقد يحل بها كل إنسان من الفئة المسلمة وغيرها ومن أخلاط الناس الذين لا يباليون ولا يكثرثون لأمر الدين في موضوع الطهارة والنجاسة . فإى مانع من أن يحتاط المسلم في دينه، ويتّخذ معه تربة طاهرة يطمئن بها وبطهارتها يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجدة على الرجاسة والنجاسة، والأوساخ التي لا يتقرّب بها إلى الله قط ولا تجوز السنة السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ في طهارة أعضاء المصلّي ولباسه والنهي عن الصلاة في مواطن منها: المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومواطن الابل والأمر بتطهير المساجد وتطبيها (١) . وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها فقد روى أنّ التابعي الفقيه مسروق بن الأجدع المتوفى عام ٦٢ كان يصحب في أسفاره لنبه من المدينة

يسجد عليها كما أخرجه ابن أبي شيبه في كتابه المصنف باب من كان حمل في السفينة شيئاً يسجد عليه. فأخرج بإسنادين أن مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينة لبنه يسجد عليها (٢). إلى هنا تبين أن التزام الشيعة باتخاذ التربة مسجداً ليس إلا تسهيل الأمر للمصلّي في سفره وحضره عسى أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه وهذا كاذباً خالف المسلم تربة طاهرة لغاية التيمم عليه. وأما السر في التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينية فأنما هو من

١. العلامة الأميني: سيرتنا وستتنا ١٥٨ - ١٥٩.

٢. أبو بكر بن أبي شيبه: المصنف ١ / ٤٠٠ كما في السجدة على التربة ٩٣. (٤٣١)

جهة الأغراض العالية والمقاصد السامية منها، أن يتذكر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد. ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده» فيناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية أولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحق، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحترق هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة ولعل هذا هو المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر فيكون حينئذ في السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب (١). وقال العلامة الأميني: نحن نتخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنه من تربة المدينة المنورة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلم السنة بها، وحاشاه من البدعة. فليس في ذلك أي حزازة وتعسف أو شيء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنة الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - أو خروج من حكم العقل والاعتبار. وليس اتخاذ تربة كربلاء مسجداً لدى الشيعة من الفرض المحتّم ولا من واجب الشرع والدين ولا - ممّا أُلزمه المذهب ولا - يفرّق أي أحد منهم منذ أول يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض في جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم بأرائهم، وإن هو عندهم إلا استحسان عقلي ليس إلا، واختيار لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت وكثير من رجال

١. الأرض والتربة الحسينية ٢٤.

(٤٣٢)

المذهب يتخذون معهم في أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمره مثله ويسجدون عليه في صلواتهم (١). هذا الإمام اجمالى بهذه المسألة الفقهية والتفصيل موكول إلى محلّها وقد أغنانا عن ذلك ما سطره أعلام العصر وأكابرهم وأخص بالذكر منهم ١- المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ١٢٩٥ - ١٣٧٣ في كتابه الأرض والتربة الحسينية. ٢- العلامة الكبير الشيخ عبدالحسين الأميني مؤلف الغدير ١٣٢٠ - ١٣٩٠ فقد دون رسالة في هذا الموضوع طبع في آخر كتابه سيرتنا وستتنا. ٣- السجود على الأرض للعلامة الشيخ على الأحمدى - دام عزّه - فقد أجاد في التتبع والتحقيق. فما ذكرنا في هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم الله الماضين من علمائنا وحفظ الله الباقيين منهم.

١. سيرتنا وستتنا ١٦٦ - ١٦٧ طبع النجف الأشرف.

الفصل الحادي عشر في الأئمة الإثني عشر

الفصل الحادي عشر في الأئمة الإثني عشر (٤٣٤) (٤٣٥)

إن الشيعة الامامية هي الفرقة المعروفة بالإثني عشرية. فهم يعتقدون باثني عشر إماماً من بني هاشم وقد نصّ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على إمامتهم وقيادتهم واحداً بعد الآخر كما نصّ كل إمام على إمامه من بعده نصّاً يخلو من الابهام. وقد عرفت فيما مضى أنّه تضافر عن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - أنّه يملك هذه الأئمة اثنا عشر خليفة كعدد نقيب بني إسرائيل. وذكرنا هناك

أن هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلا على أئمة الشيعة والعترة الطاهرة «وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته وصاحب الكتاب وهم حملته» (١) فيلزم علينا معرفتهم، كيف وهم احد الثقلين اللذين تركهما الرسول، قدوة للأمة ونوراً على جبين الدهر. ونحن نعرض في هذا الفصل، موجزاً عن أحوالهم وحياتهم حتى يكون القارئ ملماً بهم عن كتب. ونعيد كلمتنا بأن الغرض هو الامام والايجاز بل الاشارة والالماح لا التفصيل والتطويل. وإلا فإن بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين —————

١. اقتباس مما ذكره أمين الاسلام الطبرسي في مقدمته كتابه إعلام الوري بأعلام الهدى ٣. (٤٣٦)

موسوعة كبيرة. وقد قام بذلك شطر كبير من علماء الإسلام ونحن نستضيئ من أنوار كلامهم فنقول: (٤٣٧) الامام الأول: الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -

إن الامام علي بن أبي طالب أشهر من أن يعرّف ولقد قام ليفي من السنة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات عن حياته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه وخطبه وقصار كلماته. وسياسته وحرابه مع النكاثين والقاسطين، فالأولى لنا الاكتفاء بهذا المقدار واحالة القارئ إلى تلك الموسوعات بيد أننا نكتفي هنا بذكر أوصافه الواردة في السنة فنقول: هو أميرالمؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغز المحجلين، وخاتم الوصيين، وأول القوم إيماناً، وأوفاهم بعهدالله، وأعظمهم مزية، وأقومهم بأمرالله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الايمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، الهاشمي، وليد الكعبة المشرفة ومطهرها من كل صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهي (٤٣٨)

(جامع الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠. كل من هذه الجمل الخمس عشر، كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ من أهل السنة (١). وكفى في حقه ما قاله رسول الله: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب» (٢). وقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: «من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتى، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال علياً بعدى، وليوال ولّيته، وليقتد بالأئمة من بعدى، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكذّبين بفضلهم، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتي» (٣). وقال الامام أحمد: ما لأحمد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلّي - رضى الله عنه - (٤). وقال الامام الرازي: من اتخذ علياً إماماً لدينه، فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه (٥). ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، لقول النبي: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (٦). وقال شبلي شمّيل: «الامام علي بن أبي طالب، عظيم العظماء، مسخه مفردة،

١. راجع مسند أحمد ١ / ٣٣١، ١٨٢ / ٥، ١٨٩ - حلية الأولياء ١ / ٦٢ - ٦٨، ولاحظ الغدير ٢ / ٣٣.

٢. الخطيب البغدادي التاريخ ٤ / ٤٠.

٣. أبو نعيم: حلية الأولياء ١ / ٨٦.

٤. ابن الجوزي الحنبلي: مناقب أحمد ١٦٣.

٥ و ٦ الرازي: التفسير ١ / ٢٠٧. (٤٣٩)

لم ير لها الشرق والغرب صورة طبق الأصل، لا قديماً ولا حديثاً» (١). وقال جورج جرداق: «وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله، وقلبه، ولسانه وذى فقاره» (٢). فصول حياته الخمسة:

إن الامام - عليه السلام - ولد في الكعبة بعد مضي ثلاثين عاماً من واقعة الفيل وفي الحقيقة ولد بعشر سنين قبل البعثة وتوفى في العام الأربعين من الهجرة فيكون عمره الشريف ثلاثة وستين عاماً. فلو أردنا أن نقسم حياته إلى فصول نجد أن هناك فصولا خمسة تشكل مجموع حياته - عليه السلام - . ١- حياته قبل البعثة وهي لا تتجاوز عن عشر سنين، وقد تكفله النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو

حين ذاك لا يتجاوز عمره عن أربعة أو خمسة سنين وجاء به إلى داره وعاش في بيته، وقد لازمه طيلة تلك الأعوام حتى الأيام التي كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يعتكف فيها في غار حراء كما هو المحقق في التاريخ . ٢- حياته بعد البعثة وقبل هجرة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى المدينة المنورة، ولقد هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي لا تزيد على ثلاثة عشر عاماً . ٣- حياته بعد الهجرة وقبل وفاة النبي الأكرم وهي عشر سنوات حافلة بالجهاد والتضحيات . ٤- حياته بعد رحلة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وقبل الخلافة وتبلغ _____

١ و ٢ . الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٣٧ - ٤٩ .

(٤٤٠)

٢٥ سنة ولقد قدّم خدمات ثقافية عظيمة للأمة خلالها. ولم تكن خالية عن الحوادث المريرة . ٥- حياته بعد الخلافة إلى شهادته في محراب مسجد الكوفة، وهي حافلة بحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين. ولقد أخذ بمقاليد الخلافة بعد أن صارت أموية. وبعد أن سلط عثمان بن أمية، على العباد والبلاد وسادت عبادة الدينار والدرهم وملا حب الدنيا قلوب كثير من الناس فسعى - عليه السلام - في اخراج الأمة من هذه الأزمة وارجاعهم إلى ما كانوا عليه في عصر النبي الأكرم. ولقى في طريق أمنيته ما لقي إلى أستشهد في محراب عبادته لشدة عدله . فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم بيعت حيا . وقد كتب حول حياة الإمام ما لا تعد ولا تحصى من الكتب والرسائل والموسوعات، فلا محيص، عن احالة القراء إليها غير أنا نشير هنا إلى بعض خصائصه. بعض خصائصه:

يطيب لى أن أشير إلى بعض خصائصه قياماً ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامة، فنقول: إن له خصائص لم يشترك فيها أحد: ١- السابق إلى الإسلام . ٢- ولد في الكعبة . ٣- تربى منذ صغره في حجر رسول الله . ٤- مؤاخاته مع النبي . ٥- إن النبي حمله حتى طرح الأصنام من الكعبة . ٦- إن ذريته رسول الله منه . ٧- إن النبي تفل في عينيه يوم خبير، ودعا له بأن لا يصيبه حر ولا قر . (٤٤١)

٨- إن حبه إيمان، وبغضه نفاق . ٩- إن النبي باهل النصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب . ١٠- بلغ سورة براءة عن النبي . ١١- إن النبي خصه يوم الغدير بالولاية . ١٢- أنه القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني» . ١٣- إن النبي خصه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه . ١٤- إن الناس جميعاً من أرباب الأديان وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ (١) . _____

١ . وقد استخرج هذه الخصائص الكاتب القدير محمد جواد مغنية في كتابه: الشيعة والتشيع ٢٣٤ .

(٤٤٢) (٤٤٣) الإمام الثاني أبو محمد الحسن بن علي - عليه السلام -

هو ثاني أئمة أهل البيت الطاهر وأول السبطين وسيد شباب أهل الجنة، ربحه رسول الله، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء أمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سيده نساء العالمين . ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة وهو أول أولاد علي وفاطمة - عليهما السلام - . نسب كان عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح عمودا وروى عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الحسن بن علي - عليهما السلام - . (١)

١ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥): ١٥١ - ١٥٢، وأعيان الشيعة ١ / ٥٦٢ .

(٤٤٤)

فلما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي: سمّه فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فجاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخرج إليه فقال: اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم. وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى. أشهر ألقابه: التقى والزكى والسبط . أما علمه فيكفى أنه كان يجلس في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويجمع الناس حوله فيتكلم ما يشفى غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الامام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى في تفسير الوسيط: أن رجلا

دخل إلى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل قال: أخبرني عن شاهد ومشهود: فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة. فتجاوزته إلى آخر غيره يحدث في المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود قال: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود يوم النحر. قال: فتجاوزهما إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود فقال: نعم أما الشاهد فرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعته عزوجل يقول: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (١) وقال تعالى: (ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ) (٢). فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس، وسأل عن الثاني فقالوا ابن عمر، وسأل عن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - (٣). وأما زهده فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنه قال - عليه السلام - : _____

١. الأحزاب / ٤٥ .

٢. هود / ١٠٣ .

٣. الفصول المهمة: ١٥٥ . (٤٤٥)

إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على قدميه. وروى عن الحافظ أبي نعيم في حليته أيضاً أنه - عليه السلام - خرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ماله وتصدق به. وكان - عليه السلام - من أزهده الناس في الدنيا ولذاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان - عليه السلام - يتمثل بهذا البيت شعراً: يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها * إن غتراراً بظلمة زائل حَمَقُ (١) وأما حلمه فقد روى ابن خلكان عن ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابةً منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتأ قلبي له بغضاً وحسداً علياً أن يكون له ابن مثله فصرت إليه وقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: أنا ابنه. قلت: فعل بك وبأبيك - اسبهما، فلما انقضى كلامي - قال لي: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آتيناك أو إلى حاجة عاوناك قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إليّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي (٢). وأما إمامته. فيكفي في ذلك ما صرح به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا... روت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين - عليه السلام - حين أوصى إلى ابنه الحسن - عليه السلام - وأشهد على وصيته الحسين _____

١. الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي ١٥٦ .

٢. وفيات الأعيان: ابن خلكان ٢ / ٦٨ . (٤٤٦) - عليه السلام - ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته؟ ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بني إنه أمرني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرت الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين - عليه السلام - فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي فاقرئه من رسول الله ومنّي السلام (١) .

روى أبو الفرج الاصفهاني أنه خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي - عليه السلام - وقال: قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفى هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يتاع بها خادماً لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه . ثم قال: أيها الناس من عرفني، فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن ابن محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عزوجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل

البيت الذين أذهب الله عنهم

١ . إعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ٢٠٧ - ٢٠٨ ومن أراد الوقوف على نصوص إمامته فعليه أن يرجع إلى الكافي ١ / ٢٩٧ واثبات الهداة ٢ / ٥٤٣ - ٥٦٨ فقد نقل: خمسة نصوص في المقام.

(٤٤٧)

الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسِيئَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا) (١) فاقتراف الحسن مودتنا أهل البيت . قال أبو مخنف عن رجالة: ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه (٢) . وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠ (٣) . ونقل عن أبي الفرج أنه نزل عن المنبر فرتب العمال وأمر الأعمراء ونظر في الأمور، وأنفذ عبدالله بن العباس إلى البصرة وأول شيء أحدثه أنه زاد في المقاتلة مائة مائة . وقد كان على أبوه فعل ذلك يوم الجمل وهو فعله يوم الاستخلاف فتبعه الخلفاء بعد ذلك (٤) . قال المفيد: فلما بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دس رجلا من حمير إلى الكوفة ورجلا من بنى القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه . وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بنى سليم فأخرج وضربت عنقه (٥) .

١ . الشورى / ٢٣ .

٢ . مقاتل الطالبين ٥٢ .

٣ . الإرشاد للمفيد ١٨٨ .

٤ . في رحاب أئمة أهل البيت للأمين العاملي ١٥ وما نقله عن أبي الفرج ليس موجوداً في النسخة المطبوعة المحققة على يد السيد أحمد صفر ولعله سقط من نسخته .

٥ . مقاتل الطالبين: ٥٢، الارشاد: للمفيد ١٨٨ - ١٨٩ . (٤٤٨)

ثم إنه استمرت المراسلات (١) بين الحسن ومعاوية وانجرت إلى حوادث مريرة إلى أن أدت إلى الصلح واضطر إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية . فعقدا صلحاً وإليك صورته . بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم . وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين غايته ولا لأحد من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، غائلة سوء سراً وجهاً ولا يخيف أحداً في أفق من الآفاق شهد عليه بذلك فلان وفلان وكفى بالله شهيداً (٢) . ولما تم الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إنني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون . ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي به (٣) .

١ . ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى مقاتل الطالبين ٥٣ إلى ٧٢ وبالامعان فيها وما أظهر أصحابه من التخاذل، يتضح سر صلح الامام وتنازله عن الخلافة فلم يطاع إلا أنه أتم الحجة عليهم ومن أراد التفصيل فليرجع إلى صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين .

٢ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ١٦٣ .

٣ . المفيد: الارشاد ١٩١ طبع النجف . (٤٤٩) شهادته: انصرف الحسن - رضى الله عنه - إلى المدينة فأقام بها، وأراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن علي فدرس إليه السم فمات منه .

أرسل معاوية إلى ابنه الأشعث: إني مزوجك بيزيد ابني علي أن تسمى الحسن ابن علي وبعث إليها بمائة ألف درهم فقبلت وسمت الحسن فسوغها المال ولم يزوجها منه (١). فلما دنى موته أوصى لأخيه الحسين - عليه السلام - وقال: إذا قضيت نحبي غسلني وكفني واحملني علي سريري إلى قبر جدّي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك بالله أقسم عليك أن لا تهرق في أمري محجمة دم. فلما حملوه إلى روضه رسول الله لم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونه عند جدّه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فتجمّعوا له ولبسوا السلاح ولحقتهم عائشة علي بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب وجعل مروان يقول: يا رب هيجاء هي خير من دعاء، ايدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبين أمية. ولأجل وصية الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد (٢). توفي الحسن وله من العمر ٤٧ وكانت سنة وفاته سنة ٥٠ من الهجرة النبوية. والعجب ان مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: أتحمل سريره أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن

١. مقاتل الطالبين ٧٣.

٢. كشف الغمة ١ / ٢٠٩ ومقاتل الطالبين ٧٤ - ٧٥. (٤٥٠)

حلمه الجبال (١). هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير مما يرجع إلى جوانب حياته خصوصاً ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تحف العقول (٢) فقد ذكر قسماً كبيراً من كلماته. ولما بلغ معاوية موت الحسن - عليه السلام - سجد و سجد من حوله وكبروا معه، ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما. فقال بعض الشعراء: أصبح اليوم ابن هند شامتا * ظاهر النخوة إذ مات الحسن يا ابن هند إن تذق كأس الردى * تك في الدهر كشيء لم يكن لست بالباقي فلا تشمت به * كل حي للمنايا مرتهن (٣)

١. مقاتل الطالبين ٤٦.

٢. الحراني، حسن بن شعبة: تحف العقول ٢٢٥ - ٢٣٦.

٣. في رحاب أئمة أهل البيت ٤٣. (٤٥١) الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - سيد الشهداء

هو ثالث أئمة أهل البيت الطاهر، وثاني السبطين، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وريحانتي المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم -، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيد الشهداء، وأمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . ولد في المدينة المنورة في الثالث من شعبان سنة ٣ أو ٤ من الهجرة ولما ولد جيئ به إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى واقام في اليسرى، فلما كان اليوم السابع سماه حسيناً. وعق عنه بكبش وأمر أن يخلق رأسه ويتصدق بوزن شعره فضة. كما فعلت بأخيه الحسن فامتثل أمه ما أمرها. (٤٥٢)

ولقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة وقيل يوم السبت. أدرك من حياة النبي الأكرم ٥ أو ٦ سنوات وعاش مع أبيه ٣٦ سنة. ومع أخيه ٤٦ سنة. إن حياة الامام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالحوادث، والاشارة فضلاً عن الاحاطة إلى كل ما يرجع إليه يحتاج إلى تأليف مفرد، فقد أغنانا في ذلك ما كتبه المؤلفون حول النصوص الواردة من جدّه وأبيه في حقّه، وحول علمه ومناظراته، حول خطبه وكتبه وقصار كلمه، حول فصاحته وبلاغته، حول مكارم أخلاقه وكرمه وجوده، وزهده وعبادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، حول أصحابه والرواة عنه، والجيل الذي تربى على يديه. كل ذلك ألّف حوله رسائل ومؤلفات وموسوعات. غير أن للحسين - عليه السلام - وراء ذلك، خصيصة أخرى، وهي كفاحه وجهاده الرسالي والسياسي الذي عُرف به، وصار شعاراً له بل مدرسة سياسية دينية، وأسوة وقدوة مدى أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثر في ضمير الأمة ووعيتها ويحرك العقول المتفتحة، والقلوب المستتيرة إلى التحرك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدة. وها نحن نقدم إليك نموذجاً من

غرر كلماته في ذلك المجال حتى تقف على كفاحه وجهاده أمام التيارات الالحادية والانهياري الخلقى . إباؤه للضميم ومعاودة الجور: لَمَّا توفى أخوه الحسن في العام الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه في حلهم وترحالهم وكان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون إليه ما يكون لأمر الناس مع الحسين - عليه السلام - ولقد كتب مروان (٤٥٣) ابن الحكم وهو عامل معاوية على المدينة أن رجالا من أهل العراق و وجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وأنه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا . ولَمَّا بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالته إلى الحسين وهذه نصها: أما بعد: فقد انتهت إلى أمور عنك إن كانت حقا فإني أرغب بك عنها، ولعمر الله أن من أعطى الله عهده و ميثاقه لجدير بالوفاء وأن أحق الناس بالوفاء من كان في خطر ك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله لها... (١) . ولَمَّا وصل الكتاب إلى الحسين بن علي كتب إليه رسالته مفصلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقبتس منه ما يلي . «ألست قاتل حجر بن عدى أخا كنده وأصحابه المصلين، العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفطعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جراه على الله واستخفافا بعهده. أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال . أولست المدعى زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : الوالد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تعمداً وتبعته هواك بغير

١ . الامامة والسياسة ١ / ١٦٣ .

(٤٥٤)

هدى من الله، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك. أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على دين علي - صلوات الله عليه - فكتبت إليه أن أقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف (١) . هذا هو الحسين وهذا هو إباؤه للضميم ودفاعه عن الحق ونصرتة للمظلومين في عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التي ضبطها التاريخ . رفضه البيعة ليزيد:

لَمَّا توفى معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين - عليه السلام - بالبيعة له فأنفذ الوليد إلى الحسين - عليه السلام - فاستدعاه فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم لحمل السلاح وقال: اجلسوا على الباب فإذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علي وصار - عليه السلام - إلى الوليد فعني الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين - عليه السلام - ثم قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية فقال الحسين - عليه السلام - : فنصبح ونرى في ذلك، فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى، فقال مروان: والله لئن فارقتك الساعة ولم يبايع لا - تقدر منه على مثلها أبداً حتى يكسر القتلى بينكم وبينه

١ . الامامة والسياسة ١ / ١٦٤ وبحار الأنوار ٤٤ / ٢١٣ .

(٤٥٥)

فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين - عليه السلام - وقال: أنت يابن الزرقاء تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت فخرج (١) . وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه فقال: أبا عبد الله إنني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد، فقال: وما ذاك قل أسمع، فقال: إنني أرشدك لبيعة يزيد فأنها خير لك في دينك وفي دنياك،

فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد، ثم قال: يا مروان أترشدني لبيعة يزيد. ويزيد رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزللاً، ولا ألومك فأنك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص ومن لعنه رسول الله، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد. إليك عنى يا عدو الله. فإنا أهل بيت رسول الله الحق فينا ينطق على ألسنتنا. وقد سمعت جدى رسول الله يقول: الخلافة محرمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء. فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أمروا فابتلاهم بانه يزيد (٢). ثم إن الحسين غادر المدينة إلى مكة. ولما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلا طالبيين منه مغادرته مكة إلى الكوفة وهذا نموذج من رسائلهم. «فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّده». ولما جاءت رسائل أهل الكوفة ترى كتب إليهم الحسين: أنه قد اجتمع رأى _____

١. الشيخ المفيد: الارشاد ٢٠٠ طبع النجف .

٢. الخوارزمي: مقتل الحسين ١ / ١٨٤ - ١٨٥. (٤٥٦)

ملائكم وذووا الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله فلعمري ما الامام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله (١). خرج الامام من مكة متوجّها إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله فقطع المنازل حتى نزل بمقربة من الكوفة وعند ذاك استقبله الحر بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيدالله بن زياد لاستقدامه مقبوضاً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الامام وخطب أصحابه وأصحاب الحر بقوله: أيها الناس! إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً حرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيري (٢). الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

إن الدافع الظاهرى لهجرته إلى العراق، وإن كانت رسائل أهل الكوفة ورسولهم حتى أن الامام احتجّ بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحى وعمر بن سعد عندما سألاه عن سر مجيئه إلى العراق فقال: ما أتتني إلا رسل القوم ورسائلهم (٣) ولكن هذا الدافع كان أمراً ظاهرياً وكان وراء ذلك سر آخر لهجرته _____

١. الارشاد ٢٠٤ .

٢. الطبرى: التاريخ ج ٤، حوادث سنة ٦١، ص ٣٠٤، وأما ما جرى على الامام وأهل بيته حتى نزل أرض كربلا فراجع المقاتل .

٣. الارشاد ٢٢٤ - ٢٢٥. (٤٥٧)

يكشفه من قرأ وتمعن في حياته منذ ولادته إلى شهادته وعند ذلك سيخذ موقفاً آخر. وهو أنه ما هاجر من الحجاز إلى العراق إلا وقد وطن نفسه للشهادة والتضحية لأجل بقاء الإسلام واصلاح أمر الأمة وفضح أعدائهما. إن الدافع الحقيقى للامام إلى الثورة والتضحية بالنفس والنفس هو شعوره الدينى بأن السلطة وسياستها العامة لا تلتزم بالمبادئ الدينية وأنها بيد من يشرب الخمر ويلعب بالكلاب ويمارس الفسق والفجور ليله ونهاره، فلو دامت السلطة على هذه الحال لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولأجل ذلك لما طلب مروان بن الحكم مبايعة الامام ليزيد، قال: فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد كما عرفت . إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: صنّفان من أمّيتي إذا صلحا صلحت أمّيتي وإذا فسدا فسدت أمّيتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأمرء (١)، فإذا كان صلاح الأمة وفسادها رهن صلاح الخلفاء وفسادها فقيادة مثل يزيد لا يزيد الأمر إلا عيئاً وفساداً . إن القيادة الإسلامية بين التنصيب والشورى فلم يملك يزيد السلطة لا بتنصيب من الله سبحانه ولا بشورى من الأمة وقد وقف على ذلك أعلامهم، ولأجل ذلك كتبوا إلى الحسين - عليه السلام - فى رسالة جاء فيها: أما بعد فالحمد لله الذى قسم عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها (٢) . ولم يكن الولد

(يزيد) فريداً في غضب حق الأمة بل سبقه والده معاوية إليه

١. القمي: سفينة البحار ٢ / ٣٠ مادة أمر .

٢. الجزري الكامل ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ والأرشاد ٢٠٣ . (٤٥٨)

كما أشار إليه الامام في كتابه إليه وقال: «فقد آن لك أن تتفجع باللمح الباصر، من عيان الأمور، وقد سلك مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اخترن دونك فراراً من الحق» (١). هذا ونظائره المذكورة في التاريخ دفع الحسين إلى الثورة، وتقديم نفسه وأهل بيته إلى المجزرة مع العلم بأنه لا ينجح في ثورته نجاحاً ظاهرياً ولا يغلب على العدو بالسيف والقوة، لكن كان يقف على أن شجرة الإسلام ستنمو بدمه الطاهر، وأن مصباحه سيتوقد بدماء أهل بيته وأصحابه، وأن الأمة ستتخذ من تلك الثورة دروساً وعبراً حتى قيام الساعة. وإليك ما يدل على أن الإمام خاض المعركة مع العلم بأنه سيقتل ويستشهد. كان المعروف منذ ولادة الامام الحسين - عليه السلام - أنه سيستشهد في العراق في أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك في عصر النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - ووصيته لذا كان الناس يتربصون حدوث تلك الفاجعة وإليك بعض ما يدل على ذلك مما يرجع إلى زمان خروجه . ١- روى غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الذي استشهد في كربلاء أنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس بن الحارث فقتل بها مع الحسين - عليه السلام - (٢) . ٢- إن أهل الخبرة والسياسة في عصر الإمام كانوا متفقين على أن الخروج

١. نهج البلاغة، قسم الكتب، برقم ٦٥ .

٢. الاصابة ١ / ٨١، برقم ٢٦٦ . (٤٥٩)

إلى العراق يشكّل خطراً كبيراً على حياة الامام - عليه السلام - وأهل بيته ولأجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصروا عليه عدم الخروج ويتمثل ذلك في كلام أخيه محمّد بن الحنفية، وابن عمّه ابن عباس، ونساء بنى عبدالمطلب ومع ذلك اعتذر لهم الامام وأفصح عن عزمه على الخروج (١) . ٣- لما عزم الإمام المسير إلى العراق خطب وقال: الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا الأقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء فيملائن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه. ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لحمته، بل هي مجموعته له في حظيرة القدس تتربهم عينه، وينجز لهم وعده ألا- ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله (٢) . ٤- لما بلغ عبدالله بن عمر ما عزم عليه الحسين - عليه السلام - دخل عليه فلامه في المسير ولما رآه مصراً عليه قبل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل (٣) . ٥- لما خرج الحسين - عليه السلام - في مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما أعجلك عن الموسم قال: لو لم أعجل لأخذت أخذاً فأخبرني يا فرزدق عما وراءك فقال: تركت الناس بالعراق،

١. لاحظ المحاورات التي جرت بين الامام وهؤلاء في الارشاد ٢٠١ - ٢٠٢ طبع النجف ومقاتل الطالبين ١٠٩، اللهوف ٢٠ طبع بغداد .

٢. اللهوف ٤١ طبع بغداد .

٣. تذكرة الخواص ٢١٧ - ٢١٨ . (٤٦٠)

قلوبهم معك، وسيوفهم مع بنى أمية. فاتق الله في نفسك (١) . ٦- لما أتى إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبدالله بن يقطر. قال لأصحابه: لقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس معه زمام، فتفرق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة نفر يسير ممن انضموا إليه «ومع ذلك فلما أصبح سار نحو الكوفة

فقال له شيخ من بني عكرمة يقال له عمر بن لوزان: أين تريد؟ فقال له الحسين - عليه السلام - : الكوفة، فقال الشيخ: أنشدك لَمَّا انصرفت فوالله ما تَقْدِمُ إلا على الأسنّة وحدّ السيوف فقال له الحسين: ليس يخفى علىّ الرأى وأنّ الله تعالى لا يغلب على أمره (٢). وفي نفس النص دلاله على أنّ الامام كان يتفرّس ما كان يتفرسه غيره وأنّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة التي كان المولى سبحانه كتبها إياه لأجل احياء الدين وهتك الأعداء، وايقاظ الأمة من سباتها حتّى يضحوا في طريق الدين بكل غال ورخيص . إلى غير ذلك من الشواهد والقرائن المتواترة، الدالة على أنّه كان من الواضح أنّ الامام لا ينجح في ثورته نجاحاً ظاهرياً ومع ذلك واصل طريقه إلى أن لقي عدوّه وضخى بنفسه وأهل بيته، كل ذلك لأجل ايقاظ ضمير الأمة، وفضح أعداء الإسلام ولقد أفصح عن هدفه عندما طلب منه الحر بن يزيد ترك المخاصمة وقال: فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ فقال له الحسين: أباالموت تخوّفني وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصره رسول الله فخوفه ابن عمّه .

١ . الارشاد ٢١٨، نفس المهموم ٩١ .

٢ . الارشاد ٢٢٣ . (٤٦١)

سأضى فما في الموت عار على الفتى * إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً وآسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مثبوراً وخالف مجرماً وإن عشت لم أندم، وإن متّ لم ألم * كفى بك ذلاً - أن تعيش وترغماً (١) ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين - عليه السلام - أثر كبير في ايقاظ شعور الأمة وتشجيعهم على الثورة ضدّ الحكومة الاموية التي اصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين، ولأجل ذلك توالى الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين في العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقّق هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الأساسي في سقوط الحكومة الاموية بعد زمان . ولقد أجاد من قال لولا نهضة الحسين - عليه السلام - وأصحابه - رضى الله عنه - يوم الطف لما قام للإسلام عمود ولا اخضر له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدنوه في أوّل عهده في لحده. فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين - عليه السلام - وأصحابه - رضى الله عنه - (٢) على ذلك الموقف، يقال فيه أنّ الإسلام محمّدي الحدوث حسيني البقاء والخلود . وكيف يجوز لأبي الشهداء السكوت تجاه تسلّم يزيد مقاليد الخلافة وهو يقول: وعلى الإسلام السلام إذ بليت الأمة براع مثل يزيد. ويزيد هو الذي أنشد، حين حضر رأس الحسين بين يديه: ليت أشياخي بيدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلنا قتيل بدر فاعتدل فأهلوا واستهلوا فرحا * ثمّ قالوا: يا يزيد لاتشل

١ . المفيد: الارشاد ٢٢٥ والطبري في تاريخه ٥ / ٢٠٤ .

٢ . جنه المأوى ٢٠٨ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء . (٤٦٢)

لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل لعبت هاشم بالملك فلا * خير به جاء ولا وحي نزل (١) وأما بيان خروجه من مكة متوجّهاً إلى العراق والحوادث التي واجهها في المسير إلى أن نزل بأرض كربلاء، واستشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ٧٢ شخصاً، ظمناً وعطشاً، لهو خارج عن موضوع البحث وقد أُلّف فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات. فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم بيعث حيا .

١ . البيتان الأوّلان لابن الزبيري، والثلاثة الأخيرة ليزيد لاحظ تذكّره الخواص ٢٣٥ . (٤٦٣) الإمام الرابع: على بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - زين العابدين

هو رابع أئمّة أهل البيت الطاهر. المشهور بزین العابدين أو سيّدهم، والسجّاد، وذو الثنّات. ولد في المدينة سنة ٣٨ أو ٣٧ وتوفّي بها عام ٩٥ أو ٩٤ يوم السبت ١٢ من محرّم . قال ابن خلكان: هو أحد الأئمّة الإثني عشر ومن سادات التابعين، قال الزهري: ما رايت قرشياً أفضل منه، وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصي وتذكر، ولَمَّا توفّي دفن في البقيع في جنب عمّه الحسن في القبّة التي فيها قبر العباس - رضی الله عنه - (١). ومن أراد الاطلاع على مناقبه وكراماته وفضائله في مجالات شتى كالعلم ،

١. وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٩ .

(٤٦٤)

والحلم، والصفح، ومقابلة الاساءة بالاحسان، والشجاعة، وقوة القلب، وثبات الجنان، والجرأة، والكرم والسخاء، وكثرة الصدقات، وعتق العبيد، والفصاحة والبلاغة، والورع والتقوى والعبادة وتربية صفوة جليله من الأعلام وايصالهم إلى القمة في العلم والعمل من الذين يُسَيِّدُ بهم الغمام وكثرة البرِّ بأمه والرفق بالحيوان وهيبته وعظمته في أعين الناس وغير ذلك فعليه الرجوع إلى الموسوعات . ونكتفي بأمور: ١- إيصال الحسين إليه في أمر الامامة . ٢- زهده وعبادته ومواساته للفقراء . ٣- هيبته وعظمته . ٤- ما تركه من الثروة العلمية من الأدعية والمناجاة . أمّا إيصال الحسين له، فقد تكفل لذكره كتب الحديث والعقائد، وأخص بالذكر، الكافي للكليني (١) وإثبات الهداة للحر العاملي (٢) . وأمّا هيبته ومكانته في القلوب، فاستمع ما يلي: لَمَّا حَجَّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه، وجاء على بن الحسين - عليهما السلام - فتوقف له الناس، وتنحوا حتى استلم فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا- أعرفه (مع أنه كان يعرفه أنه على بن الحسين - عليهما السلام -) فسمعه الفرزدق، فقال: لَكُنِّي أعرفه، هذا على بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التي منها هذه الأبيات .

١ . الكافي ٣٠٣ .

٢ . إثبات الهداة ٣ / ١ - ٥ . (٤٦٥)

هذا المذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم إذا رآته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم إن عِدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا وليس قولك من هذا بضائه * العرب تعرف من أنكرت والعجم إلى آخر القصيدة التي حفظتها الأمة وشطرها جماعة من الشعراء وقد ثقل ذلك هشاماً فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكة والمدينة. فقال معترضاً على عمل هشام: أيعبسنى بين المدينة والتي * إليها قلوب الناس يهوى منيها يقبل رأساً لم يكن رأس سيد * وعيناً له حواء باد عيوبها فأخرجه من الحبس فوجه إليه على بن الحسين - عليهما السلام - عشرة آلاف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلا لله، فقال له على - عليه السلام - : قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكننا أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه وأقسم عليه قبلها . أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من الله فغنى عن البيان كان على بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: أتدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقف . ومن كلماته: أن قوماً عبدوا الله رياضة فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوه رغبة، فتلك عبادة التجار، وأن قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار . وكان إذا أتاه سائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة . (٤٦٦)

وكان ينحل فلماً مات وجدوه يعول مائة من أهل بيت المدينة. وفي رواية لا يدرون من يأتيهم بالرزق لأنه يبعث به إليهم في الليل فلما مات على فقدوه، وفي رواية كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: صدقة السر تطفئ الرب، وفي رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين - عليه السلام - (١) . وقال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت رجلاً أروع من فلان - وسمى رجلاً - فقال له سعيد: أما رأيت على بن الحسين؟ فقال: لا، فقال: ما رأيت أروع منه. وقال الزهري: لم أر هاشمياً أفضل من على بن الحسين - عليه السلام - . وقال أبو حازم كذلك أيضاً: ما رأيت هاشمياً أفضل من على بن الحسين . وقال طاووس: رأيت على بن الحسين - عليهما السلام - ساجداً في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب لأسمعن ما يقول، فاصغيت إليه فسمعتة يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، فوالله ما دعوت بهن في كرب إلا كشف عني . وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشياً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبله، وكان يوماً خارجاً فلقه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم على: مهلا- كفوا، ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر،

الك حاجة نعينك عليها؟ فاستحي الرجل فالقى إليه على خميصه كانت عليه، وأمر له بألف درهم فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل (٢). _____

١ . تذكرة الخواص ٢٩٤ .

٢ . كشف الغمة ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٣ . (٤٦٧) الثروة العلمية للامام:

أما الثروة العلمية والعرفانية، فهي أدعيته التي رواها المحدثون باسنادهم المتضاهرة، المعروفة بالصحيفة السجادية المنتشرة في العالم فهي زبور آل محمّد، ومن الخسارة الفادحة، أن اخواننا أهل السنة إلاّ النادر القليل منهم غير واقفين على هذا الأثر القيم الخالد. وفصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلو مضامينها وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه، أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه - عليه السلام - وأنّ هذا الدر من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب وتعدّد أسانيد المتصلة إلى منشئها فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتصلة، إلى زين العابدين (١). وقد أرسل أحد الأعلام نسخة من الصحيفة مع رسالته إلى العلامة الشيخ الطنطاوي (ت ١٣٥٨) صاحب التفسير المعروف فكتب في جواب رسالته «ومن الشقاء إننا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد في موارث النبوة وأهل البيت وإنّي كلما تأملتّها رأيتها فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق» (٢). والمعروف بين الشيعة هو الصحيفة الأولى التي تتضمّن على أحد وستين دعاء في فنون الخير وأنواع السؤل من الله سبحانه وهي تعلّم الإنسان كيف يلجأ إلى ربه في الشدائد والمهمات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلل ويتضرّع له وكيف يحمّد ويشكر له غير أنّ لفيفا من العلماء استدرّكوا عليها فجمعوا _____

١ . في رحاب أئمّة أهل البيت ٣ / ٤١٤ .

٢ . مقدمة الصحيفة بقلم العلامة المرعشي - قدس سره - ٢٨ . (٤٦٨)

من شوارد أدعيته صحائف خمس أخيرتها ما جمعه العلامة السيد محسن الأمين العاملي - رضى الله عنه - . ولقد قام العلامة الحجة السيد محمّد باقر الأبطحي - دام ظله - بجمع جميع أدعية الامام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد وقال في مقدمته: وحرى بنا القول انّ أدعيته - عليه السلام - كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الاصلاحية التي قادها الامام - عليه السلام - في ذلك الظرف العصب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسدّدة أن يمنح أدعيته - إلى جانب روحها التعبديّة - محتويّاً اجتماعياً متعدّد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة فهو - عليه السلام - صاحب مدرسة إلهية، تارة يعلم المؤمن كيف يمجّد الله ويقدّسه، وكيف يلجج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه اسلوب البر بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثم يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي كل ذلك باسلوب تعليمي رائع وبلغ . وصفوة القول أنّها كانت اسلوباً مبتكراً في إيصال الفكر الاسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى القلوب الظمأى، والأفئدة التي تهوى إليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق علمية تربوية نموذجية من الطراز الأول، لأسس بناها الامام السجاد - عليه السلام - مستلهماً جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين (١). _____

١ . الصحيفة السجادية الجامعة ١٣ .

(٤٦٩) رسالة الحقوق:

إنّ للامام علي بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق أوردتها الصدوق في خصاله (١) بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة في تحف العقول (٢) مرسلًا، وبين النقلين اختلاف بالزيادة والنقيصة وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، فيذكر الامام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان وحقوق نفسه عليه وحقوق أعضائه من اللسان والسمع، والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج ثم يذكر

حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدى... يبلغ خمسين حقاً، آخرها حق الذمّة. روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته أحاديث عنه أوردتها الشيخ الحر العاملي في جامعه «وسائل الشيعة» كما أنّ له - عليه السلام - حكماً في مختلف أبواب الفقه، جمعها الشيخ الحسن الحراني في تحفه (٣) فلاحظ . الراون عنه:

ذكر الشيخ في رجاله الرواه عنه - عليه السلام - : ورّبها على حروف المعجم فبلغ ١٧٥، شخصاً (٤) وهم بين صحابي وتابعي - رضى الله عنهم - . قال ابن شهر آشوب: ومن رجاله من الصحابة جابر بن عبدالله الأنصاري، وعامر بن واثله الكنانى وسعد بن المسيب بن حزن، وسعيد بن جهان الكنانى مولى أم هانى... ومن التابعين أبو محمّد سعيد بن جبير مولى بنى أسد، ومحمّد _____

١ . الخصال ٥٦٤ - ٥٧٠ فى أبواب الخمسين .

٢ . تحف العقول ١٨٤ - ١٩٥ .

٣ . تحف العقول ١٨٠ - ٢٠٥ .

٤ . الشيخ الطوسى الرجال ٨١ - ١٠٢ . (٤٧٠)

ابن جبير بن مطعم، وأبو خالد الكابلي، والقاسم بن عوف، وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر، وإبراهيم والحسن ابنا محمّد بن الحنفية، وحبيب بن أبى ثابت، وأبو يحيى الأسدى وأبو حازم الأعرج وسلمة بن دينار المدنى الاقرن القاص . ومن أصحابه أبو حمزة الثمالى بقى إلى أيام موسى بن جعفر، وفرات بن أحنف بقى إلى زمان الصادق وجابر بن محمّد بن أبى بكر، وأيوب بن الحسن، وعلى بن رافع، وحמיד بن موسى الكوفى، وأبان بن تغلب، وأبو الفضل سدير ابن حكيم بن صهيب الصيرفى، وقيس بن رمانه، وعبدالله البرقى... (١) . قال الشيخ أبو زهرة: «فى بيت الامام زين العابدين نشأ زيد وتكوّنت ميوله، ومنازعه فى الحياة، واتّجاهاته وكان زين العابدين فقيهاً كما كان محدثاً، وكان له شبه بجده على بن أبى طالب فى قدرته على الاحاطة بالمسائل الفقيهية من كل جوانبها والتفريع عليها، وكان إذا رأى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك - إذ أنتم صغار قوم - أن تكونوا كبار قوم آخرين، وإذا جاء طالب علم، رَحّب به وقال: أنت وصيّ رسول الله إنّ طالب العلم لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلاّ سبّحت له الأرض إلى السابعة (٢) . يقول الكاتب محمّد جواد مغنیه: «وكان يحسن إلى من يسئ إليه، من ذلك أنّ هشام بن إسماعيل كان أميراً على المدينة وكان يتعمّد الإساءة إلى الامام وأهل بيته، ولما عزله الوليد، أمر أن يوقف للناس: فى الطريق العام ليقتصوا منه، _____

١ . المناقب ٤ / ١٧٤ طبع قم .

٢ . المقرّم: الامام زيد ٣١ . (٤٧١)

وكان لا يخاف أحداً كخوفه من الامام السجاد، ولكن الامام أوصى أهله وأصحابه أن لا يسيئوا إليه، وذهب إليه بنفسه، وقال له: لا بأس عليك منّا، وأية حاجة تعرض لك فعلينا قضاؤها (١) . _____

١ . محمّد جواد مغنیه: الشيعة والشيعة ٢٤٤ .

(٤٧٢) (٤٧٣) الامام الخامس: أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين - عليهم السلام - الباقر

هو خامس أئمّة أهل البيت، الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به بقره العلم وتفجير له. قال ابن منظور فى لسان العرب: لُقّب به لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه (١) وقال ابن حجر: سمّى بذلك لأنّه من بقر الأرض أى شقّها، وإثارة مخبّاتها، ومكّانها. فكذلك هو أظهر من مخبّات كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منظمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه (٢) _____

١ . لسان العرب ٤ / ٧٤ .

٢ . الصواعق المحرقة ٢٠١ . (٤٧٤)

قال ابن خلكان: أبو جعفر محمّد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الامامية وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالماً سيداً كبيراً وأما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم أى توسّع وفيه يقول الشاعر: يا باقر العلم لأهل التّقى * وخير من لبيّ على الأجل (١) ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ وقيل ٥٦ وتوفّي في السابع من ذى الحجة سنة ١١٤ وعمره الشريف ٥٧ سنة. عاش مع جدّه الحسين - عليه السلام - ٤ سنين ومع أبيه - عليه السلام - بعد جدّه - عليه السلام - تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدة إمامته - عليه السلام - ١٨ سنة (٢). وأمّا النصوص الدالّة على إمامته من أبيه وأجداده التي ذكرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني وغيره (٣). قال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من المدينة كان عالماً عابداً ثقة وروى عنه الأئمة أبو حنيفة وغيره. قال أبو يوسف: قلت لأبي حنيفة: لقيت محمّد بن علي الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوماً فقلت له: أراد الله المعاصي؟ فقال: أفيعصى قهراً؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جواباً أفحم منه. وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ويعنى الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه. وذكر المدائني: عن جابر بن عبد الله أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن علي إلى

١. وفيات الأعيان ٤ / ١٠٧٤.

٢. إعلام الوري بأعلام الهدى ٢٦٤ - ٢٦٥.

٣. الكافي ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦، اثبات الهداة ٣ / ٣٣ - ٣٥. (٤٧٥)

الكتاب وهو صغير فقال له: رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يسلم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام. وذكر ابن الصّبّاح المالكي بعد نقل القصّة قوله: إنّ النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لجابر: وإن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك في الدنيا قليل فلم يعيش جابر بعد ذلك إلا ثلاثة أيّام. ثم قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام وفضيلة شهد له بها الخاص والعام (١). وقال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رايت الحكم عنده كأنه متعلّم (٢). وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين - عليهما السلام - في علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيره وفنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر - عليه السلام - (٣). وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر كلامه الأخبار وأنشئت في مدائحه الأشعار... (٤). قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكاه علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلم عنه ألسنة

١. تذكرة الخواص لابن الجوزي ٣٠٢ - ٣٠٣، الفصول المهمة ٢١٥ - ٢١٦.

٢. كشف الغمة ٢ / ٣٢٩.

٣. الارشاد ٢٦١.

٤. الفصول المهمة ٢١٠ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد: ٢٦١ - ٢٦٢. (٤٧٦)

الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة (١). وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنها ولا حرج فقد جمعها العلامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج (٢). قال الشيخ المفيد في الارشاد: وجاءت الأخبار: أنّ نافع بن الأزرق (٣) جاء إلى محمّد بن علي فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر في عرض كلامه: قل لهذه المارقة بم استحللتم فراق أمير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته، فسيقولون له أنّه حكم في دين الله فقل لهم قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - رجلين من خلقه فقال: (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِضْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) (٤). وحكم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما أمضاه الله. أو

ما علمتم ان أمير المؤمنين انما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه، واشترط رد ما خالف القرآن في أحكام الرجال وقال حين قالوا له حكمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكمت مخلوقاً وانما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن، واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان؟ فقال: نافع بن الأزرق هذا والله كلام ما مَرَّ بسمعى قط ولا خطر منى ببال وهو الحق إن شاء الله (٥) .

١ . الصواعق المحرقة ٣٠١ .

٢ . الاحتجاج ٢ / ٥٤ - ٦٩ طبع النجف .

٣ . ولعل المناظر هو عبدالله بن نافع بن الأزرق، لأن نافع قتل عام ٦٥ من الهجرة وللإمام عندئذ من العمر دون العشرة وقد نقل ابن شهر آشوب بعض مناظرات الإمام مع عبدالله بن نافع فلاحظ المناقب ٤ / ٢٠١ .

٤ . النساء / ٣٥ .

٥ . الارشاد: ٢٦٥ . (٤٧٧) الراون عنه:

وقد روى بعض الصحابة وأكثر التابعين - عليه السلام - وقد نهلوا من معين علمه، وقد جمع الشيخ الطوسي أسماء من روى عنه من العلماء والحفاظ مبتدئاً بإبراهيم بن مناف الأسدي ومنتهاً بحبابة الواليه بلغ عددهم ٤٦٦ شخصاً. وقال ابن شهر آشوب بعد نقل كلام المفيد: فمن الصحابة نحو جابر بن عبدالله الأنصاري ومن التابعين جابر بن يزيد الجعفي، وكيسان السخيتاني صاحب العوفية. ومن الفقهاء نحو ابن مبارك، والزهرى، والأوزاعي وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وزيد بن منذر النهري. ومن المصنفين نحو الطبري والبلاذرى... (١) . ثم إن الشيعة الامامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده البار جعفر الصادق وحسب الترتيب المتداول في الكتب الفقهية وأما ما روى عنه في الحكم والمواعظ فقد نقلها أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء والحسن بن شعبة الحراني في تحفه (٢) . ثم إن الامام محمد الباقر توفى عام ١١٤ ودفن في جنب قبر أبيه في البقيع ومن أراد البحث عن فصول حياته في شتى المجالات فليراجع الموسوعات .

١ . المناقب ٤ / ١٩٥ ومن المعلوم أن المقصود هو الأعم ممن روى عن الإمام مباشرة أو مع الواسطة ولاحظ حلية الأولياء ٣ / ١٩٨ .

٢ . حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ - ٢٣٥ وفي بعض ما نقل عنه تأمل ونظر. والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ٢٨٤ - ٣٠٠ . (٤٧٨) (٤٧٩) الامام السادس: جعفر بن محمد - عليهما السلام - الصادق

هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الطاهر - رضى الله عنه - أجمعين ولقب بالصادق لصدقه في مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ٨٠ وتوفى عام ١٤٨ ودفن في البقيع جنب قبر أبيه محمد الباقر وجدّه عليّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن علي - رضى الله عنهم أجمعين - فلله درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه (١). وقال محمد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم وذو علوم جمة، وعبادة موفورة، وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتبع معانى القرآن الكريم،

١ . وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ رقم الترجمة ٣١ .

(٤٨٠)

ويستخرج من بحره، جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه، رؤيته تذكر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والافتداء بهداه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلاله النبوة، وطهارة أفعاله تصدع أنه من ذرية الرسالة. نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم. مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة وأبو أيوب السجستاني (١) وغيرهم وعدّوا أخذهم عنه منقبه شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها. وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر حتى ان من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الاحاطة بحكمها، تضاف إليها وتروى عنه (٢)

. وقال ابن الصباغ المالكي: كان جعفر الصادق - عليه السلام - من بين اخوته، خليفة أبيه، ووصيه والقائم بالامامة بعده، برز على جماعة بالفضل، وكان أنبهم ذكراً، وأجلهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث. وروى عنه جماعة. من أعيان الأئمة مثل يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وأبو عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة وأبو أيوب السجستاني وغيرهم (٣). _____

١. وفي الأصل أيوب السخيتاني والصحيح ما ذكرناه.

٢. كشف الغمة ٢ / ٣٦٨.

٣. الفصول المهمة ٢٢٢. (٤٨١)

إنك إذا تتبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلها تعرب عن اتفاق الأئمة على إمامته في العلم والقيادة الروحية وإن اختلفوا في كونه إماماً منصوباً من قبل الله عز وجل، فذهبت الشيعة إلى الثاني نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة في مظانها (١). إن الامام قام بهداية الأمة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الامويين ومعارضيه من العباسيين ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغل الامام الفرصة فنشر من أحاديث جده، وعلوم آبائه ما سارت إليه الركبان وتربى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاء. ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلاف آرائهم ومقالاتهم فكانوا أربعة آلاف رجل (٢) وهذه فضيلة رابية لم تكتب لأحد من الأئمة قبله ولا بعده. إن الامام - عليه السلام - قام بالتحديث عن جده وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣ (٣) وقد اختلط الصحيح بالضعيف وتسرب إلى السنة الاسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرترقة البلاط الاموي. وبالامام عرفوا الصحيح من الزائف، والحقيقة من الباطل فأخذوا عنه الحكم والأحاديث النبوية ولو نهلت الأمة من مناهل علمه وتركوا الروايات التي رواها الوضاعون والكذابين. لما ابتلت الأمة بمصائب الحديث التي تركها الرواة على جبين الدهر وترى كثيراً من هذه المصائب في الصحاح والمسانيد _____

١. لاحظ الكافي ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ وإثبات الهداة للحر العاملي ٥ / ٣٢٢ - ٣٣٠.

٢. الارشاد ٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٢٤٧.

٣. تاريخ الخلفاء للسيوطي، خلافة المنصور الدوانيقي فقد حدد تاريخ التدوين بسنة ١٤٣. (٤٨٢)

خصوصاً في صحيح البخاري. والعجب ان الامام البخاري، احتج بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطان وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم ولم يرو عن الامام الصادق - عليه السلام - . أما الأول فهو الوزغ ابن الوزع، اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله، وأما الثاني فهو الخارجي المعروف الذي أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأما الثالث فكان ينتقص علياً وينال منه ومع ذلك لم نجد رواية للبخاري عن الامام الصادق ونعم ما قال القائل: قضية أشبه بالمرزئة * هذا البخاري إمام الفئة بالصادق الصديق ما احتج في * صحيحه واحتج بالمرجئة ومثل عمران بن حطان أو * مروان وابن المرأة المخطئة مشكله ذات عوار إلى * حيرة أرباب النهي ملجئة ان الامام الصادق المجتبي * بفضل الآي أنت منبئة أجل من في عصره رتبة * لم يقترف في عمره سيئة قلامه من ظفر ابهامه * تعدل من مثل... مئة (١) إن للامام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث في الأحكام التي تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدون في عصره والمتقشفين من الصوفية ضبط المحققون كثيراً منها وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الامام - عليه السلام - أما الرواية عنه في الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ٣٠ ألف حديث. حتى ان الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) _____

١. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، كما في أعيان الشيعة ١ / ٦٦٧.

(٤٨٣)

تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني جعفر بن محمّد. (كان - عليه السلام - يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وحديث رسول الله قول الله عزّوجلّ) (١). وأما ما اثر عنه في المعارف والعقائد فحدّث عنه ولا حرج ولا يسعنا نقل حتّى القليل منه ومن اراد فليرجع إلى مظانّه (٢). وأمّا حكمه وقصار كلمه. فلاحظ تحف العقول. وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته الى النجاشي، والى الأهواز، ومنها رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال، ومنها ما أملاه في التوحيد للمفضل بن عمر إلى غير ذلك من الرسائل التي رسمها بخطه (٣). ولمّا توفّي الامام شيّعه عامّة الناس في المدينة وحمل إلى البقيع وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلي قوله: أقول وقد راوحا به يحملونه * على كاهل من حامله وعاتق أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى * ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق غداة حثا الحاثون فوق ضريحه * ترابا وأولى كان فوق المفارق فسلام الله عليه يوم يولد ويوم مات ويوم يبعث حيا .

١. الرجال للنجاشي ١٣٩ برقم ٧٩.

٢. الاحتجاج ٢ / ٦٩ - ١٥٥ والتوحيد للصدوق وقد بسطها على أبواب مختلفة .

٣. ولقد جمع أسماء هذه الرسائل السيد الأمين في أعيانه ١ / ٦٦٨ . (٤٨٤) (٤٨٥) الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر - عليهما السلام - الكاظم

سابع أئمّة أهل البيت الطاهر. ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ٧ صفر سنة ١٢٨ واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ١٨٣ ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية. يعرف بالعبد الصالح، وبالكاظم، والصابر، والأمين . هو الإمام الكبير القدر والأوحد الحجّة الحبر، الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما. قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدّم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلي الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولي (٤٨٦)

عهده والإمام القائم من بعده (١). إنّ الكلام في خلقه، وحلمه، وكظمه الغيظ، وفي مناقبه وفضائله، وفي تواضعه ومكارم أخلاقه، وكرمه وسخائه، وشدّة خوفه من الله سبحانه، وكثرة صدقاته، وأخباره مع الرشيد وأخيراً في القاء القبض عليه من قبله، وحبسه في ظلم السجون قرابة سبع سنين واستشهاده، يحتاج إلى تأليف مفرد قام به المحققون ونحن نترك البحث في جميع ذلك ونشير إلى بعض الجوانب خصوصاً في ما يتعلق بعلمه والذين تخرّجوا على يده من الشيعة والسنة حتّى يقف القارئ على أنّه إمام الكل. ١- روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - زائراً وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر ولمّا انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يابن عمّي - افتخاراً على من حوله - ، فدنى موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبة، فتغيّر وجه الرشيد وقال: هذا الفخريا أبا الحسن حقاً (٢). ٢- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنّ هارون كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فدكاً - وهو يمتنع عليه - ، فلما ألح عليه قال: ما آخذها إلّا بحدودها قال: وما حدودها؟ قال: الحد الأول عدن - فتغيّر وجه الرشيد - قال: والحد الثاني؟ قال: بسمرقند - فأربد وجهه - قال: والحد الثالث؟ قال: أفريقيا قال: والحد الرابع؟ قال: سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينيا فقال هارون: فلم يبق لنا شيء فتحول من

١. لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ١ / ٣٠٧ - ٣١١، إثبات الهداة ٣ / ١٥٦ - ١٧٠ فقد نقل في الأخير ٦٠ نصّاً على إمامته.

٢. وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٩ . (٤٨٧)

مجلسي فقال موسى: قد أعلمتكم أنّي إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله واستكفى أمره (١). ٣- كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثمّ يعقب حتّى تطلع الشمس ويخرّ لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس وكان يدعو كثيراً. فيقول: اللهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب، ويكرّر ذلك، وكان من دعائه - عليه السلام - : عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك وكان يبكي من خشية الله حتّى تخضل لحيته بالدموع وكان أوصل الناس لأهله

ورحمه وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والادقة والتمور فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أى جهة هو (٢). ٤- فى تحف العقول للحسن بن على بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت فى أيام أبى عبدالله الصادق - عليه السلام - فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست فى الدهليز أنتظر إذنه إذ خرج صبى فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: على رسلك. ثم جلس مستنداً إلى الحائط، ثم قال: توق شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها وضع حيث شئت، فأعجبني ما سمعت من الصبى فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. فقلت له: يا غلام ممن المعصية؟ فقال: إن السيئات لا تخلو من احدى ثلاث: إما أن تكون من الله وليست من العبد فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب، وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي

١. الزمخشري: ربيع الأبرار، كما فى أعيان الشيعة ٢ / ٨.

٢. المفيد: الارشاد ٢٩٦. (٤٨٨)

للشريك القوى أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد وهى منه، فإن عفا فكرمه وجوده وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته، قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبدالله واستغنيت بما سمعت. ورواه ابن شهر آشوب فى المناقب نحوه إلا أنه قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين الجار وقال: فلما سمعت هذا القول منه نبلى فى عيني، وعظم فى قلبى. وقال فى آخر الحديث: فقلت: ذرية بعضها من بعض (١). ٥- روى أبو الفرج الاصفهاني: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى من جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصره دنائير. وكان صراره ما بين الثلاثمائة وإلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلاً. وقال: إن رجلاً من آل عمر بن الخطاب كان يشتم على بن أبى طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثم مضى راكباً حتى قصده فى مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا. فلم يصغ إليه وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم، قال: فكم ترجو أن تريح؟ قال: لا أدري، قال: إنما سألتك كم ترجو. قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلم عليه وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته. وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج وسلم عليه ويقوم له. فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟ (٢).

١. تحف العقول ٣٠٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٣١٤.

٢. مقاتل الطالبين ٤٩٩ - ٥٠٠، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨. (٤٨٩)

٦- حكى ان الرشيد سأله يوماً: كيف قلتى نحن ذرية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنتم بنو على وإنما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأمّه؟ فقال الكاظم - عليه السلام -: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ) (١). وقال الله عز وجل: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ جَاءِكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...) (٢). ولم يدع - صلى الله عليه وآله وسلم - عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء (١). ٧- أما علمه واحديث عنه فقد روى عنه العلماء فى فنون العلم ما ملأ الكتب وكان يعرف بين الرواة بالعالم. وقد روى الناس عنه فأكثروا وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله (٢). وقد ذكر الشيخ الطوسى أسماء الرواة عنه فى رجاله فبلغ عددهم مائتين واثنين وستين شخصاً وقام الزميل المتتبع الشيخ العطاردى بجمع أسماء من رووا عنه الأحاديث فى مجالات شتى فبلغ ستمائة وثمانية وثلاثين رجلاً وأسماء بمسند الامام موسى الكاظم فجاء جميع ذلك فى أجزاء ثلاثة. ولقد اتفقت كلمة المؤرخين على أنه استشهد مسموماً فى سجن السندى ابن شاهك بأمر

من الرشيد وكان الخليفة يخاف من أن ينتشر خبر شهادته في بغداد

١. الفصول المهمة ٢٣٨، والآيتان من سورتى الأنعام ٨٤ وآل عمران ٦١ .

٢. المفيد: الارشاد ٢٩٨ . (٤٩٠)

ولأجل ذلك لما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه بغداد وفيهم الهيثم بن علي وغيره حتى يشهدوا على أنه مات بأجله، وأخرج ووضع على الجسر ببغداد فنودي هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه فجعل الناس يتفسرون في وجهه وهو ميت (١) . وأمّا الكلام في شهادته وأخباره ممّا يطول بنا الكلام إذا أردناه ذكره فليرجع إلى محلها . ومن أحسن كلماته ما وصّى به هشام بن الحكم (٢) .

١. مقاتل الطالبين ٥٠٤ .

٢. لاحظ الكافي ١ / ١٣ - ٢٠ وتحف العقول ٢٨٣ - ٢٩٧ . (٤٩١) الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر - عليهم السلام - الرضا

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه موسى بن جعفر - عليهما السلام - وقد اجتمع أهل البيت في عصره على علمه وورعه وكفاءته لنصب الإمامة مضافاً إلى النصوص الواردة في حقّه من أبيه على إمامته (١) . ولد في المدينة سنة ١٤٨ واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر ٢٠٣ وله يومئذ ٥٥ سنة وكانت مدّة إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة (٢) . قال الواقدي: علي بن موسى سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم وكان ثقة يفتى بمسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو ابن نيف وعشرين سنة وهو

١. لاحظ للوقوف على النصوص: الكافي ١ / ٣١١ - ٣١٩ والارشاد ٣٠٤ - ٣٠٥ واثبات الهداة ٣ / ٢٢٨، وروى فيه ٦٨ نصّاً على إمامته .

٢. الارشاد ٣٠٤ . (٤٩٢)

من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة (١) . قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجدّه في الحقيقة وارثهما (المراد علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين - عليهم السلام -) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون، محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليه، وصفاته ثنية، ونفسه الشريفة زكية هاشمية، وارومته النبوية كريمة (٢) . وقد عاش الامام في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم وازداد التشكيك في الأصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى ومجسّمة أهل الحديث . وفي تلك الأزمنة أتيحت له - عليه السلام - الفرصة للمناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من أطلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء (٣) . ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلي: دخل أبو قرّة المحدث علي أبي الحسن الرضا - عليه السلام - فقال: روينا أنّ الله قسم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسى - عليه السلام - الكلام ولمحمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - الرؤية. فقال أبو الحسن - عليه السلام - فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجنّ والإنس: أنّه (لا- تدركه الأبصار) و (لا- يحيطون به علما) و (ليس

١. تذكرة الخواص ابن الجوزي ٣١٥ .

٢. الفصول المهمة ٢٤٣ نقلا عن مطالب السؤل .

٣. لقد جمع الشيخ الطبرسي قسماً من هذه الاحتجاجات في كتابه الاحتجاج ٢ / ١٧٠ - ٢٣٧ طبع النجف . (٤٩٣) كمثلته (شى) أليس محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟ قال: بلى. قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلف جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: (لا تدركه الأبصار) و (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثلته شى).

ثمّ يقول: أنا رأيتُه بعيني وأحطت به علما، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من

عند الله بشى ثم يأتي بخلافه من وجه آخر. قال أبو قرّة: فأنه يقول: (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى) فقال أبو الحسن - عليه السلام - إن بعده هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) يقول: ما كذب فؤاد محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ما رأته عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) فأيات الله غير الله. وقال (لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة. فقال أبو قرّة: فتكذب الروايات؟ فقال أبو الحسن: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كدّبتها وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء (١). انتشر علم الامام وفضله فأخذت الأفتدة والقلوب تشد إليه وفي الأمة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكانت تأتي الأخبار المرعبة إلى مركز الخلافة العباسية بمرو. فحاول المأمون الرشيد اللقاء القبض على الامام من خلال لعبة سياسية لقتل الثورة في مهدها، فأنفذ رجالا إلى المدينة حتى يحملوا الطالبين وفيهم على بن موسى الرضا - عليه السلام - إلى مرو. فساروا بالامام عن طريق البصرة حتى وصلوا به إلى مرو. فأنزلوه داراً وأكرموا. واجتمع المأمون معه في مجلس ليس فيه غيرهما وقال له: إنني أريد أن أخلع

١. الاحتجاج للطبرسي ٢ / ١٨٤، البحراني: البرهان ٤ / ٢٢٨ .

(٤٩٤)

نفسى من الخلافة وأقلدك إياها فما رأيك؟ فأنكر الرضا - عليه السلام - هذا الأمر وقال له: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد، فرد عليه الرسالة فإذا أبيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد بعدى فرد عليه الرضا اباءً شديداً، ثم استدعا إليه ثانياً وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين ليس فى المجلس غيرهم وقال له: إننى قد رايت أن أقلدك أمر المسلمين وافسخ ما فى رقبتي واضعه فى رقبتك فقال له الرضا - عليه السلام - : الله الله يا أمير المؤمنين أنه لا طاقة لى بذلك ولا قوة لى عليه قال له: فأتى موليك العهد من بعدى فقال له: اعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين فقال له المأمون كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال فى كلامه: ان عمر بن الخطاب جعل الشورى فى ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين - عليه السلام - وشرط فى من خالف منهم أن يضرب عنقه ولا بد من قبولك ما أريد منك فإنى لا أجد محيصاً عنه فقال له الرضا - عليه السلام - : فإنى أجيئك إلى ما تريد من ولاية العهد على اتنى لا آمر ولا أنهى ولا أفتى ولا اقضى ولا أولى ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم فأجابه المأمون إلى ذلك كله (١). بعد قبول على بن موسى الرضا - عليهما السلام - بولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء فخفقت الألوية على رأسه وكان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل ابن على الخزاعي فلما دخل عليه قال: قلت قصيدة وجعلت على نفسى أن لا أنشدها أحداً قبلك فأمره بالجلوس حتى خف مجلسه ثم قال له: هاتها. فأنشد قصيدته المعروفة: ذكرت محل الربع من عرفات * فأجريت دمع العين على الوجات

١. الارشاد للمفيد ٣١٠ .

(٤٩٥)

وقد خاننى صبرى وهاجت صبابتى * رسوم ديار افقرت وعرات مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات حتى أتى على آخرها. فلما فرغ من إنشادها قام الرضا - عليه السلام - فدخل إلى حجرته وأنفذ إليه صيرة فيها مائة دينار واعتذر إليه فردّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وأتما جئت للسلام عليك والتبرك بالنظر إلى وجهك الميمون وأنى لفى غنى فإن رأيت أن تعطينى شيئاً من ثيابك للتبرك فهو أحب فأعطاه الرضا جية خز وردّ عليه الصرة (١). كان الامام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض وعند ذلك أحسّ المأمون أن اعطاه ولاية العهد ربما يؤدى إلى الاطاحة بخلافته، وقوى ذلك الظن أن المأمون بعث إليه يوم العيد فى أن يصلى بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا - عليه السلام - : إنك قد علمت ما كان بينى وبينك ما كان من الشروط فى دخول الأمر فاعفنى فى الصلاة بالناس فقال له المأمون: إنما أريد بذلك أن تظمن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك، ولم تزل الرسل تتردد بينهما فى ذلك حتى ألحّ عليه المأمون. فارسل إليه الرضا: إن أعفيتنى فهو أحبّ إلى وإن لم

تعفني خرجت كما خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأمير المؤمنين - عليه السلام - فقال له المأمون: أخرج كيف شئت وأمر القواد والحجاب والناس أن ييكرؤا إلى باب الرضا قال: فعقد الناس لأبي الحسن - عليه السلام - في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كنفه ومسّ

١. ابن الصباغ: الفصول المهمة ٢٤٦ والمفيد: الارشاد ٣١٦ وللقصة صلة ومن أراد فليرجع إلى المصدرين المذكورين .
(٤٩٦)

شيئاً من الطيب وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه افعلوا ما فعلت فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبر وكبر مواليه معه، فلما رآه الجند والقواد سقطوا كلهم عن الدواب إلى الأرض ثم كبر وكبر الناس فخيّل إلينا أنّ السماء والحيطان تجاوبه وترعزت مرو بالبكاء والضجيج لما رأوه فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلنا على دماننا، فأنفذ إليه أن يرجع فرجع الرضا - عليه السلام - واختلف أمر الناس في ذلك اليوم (١). وقد أشار الشاعر البحتري إلى تلك القصة بأبيات: ذكروا بطاعتك النبي فهللوا * لما طلعت من الصفوف وكبروا حتى انتهت إلى المصلى لابساً * نور الهدى يبدو عليك فيظهر ومشيت مشية خاشع متواضع * لله لا يزهي ولا يتكبر (٢) إن هذا وأمثاله وبالأخص خروج أخ المأمون زيد بن موسى بالبصرة على المأمون. لأنّه فوض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا وبالتالي سيؤدى إلى خروج الأمر من بيت العباسيين - كل ذلك - دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السم على النحو المذكور في التاريخ . ومن لطيف ما نقل عن أبي نواس أنّه كان ينشد الشعر في كل جليل وطفيف ولم يمدح الامام فاعتذر عنه بالأبيات التالية.

قيل لى أنت أحسن الناس طراً * فى فنون من الكلام النبىه لك من جوهر الكلام بديع * يثمر الدر فى يدي مجتنيه فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال التى تجمّعن فيه

١. المفيد: الارشاد ٣١٢ .

٢. أعيان الشيعة ٢ / ٢١ - ٢٢ . (٤٩٧)

قلت لا- أستطيع مدح إمام * كان جبرئيل خادماً لأبيه ولما لم يقبل هذا العذر منه أنشد قصيدة مطوّلة فيها مايلي: مطهرون نقيات جيوبهم * تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا من لم يكن علويًا حين تنسبه * فما له فى قديم الدهر مفتخر الله لهما براً خلقاً فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيها البشر فأنتم الملاء الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاء به السور (١) وأما من روى عن الرضا - عليه السلام - فحدّث عنه ولا حرج فقد ذكر الشيخ الطوسى فى رجاله (٢) والسيد الأمين فى أعيانه أسماء من روى عنه. وقد قام الفاضل المعاصر الشيخ العطاردى بجمع ما روى عنه من الأحاديث والخطب والمواعظ والمناظرات وأسماء مسند الامام الرضا - عليه السلام - ورتب أسماء الراويين عنه حسب حروف المعجم فجاء ٣١٢ رجلاً - فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً .

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠ .

٢. رجال الشيخ ٣٦٦ - ٣٩٧ ذكر فيه ٣١٥ رجلاً . (٤٩٩) الإمام التاسع: محمّد بن على بن موسى - عليهم السلام - الجواد هو من أئمة أهل البيت، تاسع الأئمة عند الشيعة، ولد عام ١٩٥. ورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوة وارتوت شجرته من منهل الرسالة. قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا - عليه السلام - عام ٢٠٣ واستشهد ببغداد عام ٢٢٠. أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم. أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة (١). لَمّا توفّى الرضا - عليه السلام - كان الامام الجواد فى المدينة وقام بأمر الامامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين غير أنّ المأمون قد مارس معه نفس السياسة التى مارسها مع أبيه - عليه السلام - خلافاً لأسلافه من العباسيين،

١. الكافي ١ / ٣٢٠ - ٣٢٣، اثبات الهداة ٣ / ٣٢١ - ٣٢٨ .

(٥٠٠)

حيث أنهم كانوا يتعاملون مع أئمة أهل البيت بالقتل والسجن وكان ذلك يزيد في قلوب الناس حباً لأهل البيت وبغضاً للخلفاء، ولما شعر المأمون بذلك بدّل ذلك الأسلوب بأسلوب آخر وهو استقدام أئمة أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكي يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرت هذه السياسة في حقهم إلى الامام الحادي عشر كما ستعرف . ولما جيئ بالامام الجواد إلى مركز الخلافة، شغف به المأمون، لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فرّجّه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة وكان حريصاً على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره، ونكتفى في المقام بذكر أمرين: ١- لما توفّي الامام الرضا - عليه السلام - وقدم المأمون بغداد. اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم فلما أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد وعمره آنذاك تسع سنين. فلما قرب منه الخليفة فقال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعاً: يا أمير المؤمنين فرّ أصحابي فرقا والظن بك حسن أنّه لا يفر منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأتتحي. فأعجب المأمون كلامه. وحسن صورته قال: ما اسمك يا غلام؟ قال: محمّد بن علي الرضا - عليه السلام - فترحم على أبيه (١) . ٢- لما أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل من الامام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: نشدك الله أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمته عليه من تزويج ابن الرضا - عليه السلام - فانّا نخاف أن يخرج به عنّا أمراً، قد ملكناه الله وينزع عنّا

١. الفصول المهمة ٢٦٦ .

(٥٠١)

به عزّاً. قد ألبسناه الله وقد كُنّا في وهلة من عملك مع الرضا حتّى كفى الله المهم من ذلك، وأضافوا: أنّه صبي لا معرفة له فامهله حتى يتأدّب ويتفقّه في الدين ثم اصنع ماترى. قال المأمون: ويحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى والهامة. ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب من الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئت فامتحنوا ابا جعفر حتّى يتبين لكم ما وصفت لكم من حاله، قالوا: رضينا فخرجوا واتفق رأيهم على أن يحيى بن أكنم يسأله مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون على ذلك، واجتمع القوم في يوم اتفقوا عليه وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ففعل ذلك وجلس يحيى بن أكنم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر - عليه السلام - فقال يحيى بن أكنم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال: إستأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال: سل إن شئت . فقال: ما تقول جعلت فداك في مُحرم قتل صيدا؟ فقال أبو جعفر - عليه السلام -: في حل أو حرم؟ عالمًا كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّاً كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلاً كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟ فتحيّر يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ قال لأبي جعفر - عليه السلام -: اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وانا مزوجك (٥٠٢)

أم الفضل ابنتي (١) . ولما تمّ الزواج قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الجواب فيما فضّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده فقال أبو جعفر - عليه السلام -: إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاء، فإن اصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإذا قتل فرحاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعاماً فعليه بدنة وإن كان ظيباً فعليه شاء، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه

بالحج نحره بمنى، وإن كان احرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمدة له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة. فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر... (٢). رجوع الجواد إلى المدينة:

ثم إن أبا جعفر بعد أن اقام مدة في بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدة إلى أن توفي المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكراً في أبي جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التي _____
١. الارشاد ٣١٩ - ٣٢١ وإعلام الوري ٣٥٢ وللقصة صلة فراجع .

٢. المفيد: الارشاد ٣٢٢ . (٥٠٣)

مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدمه إلى بغداد سنة ٢٢٠ (١) وتوفي في بغداد آخر ذي القعدة من تلك السنة وله من العمر ٢٥ سنة وأشهر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر في مقابر قريش . وأما الرواة عنه فقد ذكرهم ابن شهر آشوب في مناقبه فقال: من ثقافته أيوب ابن نوح بن دراج الكوفي، وجعفر بن محمد بن يونس الأحمول، والحسين بن مسلم بن الحسن، والمختار بن زياد العبدي البصري، ومحمد بن الحسين أبي الخطاب الكوفي . ومن أصحابه شاذان بن الخليل النيسابوري، ونوح بن شعيب البغدادي، ومحمد بن أحمد المحمودي، وأبو يحيى الجرجاني، وأبو القاسم إدريس القمي، وعلى بن محمد بن هارون بن الحسن بن محبوب، وإسحاق بن إسماعيل النيسابوري، وأبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، وأبو علي بن بلال وعبدالله بن محمد الحضيبي، ومحمد بن الحسن بن شمعون البصري وقال في موضع آخر: وقد روى عنه المصنفون نحو أبي بكر أحمد بن ثابت في تاريخه وأبي إسحاق الثعلبي في تفسيره، ومحمد بن منده بن مهربذ في كتابه (٢). هذا فقد قام الفاضل المعاصر الشيخ العطاردي بجمع ما روى عن الامام الجواد - عليه السلام - أسماء «مسند الامام الجواد» وقد ذكر أسماء الرواة عنه من _____

١. وفي الارشاد ٣٢٦ وفي إعلام الهدى ٣٠٤: وكان سبب ورود الامام إلى بغداد وإشخاص المعتصم له من المدينة فورد بغداد لليلتين بقيتا من محرّم الحرام سنة ٢٢٥... ثم يقول: وكان له يوم قبض ٢٥ سنة .

ولا يخفى أنه لو كان تاريخ وروده إلى بغداد هي سنة ٢٢٥ يكون له يوم وفاته ٣٠ سنة من العمر لأنه ولد عام ١٩٥ .

٢. ابن شهر آشوب: المناقب ٤ / ٢٥٨ . (٥٠٤)

المحدثين والفقهاء الذين يربو عددهم على ١٢١ شخصاً. شكر الله مساعيه. وسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم مات أو استشهد بالسم ويوم يبعث حياً. (٥٠٥) الامام العاشر: أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا - عليهم السلام - الهادي الامام على الهادي، هو الامام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام ٢١٢ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ هـ وهو من بيت الرسالة والامامة ومقر الوصاية والخلافة، وثمره من شجرة النبوة، قام بأمر الامامة بعد والده الامام الجواد، وقد عاصر خلافة المعتصم فالوائق، فالمتوكل فالمنتصر، والمستعين، والمعتمد، وله مع هؤلاء قضايا لا يقتضي المقام ذكر البعض فكيف الكل . قال ابن شهر آشوب: كان أطيّب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمّت، غلّته هيبه الوقار، وإذا تكلم سمّاه البهاء (١).

١. مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠١ طبع قم.

(٥٠٦)

وقال عماد الدين الحنبلي: كان فقيهاً إماماً متعديداً (١). وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالامامة، والاشارة إليه من أبيه بالخلافة (٢). وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن اراد فليرجع إلى الكافي واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّة لذلك (٣). وقد مارس المتوكل نفس الاسلوب الخبيث الذي رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الإقامة في مقرّ الخلافة وجعل العيون

والحرّاس عليهم حتى يطلعوا على دقيق حياتهم وجليها، وكان المتوكّل من أحبّ الخلفاء العباسيين وأشدّهم عداءً لعلّي فبلغه مقام على الهادي بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمة، وقال: إذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا. قال يحيى: فذهبت إلى المدينة. فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي الهادي، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه كان مُحسِنًا إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت أسكنهم وأخلف لهم أتى لم أوامر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثمّ فتشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتولّيت خدمته بنفسى وأحسنت عشرته، فلما قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن _____

١. شذرات الذهب ٢ / ١٢٨ في حوادث سنه ٢٥٤.

٢. الارشاد ٣٢٧.

٣. الكليني، الكافي ١ / ٣٢٣ - ٣٢٥، الشيخ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٨. (٥٠٧)

إبراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد، فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكّل منّ تَعَلَّم، فإن حَرَضْتَهُ عليه قتله، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقعت منه إلّا على كلّ أمر جميل، ثمّ صرت به إلى «سرّ من راي»، فبدأت بـ «وصيف» التركي، فأخبرته بوصولي، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فأخبرته بحسن سيرته وسلامه طريقه وورعه وزهادته وأتّى فتشت داره ولم أجد فيها إلّا المصاحف وكتب العلم وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء (١). ومع أنّ الامام كان يعيش في نفس البلد الذي يسكن فيه المتوكّل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، وشى إلى المتوكّل بعلي بن محمّد أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعة من أهل قم وأنّه عازم بالوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك، إلى المتوكّل، قالوا للمتوكّل: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً في مجلس الشراب فدخل عليه والكأس في يد المتوكّل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني، فأعفاه، فقال له: أنشدني شعراً، فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر، فقال: لا بد، فأنشده وهو جالس عنده: باتوا على قلل الأجدال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل واستلزلوا بعد عزّ من معاقلهم * وأشكّنوا حُفراً يابئس ما نزلوا _____

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص ٣٢٢.

(٥٠٨)

ناداهم صارخ من بعد دفنهم * أين الأسرّة والتيجان والحلل أين الوجوه التي كانت منعمّة * من دونها تضرب الأستار واللكل فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل (١) قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا فبكى المتوكّل حتى بلّت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون ورفع إلى علي أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرماً (٢). آثاره العلمية:

روى الحفاظ والرواة عن الامام أحاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون في كتبهم وبتّها الحرّ العاملي في وسائل الشيعة على أبواب مختلفة، ومما نلفت إليه النظر أنّ للإمام رسائل ١ - رسالته في الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين أوردتها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحلبي في كتابه (٣). ٢ - أجوبته ليحيى بن أكرم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردتها في تحف العقول ٣ - قطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب. ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الامام نأتى بنموذج من تفسيره: _____

١. ربما يروى «ينتقل».

٢. المسعودي: مروج الذهب ١١ / ٤ .

٣. تحف العقول ٣٣٨ - ٣٥٢ . (٥٠٩)

قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الايمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الامام الهادي يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب: يضرب حتى يموت، فأنكر الفقهاء ذلك فكتب إليه يسأله عن العلة، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) (١)، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات (٢). وفاته:

توفى أبو الحسن - عليه السلام - في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى، وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه هو الإمام من بعده والحسين ومحمد وجعفر وابنته عايشة، وكان مقامه بسر من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهر، وتوفى وسنه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة (٣). وقد ذكر المسعودي في اثبات الوصية، تفصيل كيفية وفاته وتشيعه وإيصال الإمامة لابنه أبي محمد العسكري. فمن أراد فليراجع .

١. غافر / ٨٤ - ٨٥ .

٢. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠٣ - ٤٠٥ .

٣. الإرشاد ٣٢٧ . (٥١٠) الرواة عن الامام الهادي:

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب مشاهير الرواة عنه (١)، وذكر الشيخ الطوسي أسماء الرواة عنه في رجاله فبلغ عددهم ١٨٥ شخصاً (٢) ثم إن الشيخ المعاصر العطاردي قام بجمع ما روى عنه في مجالات شتى فأسماه «مسند الإمام الهادي» شكر الله سعيه .

١. المناقب ٤ / ٤٠٢ .

٢. رجال الشيخ الطوسي ٤٠٩ - ٤٢٧ . (٥١١) الإمام الحادي عشر: أبو محمد الحسن بن علي الهادي - عليهما السلام - العسكري

أبو محمد: الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد، أحد أئمة أهل البيت، والإمام الحادي عشر، الملقب بالعسكري ولد عام ٢٣٢ (١)، وقال الخطيب في تاريخه (٢) وابن الجوزي في تذكرته (٣) أنه ولد عام ٢٣١، وأشخص بشخص والده إلى العراق سنة ٢٣٦، وله من العمر أربع سنين وعدة شهور وقام بأمر الامامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدمه

١. الكليني: الكافي ١ / ٥٠٣ .

٢. الخطيب: تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٦ .

٣. سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٣٢٢ . (٥١٢)

على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة (١) روى عنه لفيق من الفقهاء والمحدثين ما يربو على ١٥٠ شخصاً (٢) وتوفى عام ٢٦٠، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء . وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب السلطة، واجتهادها في البحث عن أمره ولكنه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتداء عليهما . وقد اشتهر الإمام بالعسكري لأنه منسوب إلى عسكري ويراد به سر من رأى الذي بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، وأما نسبة الإمام لأن المتوكل أشخص اباه علياً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها (٣) . وقال السبط ابن الجوزي: كان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جدّه ومن جملة مسانيد حديث في الخمر عزيز . ثم ذكر الحديث عن جدّه أبي الفرج الجوزي في كتابه المسمى بتحريم الخمر ثم ساق سند الحديث

إلى الحسن العسكري وهو يسند الحديث إلى ابائه إلى علي بن أبي طالب وهو يقول: أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرائيل يقول: أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: «شارب الخمر كعابد الوثن» (٤) .

١ . المفيد: الارشاد ٣٣٥ .

٢ . العطاردي: مسند الامام العسكري وقد جمع فيه كل ما روى عنه وأسند إليه.

٣ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ / ٩٤ .

٤ . تذكرة الخواص ٣٢٤ . (٥١٣)

إن الإمام أسند الحديث إلى النبي الأكرم ولعل السبب ابن الجوزي زعم أنه مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإن أحاديث أئمة أهل البيت مروية كلها عن النبي الأكرم، فهم لا يروون في مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلا ما وصل إليهم عن النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا- تعبر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصور كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممن يعتمدون على آرائهم الشخصية وهو في قياسه خاطئ، فهم منذ نعومة أظفارهم إلى أن لبوا دعوة ربهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء ولا تعلموا شيئاً من غير آبائهم فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول الله وراثته غيبية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه والراسخون في العلم. وهذا جابر الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر الباقر - عليه السلام - : إذا حدثني بحديث فأسنده لك؟ فقال: حدثني أبي عن جدّي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى، فكل ما أحدثك بهذا الإسناد. ثم قال: لحديث واحد تأخذه من صادق عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها (١) . وروى حفص ابن البختري، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق - عليه السلام - : أسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك؟ فقال: ما سمعته منّي فاروه عن أبي، وما سمعته منّي فاروه عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (٢) . فائمة المسلمين على حد قول القائل: _____

١ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٨، الباب الثامن من أبواب صفات القاضي الحديث ٦٧ .

٢ . المصدر نفسه، الحديث ٨٦ . (٥١٤)

ووال اناسا نقلهم وحديثهم * روى جدنا عن جبرئيل عن الباري ولقد عاتب الامام الباقر - عليه السلام - سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا يأخذان الحديث من الناس ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: شرقاً وغرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلا أشياء خرج من عندنا أهل البيت. رغم أن الخلفاء وضعوا الامام تحت الاقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيساً ولكن روى عنه الحفاظ والرواة أحاديث جمة في شتى المجالات نذكر أسماء الرواة عنه: قال ابن شهر آشوب: من ثقاته علي بن جعفر، وأبو هاشم، داود بن القاسم الجعفي وقد أدرك خمسة من الأئمة - عليهم السلام - وداود بن أبي يزيد النيسابوري، ومحمد بن علي بن بلال، وعبدالله بن جعفر الحميري القمي، وأبو عمر عثمان ابن سعيد العمري، وإسحاق بن ربيع الكوفي، وأبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي، وإبراهيم بن عبده بن إبراهيم النيسابوري و... (١) . ثم إن الكلام في أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته، وعظمته، ومجاهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة. وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا في ذلك علماؤنا الأبرار بيد أننا نشير هنا إلى لمحّة من علومه : ١- لقد شغلت الحروف المقطعة بال مفسرين فضربوا يميناً ويساراً وقد أنهى الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولاً، ولكن الامام - عليه السلام - يعالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبین تقوله. _____

١ . المناقب ٤ / ٤٢٣ .

(٥١٥)

فقال الله: (الم ذلك الكتاب) (فقل) يا محمّد، هذا الكتاب الذي نزلناه عليك هو الحروف المقطّعة التي منها «الف»، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بين أنّه لا يقدرّون عليه بقوله: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) - الإسراء / ٨٨ - (١). وقد روى هذا المعنى عن أبيه الامام الهادي - عليه السلام - (٢) - ٢. كان أهل الشغب والجدال يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنكم تقولون في صلواتكم: (اهدنا الصراط المستقيم) أولستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنكم متنكبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا». ثمّ فسّر الصراط بقوله: الصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا وصراف في الآخرة أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة (٣). وقد استفحل أمر الغلاة في عصر الامام العسكري ونسبوا إلى الأئمة الهداء أموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركّز الامام على أنّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

١. الصدوق: معاني الأخبار ٢٤، والحديث ذيل فمن أراد فليرجع إلى الكتاب .

٢. الكليني: الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل الحديث ٢٠ / ٢٤ - ٢٥ .

٣. الصدوق: معاني الأخبار ٣٣ . (٥١٦)

٣- ربّما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من الله، ولكن المراد من الآية بقرينه قوله: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) هو نعمة التوفيق والهداية . ولأجل ذلك نرى أنّ الامام يفسّر الأنعام بقوله: «قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عزوجل: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رِيفًا)» ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة (١) - ٤. لقد تفشّت فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء، قبل أن تخلق استلهاماً من بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمّد بن صالح عن قول الله: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٢) فقال: هل يمحو إلّا ما كان وهل يثبت إلّا ما لم يكن؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطى. إنّه لا يعلم الشيء حتى يكون، فنظر إلى شزرا، وقال: «تعالى الله الجبار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه» (٣) .

١. الصدوق: معاني الأخبار ٣٦ .

٢. الرعد / ٣٩ .

٣. المسعودى: اثبات الوصية ٢٤١ . (٥١٧) حصيلة البحث:

هؤلاء هم أئمة الشيعة وقادتهم بل أئمة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك وقد ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحثّ الأئمة على التمسك بهما وقال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً (١) . ولكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين وإنّما استعانوا في تفسيره بأناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (ت ١٠٤) وعكرمة البربري (ت ١٠٤) وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) ومحمّد بن كعب القرظي (ت ١١٨) إلى غير ذلك من أناس لا يبلغون في الوثاقه والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمة أهل البيت - صلوات الله عليهم -... فالإسلام عقيدة وشريعة، فالنجاة عن الضلال - حسب مفاد حديث الثقلين هو الرجوع إليهما وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلّا فلا قيمة له - أمّا

الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلا إذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سننه نبيه، وليس حديث أئمة أهل البيت إلا إشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته .

١ . رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ نشرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. حول هذا الحديث، ترى اسنادها موصولاً إلى النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - .

(٥١٨) (٥١٩) الإمام الثاني عشر: الخلف الصالح المهدي صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه)

هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري الحجة، الخلف الصالح، ولد عليه السلام بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكيم صبيّاً كما حدث ليحيى قال سبحانه: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) (١) وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبياً وهو رضيع قال سبحانه: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) (٢) وقد تواتر النص عليه من النبي الأكرم وآبائه

١ . مريم / ١٢ .

٢ . مريم: ٣٠ . (٥٢٠)

الكرام . اتفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كله ولو كره المشركون، فهو ياذن الله ينجي العالم من ذلّ العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويطلب القوانين الكافرة التي سنّتها الأهواء، ويقطع أوامر التعصبات القومية والعنصرية، ويمحى أسباب العدا، والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأئمة، وافتراق الكلمة، ويحقق به سبحانه بظهوره، وعده الّذي وعد به المؤمنين بقوله: ١- (وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١) . ٢- (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (٢) . ٣- (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (٣) . ويأتي عصر ذهبي لا يبقى فيه على الأرض بيت إلا ودخلته كلمة الإسلام ولا تبقى قرية إلا وينادي فيها بشهادة «لا إله إلا الله» بكرة وعشيا .

١ . النور / ٥٥ .

٢ . القصص / ٥ .

٣ . الأنبياء / ١٠٥ . (٥٢١)

١- روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ولو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً (١) . ٢- أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي (٢) . ٣- أخرج أبو داود عن أمّ سلمة - رضيت الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة (٣) . ٤- أخرج الترمذي عن ابن مسعود أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي (٤) . إلى غير ذلك من الروايات المتضاربة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه يقول الدكتور عبد الباقي: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين أنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح (٥) . هذا هو المهدي الذي اتفق المحدثون والمتكلمون عليه، وأنما الاختلاف بين الشيعة والسنة في ولادته، فالشيعة ذهب إلى أنّ المهدي الموعود هو الامام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥ هـ واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هـ، وقد تضافرت

١ . مسند أحمد ١ / ٩٩ ، ٣ / ١٧ - ٧٠ .

٢. جامع الأصول ١١ / ٤٨ برقم ٧٨١٠.

٣. المصدر نفسه برقم ٧٨١٢.

٤. المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

٥. الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣. (٥٢٢)

عليه النصوص من آباءه، على وجه ماترك شكاً ولا شبهة (١) ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنة، وقالوا بأنه ولد وأنه محمّد بن الحسن العسكري. نعم كثير منهم قالوا بأنه سيولد في آخر الزمان، وبما أن أهل البيت أدرى بما في البيت، فمن رجح إلى روايات أئمة أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأن المولود للامام العسكري هو المهدي الموعود. وممن وافق من علماء أهل السنة بأن وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود: ١- كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشي الشافعي في كتابه «مطالب السؤل في مناقب آل رسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في «مرآة الجنان» في حوادث سنة ٦٥٠. قال بعد سرد اسمه ونسبه: «المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر، فأما مولده فبسر من رأى، وأما نسبه أبا فأبوه الحسن الخالص» ثم أورد عدّة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي، ومسلم والبخاري وغيرهم ثم اعترض بأنها لا تدل على أنه محمّد بن الحسن العسكري وأجاب بأن الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمّد بن الحسن العسكري علمنا أنه هو المهدي. ٢- أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي في كتابه: «البيان في اخبار صاحب الزمان» و«كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب». ٣- نور الدين علي بن محمّد بن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأئمة. ١. اقرأ هذه النصوص في كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق ٣٠٦ - ٣٨١ ترى فيه النصوص المتضاربة على أن المهدي الموعود هو ولد الامام أبو محمّد الحسن العسكري وإن له غيبة.

(٥٢٣)

٤- الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بالسبط ابن الجوزي «في تذكرة الخواص». إلى غير ذلك من علماء وحفاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين في أعيان الشيعة وأنهاء إلى ثلاثة عشر، ثم قال: والقائلون بوجود المهدي من علماء أهل السنة كثيرون وفيما ذكرناه منهم كفاية ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان إلى وجود صاحب الزمان» ورسالته «كشف الأستار» للشيخ حسين النوري (١). وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الأئمة الهداة أمراً مسلماً حتى أن دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي أنشدها لعلي بن موسى الرضا - عليه السلام - فقال: خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم الله والبركات يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنعمات ولما وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا - عليه السلام - بكاءً شديداً ثم رفع رأسه، فقال له: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الامام ومتى يقوم؟، فقلت: لا يا مولاي، إلا أنني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد، ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً، فقال: يا دعبل، الامام بعدى محمّد ابني (الجواد) وبعد محمّد ابنه علي (الهادي) وبعد علي ابنه الحسن (العسكري) وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها عدلاً كما ملئت جوراً، وأما متى؟ فاخبار عن الوقت، ولقد حدّثني أبي عن أبيه

عن

١. أعيان الشيعة ٢ / ٦٤ - ٧٥.

(٥٢٤)

آبائه عن علي - عليه السلام - إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو. ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة (١). ثم إن للمهدي - عجل الله تعالى فرجه - غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمة أهل البيت، أما الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين

شيعة بوفاء السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير على بن محمد السمرى عام ٣٢٩ هـ، ففي هذه الفترة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعة في أمور شتى. وأما الغيبة الكبرى فهي بعد الأولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى. وأما من رأى الحجية في زمان أبيه وفي الغيبة الصغرى وحتى بعد الكبرى، فحدث عنه ولا حرج فقد ألف في ذلك كتب أحسنها وأجملها: كمال الدين للصدوق والغيبة للشيخ الطوسي. ثم إنَّ حول الامام المهدي أسئلة وشبهات ربما يتجاوز العشرة، وقد ذكرها المحققون من علماء الإمامية في كتبهم وأجابوا عنها بوضوح (٢). —————

١. الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢ / ٣٧٢.

٢. لاحظ محاضراتنا: الإلهيات: بقلم الشيخ الفاضل حسن مكى ٢ / ٦٤١ - ٦٥٣ وفي كتاب منتخب الأثر في الامام الثاني عشر لشيخنا: لطف الله الصافي - دام ظله - غنى وكفاية لطالب الحق .

الفصل الثاني عشر دور الشيعة في بناء الحضارة

الفصل الثاني عشر دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية وازدهار العلوم (٥٢٦) (٥٢٧)

الحضارة تقابل البداوة، وتطلق على الإقامة في الحضر وهي الكلمة الدارجة في أيامنا هذه على ألسن الخطباء وقلم الكتاب وكلمة التمدن هي التي كانت رائجة سابقاً. ولقد شهدت الحياة البشرية على هذا الكوكب (الأرض) حضارات متعدّدة، لكلِّ ميزاتها وخصائصها التي ضبطها التاريخ، وأفصح عنها الاكتشافات الأثرية. ومن مشاهير هذه الحضارات: الحضارة الصينية - المصرية - البابلية - اليونانية الرومانية - الفارسية - وأخيراً الحضارة الغريبة ولكل انطباعاتها الخاصة. وأما الحضارة الإسلامية فهي التي تتوسط بين الحضارة الأخيرة (الغريبة) وما تقدّمها. وهي أكبر الحضارات في تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون. وهي الأساس الوطيد الذي قامت عليه حركة النهضة الأوروبية. ولقد وضع عشرات من العلماء موسوعات وكتب لبيان ما قدّمته الحضارة الإسلامية من خدمات جليلة إلى المجتمع البشرى في المجالات المختلفة. وليست الحضارة الإسلامية حضارة عربية ابتدعتها العرب، بمواهبها وتجاربها بل حضارة الشعوب الإسلامية من عرب و فرس وترك وغيرهم من القوميات، الذين ذابوا في الإسلام ونسوا قومياتهم ومشخصاتهم العنصرية والبيئية. وكلما (٥٢٨)

تستخدم الحضارة العربية يراد منها الحضارة الإسلامية. التي انبثقت بطلوع فجر الإسلام في الجزيرة العربية وانتشرت بانتشاره بسرعة عجيبة فخفقت راياتها في بقاع واسعة من العالم فامتدت من حدود الصين شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً. إنَّ الحضارة الحقيقية تتميز بانعدام الهمجية والفوضى الاجتماعية، وباستغلال الموارد الطبيعية والموهب البشرية إلى أقصى الحدود. كما تتميز بتقدم العلوم وازدهار الآداب والفنون، وسمو المطامح الإنسانية وحلول التنظيم الاجتماعي. إنَّ الحضارة تتألف من عناصر أربعة: ١- الموارد الاقتصادية. ٢- النظم السياسية. ٣- التقاليد الخلقية. ٤- متابعة العلوم والفنون. وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطع وعوامل الابداع والانشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها(١). وما ذكره ذلك العالم الباحث من أسس الحضارة وأركانها يرجع إلى تفسير الحضارة بالمعنى الجامع الشامل للحضارة الإلهية والمادية. وأما بالنظر إلى الحضارة المرتكزة على الأسس الدينية فمن أهم أركانها توعية الإنسان في ظلال الاعتقاد بالله سبحانه واليوم الآخر. حتى يكون هو الدافع إلى العمل والالتزام بالسلوك الأخلاقي والديني. فالحضارة المنقطعة عن التوعية الدينية حضارة صناعية —————

١. ويل دورانت: قصة الحضارة ١ / ٣.

(٥٢٩)

لا إنسانية، وتمدن مادى وليس بالهوى. إنَّ مؤسس الحضارة الإسلامية هو النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد جاء بسنن

وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق ومتابعة العلوم والفنون، واستغلال الموارد الطبيعية وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة. ولا يشك في ذلك من قرأ تاريخ الإسلام وتاريخ النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - خصوصاً إذا قارن بين حياة البشرية بعد بزوغ شمس الإسلام بما قبلها. ثم إن المسلمين شيدوا أركان الحضارة الإسلامية في ظل الخطوط التي رسمها النبي الأكرم من خلال القرآن والسنة فأصبح لهم قوة اقتصادية، ونظم سياسية، وتقاليدي دينية وخلقية وأصبحت العلوم والفنون تتطور وتتقدم. وقد قاموا بترجمة كتب اليونانيين والفرس وغيرهم إلى لغتهم فصارت الحضارة الإسلامية مزدهرة. بفضل هذه العلوم وتطويرها. فصارت المكتبات عامرة بالآلاف الكتب المتنوعة. إن لكل حضارة طابعاً خاصاً. فلبعضها طابع اقتصادي ولأخرى طابع عسكري، ولثالث طابع فني معماري وهكذا، ولكن الحضارة الإسلامية تتمتع بمجموع هذه المميزات فلم تترك ميزة دون أخرى. والذى يطيب لنا في هذا الفصل، ذكر مشاركة الشيعة في بناء هذه الحضارة خصوصاً فيما يرجع إلى الركن الرابع وهو متابعة العلوم والفنون، وأما الأركان الثلاثة الباقية فغير مطلوبة لنا في هذا الفصل وذلك: لأن الموارد الاقتصادية شارك فيها المسلمون انطلاقاً من دوافعهم النفسية من خلال الاهتمام بالأمور التالية: ١- التنمية الزراعية بأنواعها المختلفة من الحبوب والفاكهة وغيرها. (٥٣٠)

٢- استخراج المعادن الذهبية، والفضية، والأحجار، النفيسة الكريمة، كالفيروز، والعقيق، والزمرّد واللؤلؤ والمرجان. ٣- إحداث القنوات المائية وبناء السدود. وتقسيم الماء، ومحاربة طغيانه. ٤- تربية الحيوانات الأليفة وصيد السمك والطيور. ٥- صناعة الألبسة والأقمشة والسطور والسجاد. ٦- صناعة الورق وكتابة الكتب ونشرها في العالم. ٧- إيجاد المواصلات البرية والبحرية، وتنظيم حركة الملاحة، ومحاربة قطاع الطرق واللصوص في البحر والبر. ٨- العناية الفائقة بالتجارة وعقد الاتفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة، إلى غير ذلك مما يوجب ازدهار الوضع الاقتصادي، فلا يصح إبعاد قوم عن تلك الساحة وتخصيص الازدهار الاقتصادي بطائفة دون أخرى فإن الإنسان حسب الفطرة والدافع الغريزي، ينساق إلى ذلك. وأما النظم السياسية فقد نضجت في الدولتين الاموية والعباسية في حقول شتى: الادارة والعسكرية البرية منها والبحرية، فقد قامت كل دولة في مصر الخلفاء بواجبها من غير فرق بين الدول الشيعية منها كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين وغيرهم كالسامانية والسلاجقة والغزوانة وهكذا. وأما التقاليد الخلقية فقد كانت منبثقة من صميم الإسلام ومأخوذة من الكتاب والسنة وأما التقاليد القومية لقد افسح الإسلام لها المجال إذا لم تكن معارضة لمبادئ الشريعة والمثل الأخلاقية الإسلامية. فلأجل ذلك نركز على الركن الرابع من هذه الأركان الأربعة للحضارة، وهو متابعة العلوم والفنون فهي الطابع الأساسي للحضارة الإسلامية وبها تتميز عن ما تقدم عليها وعن ما تأخر عنها، فنأتي بموجز عن دور الشيعة في بناء هذا الركن أي ازدهار (٥٣١)

العلوم والفنون ليظهر أنهم كانوا في الطليعة وكان لهم الدور الأساسي. إن الحضارة الإسلامية تستمد من الكتاب والسنة فكل من قدم خدمة للقرآن لفظاً ومعنى، صورة ومادة فقد شارك في بناء الحضارة الإسلامية ومثله السنة وإليك البيان. ١- قدماء الشيعة وعلم النحو:

إن دراسة القرآن بين الأمة ونشر مفاهيمه، يتوقف على معرفته العلوم التي تعد مفتاحاً له إذ لولا تلك العلوم لكانت الدراسة ممتنعة، ونشرها في ربوع العالم غير ميسور، جلاً. بل لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم. لأن الفتوحات فرضت على المجتمع العربي الاختلاط مع بقية القوميات وسبب ذلك خطراً على بقاء اللغة العربية وكان العرب عند ظهور الإسلام يعربون كلامهم على النحو الذي في القرآن إلا من خالطهم من الموالى والمتعربين، ولكن اللحن لم يكثر إلا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق فشارع اللحن في قراءة القرآن فمست الحاجة الشديدة إلى ضبط قواعد اللغة (١). فقام أبو الأسود الدؤلي بوضع قواعد نحوية بأمر الامام أمير المؤمنين - عليه السلام - فأبو الأسود إمياً واضع علم النحو أو مدونه وكان من سادات التابعين، صاحب علماً وشهد معه صفين. ثم أقام في البصرة. يقول الشيخ أبو الحسن سلامة الشامي النحوي: إن علياً دخل عليه أبو الأسود يوماً. قال: فرأيت مفكراً، فقلت له: مالي أراك مفكراً يا أمير المؤمنين؟ قال: إنني سمعت من بعض الناس لحناً وقد هممت أن أضع كتاباً

أجمع فيه كلام العرب. فقلت: إن فعلت ذلك أحيت

١. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٢١٩ .

(٥٣٢)

أقواماً من الهلاك فألقى إلى صحيفه فيها: الكلام كله إسم وفعل وحرف. فالإسم ما دل على المسمى، والفعل ما دل على حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى وليس بإسم ولا فعل وجعل يزيد على ذلك زيادات قال: واستأذنته أن اصنع في النحو ما صنع فأذن وأتيت به فزاد فيه ونقص، وفي رواية أنه ألقى إليه الصحيفة وقال له: انح نحو هذه فهذا سمي النحو نحو (١). ومن المعلوم أن هذه القواعد لم تكن تسد الحاجة الملحة. ولكن أبا الأسود قام باكمالها وضبطها وبتميز المنصوب من المرفوع والاسم من الفعل بعلامات نسميتها الاعراب فالروايات مجمعة على أن أبا الأسود (وهو شيعي المذهب توفي سنة ٦٩) إما مدون علم النحو أو واضعه وأضحى ما دونه مصدرراً لهذا العلم في العصور اللاحقة وهناك كلام لابن النديم دونك لفظه. يقول: قال محمد بن إسحاق: زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - . ثم نقل عن الطبري وقال: إنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي - عليه السلام - وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو قال أبو الأسود: واستأذنته أن اصنع نحو ما صنع، فسمي ذلك نحواً (٢). ٢- وإذا كان أبو الأسود الدؤلي واضعاً للنحو فالخليل بن أحمد الفراهيدي هو المنقح له والباسط له. قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: والخليل بن أحمد، وأحد العصر، وفريد الدهر، وجهذ الأمة وأستاذ أهل الفطنة الذي لم ير نظيره ولا

١. حسن الصدر: تأسيس الشيعة ٥١ ولقد بلغ الغاية في ذلك المجال فنقل كلمات المؤرخين في ما قام به الأمام وتلميذه في تأسيس علم النحو .

٢. ابن النديم: الفهرست ٦٦ وللکلام صلة من أراد فليرجع إلى المصدر . (٥٣٣)

عرف في الدنيا عديلة، وهو الذي بسط النحو ومدّ اطنابه وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى ابعده غاية... وسيوافيك أن الخليل من أصحاب الامام الصادق ومن شيعته . ثم إن علماء الفريقين شاركوا في نضج هذا العلم وايصاله إلى القمة . وليس للمصنف بخس حق طائفة لمصالح أخرى ولكن لما كان الهدف هو بيان دور الشيعة في تطوير العلوم وتتبعها نذكر من خدم علم النحو من قدماء الشيعة فقط منهم ١- عطاء بن أبي الأسود: قال الشيخ الطوسي في باب أصحاب الحسين بن علي: ومنهم ابن أبي الأسود الدؤلي. وقال الحافظ السيوطي في الطبقات: عطاء، استاذ الأصمعي وأبو عبيدة (١) . ٢- أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي الكوفي: قال السيوطي: هو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو وسماه الفيصل وهو أستاذ الكسائي والفراء (٢) . قال النجاشي: روى هو وأبوه عن أبي جعفر وأبي عبدالله - عليهما السلام - وله كتاب الوقف والابتداء، وكتاب الهمز، وكتاب اعراب القرآن (٣) . ٣- حمران بن أعين أخو زرارة بن أعين: كان نحوياً إماماً فيه، عالماً بالحديث واللغة والقرآن، أخذ النحو والقراءة عن (ابن) أبي الأسود، وأخذ عنه الفراء وحمزة أحد السبعة وأخذ الحديث عن الامام السجاد والباقر والصادق. وآل أعين بيت كبير بالكوفة من أجل بيوت الشيعة ولأبي غالب الزراري

١. تأسيس الشيعة ٦٥ .

٢. تأسيس الشيعة ٦٧ .

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ٢٠٠ برقم ٨٨٤ . (٥٣٤)

رسالة في ترجمة آل أعين قال: كان حمران من أكابر مشايخ الشيعة وكان عالماً بالنحو واللغة (١) . ٤- أبو عثمان المازني: بكر بن محمد: قال النجاشي: كان سيد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة ومقدمته بذلك مشهورة، وكان من علماء الإمامية، قد تأدب على يد إسماعيل بن ميثم (٢) له في الأدب كتاب التصريف، كتاب ما يلحن فيه العامة، التعليق. مات سنة ٢٤٨ (٣) . ٥- ابن السكيت: يعقوب

بن إسحاق السكيت: كان مقدماً عند أبي جعفر (الجواد) وأبي الحسن (الهادي) - عليهما السلام - وكانا يختصانه. وله عن أبي جعفر - عليه السلام - رواية ومساائل، وقتله المتوكل لأجل تشييعه، وأمره مشهور، وكان وجيهاً في علم العربية واللغة، ثقة، مصدقاً، لا يطعن عليه. وله كتب: إصلاح المنطق، كتاب الألفاظ، كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، كتاب الأضداد، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، و... (٤). وسبب قتله: أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنه وقال: يا يعقوب أيهما أحب إليك، ابني هذان، أم الحسن والحسين؟ فأجاب: «إن قنبراً خادماً على خير منك ومن ابنيك» فأمر المتوكل فسلوا لسانه من ففاه فمات، وقد خلّف بضعة وعشرين أثراً في النحو واللغة والشعر (٥) واستشهد سنة ٢٤٤. _____

١. أبو غالب: رسالة في آل أعين ٢ - ٣ بتلخيص .

٢. وهو من أئمة المتكلمين في الشيعة .

٣. النجاشي: الرجال ١ / ٢٧٢ برقم ٢٧٧ وذكره ابن النديم في أخبار النحويين واللغويين ٩٠ والخطيب البغدادي في تاريخ مدينة بغداد ج ٧ برقم ٣٥٢٩ .

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ٤٢٥ برقم ١٢١٥ .

٥. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٤٢٤ وترجمه ابن خلكان: في وفياته، وياقوت في طبقات الأدباء وغيرهما . (٥٣٥)

٦- ابن حمدون: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون: قال النجاشي: الكاتب النديم، شيخ أهل اللغة ووجههم. أستاذ أبي العباس (١) وكان خصيصاً بسيدنا أبي محمد العسكري وأبي الحسن قبله. له كتب ثم ذكر كتبه (٢). ٧- أبو إسحاق النحوي: ثعلبة بن ميمون: قال النجاشي: كان وجهاً في أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحوياً، لغوياً، راوياً، وكان حسن العمل، كثير العبادة والزهد، روى عن الصادق والكاظم (٣). وبما أن الامام الكاظم توفي عام مائة وثلاث وثمانين، فهو من أهل المائة الثانية . ٨- قتيبة النحوي، الجعفي، الكوفي: قال النجاشي: المؤدب المقرئ، ثقة، عين، روى عن الصادق (٤) وذكره السيوطي في بغية الوعاة ووصفه في تأسيس الشيعة بأنه إمام أهل النحو واللغة (٥). ٩- إبراهيم بن أبي البلاد: قال النجاشي: كان ثقة، قارئاً، أدبياً، روى عن الصادق والكاظم - عليهما السلام - (٦). ١٠- محمد بن سلمة الشكري: قال النجاشي: جليل من أصحابنا الكوفيين، عظيم القدر، فقيه، قارئ، لغوي، راوياً، خرج إلى البادية، ولقي العرب وأخذ _____

١. يريد ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١ م) .

٢. النجاشي: الرجال ١ / ٢٣٧ برقم ٢٢٨ .

٣. النجاشي الرجال ١ / ٢٩٤ برقم ٣٠٠ وذكره ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ برقم ٣٣٢ .

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ١٨٥ برقم ٨٦٧ .

٥. تأسيس الشيعة ٧٦ .

٦. النجاشي: الرجال ١ / ١٠٢ برقم ٣١ . (٥٣٦)

عنهم، وأخذ عنه: يعقوب بن السكيت، ثم ذكر كتبه (١) وبما أنه شيخ ابن السكيت فهو أهل المائة الثانية وأوائل الثالثة . ١١- أبو عبدالله النحوي: الحسين بن أحمد بن خالويه، سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبننا، مع علمه بعلوم العربية، واللغة، والشعر، وله كتب ومن كتبه: مستحسن القراءات والشواذ، كتاب في اللغة (٢). ووصفه السيوطي في الطبقات إنه إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دفن ببغداد سنة ٣١٤ هـ . ١٢- أبو القاسم التنوخي: قال الشيخ رشيد الدين ابن شهر آشوب: أنه من جملة الشعراء المجاهرين بالشعر في مدح أهل البيت، وقال ياقوت: كان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة والعروض قدوة، وكان يحفظ من اللغة والنحو شيئاً عظيماً (٣) . ما ذكرناه نماذج من أئمة اللغة من الشيعة الامامية في القرون الأولى، وأما من وليهم من الأئمة فحدّث عنهم ولا حرج، فإن ذكر أسمائهم ونبت من حياتهم يدفعنا إلى تأليف مفرد، وقد كفانا في ذلك ما كتبه السيد الصدر في هذا المجال، فقد

بلغ النهاية، وقد ذكر أئمة النحو من الشيعة إلى القرن السابع (٤) فبلغ ١٤٠ إماماً وأستاذاً ومؤلفاً في الأدب العربي ولا سيما النحو وبينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) والشريف الرضى وابن الشجري الذي يقول في حقه السيوطي: كان أوحد زمانه، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب توفي ٥٤٢ .

١ . النجاشي: الرجال ٢ / ٢١٨ برقم ٨٩٧ .

٢ . النجاشي: الرجال ١ / ١٨٨ برقم ١٥٩ .

٣ . تأسيس الشيعة ٩١ .

٤ . لاحظ تأسيس الشيعة ٣٩ - ١٣٧ . (٥٣٧)

ونجم الأئمة الرضى الاستر آبادي، إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة . ٢- قدماء الشيعة وعلم الصرف:

إنَّ أوَّل من دوَّن الصرف أبو عثمان المازني وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو، كما ذكره في كشف الظنون، وشرحه أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى في ٣٩٢ هـ (١) وأبسط كتاب في الصرف، ما كتبه نجم الأئمة أعني محمد بن الحسن الاستر آبادي الغروي، له شرح الشافية في الصرف، كما له شرح الكافية في النحو وكلا كتابيه جليل الخطر محمود الأثر، قد جمع بين الدلائل والمباني، قال في كشف الظنون: للكافية شروح أعظمها شرح الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الطوسي الاستر آبادي النحوي قال السيوطي: لم يؤلف عليها، بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً فتداوله الناس واعتمدوا عليه وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها فرغ من تأليفه سنة ٦٨٣ . أقول: فرغ من شرح الكافية سنة ٦٨٦ في النجف الأشرف، كما هو مذكور في آخر الكتاب .

ولنكتف بهذا المقدار في مساهمة الشيعة، مع غيرهم في بناء الأدب العربي وتجديد قواعده وارسائها في مجالى النحو والصرف، وفيما ذكرنا غنى وكفاية . ٣- قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللغة، الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أصولها، واشتقاقها، ومعناها وهو يطلب لنفسه تأليف معاجم لغوية إما في موضوعات خاصة كالخيل

١ . كشف الظنون ١ / ٢٤٩ مادة «كافية» .

(٥٣٨)

والشاة والوحوش والإنسان فقد ألف حولهما كتب تحتوي كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها، ومن الإنسان أعضائه وأسمائه. أو موضوعات عامة وأول من ألف في القسم الثاني هو: ١- أبو عبدالرحمان الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدي: سيد أهل الأدب، هو أول من ضبط اللغة وأول من استخراج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم فألف كتابه «العين» جمع فيه ما كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها، وقواعدها، ورتب ذلك على حروف الهجاء، لكنّه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق، فاللسان، فالأسنان، فالشفتين، وبدأ بحرف العين وختمها بحروف العلة «واي» وسُمي الكتاب بأول لفظ من ألفاظه (١) . وكان الكتاب مخطوطاً عزيز النسخة، لكنّه رأى النور أخيراً وطبع محققاً. لم يشك أحد من علمائنا أنّ الخليل كان شيعياً وعن المرزباني أنّه ولد عام مائة من الهجرة وتوفي سنة ١٧٠ أو ١٧٥ وقال ابن قانع أنه توفي سنة ١٦٠ (٢) قد ألف كتاباً في الإمامة، أورده بتمامه محمد بن جعفر المراغي في كتابه واستدرك عليه ما لم يذكره وأسماء «الخليلى» قال النجاشي محمد بن جعفر بن محمد: أبو الفتح الهمداني الوداعي المعروف بـ «المراغي» كان يتعاطى الكلام، له كتاب مختار الأخبار، كتاب الخليلى في الامامة، وكتاب ذكر المجاز من القرآن (٣) . قال العلامة في الخلاصة: كان خليل بن أحمد أفضل الناس في الأدب

١ . آداب اللغة العربية ٤٢٧ - ٤٢٨ .

٢ . المامقاني: تنقيح المقال ١ / ٤٠٣ برقم ٣٧٣٩ .

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ٣١٨ برقم ١٠٥٤ . (٥٣٩)

وقوله حجة فيه واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر وكان إمامي المذهب (١). وقال ابن داود: الخليل بن أحمد شيخ الناس في علوم الأدب فضله وزهده أشهر من أن يخفى، كان إمامي المذهب (٢). ٢- أبان بن تغلب بن رباح الجريري: من أصحاب الباقر والصادق، قال النجاشي: كان قارئاً من وجوه القراء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم (٣) وقال ياقوت: ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الامامية. وقال: هو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وقال: كان قارئاً، فقيهاً، لغوياً، نبيهاً ثباً (٤). ٣- ابن حمدون النديم: شيخ أهل اللغة ووجههم وأستاذ أبي العباس ثعلب (٥). ٤- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: الأديب اللغوي، صاحب الجمهرة في اللغة مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد فقال الناس: مات علم اللغة والكلام. ألف كتاب «جمهرة اللغة» على منوال «العين» واختصره الصحاح وسماه «جوهره الجمهرة» (٦). ٥- الصحاح بن عباد: عظيم الشأن، جليل القدر في العلم والأدب، وألف الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١) كتابه عيون أخبار الرضا - عليه السلام - لأجله، ومن كتبه في اللغة: «المحيط» عشر مجلدات وقد عرفت تلخيص الجوهره. وأما تشييعه فحدث

١. العلامة الحلي: الخلاصة، القسم الأول ٦٧ .

٢. ابن داود الحلي: الرجال، القسم الأول ٨٨ برقم ٥٧٤ .

٣. النجاشي: الرجال ١ / ٧٣ برقم ٦ .

٤. ياقوت: معجم الأدباء ١ / ١٠٧ .

٥. الطوسي: الفهرست ١١ / ٥٦ .

٦. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢ / ١٩٥ . (٥٤٠)

عنه ولا- حرج . وكم له من قصائد في مدح أهل البيت نذكر منها ما يلي: ألم تعلموا ان الوصي هو الذي * أتى الزكاه وكان في المحراب ألم تعلموا ان الوصي هو الذي * حكم الغدير له على الأصحاب (١) ولنكتف بهذا المقدار فان المقصود اراء نماذج من كبار القدماء الذين شاركوا المسلمين في تأسيس العلوم العربية وتطويرها وأما التفصيل فيرجع إلى محاله (٢). ٤- قدماء الشيعة وعلم العروض:

إذا كانت الشيعة هي التي ابتكرت علم النحو بهداية من باب علم النبي الأكرم - عليه السلام - ولحسن الحظ أنها المبتكرة أيضاً لعلم العروض واستخراجه إلى الوجود وإليك المؤسسين والمؤلفين فيه بوجه موجز . ١- الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري قال ابن خلكان: هو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً (٣). ٢- كافي الكفاة الصحاح بن عباد الطائر الصيت، له كتاب الاقناع في

١. الغدير ٤ / ٦٦ وله قصائد أخرى مذكورة فيه .

٢. لاحظ تأسيس الشيعة للسيد الصدر فقد ترجم فيه ٢٤ شخصاً كلهم من أقطاب علم اللغة وللمناقشة في بعض ما ذكره وان كان مجالاً لكنه لا ينقص عن عظم الجهد الذي بذله في طريق منشوده .

٣. وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٤ برقم ٢٢٠ . (٥٤١)

العروض (١) وقد تولى التأليف بعده إلى عصرنا هذا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المعاجم حول مصنفات الشيعة . ومن أبرز ما ألف في العروض أخيراً أثران: أحدهما: للسيد الشريف هبة الدين الشهرستاني ١٣٠١ - ١٣٨٦ أسماه: رواشح الفيوض في علم العروض وقد طبع في طهران ١٣٢٤ . ثانيهما: منظومة رصينة قيمة قلما رأى الدهر مثلها للشيخ مصطفى التبريزي (١٢٩٨ - ١٣٣٨) شرحها العلامة أبو المجد الشيخ محمد رضا الاصفهاني (١٢٨٦ - ١٣٦٢) وأسماها «اداء المفروض في شرح ارجوزة العروض» وإليك مستهلها:

الحمد لله على اسباغ ما * أولى لنا من فضله وأنعمنا وخصنا منه بواف وافر * من بحر جوده المديد الزاخر صلى على نبينا المختار * ما

عاقب الليل على النهار وآله معادن الرسالة * بهم يداوى علل الجهالة خذها ودع عنك رموز الرامزة * كعادة تجلى عليك بارزة
تجمع كل ظاهر وخاف * في علمى العروض والقوافي (٢) ولنكتف بهذا المقدار والمقصود عرض موجز من مشاطرتهم غيرهم فى
تتبع العلوم وتطويرها .

١ . كشف الظنون / ١ / ١٣٢ .

٢ . نحتفظ منها بنسخة بخط السيد الامام الخميني - قدس سره - وفرغ من نسخها عام ١٣٤٦ . (٥٤٢) ٥- قدماء الشيعة وطرائف الشعر:
لا- نريد من الشعر فى المقام، الألفاظ المسبوكة، والكلمات المنضدة على أحد الأوزان الشعرية. وأما نريد منه ما يحتوى على
المضامين العالية، فى الحياة وبيث روح الجهاد فى الإنسان أو الذى يشتمل على حجاج فى الدين أو تبليغ للحق. وعلى مثل هذا الشعر
بنيت الحضارة الإنسانية وهو مقياس ثقافة الأمة ورقبتها وله خلود عبر القرون لا تطمسه الدهور والأيام . فلو نرى فى الذكر الحكيم،
تنديداً بالشعراء لقوله عز وجل: (والشعراء يتبعهم الغاؤون)(١)فإنما يريد بها الشعراء المأجورين الذين يتغافرون بالأباطيل فيجعلون من
الشعر تجارة، ويصنعون من الظالم مظلوماً، ومن المظلوم ظالماً ولأجل ذلك قال سبحانه: (ألم تر أنهم فى كل واد يهيئون * وأنهم
يقولون ما لا يفعلون)(٢) . فإذا كان المراد من الشعراء هذه الطائفة المثلى، الذين لا يقصدون بشعرهم وأدبهم وطرائفهم إلا ترويح
الحق ودعمه ونشره فى الملاء، فنرى فى الشيعة طبقة راقية منهم فى القرون الأولى وكان أئمة أهل البيت يقدرون جهودهم ويرحبون
بهم بكل حفاوة كما نطق به التاريخ فى حق الفرزدق وميمته وهاشميات الكميت، وعينية الحميرى وتائية دعل، لقد حظوا جميعاً
بتقدير واحترام الأئمة وصار عملهم فى هذا المجال اسوة الشيعة . وإليك أسماء قليل من شعراء الشيعة مع ذكر آيات من شعرهم
الخالد .

١ . الشعراء / ٢٢٤ .

٢ . الشعراء / ٢٢٥ - ٢٢٦ . (٥٤٣) ١- قيس بن سعد بن عبادة:

وهو سيد الخزرج، الصحابى الجليل، كان زعيماً مطاعاً، كريماً ممدوحاً، وكان من شيعة على - عليه السلام - بعثه على أميراً على مصر
سنة ٣٦ وهو وأبوه وأهل بيته من الذين لم يبايعوا ابابكر وقالوا لا نبايع إلا علياً(١) . ومن أشعاره التى أنشدها بين يدي أمير المؤمنين -
عليه السلام - : قلت لما بغى العدو علينا * حسبنا ربنا ونعم الوكيل حسبنا الذى فتح البصر * ه بالأمس والحديث الطويل يوم قال النبى
من كنت مولا * ه فهذا مولاه خطب جليل أنما قاله النبى على الأمة * حتم ما فيه قال وقيل (٢) ٢- الكميت (٦٠ - ١٢٦):

وهو الكميت بن زيد شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها من شعراء مضر. وكان معروفاً بالتشيع لبنى هاشم مشهوراً بذلك
وقد حظى بتقدير الأئمة لا صحاره بالحق، ولجهاده فى سبيله، وهاشمياته المقدرة بـ ٥٧٨ بيتاً أخذ ذكره فى التاريخ وهى مشتملة على
ميمية وبائية ورائية وغيرها . وإليك آياتاً من عينته: ويوم الدوح دوح غدیر خم * أبان له الولاية لو أطيعا ولكن الرجال تبايعوها * فلم
أر مثلها خطراً مبيعا

١ . الطبرى: التاريخ / ٣ / ٤٦٢ .

٢ . المفيد: الفصول المختارة ٨٧، الكراجكى: كنز الفوائد ٢٣٤، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص ٢٠ . (٥٤٤)

إلى أن قال: أضاعوا أمر قائدهم فضلوا * وأقومهم لدى الحدثان ريعا تناسوا حقه وبغوا عليه * بلا ترة وكان لهم قريبا فقل لنبى أمة
حيث حلوا * وإن خفت المهند والقطيعا ولقد طبع ديوان الكميت غير مرة وشرحه الأستاذ محمد شاکر الخياط والأستاذ الرافعى (١) .
٣- السيد الحميرى (ت ١٧٣):

أبو هاشم إسماعيل بن محمد الملقب بالسيد، الشاعر المعروف، ومن المكثرين المجيدين، ومن الثلاثة الذين عدوا أكثر الناس شعراً
فى الجاهلية والإسلام وهم «السيد» و«بشار» و «أبو العتاهية» وكان متفانياً فى حب العترة الطاهرة فلم يكن يرى لمناويهم حرمة وقدرأ
وكان يشدد النكير عليهم فى كل موقف ويهجوهم بالسنة حداد فى كل حول طول . ومن قصائده المعروفة، عينيته وقد شرحها عدة

من الأدباء ومستهلها: لأم عمرو باللوى مريع * طامسة أعلامها بلقح تروع عنها الطير وحشيّة * والوحش من خيفته تفرع (٢) ٤- دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦):

أبو علي دعبل بن علي الخزاعي وهو من بيت علم وفضل وأدب، يرجع نسبه _____

١. إقرأ حياة الكميت في الغدير ٢ / ١٨٠ - ٢١٢ .

٢. إقرأ ترجمة السيد في الغدير ٢ / ٢١٣ - ٢٨٩ . (٥٤٥)

إلى بديل بن ورقاء الخزاعي الذي دعا في حقّه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . قال النجاشي: أبو علي الشاعر المشهور في أصحابنا، صنّف كتاب طبقات الشعراء ومن أراد التوغّل في حياته وسيرته، فليقرأ النواحي الأربعة من حياته: ١- تهالكه في ولائه لأهل البيت - عليهم السلام - . ٢- نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتأليفه . ٣- روايته للحديث والرواية عنه ومن يروى عنهم . ٤- سيرته مع الخلفاء ثم ملحه ونوادره وثم ولادته ووفاته (١) . وإليك نزرًا من تائيته المعروفة: تجاوبن بالأرنان والزفراّت * نوائح عجم اللفظ والنطق إلى أن يقول: هم نقضوا عهد الكتاب و * فرضه ومحكمه بالزور والشبهات ولم تك إلا محنة قد كشفتهم * بدعوى ضلال من هن وهنات تراث بلا قربي وملك بلا هوى * وحكم بلا شوري بغير هدات ٥- أبو فراس (٣٢٠ - ٣٥٧):

أبو فراس الحرث ابن أبي العلاء قال الثعالبي: كان فرد دهره، وشمس عصره، أديباً وفضلاً وكرماً ونبلاً ومجداً وبلاغه وبراعة وفروسيه وشجاعه وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعدوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة (٢) . _____

١. لاحظ حياته في الغدير ٢ / ٣٦٩ - ٣٦٨ .

٢. يتيمه الدهر ٢٧٠ . (٥٤٦)

وتبعه في اطرائه والثناء عليه ابن عساكر. ومن قصائده المعروفة الميمية. التي مستهلها . الحق مهتضم والدين مخترم * وفي آل رسول الله مقتسم والناس عندك لا ناس فيحفظهم * سوم الرعاة ولا شاء ولا نعم إلى أن قال: بالرجال أما لله منتصر * من الطغاة أما لله منتقم بنو علي رعايا في ديارهم * والأمر تملكه النسوان والخدم إلى أن قال: ابلغ لديك بنى العباس مالكة * لا يدعوا ملكها ملاكها العجم أي المفاخر أمست في منازلكم * وغيركم أمر فيها ومحتكم أني يزيدكم في مفخر علم * وفي الخلاف عليكم يخفق العلم يا باعة الخمر كّفوا عن مفاخركم * لمعشر يتبعهم يوم الهياج دم (١) ويطيب لي في المقام أن أشير إلى أسماء بعض من أنجبتهم مدرسة أهل البيت في حلبة الشعر والأدب في القرن الرابع والخامس من اناس معدودين في القمّة فعلى القارئ الكريم أن يطالع عن حياتهم ويقرأ دواوينهم . ١- ابن الحجاج البغدادي المتوفى ٣٢١ صاحب القصيدة المعروفة: يا صاحب القبة البيضاء على النجف * من زار قبرك واستشفى لديك شفى ٢- الشريف الرضى ٣٥٧ - ٤٠٦ الغنى عن كل تعريف وبيان . ٣- الشريف المرتضى ٣٥٥ - ٤٣٦ وهو كأخيه أشهر من أن يعرف . ٤- مهيار الديلمي المتوفى ٤٤٨ الذي هو في الرعيّل الأوّل من شعراء القرن _____

١. الغدير ٣ / ٣٩٩ - ٤٠١ .

(٥٤٧)

الرابع وله غديريات كثيرة منها: هل بعد مفترق الأظغان مجتمع * أم هل زمان بهم قد فات يرتجع هذا عرض موجز لبعض الشعراء البارزين من الشيعة وفيه كفاية لمن أراد الاجمال وأما من أراد التوسّع فليرجع إلى الكتب التالية: ١- الأدب في ظلّ التشيع للشيخ عبد الله نعمه . ٢- تأسيس الشيعة: للسيد حسن الصدر. الفصل السادس . ٣- الغدير للعلامة الأميني بأجزائه الأحد عشر . ٤- قدماء الشيعة وعلم التفسير:

إنّ القرآن هو المصدر الرئيسي للمسلمين في مجالى العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبي الأكرم، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهي على وجه لا تجد له مثيلاً بين أصحاب الشرائع السابقة، حتى أسسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقي في ظلّها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام لذكرها. فأدوا واجبه تجاه كتاب الله العزيز -

شكر الله مساعيهم - من غير فرق بين الشيعة والسنة . إن مدرسة الشيعة منذ أن ارتحل النبي الأكرم إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسيراً على أصعدة مختلفة، وخدمت الذكر الحكيم بصور شتى، فأتى بوجه موجز، لما أُلّف في القرون الإسلامية الأولى . إن أئمة أهل البيت - بعد الرسول الأكرم - هم المفسرون للقرآن الكريم حيث فسّروا القرآن، بالعلوم التي نحلهم الرسول بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم التي لا تشذ عن قول الرسول وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين في عداد المفسرين ولا نعترف بحقوق أئمة أهل البيت إلا شيئاً لا يذكر. (٥٤٨)

هذا هو الدكتور محمّد حسين الذهبي، جعل علياً - وهو الوصي وباب علم النبي - في الطبقة الثالثة من حيث نقل الرواية عنه، وجعل تلميذه ابن عباس في الدرجة الأولى (١) ولم يذكر عن بقية الأئمة شيئاً مع ما نقل عنهم في مجال التفسير من الروايات الوافرة . ارتحل النبي الأكرم وعكف المسلمون على دراسة القرآن وأول ما فوجئوا به، هو قصور باع لفيف منهم عن فهم بعض ألفاظ القرآن. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز، لكن يوجد فيه ألفاظ غير رائج فيها وربما كانت رائج بين القبائل الأخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه «غريب القرآن» وقد سأل ابن الأرزق - رأس الخوارج - ابن عباس عن شيء كثير من غريب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقياح وقد جمعها السيوطي في اتقانه (٢) . وبما أن تفسير غريب القرآن كان الخطوة الأولى لتفسيره، أُلّف أصحابنا في أبان التدوين كتباً في ذلك المضممار، نذكر قليلاً من كثير . ١- غريب القرآن: لأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١) (٣) . ٢- غريب القرآن: لمحمّد بن السائب الكلبى من أصحاب الامام الصادق - عليه السلام - (٤) . ٣- غريب القرآن: لأبي روق، عطية بن الحارث الهمداني الكوفي التابعي، قال ابن عقدة: كان ممن يقول بولاية أهل البيت (٥) .

١ . الذهبي: التفسير والمفسرون ١ / ٨٩ - ٩٠ .

٢ . السيوطي: الاتقان ٤ / ٥٥ - ٨٨ .

٣ . النجاشي: الرجال ١ / ٧٣ برقم ٦ .

٤ . النجاشي: الرجال ١ / ٧٨ برقم ٦ .

٥ . ابن النديم: الفهرست ٥٧، النجاشي: الرجال ١ / ٧٨ . (٥٤٩)

٤- غريب القرآن: لعبد الرحمان بن محمّد الأزدي الكوفي، جمع فيه ما ورد في الكتب الثلاثة المتقدمة (١) . ٥- غريب القرآن: للشيخ ابن جعفر أحمد بن محمّد الطبري الآملي الوزير الشيعي المتوفى عام ٣١٣ (٢) . وقد توالى التأليف حول غريب القرآن في القرون الماضية، فبلغ العشرات أخيراً - لا آخرها - ما أُلّفه السيد محمّد مهدي الخراسان في جزأين (٣) . مجازات القرآن:

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معاني مفرداته وألفاظه، هناك لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. ونأتى بنماذج قليلة ممّا أُلّف في ذلك المجال بيد أعلام الشيعة: ١ - مجاز القرآن: لشيخ النحاة الفراء يحيى بن زياد الكوفي المتوفى عام ٢٠٧، وقد طبع أخيراً في جزأين (٤) . ٢- مجاز القرآن: لمحمّد بن جعفر أبو الفتح الهمداني. قال النجاشي: له كتاب «ذكر المجاز من القرآن» (٥) . ٣- مجازات القرآن: للشريف الرضى المسمّى بتلخيص البيان في مجازات القرآن، وهو أحسن ما أُلّف في هذا الباب وهو مطبوع .

١ . النجاشي: الرجال ١ / ٧٨ .

٢ . ابن النديم: الفهرست ٥٨ .

٣ . الطهراني آغا بزرك: الذريعة ١٦ / ٥٠ برقم ٢٠٨ .

٤ . الطهراني آغا بزرك: الذريعة ١٦ / ٥٠ برقم ٢٠٨ .

٥ . النجاشي: الرجال ٢ / ٣١٩ برقم ١٠٥٤ . (٥٥٠) التفسير بصور متنوّعة:

وهناك لون آخر من التفسير، يندفع المفسر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصة كالمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ،

وآيات الاحكام، وقصص الأنبياء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآيات الواردة في مغازي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والنازلة في حق العترة الطاهرة - عليهم السلام - إلى غيرها من الموضوعات التي لا- تعم جميع آيات القرآن، بل تختص بموضوع واحد. فقد خدمت الشيعة كتاب الله العزيز بهذه الأنواع من التفاسير، ومن أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم، وأخص بالذكر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة . الشيعة والتفسير الموضوعي

إن نزول القرآن نجومًا وتوزع الآيات الراجعة إلى موضوع واحد، في سور متعدّدة، يطلب لنفسه نمطاً آخر، غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبي، فإن النمط الثاني، يتجه إلى تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية، وأما النمط الأول فيحاول فيه المفسر إيراد الآيات الواردة في موضوع خاص، في مجال البحث، وتفسير الجميع جملة واحدة وفي محل واحد . فيستمد المفسر من المعاجم المؤلفة حول القرآن، ومن غيرها في الوقوف على الآيات الواردة، مثلاً في خلق السماء والأرض، أو الإنسان أو أفعاله وحياته الأخروية، فيفسر المجموع مرة واحدة، ويرفع ابهام آية، بآية أخرى، ويخرج بنتيجة واحدة وهذا النوع من التفسير وإن لم يهتم به القدماء واكتفوا منه بتفسير بعض الموضوعات كآيات الاحكام، والناسخ والمنسوخ، إلا أن المتأخرين منهم، بذلوا جهدهم في طريقه، ولعل العلامة المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠) أول من فتح (٥٥١)

هذا الباب على مصراعيه في موسوعته «بحار الأنوار»، حيث يورد في أول كل باب الآيات الواردة حوله ثم يفسرها اجمالاً، وبعد الفراغ منها، ينتقل إلى الأحاديث التي لها صلة بالباب . وقد قام كاتب هذه السطور بتفسير الآيات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتى الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهيم القرآن» ولقى اقبالا واسعا، أسأله سبحانه أن يوفقني لا تمامه . الشيعة والتفسير الترتيبي:

قد تعرّف على أن المنهج الراسخ بين القدماء وأكثر المتأخرين هو التفسير الترتيبي، وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الامام على والتابعين له إلى العصر الحاضر، بهذا النمط من التفسير إما بتفسير جميع سوره، أو بعضها والغالب على التفاسير المعروفة في القرون الثلاثة الأولى، هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمي والتحليلي من أواخر القرن الرابع. فأول من ألف من الشيعة على هذا المنهج هو الشريف الرضي (٣٥٧ - ٤٠٦) مؤلف كتاب «حقائق التأويل» في عشرين جزءاً (١) ثم جاء بعده أخوه الشريف المرتضى فسلك مسلكه في أماليه المعروفة بالدرر والغرر. ثم توالى التأليف على هذا المنهج من عصر الشيخ الأكبر الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) مؤلف «التيبان في تفسير القرآن» في عشرة أجزاء كبار، إلى عصر هذا . فقد قامت الشيعة في كل قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة،

١ . وللأسف لم توجد منه نسخة كاملة في عصرنا الحاضر إلا الجزء الخامس وهو يكشف عن عظمة هذا السفر ويدل على جلاله المؤلف .

(٥٥٢)

ولغات متعدّدة. لا- يحصيها إلا المتوغل في المعاجم ورفوف المكتبات. ولقد فهرسنا على وجه موجز أسماء مشاهير المفسرين من الشيعة وأعلامهم في ١٤ قرناً، وفصلنا كل قرن عن القرن الآخر واكتفينا بالمعروفين، لأن ذكر غيرهم عسير ومحوج إلى تأليف حافل. فبلغ عددهم ١٢٢ مفسراً. ومن أراد الامام بذلك فعليه الرجوع إلى المقدمة التي قدّمناها لتفسير التبان للشيخ الطوسي ولأجل ذلك نظوى الكلام في المقام . ٧- قدماء الشيعة وعلم الحديث:

إنّ السنّة هو المصدر الثاني للثقافة الإسلامية بجميع مجالاتها ولم يكن شيء أوجب بعد كتابة القرآن وتدوينه وصيانته من نقص وزيادة، من كتابة حديث الرسول وتدوينه وصيانته من الدس والدجل وقد أمر به الرسول غير مرة، روى الامام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّه قال للنبي: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: في الرضا والسخط؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : نعم فأنّه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلاّ حقاً (١) . إنّ الله سبحانه أمر بكتابة الدّين حفظاً له، واحتياطاً عليه واشفاقاً من دخول الريب فيه فالعلم الهدى حفظه أصعب من حفظ الدّين أخرى بأن يكتب ويحفظ من دخول الريب والشك فيه (٢) . فإذا كان

النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا ينطق عن الهوى وإنما ينطق عن _____

١. مسند أحمد ٢ / ٢٠٧ .

٢. الخطيب البغدادي: تقييد العلم ٧٠ . (٥٥٣)

الوحي الذي يوحى إليه (١) فيجب حفظ كلمه وأفعاله وتقريره. حتى تصدر الأمة عنها ويستغنى المسلم عن المقاييس الظنيّة والاستنباطات الذوقية . وبالرغم من وضوح الأمر وأنه كان من واجب ووظيفة المسلمين الاهتمام بدراسة سنّة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتدوينها. حالت الخلافة دون ذلك فأصبحت كتابة السنّة جريمة لا تغتفر حتى انّ الخليفة الثاني قال لأبي ذرّ وعبدالله بن مسعود وأبي الدرداء: «ما هذا الحديث الذي تفشون عن محمّد؟» (٢) . ولقد أضحى عمل الخليفة سنّة فاتّبعه عثمان ومشى على خطاه معاوية، فأصبح ترك كتابة الحديث سنّة إسلامية وعُدّت الكتابة شيئاً منكراً مخالفاً لها . إنّ الرزيّة الكبرى هي المنع عن التحدّث بحديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وكتابته وتدوينه، وفسح المجال في نفس الوقت للربان والأخبار للتحدّث بما عندهم من صحيح وباطل، ولقد أذن عمر لثميم الداري النصراني الذي استسلم في عام ٩ من الهجرة أن يقص (٣) . ولَمّا تسنّم عمر بن عبدالعزيز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث فكتب إلى أبي بكر بن حزم في المدينة، أن يقوم بتدوين الحديث قائلا: إنّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً (٤) . ومع ذلك فلم يقدر ابن حزم على القيام بما أمر به الخليفة. لأنّ رواسب الحظر

١. اقتباس عن قوله سبحانه: (ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إنّ هو إلا وحيّ يوحى) - النجم / ٢ - ٤ .

٢. كنز العمال ١٠ / ٢٩٣ برقم ٢٩٤٧٩. وفيه: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله الآفاق؟

٣. كنز العمال ١٠ / ٢٨١ .

٤. صحيح البخارى ١ / ٢٧ . (٥٥٤)

السابق المؤكد من قبل الخلفاء، حالت دون أمنيته إلى أن زالت دولة الأمويين وجاءت دولة العباسيين. فقام المسلمون بتدوين الحديث في عصر أبي جعفر المنصور سنة ١٤٣. وأنت تعلم أنّ الخسارة التي لحقت بالتراث الاسلامي من منع تدوين السنّة لا تجبر بتدوينه بعد مضي قرن وتيف، وبعد موت الصحابة وكثير من التابعين الذين رأوا النور وسمعوا منه الحديث. ولم يحدثوا ما سمعوه إلا سراً ومن ظهر القلب إلى مثله . أضف إلى ذلك أنّ الأخبار والربان والمأجورين للبلاد الأموي نشروا كل كذب وافتراء بين المسلمين . اهتمام الشيعة بتدوين الحديث:

قام الامام أمير المؤمنين على - عليه السلام - بتأليف عدة كتب في زمان النبي، فقد أملى رسول الله كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الامام واشتهر بكتاب على وقد روى عنه البخارى في صحيحه في باب «كتابة الحديث» (١) وباب «أثم من تبرأ من مواليه» (٢) وقد تبعه ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة الامام وإليك أسماء من اهتم بتدوين الآثار وما له صلة بالدين وإن لم يكن حديث الرسول . ١- قام أبو رافع صحابي الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بتدوين كتاب السنن والأحكام والقضايا (٣) . ٢- قام الصحابي الكبير سلمان الفارسي

المتوفى سنة ٣٤ بتأليف كتاب حديث _____

١. صحيح البخارى ١ / ٢٧ كتاب العلم .

٢. صحيح البخارى ٨ كتاب الفرائض الباب ٢٠ ص ١٥٤ .

٣. النجاشي: الرجال ٦٤ برقم ١ . (٥٥٥)

الجائليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قال الشيخ الطوسي: روى سلمان حديث الجائليق الذي بعثه ملك الروم بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (١) . ٣- وألّف الصحابي الورع أبو ذر الغفاري المتوفى سنة ٣٢ كتاب الخطبة يشرح فيها الأمور بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (٢) . هذا ما يرجع إلى الصحابة من الشيعة وأما الشيعة من غير

الصحابة أعنى التابعين وتابعى التابعين منهم، فقد قام لفيف منهم بتدوين السنّة إلى عصر الغيبة الكبرى، قد تكفّل بذكرهم وتأليفهم معاجم الرجال قديماً وحديثاً وإليك عرضاً موجزاً من محدّثى الشيعة ومؤلّفيهم فى القرن الأوّل وبداية الثانى . الطبقة الأولى:

١- الأصبغ بن نباتة المجاشعى، كان من خاصة أمير المؤمنين - عليه السلام - روى عنه - عليه السلام - عهد الأشر، ووصيته إلى ابنه محمّد (٣) . ٢- عبيدالله بن أبى رافع، المدنى، مولى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم -، كان كاتب أمير المؤمنين - عليه السلام -، له كتاب قضايا أمير المؤمنين - عليه السلام - وتسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان (٤) . ٣- ربيعة بن سميع، له كتاب فى زكاة النعم عن أمير المؤمنين - عليه السلام - (٥) .

١ . الطوسى: الفهرست ٨ .

٢ . الطوسى: الفهرست ٥٤ .

٣ . النجاشى: الرجال ١ / ٧٠ برقم ٤ .

٤ . الطوسى: الفهرست ١٠٧ .

٥ . النجاشى: الرجال ١ / ٦٧ برقم ٢ . (٥٥٦)

٤- سليم بن قيس الهللى: أبو صادق، له كتاب وهو مطبوع باسم كتاب سليم بن قيس . ٥- على بن أبى رافع، قال النجاشى: ولا بن أبى رافع كتاب آخر، وهو على بن أبى رافع، تابعى من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين - عليه السلام -، وكان كاتباً له، حفظ كثيراً، وجمع كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب (١) . ٦- عبيدالله بن الحر الجعفى، الفارس، الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين - عليه السلام - (٢) . ٧- زيد بن وهب الجهنى، له كتاب خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرها (٣) . الطبقة الثانية:

١- الامام السجاد زين العابدين - عليه السلام -، له الصحيفة الكاملة، المشتهرة بزبور آل محمّد - عليهم السلام - . ٢- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى، أبو عبدالله، المتوفى سنة ١٢٨، له كتب (٤) . ٣- زياد بن المنذر، الضعيف، كان مستقيماً ثم انحرف، له أصل،

١ . النجاشى: الرجال ١ / ٦٥ برقم ١ .

٢ . النجاشى: الرجال ١ / ٧١ برقم ٥ .

٣ . الطوسى: الفهرست ٧٢ .

٤ . النجاشى: الرجال ١ / ٣١٣ برقم ٣٣٠ . (٥٥٧)

وله كتاب التفسير (١) . ٤- لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة، أوردته الشيخ فى رجاله (٢) فى أصحاب الحسن والصادق - عليهما السلام - . ٥- جارود بن منذر الثقة، أوردته الشيخ فى أصحاب الحسن والباقر والصادق - عليهم السلام -، له كتب (٣) . الطبقة الثالثة:

وهم من أصحاب السجاد والباقر - عليهما السلام - : ١- برد الاسكاف، من أصحاب السجاد والصادقين - عليهم السلام -، له كتاب (٤) . ٢- ثابت بن دينار، أبو حمزة الثمالى الأزدى، الثقة، المتوفى سنة ١٥٠ روى عنهم - عليهم السلام -، له كتاب، وله النوادر والزهد، وله تفسير القرآن (٥) . ٣- ثابت بن هرمز، الفارسى، أبو المقدم العجلى، مولاهم الكوفى، روى نسخة عن على بن الحسين - عليهما السلام - (٦) . ٤- بسام بن عبدالله، الصيرفى، مولى بنى أسد، أبو عبدالله، روى عن

١ . الطوسى: الفهرست ٧٢ .

٢ . الطوسى: الرجال ٢٧٩ من أصحاب الصادق - عليه السلام - ولاحظ تعليقه المحقق .

٣ . الطوسى: الرجال ١١٢ فى أصحاب الباقر - عليه السلام - .

٤. النجاشي: الرجال ١ / ٢٨٤ برقم ٢٨٩ .

٥. النجاشي: الرجال ١ / ٢٨٩ برقم ٢٩٤ .

٦. النجاشي: الرجال ١ / ٢٩٢ برقم ٢٩٦ . (٥٥٨)

أبي جعفر وأبي عبدالله - عليهما السلام - ، له كتاب (١) . ٥- محمد بن قيس البجلي، له كتاب قضايا أمير المؤمنين - عليه السلام - (٢) .
٦- حجر بن زائدة الحضرمي، روى عن الباقر والصادق - عليهما السلام - ، له كتاب (٣) . ٧- زكريا بن عبدالله الفياض، له كتاب (٤) .
٨- ثوير بن أبي فاختة «أبو جهم الكوفي»، واسم أبي فاختة: سعيد بن علاقة (٥) . ٩- الحسين بن ثور بن أبي فاختة سعيد بن حرمان، له كتاب نوادر (٦) . ١٠- عبدالمؤمن بن القاسم بن قيس، الأنصاري، المتوفى سنة ١٤٧، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجّاد والصادقين - عليهم السلام - ، له كتاب (٧) . ولقد خصّص أبو عمرو الكشي باباً للمحدّثين المتقدّمين من الشيعة وجعله في صدر رجاله، وتبعه النجاشي في رجاله فخصّص الطبقة الأولى بباب ثمّ أورد أسماء الرواة على حسب الأحرف الهجائية . ولقد أجاد الشيخ الطوسي في التعرّف على طبقات الشيعة بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى عصره فذكر الأئمة الاثني عشر، وذكر أصحاب كل إمام

١. النجاشي: الرجال ١ / ٢٨٢ برقم ٢٨٦ .

٢. الطوسي: الفهرست ١٣١ .

٣. النجاشي: الرجال ١ / ٣٤٧ برقم ٣٨٢ .

٤. النجاشي: الرجال ١ / ٣٩١ برقم ٤٥٢ .

٥. النجاشي: الرجال ١ / ٢٩٥ برقم ٣٠١ .

٦. النجاشي: الرجال ١ / ١٦٦ برقم ١٢٤ .

٧. النجاشي: الرجال ٢ / ١٦٨ برقم ٦٥٣ . (٥٥٩)

وفق الترتيب الزمني، ثمّ ذكر باباً آخر باسم من لم يرههم ولكن روى عنهم بالواسطة. وأحسن كتاب ألف في هذا المجال هو ما ألفه أستاذنا الجليل السيد النحرير المحقق البروجردي الذي أخرج رجال الشيعة في ٣٤ طبقة، من عصر الصحابة إلى زمانه (١٢٩٢ - ١٣٨٠) فهذا الكتاب يكشف عن سبق الشيعة في نظم الحديث وتدوينه، وأنهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قيمة. وبذلك حفظوا نصوص النبي الأكرم وأهل بيته وقدموها إلى المجتمع الاسلامي، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الجبل الذي هو أحد الثقلين . هذا عرض موجز لمحدّثي الشيعة إلى عصر السجّاد والباقر - عليهما السلام - وأما الطبقات الأخرى فيأتي الكلام في فصل قداماء الشيعة والفقهاء لأنهم تجاوزوا عن التحديث إلى درجة الاجتهاد . ٨- قداماء الشيعة والفقهاء الاسلامي:

إنّ الفقه الشيعي هو الشجرة الطيبة، الراسخة الجذور، المتصلة الأسس بالنبوة، امتازت بالسعة والشمولية، والعمق، والدقّة، والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدّات من دون أن تتخطى عن الحدود المرسومة في الكتاب والسنة . إنّ الفقه الامامي يعتمد في الدرجة الأولى على القرآن الكريم ثمّ على السنة المحمدية المنقولة عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن طريق العترة الطاهرة - عليهم السلام - أو الثقات من أصحابه والتابعين لهم باحسان . وكما يعتمد الفقه الشيعي على الكتاب والسنة كذلك يتخذ من العقل مصدراً في المجال الذي له الحق في ابداء الرأي . كأبواب الملازمات العقلية أو قبح التكليف بلا بيان أو لزوم البراءة اليقينية عند الاشتغال اليقيني . (٥٦٠)

ولا- يكتفى بذلك بل يستفيد من الاجماع في الاستنباط ولكن الاجماع المفيد هو الكاشف عن وجود النص في المسألة أو موافقة الامام المعصوم مع المجمعين في عصر الحضور . إنّ الشيعة الامامية قدّمت في ظلّ هذه الأسس الأربعة فقهاً يتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إليه الأئمة ولم يقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبي إلى يومنا هذا. بل فتح باب طيلة القرون فأنتج عبر العصور فقهاء

عظماً، وموسوعات كبارا. لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلاً وإليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهاءهم والاياعاز إلى بعض كتبهم في القرون الأولى . فقهاء الشيعة في القرنين الأولين:

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدي أئمة الهدى عدة من الفقهاء العظام لا يستهان بهم فبلغوا الذروة في الاجتهاد كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار، وكلهم من أفاضل خريجي مدرسة أبي جعفر الباقر وولده الصادق - عليهما السلام - . فأجمعت العصابة على تصديق هؤلاء وانقادت لهم في الفقه والفقاهة . ويليهما في الفضل ليف آخر، هم أحداث خريجي مدرسة أبي عبدالله الصادق نظراء جميل بن دراج، وعبدالله بن مسكان، وعبدالله بن بكير، وحامد بن عثمان، وحامد بن عيسى، وأبان بن عثمان . وهناك ثلة أخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الامام موسى الكاظم وابنه أبي الحسن الرضا - عليهما السلام - نظراء يونس بن عبدالرحمان، ومحمّد بن أبي عمير، وعبدالله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن علي بن فضال، وفضالة (٥٦١)

ابن أيوب (١) . أكثر هؤلاء من فقهاء أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث . هؤلاء أعلام الشيعة في الفقه والحديث في القرنين الأولين وكلهم خريجو مدرسة أهل البيت - عليهم السلام - ولقد خلفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل وعناوين أخرى. أصحاب الجوامع الفقهية في القرن الثالث:

لم تزل تنجب مدرسة أهل البيت - عليهم السلام - في القرن الثالث فقهاءً كباراً ألّفوا جوامع فقهية. نشير إلى بعضهم: ١- يونس بن عبدالرحمان، ولقد وصفه ابن النديم في فهرسته بعلامة زمانه، له جوامع الآثار والجامع الكبير، وكتاب الشرائع. ٢- صفوان بن يحيى البجلي، الذي كان أوثق أهل زمانه وصنّف ٣٠ كتاباً. ٣ و ٤- الحسن والحسين ابنا سعيد بن حماد الأهوازي، صنّفا الكتب الثلاثين. ٥- أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفى ٢٧٤ صاحب كتاب المحاسن وغيره. ٦- محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي، صاحب نوادر الحكمة المتوفى حوالي ٢٩٣. صاحب الجامع المعروف. ٧- أحمد بن محمد أبي نصر البزنطي، المتوفى ٢٢١، صاحب الجامع

١ . أبو عمرو الكشي: الرجال ٢٠٦ - ٢٢٢ - ٤٦٦، وراجع رجال النجاشي في ترجمتهم وذكر آثارهم ومنزلتهم في الفقه .

(٥٦٢)

المعروف . فقهاء الشيعة في القرن الرابع:

هؤلاء هم فقهاء الشيعة في القرن الثالث ويليهم عدة أخرى في القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الاجمال: ١- الحسن بن علي بن أبي عقيل شيخ الشيعة وفقهها صاحب كتاب المتمسك بحبل آل الرسول . ٢- علي بن الحسين بن بابويه، المتوفى ٣٢٩، صاحب كتاب الشرائع . ٣- محمد بن الحسن بن الوليد القمي، جليل القدر، شيخ القميين وفقههم ومتقدّمهم مات سنة ٣٤٣ ولقد بلغ في الوثاقفة والدقة على حد يسكن إليها الشيخ الصدوق في تصحيحاته وتضعيفاته . ٤- جعفر بن محمد بن قولويه. أستاذ الشيخ الصدوق مؤلف كامل الزيارات، يقول النجاشي: إنه من ثقات أصحابنا وأجلّائهم في الفقه والحديث. توفى عام ٣٦٩. ٥- محمد بن علي بن الحسين الصدوق ٣٠٦ - ٣٨١، مؤلف من لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية . ٦- محمد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالاسكافي، المتوفى سنة ٣٨٥. قال النجاشي: وجه في أصحابنا ثقة جليل القدر صنّف فأكثر، ثم ذكر فهرس كتبه ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة. وكتاب الأحمدى للفقهاء المحمّدي . مشاهير الفقهاء في القرن الخامس:

وفي القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، احتفل الفقه الشيعي بل الاسلامي (٥٦٣)

بأسمائهم وآرائهم كالشيخ المفيد ٣٣٦ - ٤١٣ والسيد المرتضى ٣٥٥ - ٤٣٦ والشيخ الكراچكي ٤٤٩ والشيخ الطوسي ٣٨٥ - ٤٦٠ وسلار الديلمي مؤلف المراسم، وابن البراج ٤٠١ - ٤٨٩ مؤلف المهذب، وغيرهم الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال، ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه بالرجوع إلى الموسوعات الرجالية وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة . هذا

عرض موجز لمشاركة الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهي. وبعين الله ان علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود في ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات ومرترقة البلاط تطاردهم وتسجنهم وتقتلهم ومع ذلك نرى هذا الانتاج العلمي الهائل في مجال الفقه. ولو وقف عليها علماء الإسلام لا ندهشوا من سعة الفكر، وعمق النظر، وغزارة الانتاج. هذا هو الشيخ الطوسي الذي ألف المبسوط في الفقه المقارن في ٨ أجزاء في زمن كانت نار الحرب مشتعلة على الشيعة ولقد أحرقت داره، ومكتبته في كرخ بغداد فالتجأ سراً إلى النجف الأشرف تاركاً بلده الذي عاش فيه قرابة نصف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدور رحب، وأجيزوا بازاء شعر أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا. ٩- قدماء الشيعة وعلم أصول الفقه:

إن السنة النبوية بعد القرآن الكريم هي المصدر للتشريع، وقد سبق أن الخلافة - بعد رحلة الرسول - حالت دون تحديث ما تركه بين الأمة، وكتابه وتدوينه. فلم تدون السنة إلى عصر أبي جعفر المنصور إلا صحائف غير منظمة ولا مرتبة إلى أن (٥٦٤) شرع علماء الإسلام في التدوين سنة ٥٣(١). إن الحيلولة بين السنة وتدوينها ونشرها أدت إلى نتائج سلبية عظيمة منها قصور ما وصل إلى الفقهاء في ذلك العصر صحيحاً من الرسول، عن تلبية متطلباتهم في مجال الأحكام. حتى اشتهر عن امام الحنفية أنه لم يثبت عنده من أحاديث الرسول في مجال التشريع إلا سبعة عشر حديثاً. نحن لا نوافق مع ما حكى عن النعمان ولكن نؤكد على شيء آخر، وهو أن ما ورد في مجموع الصحاح والمسانيد والسنن الأعم من الصحيح والضعيف في مجال الأحكام الشرعية، لا يتجاوز ٥٠٠ حديثاً، قال السيد محمّد رشيد رضا: إن أحاديث الأحكام الأصول لا تتجاوز ٥٠٠ حديثاً تمدّها أربعة آلاف فيما أذكر (٢). ويقول أيضاً في تفسيره: يقولون إن مصدر القوانين، الأمة، ونحن نقول بذلك، في غير المنصوص في الكتاب والسنة. كما قرره الامام الرازي والمنصوص قليل جداً (٣). وما ذكره من قضية الامداد، يوحى إلى الموقوفات عن الصحابة من دون أن يثبت صدورها عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فهذه الموقوفات تعرب عن اجتهادات الصحابة في المسألة. ومن المعلوم ان قول الصحابي لا يكون حجة إلا إذا نُسب إلى الرسول. هذا وأنّ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ جمع كل ما ورد في

١. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ٢٦١.

٢. الوحي المحمّدي، الطبعة السادسة ٢١٢، نعم أنهاه ابن حجر في كتابه «بلوغ المرام» إلى ١٥٩٦ لكن كثيراً منها لا يتضمّن حكماً شرعياً وإنما هي أحاديث أخلاقية وغيرها فلاحظ.

٣. المنار ٥ / ١٨٩. (٥٦٥)

مجال التشريع في كتاب أسماه بلوغ المرام من أدلة الأحكام (١) وهو كتاب صغير جداً. إن افتقاد النص في مجال التشريع الذي واجه فقهاء أهل السنة بعد رحلة الرسول، هو الذي دعاهم إلى التفحص عن حلول لهذه الأزمنة حتى تسد حاجاتهم الفقهية فعكفوا على المقاييس الظنية التي ما أنزل الله بها من سلطان كالقياس، والاستقراء، والاستحسان، وسد الذرائع، وسنة الخلفاء، أو سنة الصحابة، أو رأى أهل المدينة إلى غير ذلك من القواعد وأسسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية، وقد جاء ذلك نواة لتأسيس علم أصول الفقه بصورة مختصرة نمت ونضجت في الأجيال. وأما الشيعة حيث إنهم لم يفتقدوا سنة الرسول بعد وفاته لوجود باب علم النبي، على - عليه السلام - والأئمة المعصومين بين ظهرانيهم فلم تكن هناك أية حاجة للعمل بتلك المقاييس وبالتالي لم يكن هناك أي دافع للاتجاه نحو أصول الفقه. نعم لمّا كان الإسلام ديناً عالمياً والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خاتم الأنبياء، والأصول والسنن مهما كثرت لا يمكن أن تلبّي بحرفيتها حاجات المسلمين إلى يوم القيامة، انبرى أئمة أهل البيت إلى املاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو اجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات التي يواجه بها الفقيه. وتلك الأصول هي التي تشكّل أساساً لعلم أصول الفقه ولقد جمعها عدّة من الأعلام في كتاب خاص أفضلها الفصول المهمة في أصول الأئمة للشيخ المحمّد الحر العاملي المتوفى ١١٠٤. فلو تأخّرت الشيعة في تدوين مسائل أصول الفقه فأنما لأجل ذاك الغنى الذي

١. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، طبع مصر تحقيق محمد حامد الفقى .

(٥٦٦)

عرفت، ومع ذلك نرى انّ لفيفاً من صحابه الأئمة درسوا بعض مسائل أصول الفقه نظير: ١- هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٩٩، صنّف كتاب الألفاظ (١) . ٢- يونس بن عبدالرحمان، صنّف كتاب اختلاف الحديث ومسائله. وهو مبحث تعارض الحديثين (٢) . ٣- إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت ٢٣٧ - ٣١١ . قال النجاشي: كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وذكر مصنفاته وعدّها منها كتاب الخصوص والعموم (٣) وذكره ابن النديم في فهرسته وعدّها من مصنفاته كتاب ابطال القياس. وكتاب نقض اجتهاد الرأى على ابن الراوندى (٤) . ٤- أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي من علماء القرن الثالث له كتاب الخصوص والعموم والخبر الواحد والعمل به (٥) . ٥- أبو منصور صرام النيشابورى من علماء القرن الثالث وأوائل الرابع له ابطال القياس (٦) . ٦- محمد بن أحمد بن داود بن علي المتوفى عام ٣٦٨ قال النجاشي: شيخ

١. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٩٨ برقم ١١٦٥ وهو مردد بين كونه كتاب لغة أو أدب، أو كونه باحثاً عن الألفاظ التي يستخدمها الفقيه في استنباط الأحكام لكون الأمر للوجوب والمرة والتكرار أو الفورية والتأخير إلى غير ذلك .

٢. الطوسى: الفهرست ٢١١ برقم ٨١٠ والنجاشي ٢ / ٤٢٠ .

٣. النجاشي: الرجال ١ / ١٢١ برقم ٦٧ .

٤. ابن النديم: الفهرست ٢٦٥ طبع مطبعة الاستقامة القاهرة .

٥. النجاشي: الرجال ١ / ١٨٠ - ١٨١ برقم ١٤٦ .

٦. الطوسى: الفهرست قسم الكنى ٣٨١ برقم ٥٨٨ . (٥٦٧)

هذه الطائفة وعالمها له كتاب الحديثين المختلفين (١) . ٧- محمّد بن أحمد بن الجنيد المتوفى سنة ٣٨١ له كتاب كشف التمويه والالتباس فى ابطال القياس (٢) . والطابع السائد على هذه الكتب هو دراسة بعض المسائل الأصولية كحجّية خبر الواحد، أو حل مشكلة اختلاف الحديثين أو نقد بعض الأساليب الرائجة فى تلك الأجيال فى استنباط الأحكام، كالتقياس وغيره ولا يصحّ عدّها كتباً أصولية بالمعنى المصطلح، نعم يمكن عدّها مرحلة أولى، ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية . وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت، بالسعة والشمول، بادخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم أصول الفقه وأول من فتح هذا الباب على وجه الشيعة بمصر اعني: معلم الأئمة الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣) فألف رسالته فى هذا المضمار وأدرجها تلميذه العلامة الكراچكى فى كتابه كنز الفوائد (٣) . وألف بعده تلميذه الجليل علم الهدى المعروف بالسيد المرتضى كتابه القيم الذريعة إلى أصول الشريعة طبع فى جزأين، وقد رأيت منها نسخة مخطوطة فى مدينة قزوين جاء فيها تاريخ فراغ المؤلف منه عام ٤٠٠ . الشيخ الطوسى: (٣٨٥ - ٤٦٠) ألف عدّة أصول وطبع مرات، وعن طريق هذه الكتب، انتشرت آراء الشيعة فى علم الأصول . ثم دخلت المرحلة الثالثة فقد ألف فيها كتب منها:

١. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٠٥ برقم ١٠٤٦ .

٢. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٠٤ برقم ١٠٤٨ .

٣. كنز الفوائد ٢ / ١٥ - ٣٠ طبع بيروت . (٥٦٨)

١- التقريب فى أصول الفقه للشيخ أبى ليلى المعروف بسالار بن عبدالعزيز الديلمى صاحب المراسم توفى عام ٤٤٨ . ٢- غنية النزوع إلى علمى الأصول والفروع تأليف أبى المكارم حمزة بن على بن زهرة المعروف بابن زهرة المتوفى عام ٥٨٥ . ٣- المصادر تأليف الشيخ سديد الدين الحمصى المتوفى حدود سنة ٦٠٠ . هذه هى المراحل الثلاثة التى مرّ بها علم الأصول، وقد تلتها مراحل أخرى إلى أن بلغت فى القرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها وبلغ أعلى مراحل كمالها، ويتّضح ذلك من ملاحظة ما ألف من عصر الأستاذ الأكبر المحقق البهبهاني (١١١٨ - ١٢٠٦) إلى يومنا، فقد راج التحقيق فى المسائل الأصولية من عصره إلى عصر الشيخ مرتضى الأنصارى

(١٢١٢ - ١٢٨١) وعصر تلميذه الشيخ محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩) ففي هذه الفترة: أي القرون الثلاثة، أُلّف مئات الكتب والرسائل في ذاك المجال، ولا أُغالي إذا قلت: أنه لم تبلغ طائفة من الطوائف الإسلامية تلك الدرجة التي وصلت إليها الشيعة في علمي الفقه والأصول من جانب كثرة الانتاج والاستيعاب ودقه النظر، شكر الله مساعيهم. ١٠- قدماء الشيعة وعلم المغازي والسير: مغازي النبي الأكرم جزء من تاريخ حياته وسيرته، والرسول قدوة وأسوة وفعله كقوله حجّة بلا اشكال وقد وضع بعضهم كتباً في فقه السيرة (١) فكان على المسلمين ضبط دقيقتها وجليلها، وقد قاموا بذلك لولا أن الخلافة حالت دون الأمانة. ولكن قيض الله سبحانه، رجالاً في الشيعة في ذلك المجال ضبطوا سيرة الرسول _____

١. كزاد المعاد لابن القيم، وفقه السيرة للشيخ الغزالي المعاصر .

(٥٦٩)

ومغازيه: ١- منهم محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١): عدّه الشيخ الطوسي في رجاله (١) من أصحاب الإمام الصادق. ولأجل ولائه لأهل بيت النبوة وصفه ابن حجر في التقريب «بأنه امام المغازي، صدوق، يدلّس ورمى بالتشيع والقدر» (٢) وفي مختصر الذهبي: أنه كان صدوقاً من بحور العلم، وعن تاريخ الياقعي عن شعبه بن الحجاج أنه قال: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث، وعن الشافعي: من اراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال محمد بن إسحاق (٣). لَمَّا كان المترجم شيعياً مجاهراً في ولائه لأهل البيت عمد ابن هشام (ت ٢١٢) بتلخيص كتابه على أساس حذف ما لا يلائم نزعتة فحذف أكثر ما له صلة بفضائل الامام علي وأهل بيته. فعلى الشيعة الغيارى التفحص في مكاتب العالم وفهارسها، حتّى يعثروا على نسخة الأم، وينشروا هذا الكنز الدفين، وقد أذعن بعض المستشرقين أنه عثر على الأصل ونشره باسم سيرة ابن إسحاق، لكنّه جزء من السيرة لا كلّها. ومن حسن الحظ ان سيرة ابن إسحاق وإن لم تكن موجودة بصورتها لكنّها موجودة بمادتها فقد بثّها الطبرسي (٤٧٠ - ٥٤٨) في أجزاء مجمع البيان، وابن الجوزي (١٥٩٥) في المنتظم، وابن كثير في تاريخه وغيرهم، فعلى المحققين العظام، استخراج مادة السيرة عن هذه الكتب، وملخصها المعروف بالسيرة النبوية لابن هشام . _____

١. الطوسي: الرجال ١٨١ .

٢. ابن حجر: التقريب ٢ / ١٤٤ برقم ٤٠ .

٣. المامقاني: تنقيح المقال ٣ / ٧٩ برقم ١٠٣٨ . (٥٧٠)

٢- نعم سبق ابن إسحاق، عبيدالله بن أبي رافع من أصحاب الامام أمير المؤمنين، فقد عمل كتاباً أسماه تسمية من شهد مع أمير المؤمنين، الجمل وصفين والنهروان من الصحابة، ذكره الشيخ في الفهرس (١) لكنّه في مغازي الوصي لا النبي . ٣- كما أُلّف جابر الجعفي (ت ١٢٨) كتاباً في ذلك المجال: قال النجاشي: جابر عربي قديم. ثم ذكر نسبه وعدّ من كتبه: كتاب الجمل وكتاب صفين، وكتاب نهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين - عليه السلام - وكتاب مقتل الحسين (٢) . ٤- وأُلّف في ذلك المجال: أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي الذي ربّما يسكن البصرة وقد أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩) وأبو عبدالله بن القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤) وأكثرها الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، له كتاب حسن يجمع المبتدأ والمغازي والوفاء والردة (٣) . وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من مبعثه ومغازيه ووفاته وأخبار يوم السقيفة وارتداد بعض القبائل . ٥- ومن مشاهير هذا الفن من الشيعة أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، روى عن جعفر بن محمد - عليهما السلام - . وصنّف كتاباً: منها كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب فتوح الإسلام... (٤) . ٦- ومن أعلامه، نصر بن مزاحم (٢١٢) أُلّف كتاباً كثيرة في ذلك _____

١. الطوسي: الفهرست ٢٠٢ .

٢. النجاشي: الرجال ١ / ٣١٣ برقم ٣٣٠ .

٣. النجاشي: الرجال ١ / ٨٠ برقم ٧.

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٨٤ برقم ١١٤٩. (٥٧١)

المجال (١). ٧- هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٢٠٦) أعلم علماء النسب والسير والآثار، ذكره النجاشي وقال: المناسب، العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم وكان يختص بمذهبهنا ثم ذكر كتبه (٢). هذا عرض موجز لمن شارك المسلمين من قدماء الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تدوين السيرة والمغازي والمقاتل والتاريخ، وأما المتأخرون فسل عنهم ولا حرج، وراجع المعاجم: كأعيان الشيعة للسيد الأمين العاملي، والذريعة لشيخنا المجيز الطهراني. ١١- قدماء الشيعة وعلم الرجال:

اهتم علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، نذكر المؤلفين الأوائل: ١- عبدالله بن جبلة الكنانى (٢١٩) قال النجاشي: وبیت جبلة مشهور بالكوفة وكان واقفاً، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً. له كتب، منها كتاب الرجال... (٣). ٢- على بن الحسن بن فضال كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث، من أصحاب الامام الهادى والعسكرى له كتب منها كتاب الرجال (٤). وهذا المعروف بابن فضال الصغير، وأبوه الحسن هو ابن فضال الكبير وكلاهما فطحيان.

١. النجاشي: الرجال ٢ / ١٩١ - ١٩٢ برقم ٨٧٣.

٢. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٩٩ برقم ١١٦٧.

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ١٣ برقم ٥٦١.

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ٨٢ برقم ٦٧٤. (٥٧٢)

٣- الحسن بن محبوب السراد (١٥٠ - ٢٢٤) الراوى عن ستين رجلاً من أصحاب الصادق له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار» (١). ٤- أبو عمرو الكشى البصير بالأخبار والرجال، تلميذ الشيخ العياشى، وكتابه المعروف بـ «معرفة الرجال» هو الذى لخصه الشيخ الطوسى وأسماه بـ «اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود فى الاعصار الأخيرة. ٥- الشيخ أبو العباس أحمد بن على النجاشى (٣٧٢ - ٤٥٠) من نقاد هذا الفن ومن أجلائه وأعيانه حاز قصب السبق فى ميدان علم الرجال، له كتاب فهرس مصنفى الشيعة المعروف برجال النجاشى وقد طبع أخيراً محققاً فى مؤسستنا «الامام الصادق - عليه السلام -». ٦- والشيخ الطوسى (٣٨٥ - ٤٦٠) الغنى عن التعريف عمل كتابين أحدهما الفهرست والآخر الرجال ويعدان من أمهات الكتب الرجالية، وتوالى التأليف فى علم الرجال وأخيه علم الدراية إلى عصرنا هذا، وقد أنهى الشيخ الطهرانى المؤلفين من الشيعة فى علم الرجال فبلغ قرابة خمسمائة مؤلف شكر الله مساعى الجميع. هذا عرض موجز من مشاركة علماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم واكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهم الجيارة فى القرون الأولى وما بعدها إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة من عمالقة العلم وجهابذة الفضل، كرسوا حياتهم الثمينة فى ارساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها فأخلدوا لأنفسهم صحائف بيضاء ولصالح أمتهم حضارة انسانية، كل ذلك فى ظروف قاسية وسلطات شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلا فى فترات

١. الطوسى: الفهرست ٧١، برقم ١٦٢، ابن شهر آشوب: معالم العلماء ٣٣٣ برقم ١٨٢، الطهرانى: مصنفى المقال ١٢٨.

(٥٧٣)

يسيره. ١٢- قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

جاء الإسلام ليحرر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتركمة الموروثة التى خلقتها له الأجيال الماضية وهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلة الناطقة، ويكفيك أن الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها ٤٧ مرة، و «التفكير» ١٨ مرة و «اللب» ١٦ مرة، و «التدبر» ٤ مرات و «النهى» مرتين. فبذلك نهى عن التقليد وحث على التعقل بيانات مختلفة. فتارة فتح عيون الإنسان إلى الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا

* وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا * متاعاً لَكُمْ و لِأَنْعَامِكُمْ(١). و أخرى دعاه إلى التفكير والاستدلال المنطقي، فقال سبحانه: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يوقِنُونَ)(٢). فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر في الكون نظرة فاحصة، وأخرى بالحث على التفكير في المعارف بأسلوب منطقي وبرهاني، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وبعثهم إلى اعمال الحس والتعقل وأعطى لكل قدره

١. النازعات / ٢٧ - ٣٣ .

٢. الطور / ٣٥ - ٣٦ . (٥٧٤)

وقيمته غير أن المسلمين سوى قليل منهم تنكبوا عن هذا الطريق، خصوصاً في ما يرجع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبهه ومعطل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم على الجمود بالمفردات الواردة في الكتاب والسنة، وبذلك استغنوا عن أيّ تعقل وتفكر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم في الخالق: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك(١)، فهؤلاء هم المجسّمه والمشبهه، وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكير في الله سبحانه، فقالوا: أعطينا العقل لاقامة العبودية لا لادراك الربوبية، فمن شغل ما أعطى لاقامة العبودية بادراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية(٢). فالأكثرية الساحقة في القرون الأولى كانوا بين مشبهه ومعطل، غير أنه سبحانه شملت عنايته أمّه من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً، وقالوا بأنه يمكن للانسان التعرف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين: ١- النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة كما وردت في القرآن الكريم. ٢- ترتيب الأقيسة المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا هو الخط الذي رسمه القرآن الكريم، ومشى على هذا الخط أئمة أهل البيت - عليهم السلام - من أولهم إلى آخرهم. ترى ذلك في كلام الامام علي - عليه السلام - بوضوح، في أحاديثه وخطبه، ورسائله وكلمه ولا يمكن لنا نقل معشار منه، ونكتفي بحديث واحد .

١. الشهرستاني: الملل والنحل / ١ / ١٠٥ ط دار المعرفة لبنان .

٢. علاقة الاثبات والتفويض نقلا عن الحجّة في بيان المحجّة ٣٣ . (٥٧٥)

سأله سائل: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذى سألتني لا يكون(١). إن خطب الامام - عليه السلام - ورسائله وقصار حكمه صار هو الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم في العقائد والمعارف، ولم يقف نشاط الشيعة في ذلك المجال، بل جاءت الأئمة بعد الامام، ففتحوا عقول شيعتهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكير في المعارف، حتّى تربّى في مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيد الساجدين إلى عصر الامام العسكري، تجد أسماءهم وتآليفهم وافكارهم في المعاجم وكتب الرجال، وقد نبغ في عصر أئمة أهل البيت مفكرون بارزون افادوا الأجيال من بعدهم، نأتى بأسماء البارزين بعد استفحال علم الكلام في أوائل القرن الثاني . متكلّموا الشيعة في القرن الثاني:

١- زرارة بن أعين بن شينش: مولى (بنى عبدالله بن عمرو السمين بن اسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان)، أبو الحسن. شيخ أصحابنا في زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً في ما يرويه. قال أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً في الاستطاعة والجبر(٢) وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً

١. الصدوق: التوحيد ١٣٠ باب «القدرة» برقم ٩ .

٢. النجاشي: الرجال / ١ / ٣٩٧ برقم ٤٦١، الطوسي الفهرست برقم ٣١٤، الكشي: الرجال برقم ٦٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢ برقم ٢٨٥٣ . (٥٧٦)

ومعرفة بالكلام والتشيع(١) وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التي اجتمعت العصابة على تصديقهم، وهو غني عن التعريف والتوصيف . ٢- محمّد بن علي بن النعمان بن أبي طريفه الجلي: مولى الأحوال «أبو جعفر»، كوفي، صيرفي يلقب بـ «مؤمن الطاق» و

«صاحب الطاق»، ويلقبه المخالفون بـ «شيطان الطاق»... وكان دكانه في طاق المحامل، بالكوفة، فيرجع إليه في النقد فيردّ رداً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق». أما منزلته في العلم وحسن خاطر، فاشهر وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا. وله كتاب «افعل لا تفعل» رأيت عند أحمد بن الحسين بن عبيدالله رحمه الله، كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخرين أحاديث تدل فيه على فساد، ويذكر تباين أقاويل الصحابة. وله كتاب «الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين - عليه السلام -» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئه... (٢) فقد توفي الامام الصادق عام ١٤٨، وأبو حنيفة عام ١٥٠، فالرجل من متكلمي القرن الثاني. وقال ابن النديم وكان متكلماً حاذقاً وله من الكتب كتاب الامامة، كتاب المعرفة، كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضل، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة (٣). ٣- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلمي الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممن دعا له الصادق - عليه السلام -، فقال: أقول لك ما قال رسول الله لحسان: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهو الذي فتق الكلام في

١. ابن النديم: الفهرست ٣٢٣.

٢. النجاشي: الرجال ٢ / ٢٠٣ برقم ٨٨٧، الطوسي: الرجال أصحاب الكاظم برقم ١٨ والفهرست للطوسي برقم ٥٩٤، الكشي: الرجال برقم ٧٧.

٣. ابن النديم: الفهرست ٢٤٤ وأيضاً ٢٥٨. (٥٧٧)

الإمامة وهذب المذهب وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب (١). يقول الشهرستاني: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور في الأصول، لا ينبغي أن يغفل عن الزمات على المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنه أزم الغلاة... (٢). وقال النجاشي: هشام بن الحكم أبو محمد مولى كنده، وكان ينزل بنى شيان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة ١٩٩، ويقال أن في هذه السنة مات. له كتاب يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه على النحو التالي: ١- علل التحريم، ٢- الفرائض، ٣- الإمامة، ٤- الدلالة على حدوث الأجسام، ٥- الرد على الزنادقة، ٦- الرد على أصحاب الاثنين، ٧- التوحيد، ٨- الرد على هشام الجواليقي، ٩- الرد على أصحاب الطبائع، ١٠- الشيخ والغلام في التوحيد، ١١- التدبير في الإمامة، ١٢- الميزان، ١٣- إمامة المفضل، ١٤- الوصية والرد على منكريها، ١٥- الميدان، ١٦- اختلاف الناس في الإمامة، ١٧- الجبر والقدر، ١٨- الحكمين، ١٩- الرد على المعتزلة وطلحة والزبير، ٢٠- القدر، ٢١- الألفاظ، ٢٢- الاستطاعة، ٢٣- المعرفة، ٢٤- الثمانية أبواب، ٢٥- على شيطان الطاق، ٢٦- الاخبار، ٢٧- الرد على المعتزلة، ٢٨- الرد على ارسطاطاليس في التوحيد، ٢٩- المجالس في التوحيد، ٣٠- المجالس في الإمامة (٣).

١. ابن النديم: الفهرست ٢٥٧.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٨٥.

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٩٧ برقم ١١٦٥. (٥٧٨)

يقول أحمد أمين: أكبر شخصية شيعية في الكلام، وكان جداً قوياً الحجّة، ناظر المعتزلة وناظره، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهته وقوة حججه. إن الرجال كان في بدايه أمره من تلاميذ أبي الشاكر الديرصاني، صاحب النزعة اللاحادية في الإسلام ثم تبع الجهم بن صفوان، الجبري المتطرّف المقتول بترمز عام ١٢٨ هـ، ثم لحق بالإمام الصادق - عليه السلام - ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التي لا توافق أصول الامامية، فأنما هي راجعة إلى العصرين اللذين كان فيهما على النزعة اللاحادية أو الجهمية، وأما بعد ما لحق بالإمام الصادق - عليه السلام - فقد انطبعت عقلية بمعارف أهل البيت إلى حد كبير، حتى صادر أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الامامية (١). ٤- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلمين، تعلّم الكلام من علي بن الحسين - عليه السلام - روى الكليني أنه أتى شامى إلى أبي عبدالله الصادق لينظر أصحابه، فقال - عليه السلام - ليونس بن يعقوب: أنظر من

ترى بالباب من المتكلمين...إلى أن قال يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً وقد تعلم الكلام من علي بن الحسين - عليهما السلام - (٢). ٥- عيسى بن روضة، حاجب المنصور: كان متكلماً جيد الكلام، وله _____

١. إن للعلامة الحجة الشيخ عبدالله نعمه كتاباً في حياة هشام بن الحكم، فقد أغرق نزاعاً في التحقيق وأغنانا عن كل بحث وتنقيب .

٢. الكليني الكافي ١ / ١٧١ . (٥٧٩)

كتاب في الإمامة. وقد وصفه أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد، وذكر أنه رأى الكتاب. وقال بعض أصحابنا رحمهم الله: أنه رأى هذا الكتاب. وقرأت في بعض الكتب: أن المنصور لما كان بالحيرة، سمع على عيسى بن روضة، وكان موله، وهو يتكلم في الإمامة فأعجب به واستجاد كلامه (١) وبما أن المنصور توفي عام ١٥٨، فالرجل من متكلمي القرن الثاني . ٦- الضحاك، أبو مالك الحضرمي: كوفي، عربي، أدرك أبا عبدالله - عليه السلام - وقال قوم من أصحابنا: روى عنه وقال آخرون: لم يرو عنه. وروى عن أبي الحسن، وكان متكلماً ثقة ثقة في الحديث. وله كتاب: في التوحيد، رواه علي بن الحسن الطاطري (٢) فالرجل من متكلمي القرن الثاني. وقال ابن النديم: من متكلمي الشيعة وله مع أبي علي الجبائي مجلس في الإمامة وتثبيتها بحضرة أبي محمد القاسم بن محمد الكوفي وله من الكتب كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبي علي ولم يتمه (٣) . ٧- علي بن الحسن بن محمد الطائي: المعروف بـ «الطاطري» كان فقيهاً ثقة في حديثه له كتب منها: التوحيد، الامامة، الفطرة، المعرفة، الولاية (٤) وغيرها وعده ابن النديم من متكلمي الامامية وقال: ومن القدماء: الطاطري وكان شيعياً واسمه... وتنقل في التشيع وله من الكتب كتاب الإمامة حسن (٥) وبما أنه من أصحاب الإمام الكاظم فهو من متكلمي القرن الثاني . _____

١. النجاشي: الرجال ٢ / ١٤٥ برقم ٧٩٤ .

٢. النجاشي: الرجال ١ / ٤٥١ برقم ٥٤٤ .

٣. ابن النديم: الفهرست ٢٦٦ .

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ٧٧ برقم ٦٦٥ .

٥. ابن النديم: الفهرست ٢٦٦ . (٥٨٠)

٨- الحسن بن علي بن يقطين بن موسى: مولى بني هاشم، وقيل مولى بني أسد، كان فقيهاً متكلماً روى عن أبي الحسن والرضا - عليهما السلام -، وله كتاب مسائل أبي الحسن موسى - عليه السلام - (١) وبما أن أبا الحسن الأول توفي عام ١٨٣، والثاني توفي عام ٢٠٣، فالرجل من متكلمي القرن الثاني وأوائل الثالث، وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا (٢) وهو المذني سأل الإمام الرضا - عليه السلام - بأنه لا يقدر على لقائه في كل وقت فعين يأخذ معالم دينه؟ فأجاب الامام - عليه السلام - خذ عن يونس بن عبدالرحمان (٣) . ٩- حديد بن حكيم: أبو علي الأزدي المدائني، ثقة، وجه، متكلم، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن - عليهما السلام - له كتاب يرويه محمد بن خالد (٤) وبما أنه من تلاميذ الصادق والكاظم - عليهما السلام - فالرجل من متكلمي الشيعة في القرن الثاني . ١٠- فضال بن الحسن بن فضال: وهو من متكلمي عصر الصادق والكاظم - عليه السلام - وذكره الطبرسي في احتجاجه ومناظرته مع أبي حنيفة فلاحظ (٥) . وما ذكرناه نماذج من مشاهير المتكلمين في عصر الصادقين والكاظم، وهناك من لم نذكرهم ولهم مناظرات واحتجاجات احتفلت بهم الكتب التاريخية والكلامية كحمران بن أعين الشيباني، وهشام بن سالم الجواليقي، والسيد الحميري، والكميت الاسدي (٦) . _____

١. النجاشي: الرجال ١ / ١٤٨ برقم ٩ .

٢. الشيخ الطوسي: الرجال برقم ٧ .

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ٤٢١ برقم ١٢٠٩ .

٤ . النجاشي: الرجال ١ / ٣٧٧ برقم ٣٨٣، وذكره الخطيب في تاريخه ج ٨ برقم ٤٣٧٧.

٥ . التستري: قاموس الرجال ٤ / ٣١٣ .

٦ . لاحظ أعيان الشيعة ١ / ١٣٤ - ١٣٥ .

(٥٨١) متكلموا الشيعة في القرن الثالث:

١- الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيشابوري: كان أبوه من أصحاب يونس، وروى عن أبي جعفر الثاني وقيل الرضا - عليهما السلام - وكان ثقةً، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلمين، وله جلاله في هذه الطائفة وهو في قدره أشهر من أن نصفه وذكر الكنجي أنه صنّف مائة وثمانين كتاباً. وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الإمام الهادي والعسكري، وقد توفّي عام ٢٦٠ فهو من متكلمي القرن الثالث. وقد ذكر النجاشي فهرس كتبه نقتبس منه ما يلي: كتاب النقص على الاسكافي في تقوية الجسم، كتاب الوعيد، كتاب الرد على أهل التعطيل، كتاب الاستطاعة، كتاب مسائل في العلم، كتاب الاعراض والجواهر، كتاب العلل، كتاب الايمان، كتاب الرد على الثنوية، كتاب اثبات الرجعة، كتاب الرد على الغالية المحمدية، كتاب تبيان اصل الضلالة، كتاب الرد على محمد بن كرام، كتاب التوحيد في كتب الله، كتاب الرد على أحمد بن الحسين، كتاب الرد على الأصم، كتاب في الوعد والوعيد آخر، كتاب الرد على بيان ايمان ابن رباب (الخارجي)، كتاب الرد على الفلاسفة، كتاب محنة الإسلام، كتاب الأربع مسائل في الامامة، كتاب الرد على المنانية، كتاب الرد على المرجئة، كتاب الرد على القرامطة، كتاب الرد على البائسة، كتاب اللطيف، كتاب القائم عليه السلام، كتاب الإمامة الكبير، كتاب حذو النعل بالنعل، كتاب فضل أمير المؤمنين - عليه السلام -، كتاب معرفة الهدى (٥٨٢)

والضلالة، كتاب التعري والحاصل، كتاب الخصال في الإمامة، كتاب المعيار والموازنة، كتاب الرد على الحشوية، كتاب الرد على الحسن البصري في التفضيل، كتاب النسبة بين الجبرية والبترية (١) . ٢- حكم بن هشام بن الحكم: أبو محمّد، مولى كنده، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكى عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنه رأى له كتاباً في الامامة (٢) وقد توفّي والده ٢٠٠ أو ١٩٩، فهو من متكلمي أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث . ٣- داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصري - رحمه الله - شيخ جليل، فقيه متكلم من أصحاب الحديث ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب منها، كتاب في الإمامة على سائر من خالفه من الأمم، والآخر مجرد الدلائل والبراهين (٣). وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست في باب الكنى وقال: أنه من جملة متكلمي الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختي، وأخذ عنه، واجتمع معه في الحائر على ساكنه السلام، وكان ورد للزيارة (٤). فبما أنه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختي المعاصر للجبائي (ت ٣٠٣) فهو من متكلمي القرن الثالث المعاصر . ٤- محمد بن عبد الله بن مملك الاصبهاني: أصله جرجان، وسكن اصبهان، جليل في أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة كان معتزلاً ورجع على يد عبدالرحمان بن أحمد بن جبرويه - رحمه الله - . له كتب منها، كتاب الجامع في سائر أبواب الكلام كبير، وكتاب المسائل والجوابات في الإمامة، كتاب موالي الأئمة

١ . النجاشي: الرجال ٢ / ١٦٨ برقم ٨٣٨، والطوسي: الرجال برقم ١ و ٢ في أصحاب الهادي والعسكري - عليهما السلام -، والكشي: الرجال برقم ٤١٦ .

٢ . النجاشي: الرجال ١ / ٣٢٨ برقم ٣٤٩ .

٣ . النجاشي: الرجال ١ / ٣٦٤ برقم ٤١٢ .

٤ . الطوسي: الفهرست ٢٢١ برقم ٨٧٥ . (٥٨٣) - عليهم السلام -، كتاب مجالسه مع أبي علي الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣) (١) .

٥- ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكري: صاحب أبي عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطلاع بالحديث والرواية، والفقهاء. له كتب، منها: ١- كتاب توليدات بنى أمية في الحديث وذكر الأحاديث الموضوعية . ٢- الكتاب الذي يعزى إلى أبي عيسى الوراق في نقض العثمانية له . ٣- كتاب الأسفار . ٤- دلائل الأئمة - عليهم السلام - (٢) . وبما أنه

من أصحاب أبي عيسى الوراق، وقد توفى هو في ٢٤٧، فالرجل من متكلمي القرن الثالث . ٦- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومي: أبو محمد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه، قدم العراق، وسمع أصحابنا منه، مثل أيوب بن نوح، والحسن بن معاوية، ومحمد بن الحسين، وعلي بن الحسن بن فضال، له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة . وبما أن الراوي عنه كعلي بن الحسن بن فضال من أصحاب الهادي والعسكري - عليهما السلام - وقد توفى الامام العسكري عام ٢٦٠، فهو في رتبة الحسن بن علي بن فضال، الذي هو من أصحاب الإمام الرضا - عليه السلام - فيكون من متكلمي القرن الثالث (٣) .

١ . النجاشي: الرجال ٢ / ٢٩٧ برقم ١٠٣٤ .

٢ . النجاشي: الرجال ١ / ٢٩٣ برقم ٢٩٨، وثبت علي وزان زبير .

٣ . النجاشي: الرجال ١ / ١٢٠ برقم ٦٦ . (٥٨٤)

٧- محمد بن هارون: أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة، وكتاب الحكم على سورة لم تكن وكتاب اختلاف الشيعة والمقالات. قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودي له مصنفات حسان في الإمامة وغيرها وكانت وفاته سنة ٢٤٧ (١) . ٨- إبراهيم بن سليمان بن أبي داحه المزني: مولى آل طلحة بن عبيدالله، «أبو إسحاق»، وكان وجه أصحابنا البصريين في الفقه والكلام والأدب والشعر. والجاحظ يحكى عنه، وقال الجاحظ: «حدثني إبراهيم ابن داحه، عن محمد بن أبي عمير» (٢) . وبما أن أستاذه ابن أبي عمير توفى عام ٢١٧، والجاحظ، الراوي عنه توفى عام ٢٥٥، فهو من متكلمي القرن الثالث يروي عنه الجاحظ في البيان والتبيين (٣) . ٩- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه في اشيء إلا في اصل الإمامة وله من الكتب كتاب المعرفة، كتاب في الاستطاعة، كتاب الامامة، كتاب علي من أبي وجوب الإمامة بالنص (٤) وبما أن هشاماً توفى عام ١٩٩، فالرجل من متكلمي أوائل القرن الثالث. ١٠- الحسين بن اشكيب: شيخ لنا، ثقة مقدم، ذكره أبو عمرو في كتاب الرجال في أصحاب أبي الحسن، صاحب العسكر - عليه السلام - ووصفه بأنه عالم متكلم مؤلف للكتب، المقيم بسمرقند وكش. له من الكتب، كتاب الرد على من

١ . النجاشي: الرجال ٢ / ٢٨٠ برقم ١٠١٧، ابن حجر: لسان الميزان ج ٥ برقم ١٣٦٠، المحقق الداماد: الرواشح السماوية ٥٥ ومر ذكره في ترجمة تثبيت وما في كلام ابن حجر من عده من المعتزلة، ناشئ عن الخلط بين المعتزلة والامامية .

٢ . النجاشي: الرجال ١ / ٨٧ برقم ١٣، و ٢ / ٢٠٥ برقم ٨٨٨ .

٣ . البيان والتبيين ١ / ٦١ .

٤ . ابن النديم: الفهرست ٢٦٤ . (٥٨٥)

زعم أن النبي كان على دين قومه، والرد على الزيدية، وبما أنه من أصحاب أبي الحسن المتوفى عام ٢٦٠، فهو من متكلمي القرن الثالث (١) . وعده الشيخ في رجاله من أصحابه الامام الهادي - عليه السلام - (٢) . ١١- عبدالرحمان بن أحمد بن جبرويه، أبو محمد العسكري: متكلم من أصحابنا، حسن التصنيف، جتيد الكلام، وعلي يده رجع محمد بن عبدالله بن مملك الاصبهاني عن مذهب المعتزلة إلى القول بالإمامة، وقد كتم عباد بن سليمان، ومن كان في طبقتة، وقع إلينا من كتبه: كتاب الكامل في الإمامة، كتاب حسن (٣) . وبما أن محمد بن عبدالله معاصر للجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣) وله مجالس معه (٤) فالرجل من متكلمي القرن الثالث، ولعله أدرك أوائل القرن الرابع . ١٢- علي بن منصور، أبو الحسن: كوفي سكن بغداد، متكلم، من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير في التوحيد والإمامة (٥) . وقال النجاشي في ترجمه هشام بن الحكم: كتاب التدبير في الإمامة، وهو جمع علي بن منصور من كلامه (٦) وبما أن هشام توفى عام ١٩٩، فالرجل من متكلمي القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث . ١٣- علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار: أبو الحسن مولى بني أسد، كوفي، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلمين من أصحابنا،

١ . النجاشي: الرجال ١ / ١٤٦ برقم ٨٧ .

- ٢ . الشيخ الطوسي: الرجال برقم ١٨ .
- ٣ . النجاشي: الرجال ٢ / ٤٧ برقم ٦٢٣ .
- ٤ . النجاشي: الرجال ٢ / ٢٩٧ برقم ١٠٣٤ .
- ٥ . النجاشي: الرجال ٢ / ٧١ برقم ٦٥٦ .
- ٦ . النجاشي: الرجال ٢ / ٣٩٧ برقم ١١٦٥ . (٥٨٦)

كَلَّمَ أبا الهذيل (١٣٥ - ٢٣٥) والنظام (١٦٠ - ٢٣١) له مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة (١). وعده الشيخ في رجاله من أصحاب الرضا برقم ٥٢ فهو من متكلمي القرن الثاني. وقال ابن النديم: أول من تكلم في مذهب الإمامة على بن إسماعيل بن ميثم التمار، وميثم (جده) من أجله أصحاب علي - رضي الله عنه - ولعلي من الكتب كتاب الإمامة، كتاب الاستحقاق (٢). متكلموا الشيعة في القرن الرابع:

١- الحسن بن علي بن أبي عقيل: أبو محمّد العماني الحذاء، فقيه متكلم ثقة، له كتب في الفقه والكلام، منها كتاب المتمسك بحبل الرسول. قال النجاشي: وقرأت كتابه المسمى: الكزّ والفز، على شيخنا أبي عبدالله المفيد - رحمهم الله - وهو كتاب في الإمامة، مليح الوضع . وذكره الشيخ في فهرست الرجال (٣)، وبما أنه من مشايخ أبي القاسم جعفر ابن محمّد المتوفى عام ٣٦٨ فالرجل من أعيان القرن الرابع، المعاصر للكليبي، المتوفى عام ٣٢٩ . ٢- إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت: كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلاله في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلاله الكتاب، صنف كتباً كثيرة، منها كتاب الاستيفاء في الإمامة، التنبيه في الإمامة. قال النجاشي: قرأته على شيخنا أبي عبدالله (المفيد) - رحمهم الله - ،

١ . النجاشي: الرجال ٢ / ٧٢ برقم ٦٥٩ .

٢ . ابن النديم: الفهرست ٢٦٣ .

٣ . النجاشي: الرجال ١ / ١٥٣ برقم ٩٩ ولاحظ فهرست الشيخ رقم ٢٠٤، ورجاله في باب من لم يرو عنهم برقم ٥٣ . (٥٨٧)

كتاب الجمل في الإمامة، كتاب الرد على محمّد بن الأزهر في الإمامة، كتاب الرد على اليهود، كتاب في الصفات للرد على أبي العتاهية (١٣٠ - ٢١١) في التوحيد في شعره، كتاب الخصوص والعموم والأسماء والأحكام، كتاب الإنسان والرد على ابن الراوندي، كتاب التوحيد كتاب الارحاء، كتاب النفي والاثبات، مجالسه مع أبي علي الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣) بالأهواز، كتاب في استحالة رؤية القديم، كتاب الرد على المجبرة في المخلوق، مجالس ثابت بن أبي قره (٢٢١ - ٢٨٨)، كتاب النقض على عيسى بن أبان في الاجتهاد، نقض مسألة أبي عيسى الوراق في قدم الاجسام، كتاب الإحتجاج لنبوة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، كتاب حدوث العالم (١) . وقال ابن النديم أبو سهل: إسماعيل بن علي بن نوبخت من كبار الشيعة وكان أبو الحسن الناشي يقول إنه أستاذه وكان فاضلاً، عالماً، متكلماً، وله مجالس بحضرة جماعة من المتكلمين... وذكر فهرس كتبه (٢) . ٣- الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أخو الصدوق) القمي أبو عبدالله، ثقة روى عن أبيه اجازة، وله كتب منها: ١- كتاب التوحيد ونفي التشبيه . ٢- كتاب عمله للصاحب أبي القاسم بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥) وقد توفى أخوه عام ٣٨١ فهو من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه ولدا بدعوة صاحب الأمر - عليه السلام - ، ترجمه ابن حجر في لسان الميزان (٣) .

١ . النجاشي: الرجال ١ / ١٢١ برقم ٦٧ (وهو خال الحسن بن موسى مؤلف فرق الشيعة) .

٢ . ابن النديم: الفهرست ٢٦٥ .

٣ . النجاشي: الرجال ١ / ١٨٩ برقم ١٦١، ابن حجر: لسان الميزان ٢ / ٣٠٦ برقم ١٢٦٠ . (٥٨٨)

٤- محمّد بن بشر الحمدوني «أبو الحسين السوسنجردى»: متكلم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب، منها كتاب المقنع في الإمامة، كتاب المنقذ في الإمامة (١) وقال ابن النديم: السوسنجردى من غلمان أبي سهل النوبختي. ويكنى أبا الحسن،

ويعرف بالحمدوني منسوباً إلى آل حمدون، وله من الكتب كتاب الانقاذ في الامامة (٢) وقال ابن حجر: كان زاهداً ورعاً متكلماً، على مذهب الإمامية وله مصنّفات في نصرته مذهبه (٣). ٥- يحيى أبو محمّد العلوي من بني زبارة: علوي، سيد، متكلم، فقيه، من أهل نيشابور. قال الشيخ الطوسي: جليل القدر، عظيم الرياسة، متكلم، حاذق، زاهد، ورع، لقيت جماعة ممن لقوه وقرأوا عليه، له كتاب ابطال القياس، وكتاب في التوحيد (٤)، وعلى هذا فالرجل في درجة شيخ مشايخ الطوسي، فهو من متكلمي القرن الرابع. ٦- محمّد بن القاسم، أبوبكر، بغدادى: متكلم عاصر بن همام، له كتاب في الغيبة، كلام (٥). وابن همام هو محمّد بن أبي بكر بن سهيل الكاتب الاسكافي الذي ترجم له النجاشي في رجاله برقم ١٠٣٣ وذكره الخطيب في تاريخه ٣ / ٣٦٥ وقال أحد شيوخ الشيعة، ولد عام ٢٥٨ وتوفى عام ٣٣٨ وعلى هذا فالمرجع من متكلمي أوائل القرن الرابع.

١. النجاشي: الرجال ٢ / ٢٩٨ برقم ١٠٣٧.

٢. ابن حجر: لسان الميزان ٥ / ٩٣ برقم ٣٠٤.

٣. ابن النديم: الفهرست ٢٦٦.

٤. النجاشي: الرجال ٢ / ٤١٣ برقم ١١٩٢، وقد جاءت ترجمته أيضاً برقم ١١٩٥، الشيخ الطوسي: الفهرست برقم ٨٠٣.

٥. النجاشي: الرجال ٢ / ٢٩٨ برقم ١٠٣٦. (٥٨٩)

٧- محمّد بن عبد الملك بن محمّد التبان: يكنى أبا عبدالله، كان معتزلياً، ثم أظهر الانتقال، ولم يكن ساكناً، له كتاب في تكليف من علم الله أنه يكفر، وله كتاب في المعدوم، ومات لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٤١٩ (١). ٨- محمّد بن عبدالرحمان بن قبة الرازي أبو جعفر: متكلم، عظيم القدر حسن العقيدة، قوى في الكلام، كان قديماً من المعتزلة، وتبصير وانتقل، له كتب في الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطه وذكره في فهرسته الذي يذكر فيه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبدالرحمان بن قبة. له كتاب الانصاف في الامامة، وكتاب المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي (ت ٣١٩)، وكتاب الرد على الزيدية، وكتاب الرد على ابى على الجبائي، المسألة المفردة في الامامة. قال النجاشي: سمعت أبا الحسين السوسنجردى - رحمه الله - وكان من عيون أصحابنا وصالحهم المتكلمين، وله كتاب في الإمامة معروف به، وقد كان حج على قدميه خمسين حجة يقول: مضيت إلى أبي القاسم البلخي إلى بلخ بعد زيارتي الرضا - عليه السلام - بطوس فسلمت عليه وكان عارفاً بى ومعى كتاب أبي جعفر بن قبة في الإمامة المعروف بالانصاف، فوقف عليه، ونقضه بالمسترشد في الإمامة فعدت إلى الري، فدفعت الكتاب إلى ابن قبة فنقضه بالمستثبت في الامامة، فحملته إلى أبي القاسم فنقضه بنقض المستثبت، فعدت إلى الري فوجدت أبا جعفر قدماء - رحمه الله - (٢). وقال ابن النديم: أبو جعفر بن محمّد بن قبة من متكلمي الشيعة وحدّاقهم

١. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٣٣ برقم ١٠٧٠.

٢. النجاشي: الرجال ٢ / ٢٨٨ برقم ١٠٢٤. (٥٩٠)

وله من الكتب: كتاب الانصاف في الإمامة، كتاب الإمامة (١). وقال العلامة: وكان حاذقاً شيخ الإمامية في عصره (٢). ٩- على بن وصيف، أبو الحسن الناشي: (٢٧١ - ٣٦٥) الشاعر المتكلم، ذكر شيخنا - رضى الله عنه - ان له كتاباً في الإمامة (٣). قال الطوسي: وكان شاعراً مجوداً في أهل البيت - عليهم السلام - ومتكلماً بارعاً وله كتب (٤). قال ابن خلكان: من الشعراء المحبين وله في أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت المتكلم، وكان من كبار الشيعة، وله تصانيف كثيرة، وقال ابن كثير: إنه كان متكلماً، بارعاً من كبار الشيعة (٥)، فهو من متكلمي القرن الرابع. ١٠- الحسن بن موسى، ابو محمّد النوبختي: شيخنا المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له على الأوائل كتب كثيرة، منها: ١- كتاب الآراء والديانات، يقول النجاشي: كتاب كبير حسن يحتوى على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبدالله (المفيد) - رحمه الله - . ٢- كتاب فرق الشيعة. ٣- كتاب الرد على فرق الشيعة ما خلا الإمامية. ٤- كتاب الجامع في الإمامة. ٥- كتاب الموضع في حروب

- أمير المؤمنين - عليه السلام
- ١ . ابن النديم: الفهرست ٢٦٢ .
 - ٢ . العلامة: الخلاصة - القسم الأول - ١٤٣ .
 - ٣ . النجاشي: الرجال ٢ / ١٠٥ برقم ٧٠٧ .
 - ٤ . الطوسي: الفهرست ٢٣٣ طبع ليدن .
 - ٥ . المامقاني: تنقيح المقال ٢ / ٣١٣ برقم ٨٥٤٩ . (٥٩١)
 - ٦- كتاب التوحيد الكبير . ٧- كتاب التوحيد الصغير . ٨- كتاب الخصوص والعموم . ٩- كتاب الأرزاق والآجال والأسعار . ١٠- كتاب كبير في الجزء . ١١- مختصر الكلام في الجزء . ١٢- كتاب الرد على المنجمين . ١٣- كتاب الفرد على أبي علي الجبائي في رده على المنجمين . ١٤- كتاب النكت على ابن الراوندي . ١٥- كتاب الرد على من أكثر المنازلة . ١٦- كتاب الرد على أبي الهذيل العلاف في أن نعيم أهل الجنة منقطع . ١٧- كتاب الإنسان غير هذه الجملة . ١٨- كتاب الرد على الواقفة . ١٩- كتاب الرد على أهل المنطق . ٢٠- كتاب الرد على ثابت بن قره . ٢١- الرد على يحيى بن أصفح . ٢٢- جواباته لأبي جعفر بن قبه . ٢٣- جوابات أخر لأبي جعفر . ٢٤- شرح مجالسه مع أبي عبدالله بن مملك . ٢٥- حجج طبيعية مستخرجة من كتاب أرسطاطاليس في الرد على من زعم أن الفلك حي ناطق . ٢٦- كتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها . (٥٩٢)
 - ٢٧- كتاب في خبر الواحد والعمل به . ٢٨- كتاب في الاستطاعة على مذهب هشام وكان يقول به . ٢٩- كتاب في الرد على من قال بالرؤية للباري عزوجل . ٣٠- كتاب الاعتبار والتميز والانتصار . ٣١- كتاب النقض على أبي الهذيل في المعرفة . ٣٢- كتاب الرد على أهل التعجيز، وهو نقض كتاب أبي عيسى الوراق . ٣٣- كتاب الحجج في الإمامة . ٣٤- كتاب النقض على جعفر بن حرب (١٧٧) - (٢٣٦) في الإمامة . ٣٥- مجالسه مع أبي القاسم البلخي (ت ٣١٩) . ٣٦- كتاب التنزيه وذكر مشابه القرآن . ٣٧- الرد على أصحاب المنزلة بين المنزلتين في الوعيد . ٣٨- الرد على أصحاب التناسخ . ٣٩- الرد على المجسمة . ٤٠- الرد على الغلاة . ٤١- مسائله للجبائي في مسائل شتى (١) . والرجل من أكابر متكلمي الشيعة، عاصر الجبائي (ت ٣٠٣) والبلخي (ت ٣١٩) وأبو جعفر بن قبه المتوفى قبل البلخي فهو من أعيان متكلمي الشيعة في أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع . وقال ابن النديم: أبو محمد الحسن بن موسى بن أخت أبي سهل بن نوبخت،

١ . النجاشي: الرجال ١ / ١٧٩ برقم ١٤٦ ترجمه ابن حجر في لسان الميزان ٢ / ٢٥٨ برقم ١٠٧٥ وترجمه هبه الدين الشهرستاني في مقدمة فرق الشيعة .

(٥٩٣)

متكلم، فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبي عثمان الدمشقي، وإسحاق وثابت وغيرهم وكانت المعتزلة تدعيه، والشيعة تدعيه ولكنه إلى حيز الشيعة ما هو (كذا) لأن آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده - عليهم السلام - في الظاهر، فلذلك ذكرناه في هذا الموضوع... وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها ثم ذكر فهرس كتبه ولم يذكر إلا القليل من الكثير (١). إن بيت نوبخت من أرفع البيوتات الشيعية خرج منه فلاسفة كبار، متكلمون عظام، وقد آثرنا الاقتصار ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلفة حول هذا البيت . هؤلاء أعلام الشيعة ومتكلموهم في القرون الأربعة فهم الذين زادوا عن حياض الإسلام والتشيع بيانهم وبنانهم وأتينا بأسمائهم في المقام ليكونوا كنموذج لما لم نذكره أو لم يحتفل بذكرهم التاريخ فإن الاستقصاء يخرجنا إلى تأليف منفرد . ونختتم هذا الفصل بمتكلم فحل وبارع لا يسمع الدهر بمثله إلا في فترات يسيرة أعنى أستاذ الشيعة وشيخ الأمة الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٤) الذي أنطق علمه وفضله وورعه وتقاه، لسان كل موافق ومخالف وإليك نموذج مما ذكره أصحاب التذكرة وعلماء الرجال في كتبهم على وجه الإيجاز ونركز على كلمات أهل السنة ونذكر القليل من كلمات الشيعة في حقه . ١- هذا هو ابن

النديم (ت ٣٨٨) معاصره ويعرفه في الفهرست بقوله:

«ابن المعلم، أبو عبدالله، في عصرنا انتهت رياسته متكلمي الشيعة إليه، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطرة، شاهدته _____»

١. ابن النديم: الفهرست ٢٦٥ - ٢٦٦ الفن الثاني من المقالة الخامسة .

(٥٩٤)

فرأيته بارعا... (١) والمعروف أنه ألف الفهرست عام ٣٧٧، وتوفي حوالي ٣٨٨، وعلى ضوء هذا فالمفيد انتهت إليه رياسته متكلمي الشيعة وله من العمر ما لا يجاوز الخمسين . ٢- وقال الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣):

أبو عبدالله المعروف بابن المعلم، شيخ الرافضة، والمتعلم على مذهبهم، صنّف كتباً كثيرة في ضلالتهم والذب عن اعتقاداتهم (٢) . ٣- وقال عبدالرحمان ابن الجوزي (ت ٥٩٧):

شيخ الإمامية وعالمها، صنّف على مذهبه، ومن أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره، بدرب رياح، يحضره كافة العلماء، له منزلة عند أمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبه (٣) . ٤- وقال أبو السعادات عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨):

وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيد، وابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقهاء، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية. قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتي مصنف، وكانت جنازته مشهورة وشيعه ثمانون الفاً من الرافضة والشيعة (٤) . _____

١. ابن النديم: الفهرست ٢٦٦ في فصل أخبار متكلمي الشيعة .

٢. الخطيب البغدادي: ٣ / ٣٣١ برقم ١٧٩٩ .

٣. ابن الجوزي: المنتظم ١٥ / ١٥٧ .

٤. اليافعي: مرآة الجنان ٣ / ٢٨ طبع الهند . (٥٩٥) ٥- ووصفه أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) بقوله:

شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامي عن حوزتهم، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء وسائر الطوائف (١) . ٦- وقال الذهبي (ت ٧٤٨):

محمّد بن محمّد بن النعمان، الشيخ المفيد، عالم الرافضة، أبو عبدالله ابن المعلم، صاحب التصانيف البدعية، وهي مائتا مصنف (٢) . عالم الشيعة، وإمام الرافضة وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبي طي في تاريخه - تاريخ الإمامة - : هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام والفقهاء والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية (٣) . ٧- قال ابن حجر (ت ٨٥٢) بعد نقل ما ذكره الذهبي :

وكان كثير التعقيب والتخشّع والاكباب على العلم، تخرج به جماعة، وبرع في المقالة الإمامية حتّى يقال: له على كل إمام منه، وكان أبوه معلماً بواسطة وما كان المفيد ينام من الليل إلّا هجعة ثمّ يقوم يصلى أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن (٤) . ٨- وقال ابن العماد الحنبلي: (ت ١٠٨٩):

«وفيها توفي المفيد، ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرافضة، وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبي طي في تاريخ الإمامية: هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان _____»

١. ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ١٥ .

٢. الذهبي ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠ .

٣. الذهبي: العبر ٢ / ٢٢٥ .

٤. ابن حجر: لسان الميزان ٥ / ٣٦٨ برقم ١١٩٦ . (٥٩٦)

الإمامية، رئيس الكلام، والفقه والجدل وكان يناظر اهل كل عقيدة مع الجلاله والعظمة في الدولة البويهية» (١) . هذا بالنسبة للسنة، وأما الشيعة فنقتصر على كلام تلميذه: الطوسي والنجاشي وترك الباقي لمرجمي حياته . ١- يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) في الفهرست :

المفيد يكنى أبا عبدالله المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم، وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار وفهرست كتبه معروف، ولد سنة ٣٣٨ وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق (٢) . ٢- ويقول تلميذه الآخر، النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠):

شيخنا وأستاذنا - رضى الله عنه - فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم ثم ذكر تصانيفه (٣) . وهذه الكلم تعرفنا منزلته الرفيعة وأنه لم يكن يومذاك للشيعة متكلم أكبر منه، وكفى في ذلك أنه تخرج على يديه لفيف من متكلمي الشيعة نظير: السيد المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦) والشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) وهما كوكبان في سماء الكلام، وحاميان عظيمان عن حياض التشيع، بيانهم وبنانهم .

١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣ / ١٩٩ وفيه مكان الطائفة: الصوفية. وهو لحن .

٢. الشيخ الطوسي: الفهرست برقم ٧١٠ .

٣. النجاشي: الرجال ٢ / ٣٢٧ برقم ١٠٦٨ . (٥٩٧)

ولنكتف في سرد أسماء أئمة الكلام بهذا المقدار ولنترك الباقي من القرن الخامس إلى عصرنا هذا غير أنه يطيب لى أن اشير إلى بعض أساتذة الفلسفة منهم . مشاهير أئمة الفلسفة بعد القرن الرابع:

١- إذا كان الشيخ المفيد أكبر متكلم للشيعة ظهر في العراق، فإن الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٨٠ - ٤٢٤) أكبر فيلسوف إسلامي شيعي ظهر في المشرق، وهو من الذين دفعوا عجلة الفكر والعلم إلى الأمام في خطوات كثيرة وقد طار صيته شرقاً وغرباً، وكتبت عنه دراسات ضافية من المسلمين والمستشرقين ونحن في غنى عن افاضة القول في ترجمته حياته، وآثاره التي خلفها، والتلاميذ الذين تربوا في مدرسته ولكن نشير إلى كتابين من كتبه لأنهما كوكبان . الف - الشفاء وهو يشتمل على المنطق، والطبيعات والإلهيات والرياضيات وقد طبع أخيراً في مصر في أجزاء، وبالامعان فيما ذكره في مبحث النبوة يعلم مذهبه قال: والاستخلاف بالنص أصوب فإن ذلك لا يؤدي إلى التشعب والتشاغب والاختلاف (١). باء - الاشارات وهو يشتمل على المنطق والطبيعات والإلهيات وهو من أحسن مؤلفاته وفيه آراؤه النهائية وقد وقع موقع العناية لمن بعده، فشرحه الامام الرازي (٥٤٣ - ٦٠٦) والمحقق الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢) والشرح الثاني، كان محور الدراسة في الحوزات العلمية . ٢- نصير الدين الطوسي: الخواجه نصير الدين الطوسي، سلطان المحققين وأستاذ الحكماء والمتكلمين (٥٩٧ - ٦٧٢) وهو أشهر من أن يذكر، شارك في

١. الشفاء قسم الإلهيات ٢ / ٥٦٤ طبع ايران .

(٥٩٨)

جميع العلوم النظرية فاصبح أستاذاً محققاً مؤسساً أثني عليه الموافق والمخالف . ٣- الشيخ كمال الدين: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦ - ٦٩٩) الفيلسوف المحقق، والحكيم المدقق، قدوة المتكلمين، تظهر جلاله شأنه وسطوع برهانه من الامعان في شرحه لنهج البلاغة في أربعة أجزاء وله «قواعد المرام في الكلام» وكلاهما مطبوعان . ٤- العلامة الحلي: شيخ الشيعة جمال الدين المعروف بالعلامة الحلي (٦٤٨ - ٧٢٨) له الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد، وكشف المرام في الكلام، وكتبه في

المنطق والكلام والفلسفة تنوف على العشرين . ٥- الرازي: قطب الدين الرازي (ت ٧٦٦)، تلميذ العلامة الحلي وأستاذ الشهيد الأول، له شرح المطالع في المنطق والمحاكمات بين العلمين: الرازي ونصير الدين الطوسي.

إلى غير ذلك من أدمغة كبيرة ظهرت في الحوزات الشيعية، كالفاضل المقداد (ت ٨٠٨) مؤلف نهج المسترشدين في الكلام، والشيخ بهاء الدين العاملي (٩٥٣ - ١٠٣٠)، والسيد محمد باقر المعروف بالداماد (ت ١٠٤٠)، وتلميذه المعروف بصدر المتألهين مؤلف الأسفار الأربعة (٩٧١ - ١٠٥٠) وغيرهم ممن يتعبر علينا احصاء أسمائهم فضلاً عن تحرير تراجمهم. هذه لمحة عابرة عن مشاركة الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية في مجال العلوم العقلية واقتصرنا على المشاهير منهم إلى أواسط القرن الحادي عشر، وتركنا أسماء الكثيرين. هذا وقد قام المتتبع المتضلع الشيخ عبدالله نعمه بتأليف كتاب حول فلاسفة الشيعة ومتكلميهم أسماه «فلاسفة الشيعة» وسد بذلك بعض الفراغ حياه الله وبياه. ومن حسن الحظ أن ركب التفكير والبرهنة والاستدلال لم يقف، بل توالى (٥٩٩)

إلى عصرنا، فترى في حقول الكلام والفلسفة شخصيات بارزة ومؤلفات لا تحصى في الكلام والفلسفة والمنطق، وقد عاش كثير من هؤلاء في الظروف السياسية الصارخة بالدم والرعب، وقد صار ذلك سبباً في اختفاء آثارهم وضياعتها، بل وتراكم الأساطير حولها. وبذلك تقف على قيمة ما ذكره المستشرق «آدم متز» في حق كلام الشيعة: «أما من حيث العقيدة والمذهب، فإن الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولا بد أن يكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة مما لاءم أغراض الشيعة ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص به» (١). إن الشيعة منذ بكرة أبيهم، كانوا مقتفين أثر أئمتهم، ولم يكونوا ورثة المعتزلة، وإنما أخذت المعتزلة أصول مذهبهم عن أئمة أهل البيت، كما أوضحنا حاله في الجزء الثالث من هذه الموسوعة، والعجب أن الشيعة كانت تناظر المعتزلة من عصر الامام الصادق - عليه السلام - إلى عصر المفيد وبعدهم حتى أن الشيخ المفيد وضع كتاباً في نقد المعتزلة، كما وضع قبلهم بعض أئمة المتكلمين من الشيعة ردوداً على المعتزلة، فكيف يكون الشيعة ورثة للمعتزلة، نعم وأن القائل خلط مسألة الاتفاق في بعض المسائل بالتبعية والافتقار، فالشيعة والمعتزلة تتفقان في بعض الأصول، لا أن أحدهما عيال على الآخر. ١٣- قدماء الشيعة والعلوم الكونية:

لم يكن اتجاه الشيعة مختصاً بالعلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق،

١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبدالهادي أبو ريده ١ / ١٠٦ الطبعة الثالثة.

(٦٠٠)

بل امتد نشاطهم وحركتهم الفكرية إلى العلوم الرياضية، والكونية، فتجد هذا النشاط بارزاً في مؤلفاتهم طيلة القرون، ونحن نأتي هنا بذكر موجز عن مشاهير علمائهم ومؤلفاتهم في القرون الأولى تاركين غيرهم للمعاجم: ١- هشام بن الحكم (ت ١٩٩) له آراء في الاعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ منه إبراهيم بن سيار النظام، وحاصل هذا الرأي أن الرائحة جزئيات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية وأن الأطعمة جزئيات صغيرة تتأثر بها الحليمات اللسانية (١). ٢- إن بيت بنى نوبخت بيت شيعي عريق، فقد قاموا بترجمة الكتب الفارسية إلى العربية وقد خدموا بذلك العلوم الكونية. قال ابن النديم: آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده، وقال الأندلسي في رياض العلماء: بنو نوبخت طائفة من متكلمي الإمامية منهم. الف - أبو الفضل بن نوبخت قال ابن النديم: كان في خزانه الحكمة لهارون الرشيد، وقال ابن القطفي في تاريخ الحكماء: إنه مذکور مشهور من أئمة المتكلمين وذكر في كتب المتكلمين وكان في زمن هارون الرشيد وولاه القيام بخزانه كتب الحكمة، وهو من متكلمي أواخر القرن الثاني. ب - ولده إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت من متكلمي القرن الثالث. ج - يعقوب بن اسحاق بن أبي سهل بن نوبخت متقدم في الحكمة والكلام والنجوم (٢).

٣- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، من أعيان الشيعة

١. عبدالله نعمه: فلاسفة الشيعة ٥٦.

٢. العاملي: أعيان الشيعة ١ / ١٣٥. (٦٠١)

وأعلام فلاسفتهم، صنّف في علوم الأوائل وله تعليقات في المنطق ومقالات جليّة في أقسام الحكمة والرياضة (١). ٤- من أشهر علماء

الشيعة واقدمهم الذين برزوا بالكيمياء هو جابر بن حيان، فهو الذي ظهر في حقل الكيمياء، وهو أول من أشار إلى طبقات العين قبل يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣) وقبل حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤) وأول من أثبت امكان تحويل المعدن الخسيس إلى الذهب والفضة، فلم تقف عبقريته في الكيمياء، عند هذا الحد بل دفعته إلى ابتكار شيء جديد في الكيمياء فأدخل فيها ما سمّاه بعلم الميزان، والمقصود منه معادلة ما في الأجسام والطباع، وجعل لكل جسم من الأجسام، موازين خاصة (٢) وقد ألّفت حول جابر وعبقريته كتب كثيرة، فمن أراد فليرجع إليها، وقد اتفق الكل على أنه تلميذ الامام الصادق - عليه السلام - . ٥- الشريف أبو القاسم علي بن القاسم القصرى، وهو من علماء القرن الرابع، ذكره ابن طاووس في فرج المهموم في عداد منجمي الشيعة (٣) . وهذه نماذج من علماء الشيعة في الطبيعيات والفلكيات، وأما المتأخرون، فحدّث عنهم ولا حرج، وقد أتى بقسم كبير منهم الشيخ عبدالله نعمه في كتابه «فلاسفة الشيعة» فمن أراد فليرجع، غير أننا نذكر هنا المحقق الطوسي الذي له حق على الأئمة جمعاء تقول في حقّه المستشرق الألماني: «وحصل نصير الدين الطوسي على مرصده، فكان معهداً لأبحاث لا مثيل له، وزوّده بالآلات الفلكية التي زادت في شهرة المعهد، ورفعت مكانته... ويحكي أن

١ . محمّد باقر الخونسارى: روضات الجنات ١ / ٢٥٤ .

٢ . فلاسفة الشيعة ١ / ٥٧ .

٣ . فرج المهموم . (٦٠٢)

زائراً قصد ابن الفلكي نصير الدين في مرصده في مراغه فلما رأى الآلات الفلكية المتنوعة ذهل، وقد زاد دهشة حين رأى «المحلقة» ذات الخمس حلقات والدوائر من النحاس: اولها تمثل خطّ الطول الذي كان مركزاً في الأسفل، وثانيها خطّ الاستواء، وثالثها الخطّ الاهليلجى، ورابعها دائرة خطّ الأرض، وخامستها دائرة الانقلاب الصيفى والشتوى، وشاهد أيضاً دائرة السمّ التي يمكن للمرء بواسطتها أن يُحدّد سمت النجوم، أى الزاوية الناتجة على خطّ أفقى ثابت وخطّ أفقى آخر صادر عن كوكب في السماء . وتقول أيضاً: إن نصير الدين أحضر إلى مكتبة المعهد أربعمائة ألف مجلّد كانت قد سرقت من مكتبات بغداد وسوريا وبلاد بابل، وقد استدعى علماء ذوى شهرة طائفة من اسبانيا ودمشق وتغليس والموصل إلى مدينة مراغة لكي يعملوا على وضع الازياج بأسرع وقت يمكن» (١) . ويناسب في المقام ذكر اجمالى عمّا قدموا من الخدمة في مجال الجغرافية وعلم البلدان فنقول: الجغرافية وتقويم البلدان:

نذكر في المقام، رحالتين طافا في البلاد الإسلامية وكتبا ما يرجع إلى جغرافية البلدان، وقد صار كتابهما أساساً للآخرين: ١- أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى المتوفى في أواخر القرن الثالث، فهو أول جغرافى بين العرب، وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته

١ . السيدة زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ١٣٣ والصحيح أن يسمى: شمس الإسلام...

(٦٠٣)

الخاصة، ومتوخياً قصد ما أراد من وصف البلد وخصائصها وهو يقول عن نفسه: أنه عنى في عنفوان شبابه، وحده ذهنه بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأنه سافر حديث السن واتصلت أسفاره ودام تغرّبه، وقد طاف في بلاد المملكة الإسلامية كلها، فنزل أرمينية وورد خراسان وأقام بمصر والمغرب بل سافر إلى الهند، وكان متى لقي رجلاً سأله عن وطنه ومصره وعن زرعه ما هو؟ وساكنيه منهم؟ عرب أو عجم؟ وعن شرب أهله ولباسهم ودياناتهم ومقالاتهم من غير أن يلحقه من ذلك ملال ولا فتور، وقد وصف المملكة الإسلامية مبتدئاً ببغداد وصفاً منظماً مع اصابة جديرة بالثقة والاعجاب (١) . ٢- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودى (ت ٣٤٦) فقد ألّف في ذلك المضمّن كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وكتابه الآخر «التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم» وكتابه الثالث «التبئية والاشراف» فقد اشتمل وراء التاريخ على الجغرافية وتقويم البلدان، وقد جرّه حبه للاستطلاع إلى بلاد بعيدة، فكتب ما رآه وشاهده .

١. آدم متر: الحضارة الإسلامية ٢ / ٣٤ وكتاب يعقوبى فى الجغرافيه هو كتاب «البلدان» المنتشر .

(٦٠٤) (٦٠٥)

الفصل الثالث عشر فى بلدان الشيعة وجامعاتهم

الفصل الثالث عشر فى بلدان الشيعة وجامعاتهم العلمية (٦٠٦) (٦٠٧)

قد عرفت الخطوط العريضة فى التشيع وأنه ليس شيئاً سوى الإسلام على أساس كون القيادة والخلافة - بعد رحله النبى - لعلى - عليه السلام - وأهل بيته، كما تعرّف على حياة الأئمة الاثنى عشر، وعلى عمالقه الفكر والعلم والفلسفه، والأدب والشعر، من شيعتهم، الذين شاركوا المسلمين فى بناء حضارة قامت على العلم، والثقافة. ولكن - اكمالاً للبحث - نذكر بلدان الشيعة أولاً، والجوامع والمعاهد العلمية التى أنشأوها ثانياً ودورهم ثالثاً وعددهم رابعاً. حتى يتم التعرف عليهم، على القدر المستطاع . ١- بلدان الشيعة:

تتواجد الشيعة فى جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة وربما يعدّ بعض البلدان معقل الشيعة ومزدهمها ويكون المذهب السائد عليه هو التشيع. وإليك أسماء بعضها وهى إيران، والعراق، والحجاز، والشامات، وتركيا، وأفغانستان، والباكستان، والهند، واليمن، ومصر، والامارات المتّحدة العربية، والبحرين، والاحساء، والقطيف، والكويت، ومسقط، وعمان، والتبت، والصين، (٦٠٨)

وجمهورية آذربايجان، وطاجيكستان والجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتى، وماليزيا، وأندونيسيا، وسيلان، وتايلند، وسنغافورة، والأفريقيه الشماليه، والصومال، والأرجنتين، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وألبانيا، والولايات المتّحدة، وكندا وغيرها ممّا يعسر عدّها . ولا بأس بالإيعاز إلى خصوصيات بعض البلدان إذ فيه تسليط لبعض الضوء للتعرف على ماضى التشيع وما لاقه أتباعه من العدوان والويلات والمصائب . التشيع حجازى المحتد والمولد:

التشيع حجازى المحتد والمولد، إذ فيه نشأ، وفى تربته غرست شجرته ثم نمت وكبرت، فصارت شجرة طيبة ذات أغصان متسقة وثمار يانعة. وفيه حتّ النبى الأكرم على ولاء الإمام وسمى أوليائه شيعة، وحدثت بحديث الثقلين وجعل أئمة أهل البيت قرناء الكتاب فى العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفيه رقى النبى المنبر الذى صنعوه من رحال الابل وأخذ بيد وصيه وولى عهده على المرتضى وحمدالله وأثنى عليه وقال: «أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: اللهم بلى، ولما أخذ من الجمع المحتشد، الاقرار بأوليته على النفس والنفيس عزّف عليه خليفه عنه وقال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» ونزل من المنبر ثم نزلت آيات، وتبودلت التهاني والتحيات بين الامام والصحابة(١). وقد أشار إلى بعض ما ذكر مؤلف خطط الشام وقال: «إنّ النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الذى حتّ على ولاء على وأهل بيته - عليهم السلام -

١ . لاحظ الفصل الثالث من هذا الجزء .

(٦٠٩)

وهو أول من سمى أوليائه بالشيعة وفى عهده ظهر التشيع وسمى جماعه بالشيعة(١). ولما ارتحل النبى الأكرم إلى دار البقاء تناسى أولوا القوة والمنعة من الصحابة عهد النبى الأكرم فحالوا بين النبى وأمنيته كما حالوا بين أمته وإمامها، فتداولوا كرهه الخلافة بينهم، وأخذوا بمقاليد الحكم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحكم، لا عمل له إلا هداية الأمة وارشادها بلسانه وبيانه وقلمه وبنانه . إنّ الذى دعا علينا إلى السكوت والانحياز، هو مشاهدته ظاهرة الردّه، الطارئه على المجتمع الاسلامى عن طريق مسيلمه الكذاب، وطلحيه بن خويلد الأفاك، وسجاح بنت الحرث الدجالة، واصحابهم الهمج الرعاع فكانوا مهتمين بمحق الإسلام وسحق المسلمين. ويحدث عنه الامام فى رسالته إلى أهل مصر التى أرسلها مع مالك الأشتر يقول: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم»(٢). رأى الامام أنّ صيانة الإسلام وردّ عاديه الأعداء تتوقفان على المسالمة والموادعة فألقى حبل الخلافة على

غاربها، تقديماً للأهم على المهم، وتبعته شيعته صابرين على مضض الحياة ومرّها . بقى الامام منعزلاً عن الحكم قرابة ربع قرن إلى أن قتل عثمان في عقر داره واثال الناس إلى دار على من كلّ جانب مجتمعين حوله كربيضة الغنم، يطلبون منه القيام بالأمر وأخذ مقاليد الحكم، وفيهم شيعته المخلصون الأوفياء، فلم ير بدأ من _____

١ . محمد كرد علي: خطط الشام ٥ / ٢٥١ .

٢ . الرضى: نهج البلاغة قسم الكتب برقم ٦٢ . (٦١٠)

قبول دعوتهم لقيام الحجّة بوجود الناصر (١) . ولما نكث الناكثون البيعة، وقادوا حبيسة رسول الله «عائشة»، معهم إلى البصرة، ارتحل الإمام بأنصاره وشيعته إلى العراق إلّا قليلاً. بقوا في الحجاز لقلع مادة الفساد قبل أن تستفحل، ولما قلع عين الفتنة، استوطن الإمام الكوفة واستوطنها معه شيعته وصارت الكوفة عاصمة التشيع، ومعقله، وفيها نما وأينع وأثمر ومنها انحدر إلى سائر البلدان، بعدما كان الحجاز مهبط التشيع ومغرسه ومحتده. فكان حجازى المحتد والمغرس عراقى النشوء والنمو. ولم يكن يوم ذاك يتظلم في ظلال التشيع، إلّا عربى صميم، من عدنانى وقحطانى ولم يكن بينهم فارسى المحتد ولا بربرى الأصل ولا شعوبى العقيدة . ومضت على التشيع في مغرسه (الحجاز) قرون ومزّت به أجواء قاسية، وظروف رهيبه كادت تقضى على الشيعة - مع ذلك - نرى اليوم تواجدهم في مكة والمدينة وحضرموت ونجران، الحدود اليمنية، وقبائل الأطراف رغم العدوانية السائدة في هذه الآونة الأخيرة ضدّهم ورغم سيادة السيف والوحشية الكاسرة فيها، فبنو جهم، وبنو على، وبعض بنى عوف، ونخاولة المدينة والفلاحون في رساتيقها كلهم شيعة . وأما المنطقة الشرقية كالاحساء والقطيف والدمام، فالأكثرية الساحقة فيها هي الشيعة، ولأجل سحق هذه الأكثرية عمدت السلطة الوهابية بزرع السنّة في بلادهم باستيطان بعض القبائل والموظفين فيها والله من وراء القصد . _____

١ . إشار إلى قوله - عليه السلام - : «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر... لأقيت حبلها على غاربها» نهج البلاغة، الخطبة ٣ . (٦١١) التشيع عراقى النشوء والنمو:

قد عرفت أنّه لما غادر الامام المدينة المنورة متوجّهاً إلى العراق واستوطن الكوفة هاجر كثير من شيعته معه واستوطنوا العراق، فصار ذلك أقوى سبب لنشوء التشيع ونموه، في العراق ولا سيما في الكوفة، فصارت معقل الشيعة، ولما قضى الامام نجه حاولت السلطة الاموية وعمّالها استئصال التشيع منها بأبشع صورة مذكورة في التاريخ. بالرغم من أنّ العراق وأخص منه الكوفة كان علوى النزعة هاشمى الولاء، إلّا أنّ الحسين، ابن الإمام قتل بسيف الكوفيين، وسقط عطشاناً وحوله أجساد أبنائه وأبناء أخيه وأصحابه ولكن ذلك لا يدل على انسلاخهم عن التشيع لأنّ الشيعة يوم ذاك كانوا بين مسجون في زرنات الامويين، ومرعوب فاقد للتصميم والحمية وخاذل، ومنتظر لما تؤول إليه الأمور، وناصر التحق بالحسين في أحلك الظروف . هؤلاء هم الشيعة . وأما الذين شاركوا في قتل الحسين فلم يكونوا من الشيعة أبداً بل كانوا أتباع الامويين والمنضوين تحت راياتهم. ولما قتل الحسين أثار قتله أعمق الأشجان وأعنف العواطف في الشيعة وبعد اطلاق سراح المسجونين قاموا بجد وحماس بأخذ الثار بقيادة المختار، باكين ليلاً ونهاراً على ما أصاب الحسين من مصيبة. وقد حاول الامويون جعل العراق أمياً، وبدلوا جهودهم، لكن عادت الجهود فاشلة فهو إلى اليوم هاشمى وعلوى وحتى أنّ دعوة العباسيين نجحت في بداية الأمر في العراق في ظل طلب ثار الحسين وأهل بيته وكانت الدعوة للرضا من آل محمّد . تبلور التشيع بعد حادثه الطف بقليل واتسع نطاقه وصار العراق مركزه، وكانت القوافل من أنحاء العراق وغيرها تؤمّ قبر الحسين - عليه السلام - وأصحابه، (٦١٢)

فصارت مشاهد أهل البيت فيها معمورة بالزائرين والمجاورين، وكانت المآتم تقام في حواضرها واتخذت الشيعة مشاهد أئمّتهم، حوزات علمية ومعاهد فكرية، فازدهر العراق بعالمقة الفكر، وأساتذة الفقه وأساطين الكلام، وأعان على نشر التشيع ونموه في العراق نشوء دول وإمارات للشيعة في القرن الرابع وما بعده . يقول الشيخ المظفر: وساعد على نمو التشيع وانتشاره في العراق، أن تكوّنت من الشيعة فيه سلطنات دول وإمارات كسلطنة آل بويه، وإمارة بنى مزيد في الحلمة والنيل، وبنى شاهين في البطائح، وبنى حمدان وآل

المسيب في الموصل، ونصيبين، وكدولة بعض المغول أمثال محمّد خدابنده وابنه أبي سعيد، وأمّا محمود غازان فقد قيل بتشيعه وهناك امارات عليه إلا أنه لم يصارح به، وكدولة الجلائرية التي أسسها الشيخ حسن الجلائري أحد قواد المغول وابن أخت محمود غازان ومحمّد خدابنده، وكانت بغداد عاصمته ملكه، وكالدولة الصفوية التي ناصرت التشيع ونشرته في البلاد بشتى الطرق، فكأنما هي دولة دينية تأسست لنشر مذهب أهل البيت. وأيد مذهب التشيع أيضاً أن انعقدت عدّة وزارات من رجاله فقد استوزر السفاح أول ملوك بني العباس: ابا سلمة الخلال الكوفي الهمداني داعية أهل البيت وقتله على التشيع. واستوزر المنصور: محمّد بن الأشعث الخزاعي. واستوزر المهدي: أبا عبدالله يعقوب بن داود وحبسه لتشيعه. واستوزر الرشيد: علي بن يقطين، وجعفر بن الأشعث الخزاعي. والمأمون: الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف وقتله عند ما أحسّ بميله إلى الرضا - عليه السلام - . واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل. واستوزر المعتز والمهتدي: أبا الفضل جعفر بن محمود الاسكافي. واستوزر المقتدي: أبا شجاع ظهر الدين محمّد بن الحسين الهمداني وعزله لتشيعه. واستوزر المستظهر: أبا المعالي هبة الدين بن محمّد بن المطلب (٦١٣)

وعزله لتشيعه ثم أعاده على أن لا يخرج من مذهب أهل السنة ثم تغير عليه وعزله، واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر: مؤيد الدين محمّد بن عبدالكريم القمي من ذرية المقداد - رضوان الله عليه - واستوزر المستعصم آخر ملوك بني العباس: أبا طالب محمّد بن أحمد العلقي الأسدي وأقره هولاءكو على الوزارة، ولما مات - رحمه الله - استوزر: ولده أبا الفضل عز الدين، إلى ما سوى هؤلاء. وأمّا الإمارات، والقيادات، والكتابة، والخزائن، فما أكثرها، أمثال اماره آل قشتمر، آل أبي فراس الشيباني، وآل دبيس كما أشرنا إليهم، وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعي وقيادة أولاده كابنه عبد الله، ومحمّد بن عبدالله وغيرهما، وتوليهم اماره هرات، وكان عبدالله بن سنان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، وكان من ثقاة الرواة لأبي عبدالله الصادق - عليه السلام - ، إلى ما يعسر استقصاؤه. وكفاك برهاناً على أن التشيع كان ضارباً أطنابه على بسطة العراق، ما كان من نقابة الطالبين في بغداد، فما أكثر ما كان يتولّاهم الشيعة، أمثال الشريف الرضي وأبيه وابنه وأخيه المرتضى، وقد تولّوا المظالم أيضاً، وتولّى الشريف الرضي وأبوه أيضاً اماره الحاج، كما تولّاهم ثلاث عشرة حجة حسام الدين أبو فراس جعفر بن أبي فراس الشيباني. وتولّى آل طاووس نقابة الطالبين في العراق عامه، تولّاهم منهم السيدان العلمان رضى الدين وغيث الدين عبدالكريم (١) كما تولّى الأوقاف في العراق

١. أنظر - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٦١ وما ذكره فيها من تولّى السيد رضى الدين بن طاووس نقابة الطالبين بالعراق، وذكر أن وفاته عام ٦٦٤، وفي حوادث عام ٦٩٣ قال: وفيها توفى النقيب غياث الدين عبدالكريم بن طاووس . (٦١٤)

وغيرها ممّا كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الدين الطوسي - طاب ثراه - وعندما قبض عليها، أقام ببغداد وتصفّح الأوقاف وأدار أخبار الفقهاء والمدرسين وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها (١) ومن بعده تولّاهم ابنه أحمد فخر الدين، ولما وليها حذف الحصّة الديوانية في الوقوف، ووفرت على أربابها (٢). ثم إن شيخنا المظفر - وهو عراقى المحتد والمنشأ - عارف بخصوصيات بلده وما جرى على الشيعة فيها طيلة القرون خصوصاً بعد ما نشبت فيها مخالبا آل عثمان، خرج بالنتيجة التالية: «أنّ جنوب العراق شيعه خالصه ولو وجد فيه غيرهم فهو نادر وأمّا البلاد الشماليه، فسكانها على العموم من أهل السنة إلا أنّ الشيعة فيها ليسوا بالقليل، ولو أمنوا الغوائل من اظهارهم لولاء أهل البيت، كما يأمن العدد القليل من أهل السنة في الجنوب، لعجت من كثرتهم في تلك البلاد لا سيما في لواء الموصل وكر كوك. وأمّا البلاد الوسطى كالحله فهي شيعه خالصه سوى افراد معدودين في نفس القصبه، ولواء بغداد فأكثرته من الشيعة، ومثله لواء ديالى، بعكس لواء الديلم ففيه من الشيعة عدد قليل. وعليه، فالعراق اليوم سبعة من ألويته شيعه وفيها شوب من غيرهم، وخمسة سنه وفيها خليط من الشيعة ولواء ان مختلطان يغلب التشيع عليهما، هذا ما يعرفه المستقري، لبلاد العراق. ومن ثم لا- نحتاج إلى استقراء لجميع بلاد الجنوب أمثال الكوت والعمارة والغراف وما سواها من بلاد دجله، والسماوه والديوانيه والناصرية وما سواها من

١. أنظر تاريخ - مختصر الدول - للعبري ٥٠٠ و - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٢٧٢ .

٢. أنظر - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٨٣ . (٦١٥)

بلاد الفرات (١) . الشيعة في اليمن:

دخل التشيع في اليمن منذ أن أسلموا بيد علي - عليه السلام - يحدثنا التاريخ أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام فأقام هناك ستة أشهر فلم يجيبوه إلى شيء . فبعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - علي بن أبي طالب - عليه السلام - وأمره أن يرجع خالد بن الوليد ومن معه . قال البراء: فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلي بنا على الفجر، فلما فرغ صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله، فلما قرأ كتابه خرَّ ساجدًا ثم جلس فقال: السلام على همدان، السلام على همدان ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام (٢) فكان تمسكهم بعري الإسلام على يد علي وصار هذا أكبر العوامل لصيرورتهم علويين مذهباً ونزعة. وفي ظل هذه النزعة ضحوا بأنفسهم ونفيسهم بين يدي علي في حروبه . أضف إليه أنهم سمعوا من المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - فضائل إمامهم ومناقبه غير مرة وهذا مما زادهم شوقاً وملاً قلوبهم حباً وولاءً له، روى المحدثون: أن اليمانيين طلبوا من النبي أن يبعث إليهم رجلاً يفقههم في الدين ويعلمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب الله، فبعث النبي علياً وضرب على صدره وقال: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه». قال الامام - عليه السلام - : فما شككت في قضاء بين اثنين حتى _____

١. محمد حسين المظفر: تاريخ الشيعة ٦٩ - ٧١ و ١١٠ - ١١١ .

٢. ابن الأثير: الكامل ٢ / ٣٠٠ في حوادث السنة العاشرة . دار صادر . (٦١٦)

الساعة (١) . بقي بينهم مدة يفقههم في الدين، ويقضى بكتاب الله، ويحلّ المشاكل القضائية، بما يبهر العقول . ان هذا وذاك، والقتل الذريع الذي ارتكبه عمال معاوية كبسر بن أرتاء، سبب اتجاه اليمانيين نحو صاحب الولاية من يومهم إلى يومنا هذا وقد خامر التشيع قلوبهم وعقولهم ولأجل وجود أوامر الحب والولاء بين اليمانيين والامام علي - عليه السلام - ذكرهم علي في شعره وقال: فلو كنت بؤاباً على باب جنّة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ومما يدل على فرط حبهم وولائهم لعلي - عليه السلام - ما قاله سيدهم سعيد بن قيس الهمداني - رضوان الله عليه - في وقعة الجمل: قل للوصي أقبلت فخطأنا * فادع بها تكفيكها همدانها هم بنوها وهم اخوانها (٢) نعم رحل يحيى بن الحسين الرسي العلوي من العراق إلى اليمن في القرن الثالث ودعا إلى المذهب الزيدي في ظل ولاء أهل البيت وأخذ بمجامع القلوب وانتشرت دعوته فانتصروا إلى زيد، فالشيعة إلى اليوم في اليمن زيديو المذهب يهتفون في الأذان بـ «حى على خير العمل» . ويوجد هناك شيعة إماميون قليلون . كانت الحكومة منذ دعوة الرسي العلوي بيد الزيدية وكان آخر حاكم مقتدر زيدي يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكل على الله، ولما اغتيل هو وولده _____

١. كنز العمال ٦ / ١٥٨ و ٣٩٢ باب فضائل علي .

٢. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١ / ١٤٤ - ١٤٥ . (٦١٧)

الحسن والمحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام ١٣٦٧ هـ ق في ظل مؤامرة أجنبية، قام مكانه ولده الامام بدر الدين ولم يكن له نصيب من الحكم إلا مدة قليلة حتى أزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكري، وبذلك انتهى الحكم الزيدي في اليمن ولكن اليمانيين بقوا على انتمائهم إلى التشيع . نعم إن السلطة الوهابية في هذه الآونة بصدد تصدير التوّهب وفرضها عليها في ظل تزويد الدولة بامكانيات مالية . والله من وراء القصد... الشيعة في سوريا ولبنان:

ظلّ التشيع سائداً في الشام وحلب وبلبك وجبل عامل منذ القرن الأوّل إلى يومنا هذا، ومن المعروف انّ أباذر هو الذي بذر بذرته، أو غرس شجرته عندما نفاه عثمان من المدينة إلى الشام، وكان يجول في الشام وضواحيه وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من دون أن يخاف قوّة أو سطوة، أو إهانته أو قسوة، وطبع الحال يقتضى أن يبوح بما انطوت عليه جوانحه من الولاء لعلي وأهل بيته، يدعو

له على القدر المستطاع، وقد نمت البذرة في ظل التستر والتقوية وأما اليوم فالشيعة مجاهرون ولهم شأن عند الدولة ولهم مظاهر في الشام وضواحيه، ترى اسم علي والحسين مكتوبين تحت قبة المسجد الأموي، وفي الجانب الشرقي مسجد خاص باسم راس الحسين وفي نفس البلد قباب مشيدة لأهل البيت وفي الوقت نفسه لاتجد أثراً لمعاوية (١) ويزيد والحكام الأمويين. إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .

١ . نعم في داخل البلد بيت يقال فيه قبر معاوية لا يزوره أحد إلا للعبرة، والاطلاع على ما آل إليه أعمال الامويين من مصير بائس بعد مماتهم.

(٦١٨)

قويت شوكة التشيع في سوريا حين ما قامت دولة الحمدانيين في الشام والجزيرة فليسيف الدولة أيدي بيضاء في رفع منارة التشيع، كيف وأبو فراس صاحب القصيدة الميمية هو ابن عمه الذي يقول: الحق مهتضم والدين مخترم * وفي آل رسول الله مقتسم وأما جبل عامل فقد انتشر فيه التشيع منذ دخل إلى الشام، وقد خرج منها علماء طبقوا البلاد شهرة وصيتاً أخص منهم بالذكر: ١- محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول (٧٣٤ - ٧٨٦) وكان إماماً في الفقه ولكنه صلب بيد الجور، ثم رجم، ثم أحرق، بذنب أنه شيعي موال لأهل البيت ولا يفتي بفتوى أئمة المذاهب الأربعة . وله كتب فقهية أشهرها اللمعة الدمشقية ألفها في السجن خلال اسبوع ولم يكن عنده من الكتب الفقهية سوى المختصر النافع للمحقق الحلبي (٦٠٠ - ٦٧٦) . ٢- زين الدين بن علي الجبعي (٩١١ - ٩٦٦) صاحب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية والمسالك في شرح الشرائع الذي يتضمن مجموع الكتب الفقهية مع ذكر المستند والدليل . وهو قدس الله سره استشهد قرب شاطئ البحر وفصل رأسه عن جسده وأرسل إلى السلطان . ولا ذنب له إلا كذنب الشهيد الأول . ولعمري الحق أن هذه المواقف من الحكومات السنية عبر القرون، تقشع منها الجلود، ويندى منها جبين الإنسانية ويرفضها الدين والعقل فأين الكرامة والحريّة؟ أين السماحة، والرأفة؟ أقول: إذا كان هذا مصير الشيعة مع كونهم سائرين خلف حجب التقية، فما ظنك لو لم يتخذوا من التقية ستاراً؟

ولقد خرج من جبل عامل وراء هذين الشخصين علماء كبار، فقهاء عظام ولم يزل منار التشيع مرتفعاً ولواؤه خفّاقاً بهم، ولقد تحمّلوا عبر القرون وخصوصاً في (٦١٩)

عهد السلطنة العثمانية، المصاعب الجسام والتي ذكرها التاريخ وقرأ في هذا المجال جرائم أحمد باشا الجزّار، ممثّل الدولة العثمانية في بلاد الشام من (١١٩٥ - ١١٩٨). ولقد ألف الشيخ الحرّ العاملي كتاباً أسماه أمل الآمل في علماء جبل عامل طبع في جزّين واستدرك عليه السيد الجليل حسن الصدر . بعلبك: إن بعلبك تعد من المدن الشيعية العريقة ولقد ظهر بها التشيع منذ دخل بلاد الشام وراج في ظلّ الدولة الحمدانية. والعيشة فيها كالعراق، عيشة قبليّة وأهلها معروفون بالبسالة والبطولة والجود والكرم . الشيعة في مصر:

دخل التشيع مصر في اليوم الذي دخل فيه الإسلام ولقد شهد جماعة من شيعة علي فتح مصر منهم المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع، وأبو أيوب الأنصاري، وزارها عمّار بن ياسر في خلافة عثمان (١) وهؤلاء ما كانوا يبتنون فكرة التشيع التي كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول الله . ولأجل ذلك حين قتل عثمان باجهاز المصريين عليه، بايعوا علياً كما بايع أهلها طوعاً ورضةً . لمّا بعث على قيس بن سعد أميراً على مصر بايع أهلها طوعاً إلا قرية يقال لها خربتاء (٢) . كان هذا نواة لمذهب التشيع في تلك البلاد وإن تغلّب عليها الأمويون بعد علي، وقتل عمرو بن العاص والي على محمد بن أبي بكر. وجعلوا جثته في جيفة

١ . الخطة المقرزية ٢ / ٧٤ .

٢ . الخطة المقرزية ٤ / ١٤٩، الجزري: الكامل ٣ / ٦١ حوادث عام ٣٦ . (٦٢٠)

حمار وأحرقوه بالنار ولكن للحق دولة وللباطل جولة، فهذه الأعمال الاجرامية وما ارتكبه العباسيون من الجرائم صارت سبباً لابتعاد الناس عن السلطات وتعاطفهم مع العلويين، خصوصاً عندما ذهب إليها بعض السادة الحسينيين، إلى أن قامت دولة الفاطميين وبثوا

الدعاة في أفريقيا فاعتنق المصريون التشيع برغبة وجهروا بحى على خير العمل. وتفضيل على غيره، وكما جهروا بالصلاة على النبي وآله. لقد قامت في عهد الفاطميين مراسم عاشوراء وعيد الغدير، ولم تزل هذه المراسم إلى يومنا هذا. وكان التشيع مخيماً على مصر في عهد الفاطميين وضارباً أطنا به في القرى والبلدان لولا أن صلاح الدين يوسف الأيوبي أزال سلطتهم ومذهبهم من مصر بقوة السيف والنار. وهذه الصفحة في تاريخ مصر صفحة مليئة بالأسى والحزن ومع ذلك تتواجد في هذه الأيام الشيعة، وأما السنة فهم علويون روحاً وعاطفة يتفاخرون بالحب والميل لأهل البيت ويعتبرون عن ذلك بزيارتهم للمشاهد المعروفة برأس الحسين ومرقد السيدة زينب والسيدة سكينه. وبذلك يعلم حال التشيع بأفريقيا الشمالية فإن حكومة الفاطميين امتدت إلى الجزائر ومراكش وتونس وليبيا والسودان، أضف إلى ذلك أن كثيراً من العلويين ارتحلوا إلى تلك البلاد وأسسوا دويلات وكان ذلك سبباً لانتشار التشيع. الشيعة في إيران:

إن التشيع هو المذهب السالح في إيران من أوائل القرن العاشر (٩٠٥) إلى يومنا هذا إن الدولة الصوفية هم الذين أشاعوا التشيع في إيران، بعد ملوك المغول فلو كان نجاح الثانى قليلاً، كان نجاح الصفويين كبيراً، فلو بلغ عدد النفوس في إيران الإسلامية قرابة ستين مليوناً، فالأكثرية هم الشيعة، ولا تتجاوز سائر الطوائف عن (٦٢١)

أربع ملايين والجميع يعيشون في حزية وسلام. يلمسها كل من ورد الجمهورية الإسلامية. إن هنا أموراً لا- محيص، عن طرحها وتحليلها لأنها من المواضيع التي كثر فيها اللغظ وقد أكثر المستشرقون وغيرهم فيها الصخب والهياج وهى: ١- ما هو السبب الحقيقى لدخول الفرس فى الاسلام؟ ٢- ما هو السبب الحقيقى لجنوحهم إلى آل البيت؟ ٣- سببان مزعومان: الاصحار، وإرادة هدم الإسلام وإليك تحليل تلك النقاط. ١- ما هو السبب لدخول الفرس فى الإسلام

إن الفرس دخلوا فى الإسلام كدخول سائر الشعوب والعلّة فى الجميع واحدة أو متقاربة وحاصلها أنهم وقفوا على أن فى هذه الشريعة الغراء، من سمات العدل والمساواة، ورفض التمييز العنصرى، والنظام الطبقي، وأن الناس فيه كأسنان المشط لافضل لعجمى على عربى، ولا- لعربى على عجمى إلا- بالتقوى، وكانت الثورة الإسلامية تحمل يوم تفجرها رايات العدل، وكان ذلك هو الدافع المهم للشعوب للدخول فى الإسلام والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب. ٢- ما هو السبب الحقيقى لولائهم آل البيت:

إن السبب الحقيقى لولائهم وجنوحهم إلى أهل البيت هو أنهم شاهدوا أن علياً وأهل بيته - خلافاً للخلفاء عامتهم - يكافحون فكرة القومية ويطبقون المساواة فأخذوا يتحنّون إليهم حيناً بعد حين، وشبراً بعد شبر، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فى (٦٢٢)

قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء وإن لم يكن الحب - يوم ذاك - ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول وامامتهم بعده، بل كان حباً ووداً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية، ويدل على ذلك عشرات من القضايا نذكر بعضها. ١- روى الفضل بن أبى قره عن الامام الصادق - عليه السلام - قال: أتت الموالى أمير المؤمنين - عليه السلام - فقالوا: نشكوا إليك هؤلاء العرب. إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوج سلمان، وبلالا- وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا- نفعل، فذهب إليهم أمير المؤمنين - عليه السلام - فكلّمهم فيهم فصاح الأعراب: أئينا ذلك يا أبا الحسن، أئينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجزّ رداءه وهو يقول: يا معشر الموالى إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوّجون إليكم ولا يزوّجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارك الله لكم، فأنى قد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء فى التجارة وواحدة فى غيرها(١). ٢- روى أبو إسحاق ابراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفى فى غاراته: عن عباد ابن عبد الله الأسدى، قال: كنت جالساً يوم الجمعة، وعلى - عليه السلام - يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس فجاء الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى، فقال على - عليه السلام -: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يقبل أحدهم يتقلب على حشاياه، ويهجد قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟ والمذى فلق

الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: ليضربنكم واللّه على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

١. الكليني: الكافي ٥ / ٣١٨ .

(٦٢٣)

قال مغيرة: كان علي - عليه السلام - أميل إلى الموالى وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم (١). ٣- روى ابن شهر آشوب: لما ورد بسببى الفرس إلى المدينة أراد عمر بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير في الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : إنّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: أكرموا كريم قوم، وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلم، ورغبوا في الإسلام وقد أعتقت منهم لوجه الله حقّي وحقّ بنى هاشم، فقالت المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لك يا أبا الرسول الله فقال: اللهم فاشهد أنّهم قد وهبوا، وقبلت وأعتقت، فقال عمر: سبق إليها علي بن أبي طالب - عليه السلام - ونقض عزمتي في الأعاجم (٢). ٤- روى الصدوق عن الامام الصادق، قال: قال رجل له: إنّ الناس يقولون: من لم يكن عربياً صلباً، أو مولى صريحاً، فهو سفلى فقال: وأى شيء المولى الصريح، فقال له الرجل: من ملك أبواه، فقال: ولم قالوا هذا؟ قال: يقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مولى القوم من أنفسهم فقال سبحان الله: أما بلغك أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: أنا مولى من لا مولى له، أنا مولى كل مسلم، عربيها وعجميها، فمن والى رسول الله أليس يكون من نفس رسول الله؟ ثم قال: أيهما أشرف، من كان من نفس رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أو من كان

١. الثقفى الغارات ٣٤٠ طبع بيروت، الحمراء: الموالى، الضيافة جمع الضياطر: الضخام الذين لا عناد عندهم.

٢. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٨ . (٦٢٤)

من نفس أعرابي جلف بايل على عقبيه؟ ثم قال: من دخل في الإسلام رغبة، خير ممن دخل رهبة، ودخل المنافقون رهبة، والموالى دخلوا رغبة (١). ٥- روى الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠) أنّ عمر بن الخطاب نهى عن أن يتزوج العجم في العرب وقال: لأمنعن فزوجهنّ إلا من الأكفاء (٢). ٦- روى المفيد أنّ سلمان الفارسي - رضى الله عنه - دخل مسجد رسول الله ذات يوم فعظّموه وقدموه وصدّروه اجلالاً لحقه، واعظاماً لشيبته واختصاصه بالمصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - فدخل عمر فنظر إليه، فقال: من هذا العجمي المتصدّر فيما بين العرب؟ فصعد رسول الله المنبر وخطب، فقال: إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكثر لا ينفذ، سلمان منّا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان (٣). ٧- روى الثقفى في «الغارات» عن مغيرة أنّه قال: كان علي أميل إلى الموالى وألطف بهم، كان عمر أشدّ تباعداً منهم (٤). ٨- وروى أيضاً: إنّ امرأتين أتتا علياً - عليه السلام - عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالى، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكراً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين! إننى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال علي - عليه السلام - إننى لا أجد لبني إسماعيل في هذا

١. الصدوق: معانى الأخبار كما في سفينة البحار ٢ مادة ولى .

٢. الايضاح ٢٨٠ .

٣. المفيد: الاختصاص ٣٤١ .

٤. الغارات ٤٦ . (٦٢٥)

الفىء فضلاً على بنى إسحاق (١). ٩- روى المفيد عن ربيعة وعمارة وغيرهما: أنّ طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه، وفرار كثير منهم إلى معاوية، طلباً لما في يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال،

وفضل هؤلاء الأشراف من العرب، وقريش على الموالى والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس، وفراره إلى معاوية، فقال لهم أمير المؤمنين - عليه السلام -: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! لا والله ما أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم (٢) . ١٠- روى المبرد: قال الأشعث بن قيس لعلي بن ابي طالب - رحمه الله - وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلى المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض على المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدى: ما لنا ولهذا؟! - يعنى الأشعث - ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً - لا يزال يذكر، فقال على: من يعذرني من هذه الضيافة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً (٣) . هذه الشواهد الكثيرة توقفنا على السبب الحقيقي لتوجه الفرس والموالى إلى آل البيت وأنه لم يكن إلا لصمودهم في طريق تحقيق العدل والمساواة، والمكافحة

١ . الغارات ٣٤١ .

٢ . المفيد: المجالس ٥٧ طبع النجف .

٣ . الكامل ٥٣ / ٢ طبع مصر سنة ١٣٣٩ هـ . (٦٢٦)

ضد العنصرية . ١- هل الاصحار كان سبياً للولاء:

روى الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره: ان الصحابة جاءوا بسبى فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الامام على: «إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن» فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال: «يقومن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن» «فقومن فأخذهن» على فدفع واحدة لعبدالله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحَمَّد بن أبي بكر، فأولد عبدالله بن عمر ولده سالمًا، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمّد ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد (١) . وقد استند إلى هذه القصة أحمد أمين في فجر الإسلام والدكتور حسن إبراهيم في التاريخ السياسي للإسلام (٢) وذهب إلى أن الاصحار صار سبياً لتشييع الفرس . نحن لا نقوم حول هذه القصة وأنها هل هي صادقة أو ممّا وضعها أصحاب الأساطير، وكفانا لتكذيب هذه القصة من رأسها ما ألفه زميلنا العزيز الدكتور السيد جعفر شهيدى (٣) ولو وقفنا إلى جانب هذه القصة وسلمنا بها نسأل: أى صلة بين دخول الفرس في التشيع ومصاهرة الامام الحسين يزدجرد، فلو كانت تلك علّة فليكن

تسنن

١ . ربيع الأبرار .

٢ . التاريخ الإسلام السياسي ٧ / ٢ .

٣ . الامام على بن الحسين - باللغة الفارسية - . (٦٢٧)

الفرس لاصهار عبدالله بن عمرو ومحمّد بن أبي بكر لهم، فإن الرجلين من أبناء الخليفين، على أن هناك من الخلفاء الأمويين والعباسيين ينسبون من جانب الأم إلى البلاط الايراني، والحق أن تفسير إتماء التشيع وجنوحهم إلى آل البيت على هذا الحدث منطق ضئيل أشبه بمنطق الصبيان . ٣- إرادة هدم الإسلام :

دخل الفرس في المذهب الشيعي وتستر بحب أهل البيت لغاية هدم الإسلام تحت ذلك الغطاء وقد اعتمد عليه أحمد أمين وقال: والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد ادخال تعاليم آباءه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً (١) . وقد استغلّ الفكرة الكاتب الأمريكى «لو تروب ستودارد» في كتابه «حاضر العالم الاسلامي» الذي نقله إلى العربية الأمير شكيب أرسلان، وتجد الفكرة أيضاً عند صاحب المنار ومحّب الدين الخطيب وغيرهم من كتّاب العصر . وهذا الكلام أشبه بكلام من أعمى الله بصره وبصيرته، فإن من نظر إلى تاريخ الفرس وجد أنهم خدموا الإسلام بنفسهم ونفيسهم وأفلامهم وآرائهم من غير فرق بين

الشيعة والسني، وهؤلاء أصحاب الصحاح فإن أكثرهم فارسي الأصل والمنشأ فقد نص من بينهم على أن مسلم بن الحجاج القشيري عربي وما عداه فارسي، وقد كفانا في ذلك كتب الرجال والتراجم. على أن المذهب السائد بين الفرس يوم أسلموا، إلى أوائل القرن العاشر، كان هو التسنن فلو كانت الفرس أسلموا لغاية هدم الاسلام _____

١. فجر الإسلام: فصل الشيعة .

(٦٢٨)

فقد تستروا بالسنة لا بالشيعة . دول الشيعة:

حاول الأمويون القضاء على التشيع وأراد العباسيون الوقوف في وجه انتشاره بعد اليأس عن استئصاله. ولكن نما وازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق بل قامت لهم هنا وهناك دول ودويلات نظير: ١- دولة الأدراسة في المغرب ١٩٤ - ٣٠٥ . ٢- دولة العلويين في الديلم ٢٠٥ - ٣٠٤ . ٣- دولة البويهيين في العراق وما يتصل به من بلاد فارس ٣٢١ - ٤٤٧ . ٤- دولة الحمدانيين في سوريا والموصل وكر كوك ٢٩٣ - ٣٩٢ . ٥- دولة الفاطميين في مصر ٢٩٦ - ٥٦٧ . ٦- دولة الصفويين في إيران ٩٠٥ - ١١٣٣ . ٧- دولة الزنبيين ١١٤٨ - ١١٩٣ . ٨- دولة القاجاريين ١٢٠٠ - ١٣٤٤. أضف إلى ذلك وجود امارات للشيعة في نقاط مختلفة . إن افاضة القول في مؤسسى هذه الدول وترجمة أحوالهم وما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقل في ذلك (١) فترك المقال في ذلك فعلى القراء مراجعة الكتب المؤلفة في هذه المواضيع . _____

١. ومن أراد الامام على وجه الايجاز فعليه الرجوع إلى كتاب «الشيعة والتشيع» للكتاب القدير محمد جواد مغنية - رضوان الله عليه . - .

(٦٢٩) الجامعات العلمية للشيعة:

الإسلام دين العلم والمعرفة، دفع الإنسان من حضيض الجهل والأمية إلى أعلى مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه على القراءة والكتابة (١)، والتدبر في آثار الكون ومظاهر الطبيعة ونبد التقليد في تبني العقيدة فأراد للانسان حياة نابضة بالفكر والثقافة. وقد كانت للشيعة خلال القرون الماضية جامعات وحوزات علمية نشير إلى بعضها اجمالاً: ١- المدينة المنورة :

إن المدينة المنورة هي المنطلق العلمي الأول، لنشر العلم والثقافة فهي المدرسة الأولى للمسلمين نشأ فيها عدده من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين وعلى رأسهم ابن عباس حبر الأمة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع. الذي هو من خيار شيعة الامام على مؤلف كتاب السنن والأحكام والقضاء (٢) وغيرهم . جاءت بعدهم طبقة من التابعين تخرجوا من تلك المدرسة على يد الامام على بن الحسين زين العابدين - عليهما السلام - ولقد روى الكليني عن الامام الصادق أنه قال: كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من _____

١. قال سبحانه: (إقرأ يا اسم ربك الذي خلق) وهي أول سورة نزلت على النبي الأكرم. وأقسم الله عز وجل بالقلم وقال سبحانه: (ن والقلم). وبذلك أوقف المجتمع الانساني، على قيمة وعلو شأنه .

٢. النجاشي: الرجال ٦٤ برقم ١ . (٦٣٠)

ثقات على بن الحسين - عليهما السلام - (١) . وازدهرت تلك المدرسة في عصر الامامين الصادق والباقر - عليهما السلام - وزخرت بطلاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية فكان بيتهما، جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم وحملته الحديث، يأتون إليها من كل فج عميق، وقد عرفت دور الامامية في بسط العلوم في الفصل الثاني عشر . ٢- الكوفة وجامعتها الكبير:

قد سبق أن الامام أمير المؤمنين هاجر من المدينة إلى الكوفة واستوطن معه خيار شيعته ومن تربى على يديه من الصحابة والتابعين . ولقد أتى ابن سعد في طبقاته الكبرى على ذكر جماعة من التابعين الذين سكنوا الكوفة (٢) ولقد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الامام الصادق المدينة المنورة إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح حيث بقي فيها مدة سنتين . اغتم الامام فرصة ذهبية أو جدتها الظروف السياسية آنذاك وهي أن الحكومة العباسية كانت جديدة العهد وقد سقطت الحكومة الاموية. فلم يكن للعباسيين

يومذاك قدرة على الوقوف في وجه الامام لانشغالهم بأمور الدولة. بالاضافة إلى أنهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة وقد نشر زمن اقامته بها علوماً جمّة. ولما انتشر نبأ وروده الحيرة تقاطرت وفود للارتواء من منهله العذب. وهذا الحسن بن علي بن زياد الوشاء يحكي لنا ازدهار مدرسة الكوفة في تلك الظروف ويقول: _____

١. الكليني الكافي، كما في تأسيس الشيعة ٢٩٩.

٢. الطبقات الكبرى ٦٠ وقسمهم على تسع طبقات. (٦٣١)

أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد. ويضيف النجاشي: كان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب ثم ذكر اسماءها(١). وكان من خريجي هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين نظراء أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين إلى غير ذلك ممّن تكفل ذكرهم كتب الرجال وقد وقفت على أسماء عدّة منهم سابقاً باسم تلاميذ الامام الباقر والصادق - عليهما السلام - . ولقد ألف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم في هذه الظروف في الكوفة ٦٦٠٠ كتاب ولقد امتاز من بينها ٤٠٠ كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمئة(٢) فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم كما مرّ آنفاً. ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقّه بل شملت علوماً أخرى ولأجل ذلك خرج منها مؤلفون كبار صنّفوا كتباً كثيرة في علوم مختلفة ومنوعه كهشام بن محمد بن السائب الكلبي ألف أكثر من مائتي كتاب(٣) وابن شاذان ألف ٢٨٠ كتاباً(٤) وابن عمير صنّف ١٩٤ وابن دول الذي صنّف ١٠٠ كتاباً(٥) وجابر بن حيان أستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية إلى غير ذلك من المؤلفين العظام، في كافّة العلوم الإسلامية. _____

١. النجاشي: الرجال ١ / ١٣٧ رقم ٧٩.

٢. وسائل الشيعة ج ٢٠ الفائدة الرابعة وقد بينا الفرق بين الكتاب والأصل في كتابنا «كليات في الرجال».

٣. الطهراني: الذريعة ١ / ١٧.

٤. المصدر نفسه.

٥. المصدر نفسه. (٦٣٢) ٣- مدرسة قم والري:

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة نعم كانت قم والري وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة وقد عرفت أنّ الاشعريين هاجروا - خوفاً من الحجاج - إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة في إيران. كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، ولكن ربّما كانوا يعانون من الضغط العباسي. ففي هذه الفترة إلى حوالي سنة ٢٥٠ هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفي تلميذ يونس بن عبد الرحمان وهو من أصحاب الامام الرضا - عليه السلام - إلى قم ونشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسة قم والري مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار. وساعد على ذلك، بسط الدولة البويهية نفوذهم على تلك البلدان ولقد خرج من تلك المدرسة علماء ومحدّثون نظراء: ١- علي بن إبراهيم شيخ الكليني. الذي كان حيّاً سنة ٣٠٧ (١) . ٢- محمد بن يعقوب الكليني. المتوفّى سنة ٣٢٩. مؤلّف الكافي في الفروع والأصول. ٣- علي بن الحسين بن بابويه والده الشيخ الصدوق صاحب الشرائع المتوفّى ٣٢٩. ٤- ابن قولويه أبو القاسم جعفر بن محمد (٢٨٥ - ٣٦٨) من تلامذة الكليني وأستاذ الشيخ المفيد. والذي يدل على وجود النشاط الفكري في أوائل القرن الثالث ما رواه الشيخ في كتاب الغيبة أنّه أنفذ الشيخ حسين بن روح - رضی الله تعالى عنه - النائب الخاص للإمام المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - كتاب التأديب إلى فقهاء _____

١. الطهراني: الذريعة ٤ / ٣٠٢ برقم ١٣١٦.

(٦٣٣)

قم. وقال لهم: أنظروا ما في هذا الكتاب. وانظروا فيه شيء يخالفكم(١). فهذه الرواية وغيرها تعرب عن وجود نشاط فكري وفقهي في دينك البلدين في القرن الثالث والرابع، وكفي في فضلها أنّ كتاب «الكافي» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» وكتب محمد بن أحمد بن

خالد البرقي ت ٢٧٤ من ثمار هذه المدرسة العظيمة . ٤- مدرسة بغداد:

كانت مدرسة الكوفة تزدهر بمختلف النشاطات العلمية عندما كانت بغداد عاصمة الخلافة. ولما دبّ الضعف في السلطة العباسية وصارت السلطة بيد البويهيين تنفّس علماء الشيعة في أكثر مناطق العراق فأُسِّست مدرسة رابعة للشيعة في العاصمة أنجبت شخصيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية ومن نتائجها ظهور أعلام نظير: ١- الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣) تلك الشخصية الفذة الذي اعترف الموافق والمخالف بعلمه، ترجم له الياقعي في مرآة الجنان بقوله: عالم الشيعة وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، المعروف بالمفيد، وبابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان ينازع كل عقيدة بالجلالة والعظمة ومقدماً في الدولة البويهية وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة، والصوم، خشن اللباس وكان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد وكان شيخاً رابعاً، نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة وله أكثر من ٢٠٠ مصنف وكان يوم وفاته مشهور وشيعة ٨٠ ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح الله منه (٢).

١. الطهراني: الذريعة ٣ / ٢١٠ برقم ٧٧٥ .

٢. مرآة الجنان ٣ / ٢٨ حوادث عام ٤١٣ . (٦٣٤)

٢- السيد المرتضى . ٣- السيد الرضى وهما كوكبان في سماء العلم والأدب غنيان عن التعريف . ٤- الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) وهو شيخ الطائفة ومن أعلام الأئمة، تربّى على يد شيخه المفيد والسيد المرتضى وله كتاب «التبيان في تفسير القرآن» و «التهذيب» و «الاستبصار» وهما من المصادر المهمة عند الشيعة وكانت مدرسة بغداد زاهرة في عهد هذه الأعلام الثلاثة واحد بعد الآخر، وقام كل منهم بدور كبير في تطوير العلوم وتقدمها، وكان يحضر في حلقات دروسهم مئات من المجتهدين والمحدثين من الشيعة والسنة . إلى أن ضعفت سلطة البويهيين، ودخل طغرل بك الحاكم التركي بغداد، وأشعل نار الفتنة بين الطائفتين السنة والشيعة، وأحرق دوراً في الكرخ ولم يكتف بذلك حتّى كبس دار الشيخ الطوسي وأخذ ما وجد من دفاتره وكتبه، وأحرق الكرسي الذي كان الشيخ يجلس عليه (١) . ٦- مدرسة النجف الأشرف:

إنّ هذه الحادثة المؤلمة التي أدّت إلى ضياع الثروة العلمية للشيعة وقتل الأبرياء، فدعت الشيخ لمغادرة بغداد واللجوء إلى النجف الأشرف وتأسيس مدرسة علمية شيعية في جوار قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - ، وشاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المدرسة مدرسة كبرى أنجبت خلال ألف سنة من عمرها، عشرات الآلاف من العلماء والفقهاء والمتكلمين والحكماء . المعروف أنّ الشيخ هو المؤسس لتلك الجامعة العلمية المباركة . وهو حق

١. ابن الجوزي: المنتظم حوادث عام ٤٤٧ - ٤٤٩، ج ١٦ / ٨ و ١٦ ط بيروت .

(٦٣٥)

لا غبار عليه، ومع ذلك يظهر من النجاشي وغيره أنّ الشيخ ورد عليها وكانت غير خالية من النشاط العلمي. يقول في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: له كتاب عمل السلطان. أجازنا بروايته أبو عبدالله بن الخمرى الشيخ صالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة ٤٠٠ عنه (١) . ولقد استغلّ الشيخ تلك الأرضية العلمية وأعانه على ذلك، الهجرة العلمية الواسعة التي شملت أكثر الأقطار الشيعية فتقاطرت الوفود إليها، من كل فجّ، فصارت حوزة علمية وكلية جامعة في جوار النبا العظيم على أمير المؤمنين - من عصر تأسيسها ٤٤٨ - إلى يومنا هذا. ولقد مضى على عمرها قرابة ١٠٠٠ سنة. وهي بحق شجرة طيبة أصلها في الأرض وفرعها في السماء آتت أكلها كل حين باذن ربّها . إنّ لجامعة النجف الأشرف حقوقاً كبرى على الإسلام والمسلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية التي أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضى النجف وحاضرها» في ثلاثة أجزاء (٢)، وقد قام الباحث، وهو الشيخ هادي الأميني بتخريج أسماء لفييف من العلماء الذين تخرّجوا من هذه المدرسة الكبرى . ٧- مدرسة الحلة:

في الوقت الذي كانت جامعة النجف تزدهر وتتجب أفذاذاً، إذ أسّست الشيعة في الحلة الفيحاء جامعة كبيرة أخرى كانت تحتفل

ب كبار العلماء، وتزدهر بالنشاط

١. النجاشي: الرجال ١ / ١٩٠ برقم ١٦٣ .

٢. تأليف الشيخ جعفر آل محبوبه طبع النجف . (٦٣٦)

الفكرى عقدت فيها ندوات البحث والجدل، وحلقات الدراسة والمدارس والمكاتب، وظهر في هذا الدور فقهاء كان لهم الأثر الكبير في تطوير الفقه الشيعي وأصوله نأتى بأسماء بعضهم: ١- المحقق الحلي: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد، من كبار فقهاء الشيعة يصفه تلميذه ابن داود بقوله: الامام العلامة واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقواهم بالحجة وأسرعهم استحضارا (١) توفي عام ٦٧٦ هـ. له من الكتب «شرائع الإسلام» في جزأين، وهو أثر خالد شرحه العلماء وعلقوا عليه. واختصره في كتاب أسماه «المختصر النافع» وشرحه أيضاً وأسماه «المعتبر في شرح المختصر». ٢- العلامة الحلي، جمال الدين حسن بن يوسف (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) تخرج على يد خاله المحقق الحلي في الفقه، وعلى يد المحقق الطوسي في الفلسفة والرياضيات، وعرف بالنبوغ، وهو بعد لم يتجاوز سن المراهقة، وقد بلغ الفقه الشيعي في عصره القمة، وله موسوعات فيه أجلبها «تذكرة الفقهاء» ولعله لم يؤلف مثله. ٣- فخر المحققين، محمد بن الحسن بن يوسف (٦٨٢ - ٧٧١ هـ) ولد العلامة الحلي، تتلمذ على يد أبيه ونشأ تحت رعايته وعنايته، وألف والده لفيفاً من كتبه بالتماس منه، وقد تتلمذ عليه امام الفقه الشهيد الأول (٧٣٤ - ٧٨٦ هـ). إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاووس وابن ورام، وابن نما وابن أبي الفوارس الحليين، الذين اختلفت بهم مدرسة الحلة، ولهم على العلم وأهله أيادي بيضاء لا يسعنا ذكر حياتهم.

١. ابن داود: الرجال / القسم الأول ٦٢ برقم ٣٠٤ .

(٦٣٧) ٨- الجامع الأزهر:

امتد سلطان الدولة الفاطمية من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً ونافت الدولة الفاطمية الشيعية، خلافة الحكام العباسيين في بغداد، وكان المعز لدين الله أحد الخلفاء الفاطميين بمصر رجلاً مثقفاً ومولعاً بالعلوم والآداب وقد اتخذ بفضل تدبير قائده العكسرى القاهرة عاصمة للدولة الجديدة، وبنى الجامع الأزهر، وعقدت فيه حلقات الدرس، وكان يركز على نشر المذهب الشيعي بين الناس وقد أمر أن يؤدّن في جميع المساجد بـ «حى على خير العمل» ومنع من لبس السواد شعار العباسيين. إن المسلمين عامة وفي طليعتهم المصريين مدينون في ثقافتهم وازدهار علومهم وتقدمهم في مجال العلم والصنعة للفاطميين وهمهم العالية، فإن الجامع الأزهر لا يزال مزدهراً من يوم بنى إلى يومنا هذا كأعظم الجامعات العلمية (١) وهى كانت جامعة شيعية من بدء تأسيسها إلى قرنين. وإن شئت أن تقف على صورة صغيرة من خدماتهم الجليلة فاقراً ما كتبه السيد مير على: «كان الفاطميون يشجعون على العلم، ويكرمون العلماء فشيدوا الكليات والمكاتب العامة، ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون، والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعينوا لها أشهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرّاً على نفقة الدولة كما كان الطلاب يمنحون جميع الأدوات الكتابية مجاناً، وكان الخلفاء يعقدون المناظرات فى شتى فروع العلم، كالمنطق والرياضيات والفقه والطب، وكان الأساتذة يتشحون بلباس خاص عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية - كما هى الحال

١. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ / ١٠٨ .

(٦٣٨)

اليوم - وأرصدت للانفاق على تلك المؤسسات وعلى أساتذتها، وطلابها وموظفيها أملاك بلغ إيرادها السنوى ٤٣ مليون درهم، ودعى الأساتذة من آسيا والأندلس للقاء المحاضرات فى دار الحكمة، فازدادت بهم روعة وبهاء (١). وقد ألفت غير واحد من المؤرخين كتباً ورسائل حول الأزهر الشريف ومن أراد التفصيل فليرجع إليه. مدارس الشيعة فى الشامات: كانت الشيعة تعيش تحت الضغط والارهاب السياسى من قبل الأمويين والعباسيين، ولما دب الضعف فى جهاز الخلافة العباسى

وظهرت دول شيعية في العراق خصوصاً دولة الحمدانيين في الموصل وحلب، استطاعت الشيعة أن تجاهر بنشاطها الثقافي، وفي ظل هذه الحرية أسست مدارس شيعية في جبل عامل، وحلب فقد خرج من مدرسته حلب شخصيات كبيرة كأبناء زهرة وغيرهم. الذين احتفل تاريخ حلب الشهباء بذكرهم، وأما مدرسته جبل عامل فقد كانت تتراوح بين القوة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأول من العراق إلى مسقط رأسه تتراوح بين القوة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأول من العراق إلى مسقط رأسه «جزين»، فأخذت تلك المدرسة في نفسها نشاطاً، واسعاً، وقد خرج من تلك المدرسة منذ تلك العهود إلى يومنا هذا مئات من الفقهاء والعلماء لا يحصيها إلا الله سبحانه، ومن أكبر الشخصيات المنتجة في هذه المدرسة المحقق الشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠) مؤلف «جامع المقاصد» وبعده الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ - ٩٦٦) الذي كان منذ صباه تظهر منه ملامح النبوغ والذكاء، وله الأثر الخالد الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» .

١. السيد مير علي: مختصر تاريخ العرب ٥١٠ ط ١٩٣٨ .

(٦٣٩)

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممن أنجبته هذه التربة الخصبة بالعلم والأدب. ولنكتف بهذا المقدار من الإشارة إلى الجامعات الشيعية فإن الإحصاء يحوجنا إلى بسط في المقال، ويطلب لنا الإشارة إلى أسماء المعاهد الأخرى مجردة. جامعات أخر للشيعة في أقطار العالم:

كانت للشيعة جامعات في أقطار العالم ولم تزل بعضها زاهرة إلى اليوم. إن الشرق الاسلامي كافغانستان والباكستان والهند تزخر بالشيعة ولهم هناك جامعات وكتليات في هرات وبمباي ولكهنو، كما أن للشيعة نشاطات ثقافية في آسيا الجنوبية الشرقية كماليزيا وتايلند، ومن أراد الوقوف على الخريجين من هذه المدارس فعليه أن يقرأ تاريخ هذه البلاد خصوصاً بلاد الهند. فمذ تسّم الصفويون منصفية الحكم أسست في إيران حوزات فقهية، كلامية، فلسفية زاهرة، وقد تخرج منها آلاف من العلماء كجامعة اصفهان، وطهران، وخراسان، وتبريز، وقزوين، وزنجان، وشيراز وأخيراً الجامعة الكبرى للشيعة في قم المحمية بجوار الحضرة الفاطمية التي أسسها رجل العلم والزهد الشيخ عبدالكريم اليزدي (١٢٧٤ - ١٣٥٥) سنة ١٣٤٠ هـ، ولم تزل هذه الجامعة مشعة زاهرة، وقد تقاطرت إليها الأساتذة ووفود الطلاب من نقاط شتى، من جنسيات مختلفة منذ أول يومها ويتجاوز عدد الطلاب فيها في هذه السنين ٢٥٠٠٠ وفيها مكاتب زاخرة، ومؤسّسات علمية، ومراكز تحقيقية، ومطابع حديثة، وعمالقة الفكر وأساتذة القلم، ومنها تفجرت الثورة الإسلامية على يد أحد خريجيها الامام الخميني - قدس سره - فانبثقت أنوارها على ربوع العالم وأيقظت الأمة من سباتها العميق . (٦٤٠) عدد الشيعة:

إن مراكز الاحصائيات في العالم تخضع لنفوذ أعداء الإسلام خصوصاً الصهاينة، وقد صار ذلك سبباً لعدم وجود احصاء دقيق بأيدنا عن عدد المسلمين وعامة طوائفهم ومنهم الشيعة. ولكن القرائن تشهد على أن الشيعة بطوائفها الثلاث: الإمامية والزيدية والاسماعيلية يشكلون خمس أو ربع المسلمين، فلو كان عدد المسلمين - على ما يقولون - مليار نسمة فالشيعة تبلغ ٢٠٠ مليون، وأكثرهم عدداً هم الإمامية المعروفة بالاثني عشرية أو الجعفرية . نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد في ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة وحرص الصفوف إنّه على ذلك لتقدير .

الفصل الرابع عشر مصادر الأصول والفروع عند

الفصل الرابع عشر مصادر الأصول والفروع عند الإمامية (٦٤٢) (٦٤٣)

إنّ بعض المتعصّبين يحاولون التشكيك في انتهاء الشيعة الامامية في مذهبهم إلى أئمة أهل البيت وقد نقل هذه المحاولة السيد عبدالحسين شرف الدين في مراجعته (١) . ولا شك أنّ هذه المحاولة فاشلة، ولا نحتاج إلى بسط في الجواب وربما يتّضح استناد مذهبهم إلى أئمة أهل البيت - عليهم السلام - ممّا مضى في الفصل الحادي والثاني عشر . يقول السيد شرف الدين: إنّ الشيعة الامامية

في الفروع والأصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنة أو يتعلّق بهما من جميع العلوم، لا يعولون في شيء من ذلك إلا عليهم ولا يرجعون فيه إلا إليهم، فهم يدينون الله تعالى ويتقربون إليه بمذهب أئمة أهل البيت - عليهم السلام - لا يجدون عنه حولا ولا يرتضون به بدلا. على ذلك مضى سلفهم الصالح في عهد أمير المؤمنين والحسن والحسين. والأئمة التسعة من ذرية الحسين - عليهم السلام - إلى زماننا هذا وقد أخذ الفروع والأصول عن كل واحد منهم جم من ثقات الشيعة وحفاظهم (٢). _____

١. راجع المراجعات ١٠٩.

٢. المراجعات ٣٠٣ المراجعة ١١٠. (٦٤٤)

إنّ الشيعة يتخذون الكتاب مصدراً رئيسياً في العقيدة والتشريع كما يتخذون سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مصدراً رئيسياً ثانياً ويعملون بحكم العقل في المجال الذي له صلاحية القضاء، ويتخذون من الاجماع دليلاً فيما لو كشف عن الدليل الشرعي وهذا ممّا لا شك فيه. ولكن ان في الكتاب عمومات ومطلقات وقد خصّصت في السنة كما أنّ فيه مجملات تطلب لنفسها بياناً من السنة، والشيعة ترجع إلى أئمة أهل البيت في هاتيك الموارد لأجل أنّ كلامهم وقولهم هو كلام وقول النبي الأكرم وهناك مسائل مستحدثة وأمور طارئة لا يجد لها الفقيه حولا في السنة النبوية. لأنها طرأت بعد رحلة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقام أئمة أهل البيت بالاجابة عنها من غير فرق بين مجالي الالتزام والعمل. هذا هو مذهب الامامية وعلى ذلك جرى سلفهم وخلفهم من عصر أمير المؤمنين إلى يومنا هذا. إنّ انتماء الشيعة الامامية إلى أئمة أهل البيت أظهر من الشمس، وقد تعرّفت على الرواة الثقات الذين أخذوا الأصول والفروع عن الباقر والصادق والكاظم والرضا - عليهم السلام -، كما تعرّفت على الجوامع التي دونها أصحابهم في تلك العصور وكانت الجوامع مفزعا للشيعة في عصر الأئمة، حتى عصر الغيبة لأنها تحتوي علوم أهل البيت - عليهم السلام - . ولما كانت هذه الجوامع غير خالية عن النقص الفني في التبويب وغير جامع لما تركه أئمة أهل البيت من العلوم والمعارف قام المحمدون الثلاثة بتأليف جوامع ثانوية أحسن ترتيباً وتبويباً وأكثر شمولاً. ١- محمّد بن يعقوب الكليني ولد في عهد امامة العسكري (٢٥٤ - ٢٦٠) وتوفّي عام ٣٢٩ فهو أوثق الناس في الحديث وأعرفهم به، صنّف كتاب الكافي (٦٤٥)

وهذه في عشرين سنة (١) ولقد حصروا أحاديثه في ستة عشر الف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً (١٦١٩٩) والصحيح منها باصطلاح المتأخرين خمسة آلاف واثنان وسبعون حديثاً، والحسن مائة وأربعة وأربعون حديثاً، والموتق مائة حديث وألف حديث وثمانية عشر حديثاً، والقوي منها اثنان وثلاثمائة، والضعيف منها أربعمائة وتسعة آلاف وخمسة وثمانون حديثاً (٢). وقال الشهيد في الذكري: «إنّ ما في الكافي يزيد على ما في مجموع الصحاح الستة للجمهور وعدّه كتب الكافي اثنان وثلاثون كتاباً» (٣). وقال في كشف الظنون نقلاً عن الحافظ «ابن حجر»: إنّ جميع أحاديث صحيح البخاري بالمكرّر سوى المعلقات والمتابعات على ما حرّرتة وحقّقتة سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً، والخالص من ذلك بلا تكرير ألفا حديث وستمائة وحديثان، وإذا انضم إليه المتون المعلقة المرفوعة وهي مائة وخمسون حديثاً، صار مجموع الخالص ألفي حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثاً. وروى ايضاً عن مسلم أنّ كتابه أربعة آلاف حديث دون المكررات وبالمكررات سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً. وقال أبو داود في أوّل سننه: «وجمعت في كتابي هذا أربعة آلاف حديث وثمانية أحاديث في الصحيح وما يشبهه وما يقاربه» (٤). ٢- محمّد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١) مؤلّف «من _____

١. النجاشي: الرجال برقم ١٠٢٧.

٢. لؤلؤة البحرين للمحدث البحراني وما ذكره عند الجمع ينقص ٧٨ حديثاً فلا حظ.

٣. الذكري ٦.

٤. كشف الظنون كما في مستدرک الوسائل ٣ / ٥٤١، لاحظ فتح الباري في شرح أحاديث البخاري ١ / ٤٦٥. (٦٤٦)

لا يحضره الفقيه» وهو الجامع الثاني للشيعة. إنّ أحاديث كتاب الفقيه لا تتجاوز عن ٥٩٦٣ حديثاً منها ألفان وخمسون حديثاً مرسلًا.

٣- محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) مؤلف تهذيب الأحكام والاستبصار وعدد أحاديث الأول (١)١٣٥٩٠ وعدد أحاديث الثاني ٥٥١١ حديثاً كما ذكره المؤلف في آخر الكتاب . هذه هي الكتب الأربعة، المصادر المهمة عند الشيعة . الجوامع الحديثية الأخيرة: إن هناك لفيفاً من العلماء قاموا بجمع روايات الكتب الأربعة وإليك ايعاز إلى أسماء مؤلفيها . ١- محمد بن الحسن الحر العاملي توفي ١١٠٤ مؤلف كتاب تفصيل وسائل الشيعة طبع في عشرين جزءاً في الفروع والأحكام فقط، ولم يجمع ما يرجع إلى الأصول والعقائد . ٢- محمد بن المرتضى المعروف بالفيز ١٠٩١ مؤلف الوافي في ١٤ جزء في الفروع والأصول والسنن والأحكام ولو طبع الكتاب طبعة حديثه لبلغ ٣٠ جزءاً . ٣- المجلسي محمد باقر ١٠٢٧ - ١١١٠ مؤلف بحار الأنوار في ١١٠ أجزاء وهو من أبسط الجوامع وأكثرها شمولاً . وهناك جوامع أخرى طوينا الكلام عنها فمن أراد فليرجع إلى مظانها .

١ . المستدرک ٣ / ٧٥٦ .

(٦٤٧)

هذه هي المصادر التي تفرع إليها الشيعة في أصولها وفروعها أتينا على ذكرها على وجه الاجمال ليكون القارئ على بصيرة . هذا هو مذهب الشيعة وهؤلاء هم خلفهم وسلفهم، ومبدأ نشوئهم، وهذه آراؤهم وعقائدهم، وهؤلاء أئمتهم، وهذه بلدانهم ودولهم، وعدد نفوسهم، وهذه جامعاتهم وحوزاتهم، فهم أمة منتشرة في العالم وبلادهم مفتوحة لكل قاصد، وهذه كتبهم المعبرة عن تاريخهم وعقائدهم وعقائدهم وكيانهم وشرفهم وهذا تاريخهم المأساوي جزءاً للخدمات الجليلة التي قدموها للحضارة الإسلامية بأفكارهم وآرائهم وأقلامهم وكتبهم . (٦٤٨) (٦٤٩) خاتمة المطاف: بيان لكتّاب المقالات ومؤرخي العقائد

لقد حرص الحق وبانت الحقيقة لذوي النصفة ونختم الكتاب بذكر أمور مهمة ربّما مضى البحث عن بعضها في الفصول السابقة وإليك البيان . الأول: إن التشيع لم يكن فكرة سياسية ابتدعتها الأهواء، وطبعته بطابع الدين، ولا عقيدة دينية لا تمت إلى الإسلام بصله، بل هو نفس الإسلام في مجال العقيدة والتشريع، جاء به النبي الأكرم في كتابه وسنته، وليس التشيع إلا تعبيراً آخر عن الإسلام، في إطار ولاء أهل بيته الطاهرين وتتبع آثارهم وأقوالهم وآرائهم . الثاني: إن كلاً تدين به الشيعة التزاماً وعملاً، له مصدر متسالم على صحته عند أهل السنة، وأنهم لو نظروا إليه بعين الانصاف وطلب الحقيقة، وابتعدوا عن كل رأى مسبق، لوجدوا الفوارق الموجودة بين الطائفتين أموراً واقعية لها دليل في الكتاب والسنة، حتى في الأمور التي يستنكرونها في بدء الأمر، كالقول بالبداء، (٦٥٠)

وعصمة الامام وميلاد المهدي المنتظر، وحياته فعلاً وكون الأئمة محصورين في اثني عشر . الثالث: إن الشيعة ليست من الفرق البائدة التي خيم الظلام عليها، وعلى آثارهم وصارت مستورة تحت أطباق الثرى، حتى لا يعاب فيه التقول والحدس والتخمين، وأنما هي فرقة حيّة منتشرة في العالم ولهم بلاد واسعة، وحكومات قائمة، وجامعات وكليات، ومعاهد وحلقات، ومكتبات غاصة بالكتب، فعلى طالب الحقيقة ومؤرخ العقائد أن يتصل بعلمائهم عن كتب أو أن يرجع إلى الكتب المؤلفة بأيدي علمائهم الذين اجتمعت كلمتهم على وثاقته وعلمه ومعرفته ويجتنب عن الرجوع إلى كتب المتطفلين على موائد العربية من مستشرق حاقد، أو كاتب متحامل، بل يجتنب عن الجروع إلى كتاب عالم من الشيعة إذا لم تجتمع كلمتهم على وثاقته وعلمه أو صحته نظريته، إذ في كل طائفة غال متنكب عن الصراط، خابط خبطة عشواء، رفض العلماء كتابه وكلامه .

إن بين كل طائفة ومنهم الشيعة كاتب غال خط الغث بالسمن، والصحيح بالزائف، وربّما تكون له مكانة علمية و - مع ذلك - لا يصح الاستناد إلى مثل ذلك الكاتب ولا إلى كتابه، بل يطرح الشاذ، ويؤخذ بالمجمع عليه أو المشهور بينهم . إن المستند لرمى التشيع بالاعتقاد بالتحريف في هذه الأيام هو كتاب «فصل الخطاب» الذي ألفه الشيخ المحدّث النوري، وجمع مواد من هنا وهناك من غير تحقيق في السند ولا تحليل في الدلالة، ولكن الاستناد إلى هذا الكتاب ورمى طائفة كبيرة بهذه التهمة الشائنة تقوّل بالباطل، لأن علماء الشيعة أنكروا هذا الكتاب (٦٥١)

على المؤلف من أوّل يوم نشره، وأخذوا بالردّ عليه رداً عنيفاً (١) ولو كان تأليف ذلك الكتاب دليلاً على قول الشيعة بالتحريف فليكن

كتاب «الفرقان» الذي عرّفه أحد الأزهرين المعاصرين دليلاً على قول السنّة بها . الرابع: التعرّف الصحيح على المبادئ التي تعتمد عليها كل طائفة في مجال الالتزام القلبي يحصل من خلال السبر في الكتب العقائدية الكلامية المؤلفة بيد عمالقة الفكر منهم، وأمّا الكتب الحديثية المعتمدة فبما أنّ فيه الصحيح والسقيم، والمشهور والشاذ، والمحكم والمتشابه، فلا يصح الاستناد إلى رواية رويت في كتب الحديث في مجال تبين عقائد الفرق، فلو وجد في الكافي الذي هو من أئمة الكتب الحديثية عند الشيعة ما يصاد المشهور بين العلماء، لما صحّ لنا الاعتماد عليه وترك ما ذهب إليه المشهور من علمائهم، فليس معنى كون الكتاب معتبراً أنّ جميع ما ورد فيه قابل للالتزام والعمل، وهذا أمر واضح لدى الشيعة عامة، وإن غفل عنه كتاب تاريخ الفرق . الخامس: إنّ هناك فرقاً بين الجوامع الحديثية عند الشيعة والصحيح عند السنّة، فإنّ الأولى لديهم كتب معتبرة بمعنى أنّها صالحة للرجوع إليها بعد تمحيصها وتمييز الجيد من الرديء فيها. وعلى ضوء ذلك لا يكون وجود الحديث فيها دليلاً على كون مضمونه حجّة في مفاده. وأمّا الصحيح السنّة عند السنّة فبما أنّ أكثرهم أضفى على الجميع وصف الصحة للقتال أن يتصوّر أنّ وجود الحديث فيها دليل على كون مضمونه مذهباً لأهل السنّة .

١ . ردّ عليه في حياته وبعده لفيف من العلماء أخص بالذكر العلامة الحجّة: الشيخ محمد هادي معرفة بكتاب أسماء صيانة القرآن عن التحريف وقد طبع وانتشر .

(٦٥٢) السادس: إنّ المطلوب في العقائد، غير المطلوب في الأحكام فالغاية من الثانية هي العمل وإن لم يكن ادعان بصحّته وكونه مطابقاً للواقع، بل يكفي قيام الدليل على جواز تطبيق العمل عليه. بخلاف الأولى فإنّ الغرض المنشود منها هو الاعتقاد والايان، ومن المعلوم أنّ اليقين رهن مقدمات مفيدة لليقين ومجرد وجود خبر حتّى الصحيح في الجوامع الحديثية لا يؤدّي إلى اليقين فلا يمكن أن يحتجّ بها في مجال العقيدة إلاّ إذا كانت مفضية إلى اليقين، والادعان، والخبر الواحد، وإن صحّ، خال من هذا الشأن . السابع: عرفت الشيعة بالتقيّة وأنهم يتقون في أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض المشاغبين والمغالطين فيقولون: بما أنّ التقيّة من مبادئ التشييع فلا يصحّ الاعتماد بكل ما يقولون ويكتبون وينشرون إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعايات والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرّره الكاتب الباكستاني «إحسان إلهي ظهير» في كتبه الرديّة على الشيعة . ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقيّة إنّما هي القضايا الشخصية الجزئية أي عند وجود الخوف على النفس والنفس، فإذا دلّت القرائن على أنّ في اظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مذهب إمام من أئمّة أهل البيت احتمال توجّه الضرر، يصير المورد من مواردها ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأمور الكليّة الخارجة عن إطار الخوف فلا يتصوّر فيها التقيّة، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخله في النوع الثاني إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، بل لا ملزم للكتابة أصلاً فله أن يسكت ولا يكتب شيئاً . (٦٥٣)

فما يدعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعات ناش عن عدم عرفانهم لحقيقة التقيّة عند الشيعة . والحاصل: إنّ الشيعة إنّما كانت تتقي في عصر لم تكن لهم دولة تحميهم، ولا قدرة ومنعه تدفع عنهم، وأمّا هذه الأعصار فلا مسوغ ولا مبرر للتقيّة إلاّ في موارد خاصة .

إنّ الشيعة منذ أن تعرضوا للضغط، عاشت عندهم التقيّة على مستوى الفتاوى، ولم تعش على المستوى العملي، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كل باحث أن يرجع إلى مواقف الشيعة مع معاوية وغيره من الحكام الامويين، والحكام العباسيين، كحجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، ومئات من غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوراتهم المتتالية (١) . إنّ القول بالتقيّة ليس شيئاً مختصاً بالشيعة، بل يقول به المسلمون جميعاً هذا أبو الهذيل العلاف رئيس المعتزلة يقول: إنّ المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ويكون وزر الكذب موضوعاً عنه (٢) . بل يقول به كل مسلم واع، وكل كاتب قدير وناطق مصقع، يعيش في بلاد يسود عليه الاستبداد وسلب الحريات الاجتماعية والسياسية بمختلف اشكاله وصوره . الثامن:

لم يزل أهل السنّة يصفون المسانيد والسنن بالصحاح وربّما يغالون في حق بعض الصحاح كالبخارى بأنّه أصحّ الكتب بعد كتاب الله. أو ليس هذا مغالاة _____

١. الدكتور أحمد الوائلي: هوية التشيع ٢٠٣ .

٢. أبو الحسن الخياط: الانتصار ١٢٨ . (٦٥٤)

في القول؟ وإن كنت في شك من ذلك فاستمع لما نتلوه عليك عن ذلك الكتاب الّذي هو الأصحّ في زعمهم بعد كتاب الله . ١- روى في تفسير سورة الاسراء أنّ جبرائيل ليلة أُسرى بالنبي إلى السماء جاءه بقدرين، أحدهما من لبن وآخر من خمر، وخيره بين شرب واحد منهما (١) . أفصح في منطق العقل أن يأتي جبرئيل في تلك الليلة بقدر من الخمر الّتي وصفها رسول الله بأمر الخبائث ووصفه الكتاب العزيز بأنّه من عمل الشيطان؟! ولا يصحّ لمتقوّل أن يفسرّها بخمر الجنّة الّتي لا سكر فيها وهو بعد في الدنيا؟ ٢- روى عن عائشة أنّها قالت: سحر النبي حتّى كان يخيّل إليه أنّه يفعل الشئ وما يفعله (٢) . فعلى ذلك لا يحصل أي ثقة بكلام النبي وقوله، ولأجل ذلك نرى أنّ الجصاص يقول في حقّ هذه الروايات: ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين (٣) . ٣- وأخرج في صحيحه في كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نساءه في غسل واحد عن أنس بن مالك قال: كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يدور على نساءه في الساعة الواحدة في الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنّا نتحدّث أنّه أعطى قوّة ثلاثين (٤) . إنّ النبي الأكرم كان يقضى ليلة بالتهجد والعبادة، قال سبحانه: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ أَوْ نِصْفَهُ وَ تُؤَلِّتُهُ وَ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (٥) _____

١. البخارى ج ٤ باب صفة إبليس وجنوده .

٢. أحمد بن حنبل: المسند ٥ / ٦ .

٣. الجصاص: احكام القرآن ١ / ٥٥ .

٤. البخارى: الصحيح ٦ / ١٣ .

٥. المزمّل / ٢٠ . (٦٥٥)

وما جاء في الرواية أنّما يلائم حال الخلفاء الامويين والعباسيين الذين كانت قصورهم تزخر بالجوارى والنساء وحاشا النبي الأكرم الّذي عبد الله سبحانه حتّى تورّمت قدماه ونزل قوله سبحانه: (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكّره لمن يخشى) (١) . إنّ الرواية وضعت لتبرير أعمال هؤلاء الذين يعرفهم الامام في كتابه إلى عامله بالبصرة، عثمان بن حنيف ويقول: «كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها» (٢) ولا- يهمهم سوى ارضاء البطن والفرج . ٤- والعجب أنّه روى عن عائشة خلاف ذلك وأنّه لم يكن للنبي الأكرم الطروقة وقوة النكاح وكثرة الجماع قالت: إنّ رجلا سأل رسول الله، عن الرجل يجمع أهله ثم يكسل (لا ينزل منه المنى) هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : إنّى لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل (٣) . حاشا نبى العظمة والقداسة أن يتفوّه بحضرة زوجته ما لا يتكلّم به إلاّ الإنسان الماجن، المنهمك في الشهوات البهيمية، والله سبحانه يصف حيائه بقوله: (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) (٤) . هذه نماذج من الأحاديث الواردة في أصحّ الكتب عند أهل السنّة، لا أظن أنّ من يملك شيئا من الدراية يحتمل صحتها، وهذا يدفع كلّ مسلم واع إلى دراسة هذه الكتب من جديد، وتنزيه الحديث النبوى عن هذه الأباطيل، ولعلّك إذا رجعت إلى

١. طه / ١ - ٢ .

٢. الرضى: نهج البلاغة، قسم الكتب ٤٥ .

٣. مسلم: الصحيح ١ / ١٨٦ باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين .

٤ . الأحزاب / ٥٣ . (٦٥٦)

الجزء الأول من موسوعتنا في مجال التوحيد والتنزيه تجد هناك أحاديث لا يصدقها العقل ولا النقل . التاسع: لقد ذكر أبو زهرة سبب نمو المذهب الامامي، وقال:

«لقد نما هذا المذهب وانتشر لأسباب: ١- إن باب الاجتهاد مفتوح عند الشيعة، وهذا يفتح باب الدراسة لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسيه . ٢- كثرة الأقوال في المذهب - أي في المسائل الفقهية النظرية - واتساع الصدر للاختلاف مادام كل مجتهد يلتزم المنهاج المسنون، ويطلب الغاية التي يبتغيها من يريد محص الشرع الاسلامي، خالصاً غير مشوب بأية شائبة من هوى . ٣- إن المذهب الجعفري قد انتشر في أقاليم مختلفة الألوان من الصين إلى بحر الظلمات حيث اوربا وما حولها، وتفريق الأقاليم التي تتباين عاداتهم وتفكيرهم وبيئاتهم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والنفسيه. إن هذا يجعل المذهب كالنهر الجاري في الأرضين المختلفة الألوان، يحمل في سيره، ألوانها وأشكالها من غير أن تتغير في الجملة عدوبته . ٤- كثرة علماء المذهب الذين يتصدون للبحث والدراسة وعلاج المشاكل المختلفة، وقد أتى الله ذلك المذهب من هؤلاء العلماء عدداً وفيراً عكفوا على دراسة وعلاج المشاكل على مقتضاه (١) . العاشر: نجد بعض المشاغبين يّتهمون الشيعة بالقول بالتحريف، بحجة أن لدى الشيعة مصحفاً باسم «مصحف فاطمة» واختصاصه بها كاشف عن مغاييرته مع المصحف الراجح .

١ . أبو زهرة: الامام الصادق، بتلخيص محمد جواد مغنیه في كتابه الشيعة والتشيع ٢٢٥ .

(٦٥٧)

إنّ هذا المشاغب، لم يقرأ تاريخ الشيعة ولم يقف على كلمات أئمتهم حول هذا المصحف. وزعم أنّ المصحف بمعنى القرآن، وغفل عن أنّ المقصود منه، هو الكتاب قال سبحانه: (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (١) وقد أملى النبي الأكرم في مجالى العقيدة والتشريع والملاحم أموراً على ابنته وزوجها فجمعت في «صحف مكرمة»، سميت مصحف فاطمة. وهذا هو الامام الصادق حفيد فاطمة الطاهرة وهو من أهل البيت، وهم أدرى بما في البيت، يحدّثنا عن هذا المصحف ويقول: عندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنّه املاء من رسول الله . روى الكليني أنّ المنصور سأل فقهاء أهل المدينة عن مسألة في الزكاة فما أجابه عنها إلاّ الإمام الصادق ولما سُئِلَ من أين أخذ هذا؟ قال: من كتاب فاطمة (٢) . نرى أنّ الامام يعبر عن مصحف فاطمة بكتاب، مشيراً إلى أنّه كتاب لا قرآن يختص به . فإذا كان الغرض هو التعرّف على الواقع فهذا هو الواقع. وإن كان الهدف هو الشغب فالأولى بهذه النسبة هي عائشة، روى السيوطي أنّه قالت حميدة بنت أبي يونس: قرأ ابى وهو ابن ثمانين سنه في مصحف عائشة: انّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلون في الصفوف الأولى (٣) . * * *

١ . التكوير / ١٠ .

٢ . الكليني الكافي ٣ / ٥٠٧ ط طهران .

٣ . الاتقان ٢ / ٢٥ . (٦٥٨)

هذه من الشيعة الامامية وهذا تاريخها المشرق وهؤلاء أئمتها أئمة أهل البيت وهذه عقائدها الوضاه، وهؤلاء علماؤها وأبطالها المشاركون في بناء الحضارة الإسلامية وهذه وهذه وهذه . فماذا بعد الحق إلاّ الضلال. نسأله سبحانه أن يتفضّل علينا بتوحيد الكلمة كما أولانا بكلمة التوحيد إنّه خير مدعو وخير مجيب وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . قم - مؤسسه الإمام الصادق - عليه السلام - جعفر السبحاني

فهرس مصادر الكتاب

فهرس مصادر الكتاب القرآن الكريم حرف الألف: ١- أبو العباس السفاح: محمد أحمد براق . ٢- الاتقان: جلال الدين السيوطي (٨٤٩)

- ٩١١ هـ) دار ابن كثير، بيروت . ٣- اثبات الهداة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (م ١١٠٤ هـ) المطبعة العلمية، قم . ٤- اثبات الوصية: المسعودي: علي بن الحسين بن علي (م ٣٤٥ هـ) قم - ١٤٠٤ هـ . ٥- الإثنا عشرية وأهل البيت: محمد جواد مغنیه . ٦- الاحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علي الطبرسي (من اعلام القرن السادس)
- مؤسسة الأعلمی، بيروت - ١٤٠٣ هـ . ٧- أحسن التقاسيم: شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي، طبع ليدن - ١٩٠٦ م . ٨- الأحكام السلطانية: الماوردي: علي بن محمد البصري (م ٤٥٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت . ٩- أحكام القرآن: الجصاص: أحمد بن علي (م ٣٧٠ هـ) دار الكتب العربي، بيروت - ١٤٠١ هـ . (٦٧٢) ١٠- أخبار اصبهان: أبو نعيم الاصفهاني: أحمد بن عبدالله (م ٤٣٠ هـ) انتشارات جهان، طهران . ١١- أخبار النحويين واللغويين: ابن النديم (م ٣٨٥ هـ) . ١٢- الاختصاص: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦- ٤١٣ هـ)
- مؤسسه النشر الاسلامي، قم . ١٣- الأربعون حديثاً: النبهاني . ١٤- الارشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) طبع قم - ١٤٠٢ هـ . ١٥- الأرض والتربة الحسينية: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ) . ١٦- الاستيعاب: أبو عمرو: يوسف بن عبدالله بن عبد البر، دار نهضة مصر، القاهرة . ١٧- أسد الغابة: ابن الأثير: علي بن أبي الكرم (م ٦٣٠ هـ) دار احياء التراث العربي بيروت . ١٨- الإصابة: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت . ١٩- أصل الشيعة وأصولها: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ) مطبعة العرفان، صيدا - ١٣٥٥ هـ . ٢٠- أصول الدين: محمد بن عبد الكريم البزدوي (٤٢١ - ٤٩٣ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة - ١٣٨٣ هـ . ٢١- أصول الفقه: الدواليبي . ٢٢- اعتقادات الإمامية: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) طبعه حجر . ٢٣- إعلام الوري: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ - ٥٤٨ هـ) طبع إيران . ٢٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت . ٢٥- الإلهيات: محمد مكي العاملي من محاضرات الأستاذ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت - ١٤١٠ هـ . (٦٧٣) ٢٦- الأمالي: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) المكتبة الإسلامية، طهران . ٢٧- الأمالي: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) قم - ١٤٠٤ هـ . ٢٨- الامام جعفر الصادق: محمد أبو زهرة (م ١٣٩٦ هـ) . ٢٩- الامام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، دار الروائع، بيروت . ٣٠- الامامة والسياسة: ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوري (م ٢٧٦ هـ) مطبعة مصطفى محمد، مصر . ٣١- الانتصار: ابو الحسين الخياط المعتزلي، تحقيق د. نبرج، طبع مصر - ١٣٤٤ هـ . ٣٢- أنساب الأشراف: البلاذري: أحمد بن يحيى (من اعلام القرن الثالث الهجري) مؤسسة الأعلمی، بيروت - ١٣٩٤ هـ . ٣٣- أوائل المقالات: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز - ١٣٧١ هـ . ٣٤- الإيضاح: الفضل بن شاذان (م ٢٦٠ هـ) انتشارات جامعة طهران، طهران - ١٤٠٤ هـ . * حرف الباء: ٣٥- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت - ١٤٠٣ هـ . ٣٦- البداية والنهاية: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢ هـ . ٣٧- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم التولي البحراني (م ١١٠٧ هـ) قم - ١٣٧٥ هـ . ٣٨- البلدان: يعقوب: أحمد بن أبي يعقوب (من اعلام القرن الثالث) . ٣٩- بلوغ المرام: ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) دار النهضة، مصر . (٦٧٤) ٤٠- البيان والتبيين: أبو عثمان: عمرو بن بحر الجاحظ (م ٢٥٥ هـ) دار الفكر للجمع، بيروت - ١٩٦٨ م . ٤١- بين يدي الساعة: الدكتور عبد الباقي المعاصر . * حرف التاء: ٤٢- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة - ١٩٣١ م . ٤٣- تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمان بن خلدون (م ٨٠٨ هـ) بيروت - ١٩٥٦ م . ٤٤- تاريخ الإسلام السياسي: الدكتور حسن إبراهيم حسن (المعاصر) مصر - ١٩٣٥ م . ٤٥- تاريخ الإمامية: الدكتور عبدالله فياض، مؤسسة الأعلمی، بيروت - ١٣٩٥ هـ . ٤٦- تاريخ الأمم والملوك: الطبري: محمد بن جرير (م ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمی بيروت . ٤٧- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة . ٤٨- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) مطبعة المدني، القاهرة - ١٣٨٣ هـ . ٤٩- تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، طبع بيروت - ١٩٦٥ م . ٥٠- تاريخ الشيعة: محمد حسين المظفر (م ١٣٧٥ هـ) منشورات مكتبة بصيرتي، قم . ٥١- تاريخ

المذاهب الإسلامية: محمّد أبو زهرة (م ١٣٩٦ هـ) دارالفكر العربي، بيروت. ٥٢- تاريخ مختصر الدول: ابن العبري: العلامة غريغوريوس الملطي (م ٦٨٥ هـ) مؤسسة منابع الثقافة الإسلامية، قم. ٥٣- تاريخ يعقوبى: أحمد بن أبي يعقوب (من علماء القرن الثالث الهجرى) (٦٧٥)

المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٤٨ هـ. ٥٤- تأسيس الشيعة: السيد حسن الصدر (١٢٧٢ - ١٣٥٤ هـ)، مطبعة المعارف، بغداد - ١٣٧٠ هـ. ٥٥- التبيان في تفسير القرآن: الطوسى: محمّد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت. ٥٦- التبصير فى الدين: أبو المظفر الاسفرائينى (م ٤٧١ هـ) بيروت - ١٤٠٣ هـ. ٥٧- التحرير الطاووسى: الشيخ حسن بن زين الدين العاملى (م ١٠١١ هـ). ٥٨- تحف العقول: الحرّانى: الحسن بن على (من أعلام القرن الرابع الهجرى) مؤسسة الأ-علمى، بيروت - ١٣٩٤ هـ. ٥٩- تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزى (٥٨١ - ٦٥٤ هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت - ١٤٠١ هـ. ٦٠- ترتيب المدارك: القاضى عياض، بيروت - ١٩٧٦ م. ٦١- تصحيح الاعتقاد: المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز - ١٣٧١ هـ. ٦٢- تطهير الجنان: ابن حجر الهيتمى (م ٩٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٣ هـ. ٦٣- تفسير ابن كثير: إسماعيل الدمشقى (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٣ هـ. ٦٤- تفسير الخازن: الشيخ علاء الدين محمّد البغدادى، طبع القاهرة. ٦٥- تفسير الرازى (مفاتيح الغيب): محمّد بن عمر الخطيب (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) دار احياء التراث العربى، بيروت. ٦٦- تفسير روح البيان: إسماعيل حقّى. ٦٧- تفسير الطبرى (جامع البيان): محمّد بن جرير (م ٣١٠ هـ) دار المعرفة، بيروت. ٦٨- تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن): محمّد بن أحمد الأنصارى (م ٦٧١ هـ) (٦٧٦)

دار احياء التراث العربى، بيروت - ١٤٠٥ هـ. ٦٩- تفسير المراغى: أحمد مصطفى المراغى، دار احياء التراث العربى، بيروت - ١٤٠٦ هـ. ٧٠- تفسير المنار: محمّد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ) دار المنار، مصر - ١٣٧٣ هـ. ٧١- تفسير النسفى: المطبوع بهامش تفسير الخازن، طبع القاهرة، مصر. ٧٢- التفسير والمفسرون: الدكتور محمّد حسين الذهبى (م ١٣٩٦ هـ) دار الكتب الحديثة، مصر - ١٣٩٦ هـ. ٧٣- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلانى (م ٨٥٢ هـ)، بيروت - ١٩٧٥ م. ٧٤- تقييد العلم: الخطيب البغدادى (م ٤٦٣ هـ) نشر دار السنّة - ١٩٧٤ م. ٧٥- التمهيد: الباقلانى: محمّد بن الطيب (م ٤٠٣ هـ) القاهرة - ١٣٦٦ هـ. ٧٦- تنقيح المقال: عبد الله المامقانى (١٢٩٠ - ١٣٥١ هـ) النجف الأشرف - ١٣٥٠ هـ. ٧٧- تهذيب التهذيب: العسقلانى: أحمد بن على بن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٤ هـ. ٧٨- التوحيد: الصدوق: محمّد بن بابويه القمى (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران. * حرف الثاء: ٧٩- الثقات العيون: آغا بزرك الطهرانى (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هـ). * حرف الجيم: ٨٠- جامع الأصول: ابن الأثير الجزرى: المبارك بن محمّد (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٣ هـ. (٦٧٧) ٨١- الجرح والتعديل: أبو حاتم الرازى (م ٣٢٧ هـ) دار احياء التراث العربى، بيروت - ١٣٧١ هـ. ٨٢- جمل العلم والعمل: الشريف المرتضى: على بن الحسين الموسوى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ). ٨٣- جنة المأوى: محمّد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ١٣٨٠ هـ. * حرف الحاء: ٨٤- الحضارة الإسلامية: آدم متر، ترجمة الدكتور عبدالهادى أبو ريده، مصر - ١٣٦٧ هـ. ٨٥- حقائق التنزيل: الشريف الرضى (٣٥٩ - ٤٠٤ هـ) مؤسسة البعثة، طهران - ١٤٠٦ هـ. ٨٦- حلية الأولياء: أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الاصبهاني (م ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربى، بيروت - ١٣٨٧ هـ. ٨٧- الحوادث الجامعة: ابن الفوطى: عبدالرزاق بن أحمد (م ٧٣٣ هـ) تحقيق الدكتور مصطفى جواد، بغداد - ١٣٥١ هـ. * حرف الخاء: ٨٨- الخصائص العلوية: النسائى: أبو عبدالرحمان: أحمد (م ٣٠٣ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٨٨ هـ. ٨٩- الخصال: الشيخ الصدوق: محمّد بن بابويه (م ٣٨١ هـ) منشورات دارالنشر الاسلامى، قم - ١٤٠٣ هـ. ٩٠- خطط الشام: محمّد كرد على، مصر - ١٩٦٣ م. ٩١- الخطط المقرزية: تقى الدين المقرزى (م ٨٤٥ هـ) دار صادر، بيروت. (٦٧٨) ٩٢- الخلاصة: العلامة الحلّى (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) النجف الأشرف. ٩٣- الخلاف: الشيخ الطوسى (م ٤٦٠ هـ) دارالكتب العلمية، قم. ٩٤- الخلافة والإمامة: عبدالكريم الخطيب (م ١٣٩٦ هـ) دار المعرفة، بيروت - ١٣٩٥ هـ. ٩٥- الخوارج والشيعة: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور عبدالرحمان بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت. * حرف الدال: ٩٦- دائرة

المعارف: فريد وجدى، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين - ١٣٨٦ هـ . ٩٧- الدرجات الرفيعة: صدر الدين السيد على خان المدني الحسينى (م ١١٢٠ هـ)

منشورات المكتبة، الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٨١ هـ . ٩٨- الدر المشور: جلال الدين السيوطى (٨٤٩- ٩١١ هـ) دارالفكر، بيروت - ١٤٠٣ هـ . ٩٩- ديوان ابن الرومى: أبو الحسن على بن العباس بن جريج (م ٢٨٣ هـ) تحقيق كامل الكيلانى، طبعه مصر ١٩٢٤ م . * حرف الذال: ١٠٠- الذخيرة: الشريف المرتضى (٣٥٥- ٤٣٦ هـ) طبع إيران . ١٠١- الذريعة: آغا بزرك الطهرانى (م ١٣٨٩ هـ) دارالأضواء، بيروت . ١٠٢- الذكري: الشهيد الأول: محمد بن مكى العاملى (٧٣٣- ٧٨٦ هـ) طبعه حجر، إيران . * حرف الراء: ١٠٣- ربيع الأبرار: الزمخشري: محمود بن عمر (٤٦٧- ٥٣٨ هـ) منشورات (٦٧٩)

الشريف الرضى، قم - ١٤١٠ هـ . ١٠٤- الرجال: ابن داود: الحسين بن على الحللى (من علماء القرن السابع الهجرى) طهران - ١٣٤٢ هـ . ١٠٥- الرجال: البرقى: أحمد بن عبدالله (٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ) طهران - ١٣٨٣ هـ . ١٠٦- الرجال: الطوسى: محمد بن الحسن (م ٤٦٠ هـ) النجف الأشرف - ١٣٨١ هـ . ١٠٧- الرجال: الكشى: أبو عمرو (من علماء القرن الرابع) مؤسسة الأعلمى، كربلاء - العراق . ١٠٨- الرجال: النجاشى: أحمد بن على (٣٧٢- ٤٥٠ هـ) بيروت - ١٤٠٩ هـ . ١٠٩- الرحلة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار): ابن بطوطة: محمد بن عبدالله (م ٧٧٩ هـ) دارالكتب العلميه، بيروت - ١٤٠٧ هـ . ١١٠- الرسائل: الإمام الخمينى (١٣٢٠- ١٤٠٩ هـ) مؤسسة إسماعيليان، قم - ١٣٨٥ هـ . ١١١- الرسائل: أبو عثمان عمرو الجاحظ (م ٢٥٥ هـ) طبع مصر . ١١٢- رساله فى آل أعين: أبو غالب الزرارى (م ٣٦٨ هـ) مطبعة ربانى، اصفهان - ١٣٩٩ هـ . ١١٣- الرواشح السماويه: المحقق الداماد (م ١٤٠١) طبعه حجر، إيران . ١١٤- روح المعانى: الآلوسى: أبو الفضل: شهاب الدين السيد محمود البغدادى (م ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت . ١١٥- روضات الجنات: محمد باقر الخوانسارى (م ١٣١٣ هـ) طهران - ١٣٩٠ هـ . ١١٦- روضة الواعظين: الفتال النيسابورى: محمد بن على (من علماء القرن السادس الهجرى) تبريز - ١٣٣٠ هـ . * حرف الزاى: ١١٧- الزيدية نظرية وتطبيق: على عبدالكريم فضيل، شرف الدين، طبع عمان - ١٤٠٥ هـ . (٦٨٠) * حرف السين: ١١٨- السجدة على التربة . ١١٩- السجود على الأرض: العلامة على الأحمدي، مؤسسة فى طريق الحق، قم . ١٢٠- السراج المنير: الخطيب الشربيني، دار المعرفة، بيروت . ١٢١- سفينة البحار: الشيخ عباس القمى (١٢٩٤- ١٣٥٩ هـ) طبعه حجر، النجف الأشرف . ١٢٢- السنة والشيعة: محمد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ) . ١٢٣- السنن: ابن ماجه: محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧- ٢٧٥ هـ) داراحياء التراث العربى، بيروت - ١٣٥٩ هـ . ١٢٤- السنن الكبرى: البيهقى: أحمد بن الحسين (م ٤٥٨ هـ) دارالمعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ . ١٢٥- سيد المرسلين: محاضرات جعفر السجاني (مؤلف هذا الكتاب تولد ١٣٤٧ هـ) بقلم: جعفر الهادى، مؤسسة النشر الاسلامى، قم - ١٤١٢ هـ . ١٢٦- سير أعلام النبلاء: الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد (م ٨٤٨ هـ) مؤسسة الرساله، بيروت - ١٤٠٩ هـ . ١٢٧- السيرة الحلبية: الحلبي: برهان الدين على بن ابراهيم (م ١٠٤٤ هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت . ١٢٨- سيرتنا و سنتنا: العلامة عبدالحسن الأمينى (١٣٢٠- ١٣٩٠ هـ) طبع النجف الأشرف . ١٢٩- السيرة النبوية: ابن هشام: عبدالملك بن أيوب الحميرى (م ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) دارالتراث العربى، بيروت . * حرف الشين: ١٣٠- الشافى فى الإمامة: الشريف المرتضى (م ٤٣٦ هـ) مؤسسة الصادق، (٦٨١)

طهران - ١٤١٠ هـ . ١٣١- شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلى (١٠٣٢- ١٠٨٩ هـ) دارالفكر، بيروت - ١٣٩٩ هـ . ١٣٢- شرح التجريد: القوشجى: علاء الدين، طبعه حجر، تبريز . ١٣٣- شرح العقائد النسفية: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (م ٧٩٢ هـ) مكتبة المثنى، بغداد . ١٣٤- شرح مقاصد الطالبين: سعد الدين التفتازانى (م ٧٩٢ هـ) طبع مصر . ١٣٥- شرح نهج البلاغة: ابن ابى الحديد (م ٦٥٥ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة - ١٣٧٨ هـ . ١٣٦- الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا (م ٤٢٨ هـ) انتشارات بيدار، إيران . ١٣٧- شمس العرب تسطع على الغرب: المستشرق الألمانية زيغريد هونكه، الترجمة العربية، دار الآفاق الجديدة، بيروت - ١٤١٠ هـ . ١٣٨- الشيعة بين الأشاعرة و المعتزلة: هاشم معروف الحسينى (م ١٤٠٧ هـ) دار القلم، بيروت - ١٩٧٨ م . ١٣٩- الشيعة والتشيع: محمد جواد مغنية،

مكتبة المدرسة ودارالكتاب العربي، بيروت . ١٤٠ - الشيعة والحاكمون: محمّد جواد مغنية، دار و مكتبة الهلال، بيروت - ١٤٠٤ هـ *
 حرف الصاد: ١٤١ - الصحيح: أبو داود السجستاني (م ٢٧٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت. ١٤٢ - الصحيح: البخاري: محمّد بن
 اسماعيل (م ٢٥٦ هـ) مكتبة عبدالحميد أحمد حنفي، مصر - ١٣١٤ هـ . ١٤٣ - الصحيح: الترمذي: محمّد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ -
 ٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت . (٦٨٢) ١٤٤ - الصحيح: مسلم بن الحجاج القشيري (م ٢٦١ هـ) دار إحياء التراث العربي،
 بيروت . ١٤٥ - الصحيفة السجادية الجامعة: الإمام زين العابدين علي بن الحسين - عليه السلام - مؤسسه الإمام المهدي - عجل الله فرجه
 الشريف - قم - ١٤١١ هـ . ١٤٦ - الصلوة بين التصوّف والتشيع: الدكتور كامل مصطفى الشيبلي، دار المعارف، مصر - ١٩٦٩ م . ١٤٧ -
 الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (م ٩٧٤ هـ) مكتبة القاهرة، مصر - ١٣٨٥ هـ . * حرف الطاء: ١٤٨ - الطبقات الكبرى: محمّد
 بن سعد (م ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت - ١٣٨٠ هـ . * حرف العين: ١٤٩ - عبدالله سبأ: السيد مرتضى العسكري (المعاصر) النجف
 الأشرف . ١٥٠ - العبر في خبر من غير: الذهبي: أبو عبدالله محمّد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت . ١٥١ - عباقات
 الأنوار: السيد مير حامد حسين الهندي (ت ١٣٠٦ هـ) مؤسسه الامام المهدي - عجل الله فرجه الشريف - قم - ١٤٠٦ هـ . ١٥٢ - العقائد
 الجعفرية: الطوسي: محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ هـ) طبعت على شكل رسالة مع كتاب جواهر الفقه، مؤسسه النشر الإسلامي، قم - ١٤١٢ هـ .
 ١٥٣ - العقد الفريد: ابن عبد ربه الاندلسي (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ) دارالكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٤ هـ . ١٥٤ - العقيدة والشريعة في
 الإسلام: المستشرق اجناس جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١ م) دارالكتاب العربي، مصر . ١٥٥ - العقيدة الطحاوية: أبو جعفر الطحاوي (٣٢١
 هـ) . (٦٨٣) ١٥٦ - علل الشرائع: الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) مؤسسه الأعلمي، بيروت ١٤٠٨ هـ . ١٥٧ - عمدة الطالب: ابن مهنا: جمال
 الدين أحمد بن علي (م ٨٢٨ هـ) النجف الاشرف - ١٣٨٠ هـ . ١٥٨ - عمدة القارئ: محمود بن أحمد العيني الحنفي، طبع مصر . ١٥٩ -
 عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) مؤسسه الأعلمي، بيروت - ١٤٠٤ هـ . * حرف الغين: ١٦٠ - الغارات: ابن هلال الثقفي
 (م ٢٨٣ هـ) دارالكتاب الإسلامي، قم - ١٤١١ هـ . ١٦١ - غاية المرام: السيد هاشم البحراني (م ١١٠٧ هـ) طبعة حجر، إيران . ١٦٢ -
 الغدير: العلامة عبدالحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ) دارالكتاب العربي، بيروت - ١٣٨٧ هـ . * حرف الفاء: ١٦٣ - فتح الباري:
 ابن حجر: شهاب الدين أحمد العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت . ١٦٤ - فتح البيان: صديق حسن خان . ١٦٥ -
 الفتنة الكبرى: الدكتور طه حسين، القاهرة - ١٩٥١ م . ١٦٦ - فتوح البلدان: البلاذري: أبو الحسن (م ٢٧٩ هـ) المكتبة التجارية، مصر -
 ١٩٥٩ م . ١٦٧ - فجر الإسلام: أحمد أمين (م ١٣٨٨ هـ) نشر دارالكتاب العربي . ١٦٨ - فرج المهوم: علي بن موسى بن طاووس (م ٦٦٤ هـ)،
 النجف الأشرف - ١٣٦٨ هـ . (٦٨٤) ١٦٩ - فرق الشيعة: النوبختي: الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري)
 دارالأضواء، بيروت - ١٤٠٤ هـ . ١٧٠ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي (م ٤٥٦ هـ) دارالمعرفة، بيروت - ١٣٩٥ هـ
 . ١٧١ - الفصول المختارة: الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ)، مكتبة الداوري، قم - ١٣٩٦ هـ . ١٧٢ - الفصول المهمة: ابن الصبّاغ المالكي (م
 ٨٥٥ هـ) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٨١ هـ . ١٧٣ - فضائل القرآن: الدارمي . ١٧٤ - فلاسفة الشيعة: الشيخ عبدالله نعمة
 (المعاصر)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . ١٧٥ - الفهرست: ابن النديم: محمّد بن اسحاق (٢٩٦ - ٣٨٥ هـ) القاهرة - ١٣٤٨ هـ .
 ١٧٦ - الفهرست: محمّد بن الحسن الطوسي (م ٤٦٠ هـ) جامعة مشهد، إيران - ١٣٥١ هـ . ١٧٧ - في رحاب أئمة أهل البيت: السيد
 محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت - ١٤٠٠ هـ . * حرف القاف: ١٧٨ - قاموس الرجال: التستري: محمّد تقى
 (المعاصر) طهران - ١٣٩٧ هـ . ١٧٩ - قصة الحضارة: ويل دورانت، دارالجيل، بيروت - ١٤٠٨ هـ . * حرف الكاف: ١٨٠ - الكافي:
 الكليني: محمّد بن يعقوب (م ٣٢٩ هـ) دارالكتب الإسلامية، طهران - ١٣٩٧ هـ . ١٨١ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمّد
 بن محمّد (م ٦٣٠ هـ) (٦٨٥)

دارالكتاب العربي، بيروت . ١٨٢ - الكشّاف: الزمخشري: محمود بن عمر (م ٥٣٨ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - ١٣٦٧ هـ .
 ١٨٣ - كشف الظنون: حاج خليفة مصطفى بن عبدالله (م ١٠٦٧ هـ) طبع استانبول - ١٣٦٢ هـ . ١٨٤ - كشف الغمّة: الأربلي: علي بن

عيسى (م ٦٩٣ هـ) دارالأضواء، بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٨٥ - كمال الدين: الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) طهران - ١٤٠٥ هـ - ١٨٦ - كنز العمال: المتقى الهندي (م ٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٨٧ - كنز الفوائد: الكراچكي: محمّد بن علي بن عثمان (م ٤٤٩ هـ) دارالأضواء، بيروت - ١٤٠٥ هـ - * حرف اللام: ١٨٨ - اللثالي المصنوعة: جلال الدين السيوطي (م ٩١١ هـ) دار المعرفة، بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٨٩ - لسان العرب: العلامة ابن منظور: محمّد بن مكرم (م ٧١١ هـ) قم - ١٤٠٥ هـ - ١٩٠ - لسان الميزان: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (م ٨٥٢ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت - ١٩١ - لؤلؤة البحرين: المحدث البحراني: الشيخ يوسف، النجف الأشرف - ١٣٨٦ هـ * حرف الميم: ١٩٢ - ماضي النجف وحاضرها: الشيخ جعفر آل محبوبة (م ٣٧٧ هـ) دارالأضواء، بيروت - ١٤٠٦ هـ - (٦٨٦) ١٩٣ - مجمع البيان: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ - ٥٤٨ هـ) دارالمعرفة، بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٤ - مجمع الزوائد: الهيتمي: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) دارالكتاب العربي، بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٥ - محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي (١٣٣٢ هـ) - ١٩٦ - المحاسن والمساوي: البيهقي: أحمد بن الحسين (م ٤٥٨ هـ) مكتبة النهضة، مصر - ١٩٧ - محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: محمّد الخضري، دار احياء الكتب العربية - ١٣٤٩ هـ - ١٩٨ - مختصر تاريخ العرب: السيد أمير علي، طبع مصر - ١٩٣٨ م - ١٩٩ - مرآة الجنان: أبو محمّد، عبدالله بن أسعد اليافعي (م ٧٦٨ هـ) دائرة المعارف العثمانية، الهند - ١٣٣٧ هـ - ٢٠٠ - المراجعات: السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠ - ١٣٧٧ هـ) طبع مصر - ٢٠١ - مروج الذهب: المسعودي: علي بن الحسين (م ٣٤٥ هـ) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت - ١٩٦٥ م - ٢٠٢ - مسائل فقهية: السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي (م ١٣٧٧ هـ) منظمة الاعلام الإسلامي، طهران - ١٤٠٧ هـ - ٢٠٣ - المستدرک: الحاكم النيسابوري: محمّد بن عبدالله (م ٤٠٥ هـ) دارالمعرفة، بيروت - ٢٠٤ - مستدرک الوسائل: الشيخ النوري: الحسين بن محمّد تقى (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ) مؤسسة آل البيت، قم - ١٤٠٧ هـ - ٢٠٥ - المسند: أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ) دارالفكر، بيروت - ٢٠٦ - مصفى المقال: آغا بزرك الطهراني (م ١٣٨٩ هـ) دار العلوم، بيروت - (٦٨٧) ١٤٠٨ هـ - ٢٠٧ - المصنف: أبو بكر بن أبي شيبة - ٢٠٨ - المصنف: عبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، ١١ مجلدًا، دار الكتب السلفية، القاهرة - ٢٠٩ - مظاهر الشعوبية في الأدب العربي: الدكتور محمّد نبيه حجاب، طبع مصر - ١٩٦١ م - ٢١٠ - معالم العلماء: ابن شهر آشوب: محمّد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) النجف الأشرف - ١٣٨٠ هـ - ٢١١ - معاني الأخبار: الصدوق: محمّد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) دارالمعرفة، بيروت - ١٣٩٩ هـ - ٢١٢ - معجم الادباء: الحموي: ياقوت بن عبدالله (م ٢٦٢ هـ) دارالفكر، بيروت - ١٤٠٠ هـ - ٢١٣ - معجم البلدان: الحموي: ياقوت بن عبدالله (م ٢٦٢ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت - ١٣٩٩ هـ - ٢١٤ - المغنى: عبدالله بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) مطبعة الإمام، مصر - ٢١٥ - مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ) مؤسسة دار الكتاب، قم - ٢١٦ - مقالات الإسلاميين: الأشعري: علي بن اسماعيل (م ٣٢٤ هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ٢١٧ - مقتل الامام الحسين: أبو مخنف: لوط بن يحيى الغامدي (م ١٥٨ هـ) المكتبة العلمية، قم - ٢١٨ - الملل والنحل: الشهرستاني: محمّد بن عبدالكريم (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) دارالمعرفة، بيروت - ١٤٠٢ هـ - ٢١٩ - المناقب: الخوارزمي: أحمد بن محمّد (م ٥٦٨ هـ) مؤسسة النشر الاسلامي، قم - ١٤١١ هـ - (٦٨٨) ٢٢٠ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمّد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) المطبعة العلمية، قم - ٢٢١ - مناقب علي بن أبي طالب - عليه السلام - : ابن المغازلي: علي بن محمّد الشافعي الواسطي (م ٤٨٣ هـ) المكتبة الإسلامية، طهران - ١٤٠٣ هـ - ٢٢٢ - منتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد): المتقى الهندي (م ٩٧٥ هـ) دار الفكر - ٢٢٣ - المنتظم: ابن الجوزي: عبدالرحمان بن علي البغدادي (م ٥٩٧ هـ) حيدرآباد ١٣٥٧ هـ وأخيراً في لبنان - ٢٢٤ - منهاج السنة: أحمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) طبع مصر - ٢٢٥ - الموطن: مالك بن أنس (م ١٧٩ هـ) دارالآفاق الجديدة، بيروت - ١٤٠٣ هـ - ٢٢٦ - الميزان في تفسير القرآن: العلامة الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت - ١٤٠٣ هـ - ٢٢٧ - ميزان الاعتدال: محمّد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨ هـ) دارالمعرفة، بيروت - * حرف النون: ٢٢٨ - نظرية الإمامية: أحمد محمود صبحي (المعاصر) دارالمعارف، مصر - ٢٢٩ - نقد المحصل: فخر الدين الرازي (م ٦٠٦ هـ) - ٢٣٠ - النهاية: ابن الأثير: مبارك بن محمّد الجزري (م ٦٠٦ هـ) مؤسسة اسماعيليان، قم - ١٤٠٥ هـ -

٢٣١- نهاية المرام: العلامة الحلي: الحسن بن يوسف (م ٧٢٦ هـ) مخطوط . ٢٣٢- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضى (٣٥٩- ٤٠٤ هـ) بيروت - ١٣٨٧ هـ . * حرف الهاء: ٢٣٣- الهدى السارى مقدمة فتح البارى: ابن حجر العسقلانى (م ٨٥٢ هـ) (٦٨٩) دار احياء التراث العربى، بيروت . ٢٣٤- هشام بن الحكم: عبدالله النعمة، دارالفكر العربى، بيروت - ١٤٠٥ هـ . ٢٣٥- هوية التشيع: الدكتور الشيخ أحمد الوائلى (المعاصر) دارالكتبي، بيروت - ١٤٠٧ هـ . * حرف الواو: ٢٣٦- الوحي المحمّدى: محمّد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ) طبع مصر . ٢٣٧- وسائل الشيعة: الحر العاملى: محمّد بن الحسن (١٠٣٣- ١١٠٤ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت - ١٤٠٣ هـ . ٢٣٨- وفيات الأعيان: ابن خلكان، أحمد بن أحمد (٦٠٨- ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضى، قم ١٣٦٤ هـ . ٢٣٩- وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقرى (م ٢١٢ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة - ١٣٦٥ هـ * حرف الياء: ٢٤٠- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر: أبو منصور: عبدالملك بن اسماعيل الثعالبي النيسابورى (م ٤٢٩ هـ) دارالفكر، بيروت - ١٣٩٢ هـ . ٢٤١- يبايع المودة: القندوزى: سليمان بن إبراهيم البلخى (م ١٢٩٤ هـ) مطبعة اختر، اسلامبول، ١٣٠١ هـ . ٢٤٢- يوم الإسلام: أحمد أمين (م ١٣٨٨ هـ) .

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
 قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِيصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرَّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايدة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحريى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقّلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّبَاب و عموم الناس إلى التحرّى الأدقّ للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النّافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هؤاه برامج العلوم

الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشّبّهات المنتشرة فى الجامعه، و...
 - منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أُخرَ

(ه) إنتاج المُنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى / "بنايه" القائمية " تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المترايد و المتسع للامور الديتية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً مترائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

